# نفحات القرآن

أسلوب جديد في التفسير الموضوعي للقرآن الكريم

الجزء الخامس

المعاد (١)

سماحة آية الله العظمى الشيخ ناصر مكارم الشيرازي
بمساعدة مجموعة من الفضلاء

بسم الله الرحمن الرحیم

# نفحات القرآن:اسلوب جدید فی التفسیر الموضوعی للقرآن الکریم

کاتب:

ناصرمکارم شیرازی

نشرت فی الطباعة:

موسسه ابی صالح النشر و الثقافه

رقمی الناشر:

مرکز القائمیة باصفهان للتحریات الکمبیوتریة

# الفهرس

# نفحات القرآن المجلد ۵

## اشارة

سرشناسه : مكارم شيرازى ناصر، - ۱۳۰۵

عنوان و نام پديدآور : نفحات القرآن اسلوب جديد فى التفسير الموضوعى للقرآن الكريم ناصر مكارم شيرازى بمساعده مجموعه من الفضلا

مشخصات نشر : موسسه ابى‌صالح النشر و الثقافه [۱۳۷۷؟].

مشخصات ظاهرى : ج ۶

وضعيت فهرست نويسى : فهرستنويسى قبلى يادداشت : عربى مندرجات : ج ۱. العلم و المعرفه فى القران .-- ج ۲. معرفه الله فى القرآن .-- ج ۳. .-- ج ۴. معرفه صفات و جلال‌الله .-- ج ۵، ۶. المعاد فى القرآن موضوع : تفاسير شيعه -- قرن ۱۴

رده بندى كنگره : BP۹۸/م۷ن۷ ۱۳۷۷

رده بندى ديويى : ۲۹۷/۱۷۹

شماره كتابشناسى ملى : م۷۷-۱۳۷۱۱

## أهميّة بحث المعاد

### اشارة

نفحات القرآن، ج۵، ص: ۷

### أهميّة بحث المعاد فى المنظور القرآنى

#### تمهيد:

لو ألقينا نظرة إجمالية على آيات القرآن المجيد لما وجدنا بحثاً يتصدّر جميع‌البحوث العقائدية للدين الإسلامى بعد بحث التوحيد، مثل بحث المعاد والحياة الآخرة وجزاء الأعمال والثواب والعقاب وإجراء العدالة.

إنّ وجود ما يقارب ۱۲۰۰ آية من مجموع آيات القرآن المجيد تهتم ببحث المعاد وهو ما يساوى ثلث آيات القرآن تقريباً، وما جاء من ذكر للمعاد فى جميع صفحات القرآن تقريباً وبلا استثناء، وتكريس الكثير من السور الأخيرة فى القرآن بأجمعها أو بغالبيّتها للمعاد ومقدماته وعلاماته ونتائجه، ما هى إلّاأدلة مؤيدة لهذا الادّعاء.

فالقرآن المجيد يتحدث عن عالم الآخرة فى كلّ مقطع تطرّق فيه لموضوع الإيمان باللَّه، وقد اقترن ذكر الموضوعين معاً فى ۳۰ آية تقريباً: «وَيُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَومِ الْاخِرِ» أو بتعبيرات مشابهة، وأشار لليوم الآخر أو فى أكثر من ۱۰۰ موضع ولم لا يكون كذلك؟ فى حين أنّ:

۱- كمال الإيمان باللَّه وحكمته وعدالته وقدرته لا يتمّ بدون الإيمان بالمعاد.

۲- الإيمان بالمعاد يُعطى لحياة الإنسان قيمةً، ويُخرج الحياة الدنيا عن اللَّغو والعبثية.

۳- الإيمان بالمعاد يخطّ طريقاً واضحاً لتكامل الحياة الإنسانية.

۴- الإيمان بالمعاد يضمن تطبيق كلّ السنن الإلهيّة، وهو الدافع الرئيسى لتهذيب النفوس واحترام الحقوق والعمل بالواجبات وإيثار

الشهداء وتضحیة المضحین، وهو الذی یدفع الإنسان لمحاسبة نفسه.

۵- الإیمان بالمعاد یُضعِف حبّ الدنیا التی هی رأس کل خطیئة، ویُخرِجُ الدنیا عن

نفحات القرآن، ج۵، ص: ۸

کونها «هدفاً نهائیاً» ویجعل منها «وسیلة» لنیل السعادة الأبدیة، وکم الفارق شاسعٌ بین هذین المنظارین!

۶- الإیمان بالمعاد یعطی للإنسان القوة لمواجهة الشدائد، ویحیل صورة الموت المرعبة- التی تخطر علی فکر الإنسان علی هیئة کابوسٍ ثقیل وتسلبه راحته- من مفهوم الفناء والعدم إلی نافذة نحو عالم الخلود.

۷- الکلام الفصل هو أنّ الإیمان بالمعاد- إضافةً إلی الإیمان بمبدأ عالم الوجود- یُعدّ الخط الفاصل بین الإلهیین والمادیین.

بعد هذه الإشارة نعود إلی القرآن لنتأمل خاشعین فی الآیات التالیة:

۱- «اللَّهُ لَاالهَ الَّا هُوَ لَیَجْمَعَنَّکُمْ الی یَوْمِ القِیَامَةِ لَارَیْبَ فیهِ ومَنْ اصْدَقُ مِنَ اللَّهِ حَدِیثاً». (النساء/ ۸۷)

۲- «زَعَمَ الَّذِینَ کَفَرُوا أنْ لَّنْ یُبعَثُوا قُلْ بَلی وَرَبِّی لَتُبْعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلْتُمْ وذَلِکَ عَلَی اللَّهِ یَسِیرٌ». (التغابن/ ۷)

۳- «وَیَسْتَنْبِؤُنَکَ احَقٌ هُوَ قُلْ إِی وَرَبِّی انَّهُ لَحَقٌّ وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزینَ». (یونس/ ۵۳)

۴- «وَقَالَ الَّذِینَ کَفَرُوا لَاتَأْتِینَا السَّاعَةُ قُلْ بَلَی وَرَبِّی لَتَأْتِیَنَّکُمْ عالِمِ الْغَیْبِ».

(سبأ/ ۳)

۵- «رَبَّنا انَّکَ جامِعُ النَّاسِ لِیَوْمٍ لَارَیْبَ فیِهِ انَّ اللَّهَ لایُخلِفُ المِیْعادَ».

(آل عمران/ ۹)

۶- «أَلا انَّ الَّذِینَ یُمَارُونَ فِی الساعَةِ لَفِی ضَلَالٍ بَعیدٍ». (الشوری ۱۸)

۷- «وَالَّذِینَ کَذَّبُوا بِآیَاتِنَا ولِقَاءِ الآخِرَةِ حَبِطَتْ اعْمَالُهُمْ هَلْ یُجزَونَ الَّا مَا کَانُوا یَعْمَلُونَ». (الاعراف/ ۱۴۷)

۸- «وَأَنَّ الَّذِینَ لَایُؤْمِنُونَ بِالآخِرَةِ اعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَاباً الِیماً». (الاسراء/ ۱۰)

۹- «وَقِیلَ الْیَوْمَ نَنْسَاکُمْ کَمَا نَسِیتُم لِقَاءَ یَوْمِکُمْ هذَا وَمَأْوَاکُمُ النَّارُ وَمَا لَکُمْ مِنْ نَّاصِرِینَ». (الجاثیة/ ۳۴)

نفحات القرآن، ج۵، ص: ۹

۱۰- «وَانْ تَعْجَبْ فَعَجَبٌ قَوْلُهُمْ ءَإِذَا کُنَّا تُرَاباً ءَانَّا لَفِی خَلْقٍ جَدیدٍ اولئِکَ الَّذِینَ کَفَرُوا بِرَبِّهِمْ وَاولئِکَ الْأَغْلَالُ فِی اعْنَاقِهِمْ وَاولئِکَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِیهَا خَالِدُونَ». (الرعد/ ۵)

## جمع الآیات وتفسیرها

### التأکید علی المعاد:

لقد ذُکر المعاد والحیاة بعد الموت بشکلٍ مؤکّد وبصور مختلفة فی الآیات الآنفة الذکر، کل ذلک من أجل بیان الأهمیّة البالغة التی یولیها القرآن لهذا الأمر.

الخطاب فی الآیة الاولی یؤکِّد علی جمع البشر فی ذلک الیوم الذی لا ریب فیه.

قال تعالی: «اللَّهُ لَاإِلهَ الَّا هُوَ لَیَجْمَعَنَّکُمْ إِلَی یَوْمِ الْقِیَامَةِ لَارَیْبَ فِیهِ»، ثم یبالغ بالتأکید فیقول: «وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ حَدِیثاً».

إنّ بدایة الآیة ونهایتها وجمیع إجزائها تؤکّد علی هذه المسألة، وتشکّل مقیاساً للأهمیّة التی یکنّها القرآن لذلک الموضوع «۱»، ومن الجدیر بالذکر أنّ «الریب» یعنی أساساً کما ورد فی مقاییس اللّغة هو الشّک، أو الشّک، المشوب بالخوف والقلق، أمّا إطلاق کلمة ریب علی «الحاجة» فذلک لأنّ المحتاج إلی شیء عادةً یشک فی الحصول علی ذلک الشیء فیکون شکّه مشوباً بالخوف من

الحرمان!

وفى «فوارق اللغة» ذُكِرت عدّة فروق بين «الشك» و «الريب»، منها أنّ «الارتياب» شكٌّ مشوب بالتهمة.

فمن المحتمل أن يكون السبب فى استعمال القرآن الكريم لهذا الاصطلاح بشأن المعاد هو أنّ المعارضين لأمر المعاد كانوا بالإضافة إلى تظاهرهم بالشك فى عقيدة المعاد يتّهمون النبى الأكرم صلى الله عليه و آله باختلاق تلك الامور.

---

(۱) وهنالك آيات كثيرة اخرى فى القرآن أيضاً تؤكّد جميعها على هذا الموضوع وهو أنّه لا شك فى الرجعة، مثل آية ۷ من سورة الحج؛ والآية ۹، ۲۵ من سورة آل عمران؛ والآية ۱۲ من الانعام؛ والآية ۲۱ من الكهف؛ والآية ۵۹ من غافر؛ والآية ۷ من الشورى والآية ۲۶ و ۳۳ من سورة الجاثية.

نفحات القرآن، ج۵، ص: ۱۰

ولكن يبقى هنالك سؤال يحتاج إلى الإجابة وهو: لِمَ اكتفى القرآن فى هذه المواضع وفى مواضع مُشابهه بالمدّعى من دون ذكر دليلٍ عليه؟

وأسباب ذلك كثيرة؛ وأوّلها: إنّ أدلّة إثبات المعاد وردت فى مواضع كثيرة من القرآن المجيد وبُحثت باستمرار، فلم يكن من الضرورة تكرارها فى هذه الآية، وثانياً: كأنّ القرآن يريد أن يوضّح هذه الحقيقة وهو أنّ الشواهد على إثبات المعاد بلغت من الوضوح حداً بحيث لم تُبقِ مجالًا للشّك أو التردد «۱».

وفى الآية الثانية امِرَ النبى صلى الله عليه و آله بأن يُقسِم مؤكِّداً على أنّ هنالك قيامةً وحشراً ونشراً حيث قال تعالى: «زَعَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنْ لَّنْ يُبْعَثُوا قُلْ بَلى وَرَبِّى لَتُبْعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلْتُمْ وذلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسيرٌ».

نحن نعلم بأنّ القسم عادةً من الأعمال غير المحبذة، على الأخص عندما يكون القسم باللَّه تعالى من أجل هذا نهى القرآن الناس عنه فى الآية الكريمة: «وَلَا تَجْعَلُوا اللَّهَ عُرْضَةً لِأَ يْمَانِكُمْ». (البقرة/ ۲۲۴)

ولكن أحياناً وعندما يكون الأمر مهماً جدّاً فإنّ القسم لدعم ذلك الأمر لا يكون غير مستحسن فحسب بل يكون لازماً.

وفى هذه الآية، علاوة على ذكر التأكيد فى «لتبعثن» و «لتنبؤُن» فإنّ الآية فى آخرها تُصرِّح على أنّ هذا الأمر يسير على اللَّه، ولذلك فلا يجب أن ترتابوا أو تترددوا فيه «۲».

---

(۱) يجب الانتباه إلى «اللام» فى «لَيجمعنكم» للقسم، ثم صاحبتها نون التوكيد الثقيلة، وبعد ذلك اكِّدَت بجملة «لاريب فيه» وأخيراً اشتدّ التأكيد بجملة: «ومن أصدق من اللَّه حديثاً». (ولكن لماذا تعدت «ليجمعنَّ» هنا ب «إلى ، مع أنّ القاعدة تقتضى التعدى ب «فى»؟ فإنّ المفسرين اجابوا: إنّ السبب هو أنّ كلمة «ليجمعن» أتت بمعنى «ليحشرنَّ» التى تتعدى ب «إلى ، أو أن تكون «إلى هنا بمعنى «فى».

(۲) «زعْم» على وزن «طعم» فى الأصل بمعنى الخطاب المحتمل كذبه أو المتيقّن من كذبه، وأحياناً تأتى بمعنى الظن الكاذب أيضاً من دون أن يكون هنالك أى خطاب، روى بعض المفسرين مثل الشيخ الطوسى فى «التبيان» والقرطبى مؤلف كتاب «روح البيان» بأنّ «زعم» كناية عن الكذب.

نفحات القرآن، ج۵، ص: ۱۱

وفى الآية الثالثة طُرحت هذه المسألة على شكل استفسار ومحاورة تجرى بين النبى صلى الله عليه و آله والمشركين: «وَيَسْتَنْبِؤُنَكَ أَحَقٌّ هُوَ»؟!

ويجب الالتفاف إلى أنّ «يستنبؤنك» من «النبأ» وهو «الخبر المهم».

قال «الراغب» فى «المفردات» النبأ هو الإخبار النافع المصاحب للهول والعظمة لدى الإنسان الذى لديه علمٌ أو ظنٌ غالباً بذلك الإخبار، ومادام الخبر لايتصف بهذه الامور الثلاثة (الفائدة والعظمة والعلم) فإنّه لا يسمى «نبأ»، (بناءً على هذا فالخبر المشكوك أو قليل الأهميّة أو عديم الفائدة لايسمى «نبأ» وأما ما نراه فى سورة النبأ من وصف النبأ ب «العظيم» فإنّه لشدّةِ التأكيد) وعندما يطلق على النبى الأكرم صلى الله عليه و آله ذلك فبسبب اتصاف ما أخبر به بهذه الصفات الثلاث أيضاً.

ثم يأمر اللَّه تعالى نبيّه صلى الله عليه و آله: «قُلْ اىْ وَرَبِّى إِنَّهُ لَحَقٌّ»، والملفت للنظر هنا هواستعمال كلمة «الرب» فى الآية الكريمة للاشارة إلى أن القيامة هى دوام ربوبية الخالق واستمرارها، وإنّ القيامة هى من مظاهر الربوبية، وسيأتى توضيح هذا الكلام عند البحث فى أدلّة المعاد بإذن اللّه.

وإزداد التأكيد شدّةً فى آخر الآية فى جملة: «وَمَا انْتُمْ بِمُعْجِزِينَ».

ويعتقد عدد من المفسرين بأنّ هذه الآية تشير إلى صدق القرآن أو نبوّة الرسول الأعظم صلى الله عليه و آله، بينما تصّرح الآية السابقة والآية اللاحقة لهذه الآية بوضوح أنّ المراد من النبا هو مسألة المعاد ومجازاة المذنبين فى يوم القيامة التى طُرحت بعنوان أمرٍ واقعٍ لا شك فيه من خلال اضفاء أنواع التأكيدات عليها.

إنّ كلّاً من كلمة «إىْ»، والقسم «ربّى» و «إنَّ» و «اللام» فى «لحقٌّ»، ونفس كلمة «حق» وكون الجملة اسمية، وجملة «وما أنتم بمعجزين» هى تأكيدات لبيان أهميّة هذه المسألة.

نفحات القرآن، ج۵، ص: ۱۲

وفى الآية الرابعة طرحت هذه المسألة بشكل جديد فهى تنقل قول الكافرين أولًا «وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَاتَأْتِينَا السَّاعَةُ».

ثم يأمر النبى الأكرم صلى الله عليه و آله: «قُلْ بَلَى وَرَبِّى لَتَأتِيَنَّكُمْ عَالِمِ الْغَيْبِ».

من الممكن أن يكون ذكر «عالم الغيب» هو للالتفات إلى السبب الذى أدّى إلى إنكار المعاد من قِبَل الكافرين وذلك لأنّهم كانوا يقولون: مَن يقدِر على جمع الرفات المتناثرة فى أكناف الأرض على شكل ذرات؟ ومن يقدر على إحصاء أعمال الإنسان التى بادت وانمحت ولم يبق منها أى أثر ليثاب ويعاقب عليها؟ يجيب القرآن هنا بجملة وجيزة، ويقول: اللَّه الذى يعلم الغيب ويعرف خفايا الإنسان يتكفّل بذلك.

ولكن لماذا اطلق اسم «الساعة» على القيامة فى أحد اسمائها؟ لأنّ «الساعة» بتصريح أصحاب اللغة وضعت فى الأصل للجزء الصغير من أجزاء الزمن أو بتعبيرٍ آخر هى اللحظة السريعة الانقضاء، وبما أنّ حساب العباد فى يوم القيامة أو أصل قيام القيامة يتمّ بسرعة اطلق هذا الاسم على يوم القيامة «۱».

ومن الجدير بالذكر أيضاً هو أنّ كلمة «ساعة» كما جاء فى لسان العرب تطلق على لحظة انتهاء العالم المفاجئة وعلى قيام يوم القيامة معاً؛ لأنّ قيام يوم القيامة يكون مفاجئاً أيضاً.

وقسّم البعض «الساعة» إلى ثلاثة أنواع: «الساعة الكبرى و «الساعة الوسطى و «الساعة الصغرى .

فالساعة الكبرى هى يوم الحشر، والساعة الوسطى هى الموت المفاجىء لقومٍ فى أحد الأزمنة (مثل قوم نوح الذين غرقوا فى وقت الفيضان) والساعة الصغرى هى ساعة الموت لكل إنسان «۲».

---

(۱) فعل «ساعَ» أتى بمعنى زوال، والزوال يحمل فى طياته مفهوم سرعة الانقضاء، قال فى المنار: ساعة فى الأصل بمعنى الزمان القصير الذى يُعَّين بواسطته مقدار عملٍ معيّن حدث فى خلال ذلك الوقت. (تفسير المنار، ج ۷، ص ۳۵۹).

(۲) تاج العروس فى شرح القاموس ومفردات الراغب.

نفحات القرآن، ج۵، ص: ۱۳

وفى الآية الخامسة جاء هذا المعنى على لسان «الراسخين فى العلم» فهؤلاء أيضاً خلال مناجاتهم مع اللَّه أكّدوا على أمر المعاد والحشر واعتبروه من أوضح الامور المسلّمة حين قالوا: «رَبَّنَا انَّکَ جَامِعُ النَّاسِ لِيَوْمٍ لَارَيْبَ فِيهِ».

ولشدّة التأكيد أضافت الآيةإلى ذلك: «انَّ اللَّهَ لَايُخْلِفُ المِيْعَادَ».

وفى هذه الآية أيضاً جاء عدد من التأكيدات مثل كلمة «إنّ» و «الجملة الاسمية» وجملة «لاريب فيه» وجملة «إِنّ اللَّه لا يخلف الميعاد».

## إنكار المعاد هو عين الضَلال:

إلى هنا كان الكلام فى التأكيدات على مسألة المعاد، ولكن الآيات الخمس المتبقية من آيات بحثنا تشتمل على تهديدات مختلفة وجّهت إلى جاحدى الحشر والمعاد وكل آية لها تعبير خاص، ففى الآية السادسة مثلًا قال تعالى: «الا إِنَّ الَّذِينَ يُمَارُونَ فِى السَّاعَةِ لَفى ضَلَالٍ بَعْيدٍ».

«يمارون»: من «المراء» أو «المرية»، قال فى «مقاييس اللغة» إنّها على معنيين:

الأول: شَدّ اليد على ثَدْى الحيوان لحلب اللبن، والمعنى.

الثانى: الصلابة والرصانة، لكن الراغب لم يذكر فى المفردات إلّاالمعنى الأول.

ثم إنّ هذه الكلمة جاءت بمعنى الشك والترديد، وإن قال الراغب إنّ لها مفهوماً أضيق دائرةً من الشك (من المحتمل أنْ يكون السبب فى ذلك هو أنّ «المرية» يُفهَمُ منها معنى الشك المقرون بالبحث والتحقيق، كما هو الحال فى حالِب اللبن فإنّه يبذل جهداً لاستخراج اللبن من الثدى).

أمّا «المماراة» فهى بمعنى المجادلة فى البحث والتعصب فى الجدل أو أنّ كلّاً من الطرفين يريد أن يقرأ أفكار الطرف الآخر، أو كما قال صاحب المقاييس إنّ كِلا المعنيين يشتملان على الصلابة والتزمُّت فى البحث، كما اشيرَ أعلاه بأنّ الصلابة هى أحد معانى المرية.

نفحات القرآن، ج۵، ص: ۱۴

ومن الجدير بالذكر أنّ استعمال «ضلالٍ بعيد» جاء فى عشر آيات فى القرآن المجيد، وكانت أغلبها خطاباً للكفّار والمشركين وجاحدى المعاد، وهذا التعبير يبيّن بوضوح بأنّ الضلال البعيد يختص بهذه المجموعة، وذلك لأنّ الإيمان باللَّه ويوم الحساب إنّ وجِدْ يجعل وجود الضلال سطحياً ويزيد من احتمال العودة إلى طريق الحق، بينما يقود جحد التوحيد والمعاد الإنسانَ ويجرُّه إلى آخر درجة من الضلال ويبعده عن صراط الهداية القويم إلى أدنى حد، أو بتعبيرٍ آخر إنّ الأدلّة على معرفة اللَّه وإثبات المعاد على حدٍ من الوضوح يجعلها تشابه الامور الحسيّة الملموسة، والذى يصاب بالضلال فى هذين الأمرين فضلاله عظيم.

وفى الآية السابعة اشير إلى مسألة «حبط الأعمال» أى أعمال الجاحدين للمعاد فى قوله تعالى «وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا ولِقَاءِ الآخِرَةِ حَبِطَتْ اعْمَالُهُمْ هَلْ يُجزَونَ إلّا مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ».

«الحبط»: فى الأصل بمعنى البطلان أو التمّرض «۱»، وفى تعبير الآيات والروايات جاء بمعنى محو ثواب الأعمال بسبب إرتكاب عدد من الذنوب.

وجاء فى «لسان العرب» إنّ «الحبط» هو أن ينجز الإنسان عملًا ما ثم يُبطله.

ولعلماء علم الكلام نقاشٌ فى مسألةِ هل يكون «الحبط» حاكماً دائماً فى تأثير المعاصى والطاعات على بعضها الآخر أم لا؟ وسوف نتعرض بالبحث مفصلًا فى هذه المسألة فى محلها إن شاء اللَّه، ولكن لا يوجد على نحو القضية الجزئية شكٌّ فى صحة هذه المسألة، فإنّ بعض الامور مثل «الكفر» تكون سبباً فى حبط ثواب جميع الأعمال الصالحة، فلو مات أحدٌ على الكفر فإنّ جميع أعماله الصالحة سوف تتلاشى كنثر الرماد فى ريحٍ عاصفٍ، إنّ الآيات الآنفة الذكر تنسب هذا الاحباط لجاحدى الآيات الدالّة على إثبات اللَّه والمعاد، وهذا دليلٌ واضح على أهميّة المعاد فى رأى القرآن المجيد.

(۱) مقاييس اللغة مادة (حبط).

نفحات القرآن، ج۵، ص: ۱۵

وفى الآيـة الثامنـة هـدّد القرآن بشـكلٍ صـريح بتعـذيب الـذين لا يؤمنون بالآخرة عـذاباً أليماً، قال تعالى «وَأَنَّ الَّذِينَ لَايُؤْمِنُونَ بِالآخِرَةِ اعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَاباً الِيماً».

فهو من جانب يقول: إنّ الجزاء مُعدٌ وجاهز كى لايظنّ أحد أنّ الجزاء وعد مؤجلٌ، ومن جانبٍ آخر يصف العذاب الإلهى ب «الأليم» وهذا الوصف من أجل المبالغة فى بيان أهميّة الإيمان بالمعاد.

وكلمة «عذابٌ أليم» تكرر ذكرها فى القرآن المجيد عشرات المرّات وفى آياتٍ مختلفة، وخوطِبَ بها الكفّار والمنافقون غالباً، ووردت أحياناً فى تهديـد من يقترف الـذنوب الكبيرة مثل ترك الجهاد (سورة التوبـة/ ۳۹) والاجحاف عنـد القصاص (البقرة/ ۱۷۸) أو اشاعة الفحشاء (النور/ ۱۹) أو الظلم والعدوان (الزخرف/ ۶۵) وما شابه ذلك من الكبائر.

وفى الآية التاسعة ذُكِرت ثلاث عقوبات أليمة للذين لا يبالون بيوم القيامة، قال تعالى:

«وَ قِيلَ الْيَوْمَ نَنْسَاكُمْ كَمَا نَسِيتُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا». «وَمَأْوَاكُمُ النَّارُ». «وَمَالَكُمْ مِنْ نَّاصِرِينَ».

إنّ الغفلة عن يوم القيامة أو نسيانه هو مصدر جميع أنواع الضـلال فى الواقع، كما جاء فى القرآن! «.... إِنَّ الَّذِينَ يَضِلُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا نَسُوا يَوْمَ الْحِسَابِ» «۱».

(ص/ ۲۶)

من الطبيعى أنّ اللَّه موجودٌ فى كل مكان، وأنّ جميع الأشياء حاضرة بين يديه، ولا معنى لنسبة النسيان إليه، فالمراد من النسيان هنا هو أنّ اللَّه تعالى يحرم هؤلاء من رحمتة إلى أبعد الحدود بحيث يُتَصوَّر أنّه نسيهم!

(۱) تفسير الميزان، ج ۱۳، ص ۵۰.

نفحات القرآن، ج۵، ص: ۱۶

وأخيراً ففى الآية العاشرة والأخيرة وعَدَ اللَّه عزّ وجلّ جاحدى المعاد بالخلود فى النار وهَدَّدهم بالعذاب الدائم.

قال تعالى بعد أن وجّه الخطاب إلى النبى صلى الله عليه و آله: «وانْ تَعْجَبْ فَعَجَبٌ قَوْلُهُمْ ءَإِذَا كُنَّا تُرَاباً ءَإِنَّا لَفِى خَلْقٍ جَدِيدٍ».

ثم يضيف إلى ذلك: «أُولئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ وَأُولَئِكَ الْأَغْلَالُ فِى أَعْنَاقِهِمْ وَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ».

الحـديث فى بدايـة الآية عن تعجّب الكفّار، ثم يَعِدُّ هذا التعجب من غرائب الامور، أى هل هناك عجبٌ من هذا الأمر الواضح المُعزز بِكل هـذه الأدلة؟ ويصورهم فى نهاية الآية بصورة السـجناء المكبّلين بالأغلال والسـلاسل فى أعناقهم، وأى أغلال وأى سـلاسل أكثر تقييـداً من التعصب والجهل والهوى الـذى يسلبهم كل أنواع حريـة التفكّر إلى حـدٍ تصبح فيه المسألـة الواضـحة كل الوضوح مدعاة لَعَجبِهم، وذلك لأنّها لا توافق هواهم وتقليدهم الأعمى

فيجب الالتفات إلى أنّ ظاهر الآيـة هو التقييد بالأغلال والسـلاسل فى الوقت الحاضـر لا بعد ذلك فى يوم القيامة، كما جاء فى الشـعر العربى: لَهُمْ عن الرُّشدِ أغلالٌ وأقيادُ، ولكن بعض المفسـرين يرى أنّ الآية تشـير إلى حالهم يوم القيامة ويعتقد بأنّ الأغلال والسلاسـل ستوضع على أعناقهم فى ذلك اليوم «۱»، وذكر البعض الآخر كلا الاحتمالين «۲» ولكنَّ عدداً من المفسـرين يعتقد بأنّ الآية تشير إلى حالهم فى الـدنيا، كما صـرح بـذلك المرحوم العلّامـة الطباطبائى فى تفسـير الميزان فإنّه قال: «وَأُولَئِكَ الْأَغلَالُ فِى أَعْنَاقِهِمْ» إشارة إلى اللازم الثانى وهو الاخلاد إلى الأرض والركون إلى الهوى والتقيد بقيود الجهل وأغلال الجحد والإنكار «۳».

ومن الواضح أنّ قيوداً وأغلالًا من هذا القبيل والتى يضعُها الإنسان فى يديه ورجليه

(۱) تفسير مجمع البيان ذيل الآية ۵ من سورة الرعد؛ وتفسير القرطبى، ج ۵، ص ۳۵۱۳.

(۲) تفسير الكبير، ج ۱۹، ص ۹.

(۳) تفسير الميزان، ج ۱۱، ص ۳۰۰.

نفحات القرآن، ج۵، ص: ۱۷

وعنقه سوف تظهر له يوم القيامة على صورة أغلال وسلاسل من نار، وسوف تَصُدّه عن الارتقاء إلى درجة القرب الإلهى.

### نتيجة البحث:

يّتضح جيداً من مجموع الآيات السابقة- وآيات اخرى سوف تُذكر فى الأبحاث اللاحقة- مدى اهتمام القرآن المجيد بالإيمان بالمعاد، وكيف يَعُدُّهُ من أركان واسس الإيمان التى يسبب تركها الضلال البعيد والابتعاد عن الحق والخلود فى النار والعذاب الأليم، ويُعدُّ إنكار المعاد دليلًا على فقدان حرية التفكير والتكبُّل بسلاسل الجهل والعناد.

وبالتأكيد فإنّ هذه الامور هى السبب فى احتلال بحث المعاد المرتبة الثانية بعد بحوث التوحيد ومعرفة اللَّه بالنسبة لسعة البحوث فى القرآن الكريم.

نفحات القرآن، ج۵، ص: ۱۹

## أسماء المعاد فى القرآن الكريم

### اشارة

نفحات القرآن، ج۵، ص: ۲۱

## أسماء المعاد فى القرآن الكريم

### تمهيد:

ورد ذكر المعاد فى القرآن المجيد فى مئات من الآيات وبتعابير متنوعة، ويُعد كل تعبير من تلك التعابير بمثابة إشارةً إلى بعدٍ من أبعاد مفهوم المعاد، وتلك التعبيرات بمجموعها توضح عمق هذه المسألة وأهداف الحياة الآخرة.

وبما أنّ مطالعة عبارات القرآن المتنوعة للمعاد تفتح أمامنا آفاقاً جديدة فى هذه المسألة العقائدية المهمّة، فإننا نتعرض لدراسة تلك العبارات.

وأهم العبارات القرآنية فى هذه المسألة هى العبارات الثمانية التالية والتى تشكّل أساس الآيات الشريفة:

۱- «قيام الساعة».

۲- «إحياء الموتى».

۳- «البعث».

۴- «الحشر».

۵- «النشر».

۶- «المعاد».

۷- «لقاء الرّب».

۸- «الرجوع».

بعد هذه الإشارة نعود إلى القرآن لنمعن خاشعين فى نماذج من التعبيرات الآنفة الذكر:

۱- «وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُبْلِسُ الْمجرِمُونَ». (الروم/ ۱۲)

نفحات القرآن، ج۵، ص: ۲۲

۲- «ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الحَقُّ وانَّهُ يُحْيِي الْمَوْتَى وَانَّهُ عَلَى كُلِّ شىءٍ قَدِيرٌ». (الحج/ ۶)

۳- «وَانَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ لّارَيْبَ فِيهَا وَانَّ اللَّهَ يَبْعَثُ مَنْ فِى القُبُورِ». (الحج/ ۷)

۴- «وَانَّ ربَّكَ هُوَ يَحْشُرُهُمْ انَّهُ حَكِيمٌ عَلِيمٌ». (الحجر/ ۲۵)

۵- «وَاللَّهُ الَّذِى ارْسَلَ الرِّيَاحَ فَتُثِيرُ سَحاباً فَسُقْنَاهُ إِلَى بَلَدٍ مَّيِّتٍ فَأَحْيَيْنَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا كَذَلِكَ النُّشُورُ». (فاطر/ ۹)

۶- «كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ». (الاعراف/ ۲۹)

۷- «قَدْ خَسِرَ الّذِينَ كَذَّبُوا بِلِقَاءِ اللَّهِ وَمَا كَانُوا مُهتَدِينَ». (يونس/ ۴۵)

۸- «كُلُّ نَفسٍ ذَائِقَةُ المَوْتِ ثُمَّ الَيْنَا تُرْجَعُونَ». (العنكبوت/ ۵۷)

## جمع الآيات وتفسيرها

### ۱- القيامة

«القيامـة»: هى أكثر العبـارات شـيوعاً عن المعاد وهى مأخوذة من مادّة «القيام»، وقـد عبّر القرآن المجيـد عن ذلك اليوم العظيم فى ۷۰ موردا بتعبير «يوم القيامـة»، وفى بعض الآيات مثل الآيـة الاولى من آيات بحثنا ذكره بتعبير «يَوْمَ تَقُومُ السَّاعَـةُ»، حيث قال تعالى: «وَيَوْمَ تَقُوُم السَّاعَةُ يُبْلِسُ الْمجْرِمُونَ» «۱».

ومن الطبيعى أن ييـأس المـذنبون ويكتئبوا فى ذلـك اليوم ويلزموا جـانب الصـمت؛ لأنّهم يرون نتائـج أعمالهم بعـد أن لم يبق أمامهم طريق لتدارك ما مضى يقول الفخر الرازى فى تفسيره بعد أن يقسّم اليأس إلى نوعين:

«يوم تقوم الساعـة يكون للمجرم يـأس محير لاـ يأس هو احـدى الراحتين، وهـذا لأنّ الطمع إذا انقطع باليأس فإذا كان المرجو أمراً غير ضرورى يستريح الطامع من الانتظار وإن

---

(۱) «يبلس» من مـادة «ابلاـس»، قـال الراغب: الابلاـس هو الغم والهم الحاصل من شـدّة اليأس والقنوط، وفسـر البعض الابلاس باليأس بينما فسـره البعض الآخر من المفسـرين واللغويين بأنّه يعنى السكوت الناشىء من عدم وجود الادلّة. (المفردات؛ والصحاح؛ والتحقيق؛ وتفسير روح المعانى؛ وتفسير الميزان).

نفحات القرآن، ج۵، ص: ۲۳

كان ضرورياً بالابقاء له ينفطر فؤاده أشدّ انفطار، ومثل هذا اليأس هو الابلاس» «۱».

فأحياناً، يحلُّ اليأس فى مواردٍ يحتاج الإنسان إلى مقصوده احتياجاً مبرماً، فمن البـديهى فى مثل هـذه الموارد يكون اليأس سـبباً للحيرة والضياع ومصَدراً للألم والغم القاتل، فكلمة «إبلاس» تستعمل فى المعنى الثانى (بينما كلمة «يأس» ليست كذلك).

ثم إنّ القرآن الكريم يعبّر عن المعاد ايضا ب «يَوْمَ يَقُومُ الحِسَابُ». (إبراهيم/ ۴۱)

وتارةً يقول: «يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ». (المطففين/ ۶)

وتارة يذكره بعبارة: «يَوْمَ يَقُومُ الرُّوحُ وَالْمَلَائِكَةُ». (النبأ/ ۳۸)

وأخرى بعبارة: «وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَادُ». (غافر/ ۵۱)

بلى إنّ ذلك اليوم هو يوم القيامة، يوم قيام الساعة وقيام الحساب وقيام الناس وقيام الملائكة وقيام الأشهاد ويوم قيام كل شيء.

والملفت للنظر هو أنّ التعبير بقيام الساعة له مفهوم خاص من بين هذه التعبيرات؛ لأنّ الساعة- كما قلنا سابقاً- تعني الجزء من الزمان فهل يعني هذا أنّ للزمان قيام؟ يعتقد البعض أنّ هذا التعبير يدلّ على أنّ يوم القيامة يمكن أن يُتَصوّر له التلبس بالقيام والنهوض كما هو الحال في الموجودات الحيّة (فتأمل).

## ۲- احياء الموتى

احياء الأموات هو عنوان آخر يُشاهد بشكل واسع في الآيات المختصة بالمعاد، وكما سيأتي- بإذن اللَّه- في بحث أدلّة المعاد أنّ عدداً كبيراً من هذه الأدلة تُؤكّد على هذا العنوان، وتُصّور إمكان الإحياء بعد الممات بطرق مختلفة.

---

(۱) تفسير الكبير، ج ۲۵، ص ۱۰۱.

نفحات القرآن، ج۵، ص: ۲۴

ومن جملتها الآية التي هي مورد بحثنا، فبعد أن ذكر القرآن المجيد ثلاثة امور مهمّة هي (مسألة خلق الإنسان من التراب، والتطوّرات المختلفة للجنين، وإحياء الأرض بعد نزول الغيث) قال تعالى: «ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَانَّهُ يُحْيِ الْمَوْتَى وانَّهُ عَلَى كُلِّ شَيءٍ قَدِيرٌ».

«الحق»: يعني الواقع والثبوت، والتعبير السابق- على حد قول «الميزان» يُشير إلى أنَّ اللَّه عزوجل هو عين الواقع لا أنّه وجودٌ له واقع، إنّه عين الثبوت والواقع، وبالاحرى أنَّ واقعية وثبوت كل شيّ في العالم مترشح من فيض وجوده «۱».

وما يقابل الحق هو الباطل، فإنّه لا واقع ولا ثبوت له، بل هو خيالٌ وظنٌّ باطل وسرابٌ لا غير.

والملفت للنظر في هذه الآية هو الامور الثلاثة المذكورة أعلاه (خلق آدم من التراب، وتطورات الجنين، واحياء الأرض الميّتة) فإنّها جاءت كدليل على إثبات المبدأ الأول أي إثبات أصل وجود اللَّه، وعلى إثبات المعاد وإثبات صفات اللَّه (مثل القدرة).

إنّ هذه التغييرات الواسعة والمهيمنة على كل موجودات العالم هي في الواقع دليل على وجود محورٍ ثابت في عالم الوجود، وهذا النظم العجيب الذي يُهيمن على الظواهر المختلفة هو دليلٌ على حكمة وقدرة ذلك المحور، وتدلّ كل هذه الامور بوضوح على إمكان الحياة بعد الموت.

وكما أشرنا سابقاً بأنّ تعبير «احياء الموتى ورد بشكل واسع في آيات المعاد، فإنّ هذا التعبير يدلّ بوضوح على كون المعاد جسمانيّاً، لا عودة الروح فحسب، بل يعاد في الآخرة الجسم المتعلق بها أيضاً (ولكن على مستوىً أعلا وأرقى كما ستأتي الإشارة إليه لاحقاً) فلو كان المعاد بالروح فقط لما كان للحياة الآخرة مفهوم أصلًا، لأنّ الروح بعد انفصالها عن البدن تستمر في الحياة وتحافظ على بقائها.

## ۳- البعث

ومن التعابير الاخرى التي وردت في آيات القرآن عن القيامة هو «البعث»، ففي الآية

---

(۱) تفسير الميزان، ج ۱۴، ص ۳۷۸.

نفحات القرآن، ج۵، ص: ۲۵

اللاحقة لتلك الآية السابقة من سورة الحج من آيات البحث قال تعالى «وَانَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ لا رَيبَ فِيهَا وَانَّ اللَّه يَبْعَثُ مَنْ فِى القُبُورِ».

لقد ورد هذا التعبير فى القرآن بشكل واسع جدّاً فأحد أسماء القيامة هو «يوم البعث» (الروم/ ۵۶)، أو «يوم يُبعثون» وجاء هذا التعبير فى ست آيات من القرآن «۱».

وهـذا التعبير تكرر ذكره كثيراً حتى فى أسـئلة المشـركين التى كـانوا يسألونهـا من النبىالأـكرم مثـل: «ءَاذَا مِتْنَـا وَكُنَّا تُرَابـاً وَعِظَاماً ءِإنَّا لَمَبْعُوثُونَ» «۲». (الصافات/ ۱۶)

«البعـث»: لـه مفهـوم واسـع فى اللغـة، فقـد حملـه البعض على أنّه بمعنى «الارسـال» والبعض الآـخر على أنّه بمعنى «الايصـال»، وفّسره آخرون، ب «النشـر» ولكن يظهر من موارد اسـتعماله المختلفة أنّ له مفهوماً واحداً، إلّاأنّه يتغيّر تبعاً لمورد استعماله بما يناسبه، كارسال النبى صـلى الله عليه و آله لابلاـغ الرسالـة، وبعث الجيش للجهـاد، أو الإنسـان النائم لأداء وظيفته، أو نشـر الأموات للحساب، أو ارسال الحيوان للحركة «۳».

والسبب فى اطلاق هـذا التعبير على القيامـة للمناسـبة الموجودة بين البعث وابتـداء الحركة فى الأموات الذين يخرجهم اللَّه من القبور، ومن ثم يبعثهم للحساب نحو محاكم القيامة، وبعدها نحو الجنّة أو النار، فكلّ واحد من هذه المراحل هو مصداق «للبعث».

ويلاحظ أنّ هناك تعبير آخر فى آيات القرآن يقارب فى افُقِه مادة «البعث» وهو مادة «بَعْثَرة» (على وزن مَنْقَبة).

ولم يأتِ هذا التعبير فى القرآن إلّافى آيتين، الموضع الأول: «وَاذا القُبُورُ بُعْثِرَتْ». (الانفطار/ ۴)

وفى الموضع الآخر هو الآية: «أَفَلَا يَعْلَمُ اذَا بُعثِرَ مَافِى القُبُورِ». (العاديات/ ۹)

وبالرغم من أنّ ارباب اللغـة فسّـروا مادة «بعثرة» بالتقليب والنشـر، لكنّ الراغب فى المفردات احتمل أن تكون هـذه الكلمـة مركبـة من كلمتى «بعث» واثيرت»، فتكون الاولى

---

(۱) الأعراف، ۱۴؛ الحجر، ۱۶؛ المؤمنون، ۱۰۰؛ الشعراء، ۸۶؛ الصافات، ۱۴۴؛ ص، ۷۹.

(۲) جاء هذا المعنى فى الآيات التالية: الاسراء، ۴۹ و ۹۸؛ المؤمنون، ۸۳؛ الواقعة، ۴۷؛ الانعام، ۲۹؛ المؤمنون، ۳۷.

(۳) المفردات للراغب؛ ومقاييس اللغة؛ والتحقيق فى كلمات القرآن الكريم.

نفحات القرآن، ج۵، ص: ۲۶

بمعنى الانهاض، والثانية بمعنى النشر، ولذلك اشتملت هذه الكلمة «بعثرة» على المعنيين.

أمّا «البيضاوى» فإنّه نقل هذا المطلب بتعبير آخر وهو أنّ «بعثرة» مركبة من «بعث» و «رأى فى «اثارة» «۱».

## ۴- الحَشْر

لقـد ورد تعبير آخر عن القيامـة فى آيات عديـدة من القرآن المجيد وهو «الحشـر» كما جاء فى آية بحثنا: «وَانَّ ربَّكَ هُوَ يَحْشُرُهُمْ انَّهُ حَكِيمٌ عَلِيمٌ».

«حكمته»: توجب أن لا ينتهى كل شـىء بموت الإنسان، وإلّا فإنّ الحياة الـدنيا والنوم والأكل والشـرب واللّبس لا قيمـة لها حتى تكون الهـدف من خلق الإنسـان الرفيع المسـتوى ويكون الهـدف من خلق هـذا العالم الوسـيع، «علمه» أيضاً يكون رافعاً للعقبات فى أمر معاد العباد وحشـرهم ونشرهم وحسابهم (جمع ذرات أبدانهم المنتشرة فى التراب وكذلك جمع أعمالهم وأقوالهم)، وذلك لأنّه عالم بكل شيء وقد أحصى كل شيء.

التعبير ب «الحشر» عن القيامة استخدم فيما يقارب ۳۰ مرّة فى آيات القرآن المجيد وفى سورٍ مختلفة، وهذا المقدار من الاسـتعمال هو

دليل على أهميّة الحشر فى القرآن.
«الحشر» فى اللغة- نقلًا عن «مقاييس اللغة»- بمعنى الجمع المقارن للسَوق والقوْد، ويطلق أحياناً على كل جمع أيضاً، وعن «مفردات الراغب» بمعنى اخراج مجموعة من مقرّهم لساحة الحرب أو ما شابه ذلك، ولذا جاء فى الروايات: «النّساءُ لا يُحشَرْنَ» أى لا يُسَقْنَ نحو سوح القتال.
وجاء فى «التحقيق» إن مادة «حشر» تحمل فى طياتها ثلاثة معانٍ: «البعث» و «السَوق» و «الجمع».
فحشرات الأرض تعنى الدواب الصغيرة وسُميت بذلك لكثرتها وتحركها ولكونها منبوذة.

---

(۱) تفسير البيضاوى ذيل الآية ۴ من سورة الانفطار.

نفحات القرآن، ج۵، ص: ۲۷

واستُخدم هذا التعبير للمعاد ويوم القيامة لأنّ جميع البشر الذين عاشوا على مرّ التاريخ الإنسانى سوف يجمعون فى ذلك اليوم فى مكانٍ واحد، ويساقون للحساب نحو محكمة العدل الإلهى، ثم يساقون نحو الجنّة أو النار.
علاوةً على هذا فإنّ ذرات بدن كل إنسان والتى انتشرت فى مناطق مختلفة من الكرة الأرضية وحتى التى انتشرت أحياناً فى البحر والفضاء فإنّها سوف تجمع فى ذلك اليوم بأمر اللَّه، وتعاد الروح إليها، ولايقتصر الأمر على جمع الذرات فقط بل يشمل جمع الأعمال أيضاً، وعلى هذا فإنّ يوم القيامة هو يوم الجمع والحشر فى ابعادٍ مختلفة.
بل يستفادُ أيضاً من الروايات الإسلامية أنّ الأمر لايختص بأهل الأرض فقط بل يجتمع معهم فى هذا الأمر سكان السماوات أيضاً ولهذا السبب جاء فى تفسير «يوم التلاق» الذى هو أحد اسماء القيامة الوارد فى سورة غافر الآية ۱۵ عن الإمام الصادق عليه السلام: «يوم يلتقى أهلُ السماء واهلُ الأرض» «۱».

## ۵- النشر

«النشر»: أو «النشور» هو تعبير آخر ليوم القيامة ورد فى القرآن المجيد فى آياتٍ متعددة، يُبيّن بُعداً آخراً من أبعاد حياة الإنسان بعد الموت، كما تشير إلى ذلك الآية الخامسة من آيات بحثنا هذا: «وَاللَّهُ الَّذِى ارْسَلَ الرِّيَاحَ فَتُثِيرُ سَحَاباً فَسُقْنَاهُ إِلى بَلَدٍ مَّيِّتٍ فَاحَيْنَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا كَذَلِكَ النُّشُورُ». (فاطر/ ۹)
«النشر»: و «النشور» فى الأصل- على ماقاله الراغب فى المفردات- بمعنى التوسيع والبسط، كما هو المستعمل فى بسط القماش وصفحات الورق والغمام والنِّعَم فى تعبيرات الأحاديث.
ورد فى «مقاييس اللغة»: النشر فى الأصل «يدل على فتح شيء وانتشاره».

---

(۱) بحار الأنوار، ج ۷، ص ۵۹، ح ۵.

نفحات القرآن، ج۵، ص: ۲۸

ومن أجل هذا اطلق لفظ «النشر» على انتشار العطور الطيبة فى الهواء.
واطلِق هذا التعبير على المعاد إما لِأجل انتشار البشر فى نقاط مختلفة فى محشرهم، كما اشير إلى ذلك فى الآية المذكورة، أو لأجل انتشار كتب الأعمال، كما جاء فى قوله تعالى «وَإِذَا الصُّحُفُ نُشِرَتْ». (التكوير/ ۱۰)
وقد جاء فى بعض الروايات عن الإمام الصادق عليه السلام: «إذا أراد اللَّه عزّ وجلّ أن يبعث الخلق أمطر السماء أربعين صباحاً فاجتمعت الأوصال ونبتت اللحوم» «۱».

وبذلك تنشق الأرض ويخرج الموتى من تحت التراب (وكأن الأرض بمثابة الرحم لهم).
ونقرأ في حديث آخر أنّ شخصاً سأل رسول اللَّه صلى الله عليه و آله: «كيف يحيى اللَّه الموتى؟ فقال ما مضمونه: هل مررت على أرضٍ يابسة لاماء فيها ولاـ كلأ، ثم مررت عليها مرّة أخرى وهى مخضرة؟ فقال السائل: نعم يا رسول اللَّه صلى الله عليه و آله، فقال صلى الله عليه و آله: هكذا يُحيى اللَّه الموتى أو قال «هكذا الحشر» «۲».

## ۶- المعاد

عبّرت مجموعة اخرى من الآيات عن يوم القيامة ب «العود» ورجوع البشر، والمراد هنا هو العود إلى الحياة مرّة اخرى كما جاء في الآية السادسة من آيات بحثنا: «كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ».
وسنرى بإذن اللَّه- من خلال البحث عن أدلة المعاد أنّ هذه الجملة أقصر وبنفس الوقت أوضح دليل على إمكان المعاد، إذ تجعل امكان الخلق ابتداءً دليلًا على إمكان الخلق مرّة أُخرى

---

(۱) تفسير روح البيان، ج ۷، ص ۳۲۳ (باختصار)؛ وبحار الأنوار، ج ۷، ص ۳۳.
(۲) تفسير روح البيان، ج ۷، ص ۳۲۳.
نفحات القرآن، ج۵، ص: ۲۹
ومن الملفت للنظر أنّ التعبير ب «العود» جاء على لسان المشركين وجاحدى المعاد أيضاً:
«فَسَيَقُولُونَ مَنْ يُعِيدُنَا قُلِ الَّذِى فَطَرَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ». (الاسراء/ ۵۱)
والتعبير ب «المعاد» اتخِذَ من هنا أيضاً، بالطبع أنّ هذا التعبير دليل واضح على مسألة المعاد الجسماني، وذلك لأنّ الروح لا معاد لها، بل إنّها تحافظ على بقائها حتى ما بعد الموت، والذى يعاد في يوم القيامة هى الحياة الجسمانية للجسم، حيث تحل الروح بالجسم ثانية.
والنقطة المهمّة التى تجب الإشارة إليها هى أنّ التشبيه هنا طبقاً للتفسير الوارد في آية بحثنا هذه هو تشبيه لأصل العود إلى الحياة (أتى بهذا التفسير المرحوم الطبرسى في أول كلامه عن هذه الآية، وورد هذا التفسير في روح البيان أيضاً).
ولكن عدداً من المفسرين من بينهم الفخر الرازى في «التفسير الكبير» والعلّامة الطباطبائى في «الميزان» وصاحب المنار في تفسيره وآخرون قالوا: إنّ التشبيه هنا بالنحو التالى، وهو أنّ اللَّه خلق الناس في البداية على فريقين: فريق مؤمن وفريق كافر (انتخب فريق طريق الهداية تحت ظل هداية الأنبياء، وانتخب الآخر طريق الضلالة تحت تأثير وساوس الشيطان) وفى يوم القيامة أيضاً يحشرهُم على شكل فريقين: فريق مؤمن سعيد وفريق كافر شقى مستشهدين بالآية التالية: «فَرِيقاً هَدَى وَفَرِيقاً حَقَّ عَلَيْهِمُ الضَّلَالَةُ».
(الاعراف/ ۳۰)
والأعجب من ذلك هو أنّ الفخر الرازى جعل هذه الآية دليلًا على الجبر في السعادة والشقاء الذاتيين!
بينما لو دقّقنا النظر في آيات القرآن الأخرى المشابهة لهذه الآية لوجدنا أنّ التشبيه إنّما هو في مسألة الهداية بعد الموت لا في الهداية والضلالة الحاصلين في الدنيا، جاء في قوله تعالى «اللَّهُ يَبْدَأُ الخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ ثُمَّ إليهِ تُرْجَعُونَ». (الروم/ ۱۱)
وفى الآية (۲۷) من نفس السورة قال تعالى «وَهُوَ الَّذِى يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ». (الروم/ ۲۷)
وهناك آيات اخرى أيضاً تُعطى نفس هذا المعنى (سورة يونس/ ۴، النمل/ ۶۴، العنكبوت/ ۱۹).
نفحات القرآن، ج۵، ص: ۳۰
ومن الممكن أن يقال هنا أن تفسير الآية بمسألة السعادة والشقاء هو الوارد في التفسير المنقول عن على بن إبراهيم عن أبى الجارود

عن الإمام الباقر عليه السـلام حيث قال: «خَلَقَهُمْ حِينَ خَلَقَهُمْ مؤمناً وكافراً وسعيداً وشقياً وكذلك يعودون يومَ القيامة مُهتدياً وضالًا ...» «۱».

ولكن لا شك في كون هـذا الحديث من المتشابه، وراوية «أبوالجارود» وهو «زياد بن المنذر» وهو مذموم بشدّة في كتب الرجال حتى أنّ البعض اطلقوا عليه اسم «سَرْحُوب» وهو أحـد أسـماء الشيطان وفي بعض الروايات عُدَّ كذاباً وكافراً، وينسبون إليه تأسيس الفرقة «الجارودية» المنحرفة وهي (فرقة من الزيدية).

وعلى هذا فالتفسير الأول هو الصحيح.

### ۷- لقاء اللّه

التعبير الآخر الذي ورد في آيات متعددة من القرآن الكريم والـذي أشار إلى يوم القيامة و البحث، هو تعبير «لقاء اللّه» و «لقاء الرب»، حيث نلاحظ هذا في الآية السابعة التي وردت في بحثنا هذا.

حيث قال تعالى: «قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِلِقَاءِ اللَّهِ وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ» «۲».

والتعبير ب «لقاء اللّه» و «لقاء الرب» الـذي تكرر ذكره في آيات القرآن له معنىً عميق جـدّاً، رغم أنّ عدداً من المفسرين قد مرّوا عليه مرور الكرام.

فقالوا حيناً: إنّ المراد من «لقاء اللّه» ملاقاة ملائكة اللّه في يوم القيامة، وقالوا حيناً آخر:

إنّ المراد هو تلقي حسابه وجزاءه وثوابه.

وقالوا حيناً ثالثاً: إنّه بمعنى ملاقاة حكمه وأمره.

وعلى هذا الترتيب فإنّ كل واحد منهم جاء بكلمة لتقدير المعنى مع أننا نعلم بأنّ التقدير

(۱) تفسير القمي، ج ۱، ص ۲۲۶؛ وتفسير نور الثقلين، ج ۲، ص ۱۸.

(۲) جاء هذا التعبير أيضاً في آيات اخرى مثل: الانعام، ۳۱ و ۱۴۵؛ يونس، ۷ و ۱۱ و ۱۵؛ الرعد، ۲؛ الكهف، ۱۰۵ و ۱۱۰؛ الفرقان، ۲۱؛ العنكبوت، ۵ و ۲۳؛ الروم، ۸؛ السجدة، ۲۳؛ فصلت، ۵۴؛ السجدة، ۱۰ و ۲۰.



خلاف الأصل وما لم يتوفر الدليل على التقدير فلا يجب الأخذ به.

وبناءً على هذه الحقيقة نعود إلى التفسير الأول، فممّا لا شك فيه أنّ ملاقاة الربّ ليست حسيّة، وذلك لأنّ الملاقاة الحسيّة تصدق في موارد الجسم الذي له مكان وزمان ولون وكيفيات اخرى على نحوٍ يمكن مشاهدتها بواسطة العين.

بل المراد هو المشاهدة الباطنية والملاقاة الروحية والمعنوية مع اللّه، وذلك لأنّ الحُجُب تُرفع يوم القيامة، وتظهر آيات اللّه في المحشر وجميع مشاهـد ومواقف القيامـة بنحوٍ يجعل الكافرين أيضاً يشاهـدون اللّه ويلاقونه ببصائر القلوب! (وإن كانت تلك اللقاءات متفاوتة كيفياً).

يقول المرحوم العلّامة الطباطبائي في تفسير الميزان: «ينبيء أنّه تعالى هو الحق لا سترة عليه بوجه من الوجوه ولا على تقدير من التقادير فهو أبـده البديهيات التي لا يتعلق بها جهل لكن البديهي ربما يغفل عنه فالعلم به تعالى هو ارتفاع الغفلة عنه الذي ربّما يعبر عنه بالعلم وهـذا هو الـذي يبـدو لهم يوم القيامـة فيعلمون أنّ اللّه هو الحق المبين، كما أشار إلى ذلك الآيـة الكريمة: «وَيَعْلَمُونَ أَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ الْمُبِينُ» «۱». (النور/ ۲۵)

وفي حديث طويل أتى رجل إلى الإمام علي أمير المؤمنين عليه السلام وقال: حصل لي شك في القرآن المجيد!

قال له الإمام عليه السلام: «ثكلتك أمك وكيف شككت فى كتاب اللَّه المنزل؟».

قال الرجل: إني وجدت الكتاب يكذِّبُ بعضهُ بعضاً ... ثم قال بعد طرحه عدَّة إشكالات:

يقول القرآن الكريم: «وُجُوهٌ يَومَئِذٍ نَّاضِرَةٌ* إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ»، ويقول فى موضع آخر:

«لَّاتُـدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُـدْرِكُ الْأَبْصَارَ»، فقال له الإمام عليه السـلام: «اللقاء هنا ليس بالرُّؤية، بل اللِّقاءُ هنا بمعنى البعث فافهَمْ جميع ما فى كتاب اللَّه من لقائهِ فانَّهُ يَعنى بذلك البعث» (۲).

وفى الحقيقة أنّ أمير المؤمنين عليه السلام يفسّر مسألة لقاء اللَّه تعالى بشيء يكون اللَّه تعالى من

---

(۱) تفسير الميزان، ج ۱۵، ص ۹۵ و ج ۱۰، ص ۶۹.

(۲) توحيد الصدوق، ص ۲۶۷ (مع التلخيص).

نفحات القرآن، ج۵، ص: ۳۲

لوازمه، أجل، فيوم القيامة يوم زوال الحجب وظهور آيات الحق جلّ وعلا، وتجلّيه للقلوب، ومن تعبير الإمام هذا، يدرك كل شـخص مـا المقصود منه كـلٌ حسب اسـتعداده واختلاف مسـتواه، وكما قلنا سابقاً إنّ الشـهود الباطنى لأولياء اللَّه يوم القيامـة يختلف كثيراً عن شهود الأفراد العاديين.

## ۸- الرجوع إلى اللَّه

وأخيراً، ورد تعـبيرٌ آخر بصورة واسـعة (عشـرات المرات) فى الآيـات القرآنيـة لوصف القيامـة، وهو عبـارة «الرجوع إلى اللَّه» أو عبـارة «العود إلى اللَّه» ومشتقاتها ومن ضمنها الآية الأخيرة من آيات بحثنا، قال تعالى: «كُلُّ نَفْس ذَائِقَةُ الْمَوتِ ثُمَّ إِلَيْنَا تُرْجَعُونَ».

التعبير بالرجوع والعود- كما قلنا- تكرر ذكره فى الآيات فقد ورد أحياناً: «إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعاً». (المائدة/ ۴۸)

وأحياناً خاطب به النفس المطمئنة والروح المتكاملة حيث قال تعالى «ارْجِعى إِلَى رَبِّكِ». (الفجر/ ۲۸)

وأحياناً لبيان قدرة اللَّه يقول: «انَّهُ عَلَى رَجْعِهِ لَقَادِرٌ». (الطارق/ ۸)

وأحياناً يقول نقلًا عن لسان المؤمنين: «إِنَّا للَّهِ وإِنَّا إِلَيْه رَاجِعُون». (البقرة/ ۱۵۶)

ويقول أحياناً: «إِنَّ الَى رَبِّكَ الرُّجْعَى . (العلق/ ۸)

هـذه التعبيرات التى لها نظائر كثيرة فى القرآن المجيـد تُشـير إلى أنّ القيامـة والحشـر فى نظر القرآن هى نوع من الرجوع، ويتّضـح من مفهوم تلك الكلمة أنّ الشيء الذى يأتى من نقطةٍ ما، يعود إلى تلك النقطة.

وهناك سؤال يطرح نفسه وهو كيف ينطبق هذا المعنى على يوم القيامة؟ وبأىّ نحوٍ أتينا من عند اللَّه وكيف نرجع إليه؟!

للجواب عن هذا السؤال قدّر بعض المفسرين كلمة فى الآية وقالوا: إنّ التقدير هو «إلى

نفحات القرآن، ج۵، ص: ۳۳

حُكمه ترجعون» كما يقال أحياناً: «رَجَع امرُ القوم إلى الأمير».

ولكن هل من الصـحيح أن نعتبر حـذف مثل هـذه الكلمـة فى جميع الآيات؟ وما هو الـداعى أساساً للتقـدير والقول بالحذف؟، بل إنّ هناك سبب خاص لهذا التعبير القرآنى حتماً والذى يجب علينا البحث عنه من خلال سعينا المتواصل، ومن أجل الحصول على جواب لهذا السؤال علينا أن نعود إلى بداية خلق الإنسان.

خاطب تعالى الملائكة فى القرآن بقوله: «فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِى فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ». (الحجر/ ۲۹)

ممّا لاـ شـك فيه أنّه لاـ يُقصَـد من الروح فى الآيـة الروح التى انفصـلت عن ذاته تعـالى وذلـك لأنّه واجب الوجود وأنّه بسيط وفاقد

للأجزاء التركيبية فى جميع الأبعاد، بل المقصود هو نفخ روحٍ منفصلة عن روح عظيمة، والتى هى من أشرف مخلوقات اللَّه، (وباصطلاح الحكماء إنّ هذه الإضافة هى «إضافة تشريفية»).

وعلى هذا فإنّ روح الإنسان الرفيعة سيقت من العالم العِلوى إلى العالم الترابى واتحدت بهذا التراب المظلم، كى ترقى إلى درجات الكمال ثم تنفصل عن التراب وتعود إلى العالم العِلوى ثانية.

ومن الصحيح أنّ الجسم والروح كلاهما يعادان فى يوم القيامة طبقاً لمبنى المعاد الجسمانى، ولكن ينبغى الالتفات إلى أنّ الروح هناك لا تعود إلى الجسم بل الجسم هو الذى يعود إليها فيرتقى ويتكامل! ولذلك فإنّ الجسم الاخروى يخلو من النواقص والعاهات الجسمية التى حلت به فى الدنيا، فتلف وفساد الأبدان والكهولة وقابلية الفناء والألم والمرض والتعب كلها تزول فى ذلك اليوم (فتأمل).

ولتصوير مسألة حلول الروح فى البدن ومن ثم العودة إلى العالم العِلوى فقد شبه بعض العلماء روح الإنسان بالغوّاص الذى يربط فى رجله جسم ثقيل للغوص فى أعماق البحر لاستخراج الجواهر الثمينة، فإنّه عندما يصل إلى قعر البحر ويجمع الجواهر يُلقى بذلك الجسم الثقيل من أجل العود إلى سطح البحر، وهذا هو معنى «الرجوع» (فتأمل).

نفحات القرآن، ج۵، ص: ۳۴

### النتيجة:

وخلاصة البحث أنّ يوم الحساب له مراحل ومواقف عبّر القرآن المجيد عن كلٍ منها بتعبير خاص.

فأولًا: جرى البحث عن «قيام الساعة» وتحولات العالم.

ثم يصل البحث إلى مرحلة «احياء الموتى .

بعد ذلك يبعثهم اللَّه وتبدأ مرحلة «البعث».

ثم يجمعهم، وهذه هى مرحلة «الحشر» وبعد ذلك يفرّقهم وهذه هى مرحلة «النشر».

ثم يعيدهم إليه وهذه هى مرحلة «المعاد».

ثم يسوقهم إلى لقائه وهذه هى مرحلة «لقاء اللَّه».

وأخيراً يتجهون نحو ذلك الوجود الّلامتناهى والكمال المطلق وهذه مرحلة «الرجوع» إلى الرّب.

نفحات القرآن، ج۵، ص: ۳۵

## للقيامة سبعون عنواناً فى القرآن

### اشارة

نفحات القرآن، ج۵، ص: ۳۷

## للقيامة سبعون عنواناً فى القرآن

### تمهيد:

### اشارة

بعد أن تعرضنا للتعبيرات العامة التى أوردناها فى البحث الماضى نلاحظ أنّ القرآن انتخب «للمعاد» اسماءً كثيرةً تشير جميعها إلى جزئيات أوصاف ذلك اليوم العظيم، والمسألة الملفتة للنظر هى أنّ القرآن المجيد لا يعبّر عن القيامة بتعبير واحد وذلك بسبب ما يظهر فى يوم القيامة من حوادث مختلفة ومتنوعة كثيرة، وكل واحد من تلك الأحداث تمثّل وجهاً وبعداً من أبعاد ذلك اليوم.

إنّ القرآن ومن أجل توضيح هذه الخصائص والمميزات، ذات الآثار التربوية العميقة استخدم أسماءً متنوعة؛ وذلك لإعطاء صورة دقيقة من خلال الآيات لذلك اليوم العظيم والأحداث المهيبة جدّاً.

ولا شك أنّ المقصود من «الاسم» هنا ليس هو «الاسم العَلَم الشخصى» بل ما هو أوسع معنىً والذى يشمل «الأسماء الوصفية» أيضاً، أى العناوين التى تعبّر عن صفات ذلك اليوم ومميزات تلك الحياة.

بعد هذه الإشارة نذهب لنتعرف على أسماء القيامة فى القرآن، ونودّ أن نذكّر القّراء الكرام ثانيةً بهذه المسألة وهى أنّ التعمّق فى هذه الأسماء له آثار تربوية عميقة وله تأثير كبير فى تهذيب النفوس وإصلاح القلوب والدعوة إلى التقوى والردع عن ارتكاب السيئات فى الصحوة والغفلة.

قال المرحوم «الفيض الكاشانى» فى «المحجّة البيضاء»: «... تحت كل اسم من أسماء القيامة سرّ، وفى كلّ نعتٍ من نعوتها معنى، فاحرص على معرفة معانيها، ونحن الآن نجمع

نفحات القرآن، ج۵، ص: ۳۸

لك أساميها ...». ثم ذكر مائة اسم ليوم القيامة «۱».

ولم يأت ذكر هذه الأسماء جميعها فى القرآن المجيد، بل استُخرجَ قسم منها من الأحاديث الشريفة، لذلك فهى خارجة عن بحثنا التفسيرى، ونحن لاـ نتابع فعلًا إلّااسماء القيامةالواردة فى القرآن. هذا من جانب، ومن جانبٍ آخر فإنّ الأسماء التى ذكرها الفيض الكاشانى لم ترد لا فى صريح القرآن ولا فى صريح الأحاديث، بل هى استنباطات إجمالية من الكتاب والسنّة، لذا من الأفضل متابعة الأسماء التى صُرِّح بها فى القرآن المجيد (وليس المهم أن تكون تلك الأسماء من الأسماء الخاصة التى لها عدد محدّد أو ممّا يقصد بها الوصف والبيان لخصوصيات ذلك اليوم).

ويمكن تقسيم تلك الأسماء إلى ثلاثة أقسام:

## القسم الأول:

## اشارة

الأسماء المركبة من كلمة «يوم» باضافة كلمة اخرى وهذه الاسماء تبيّن أحد أبعاد أو خصوصيات ذلك اليوم، وهى عبارة عن:

### ۱- يوم القيامة

هذا الاسم هو من أشهر أسماء ذلك اليوم، وقد تكرر ذكره بالتحديد سبعين مرّة فى القرآن المجيد، فمنها قوله تعالى: «وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوم الْقِيَامَةِ». (الأنبياء/ ۴۷)

وللجواب عن سبب تسميته بيوم القيامة فالقرآن نفسه يميط اللثام عن هذا السر فيقول: لأنّ ذلك اليوم هو: «يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ». (المطففين/ ۶)

وهو يومٌ يقوم فيه أشرف ملائكة اللَّه الذى يسمى «الروح» مع سائر الملائكة، وفيه أيضاً

(۱) المحجّة البيضاء، ج ۸، ص ۳۳۱.

نفحات القرآن، ج۵، ص: ۳۹

يقوم الشهود للشهادة على أعمال الناس: «وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَادُ». (غافر/ ۵۱)

وأخيراً فى ذلك اليوم يقوم الحساب: «يَوْمَ يَقُومُ الْحِسَابُ». (إبراهيم/ ۴۱)

إنّ هذا الأمر من الامور المتَّبعة فى المحاكم، فعند اعلان رأى المحكمة يقوم جميع الحاضرين من القضاة والمتهمين وغيرهم ثم يُعلَن الرأى النهائى، فهذا القيام لأجل احترام رأى المحكمة والخضوع أمامه.

وفضلًا عن هذا الأمر فإنّ الإنسان إذا أراد أن ينجز عملًا جاداً فإنّه يقوم حتى يتهيأ لإنجازه، لذلك فإنّ مسألة «القيام» تدل على الإرادة الصلبة والتهيؤ والاحترام لانجاز مثل هذا العمل، ومن المحتمل إن تكرار كلمة «القيامة فى القرآن المجيد هو لهذه العلّة».

بالإضافة إلى ذلك فإنّ قيام الموتى وخروجهم من القبور من أحد أسباب تلك التسمية.

جاء فى حديث عن الإمام على بن الحسين عليه السلام: «أشدُّ ساعات ابن آدم ثلاثُ ساعات:

الساعة التى يُعاين فيها ملك الموت، والساعة التى يقومُ فيها من قبره، والساعةُ التى يقفُ فيها بين يدى اللَّه تبارك وتعالى «۱».

## ۲- اليوم الآخر

اليوم الآخر هو الاسم الثانى، وهو مشهور ومعروف وورد بشكل واسع فى القرآن المجيد مثل: «الدار الآخرة» و «اليوم الآخر» وجاء باختصار مثل «الآخرة» وقد تكرر ذكر هذه الأسماء مائة وأربعين مرّة فى القرآن المجيد وفى سورٍ مختلفة.

ورد فى توضيح معنى البرّ، قوله تعالى «وَلَكِنَّ البِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيوم الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيينَ». (البقرة/ ۱۷۷)

وفى عبارة اخرى قال تعالى «تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَايُرِيدُونَ عُلُوّاً فى الْأَرْضِ وَلَا فَسَاداً». (القصص/ ۸۳)

(۱) بحارالانوار، ج ۷، ص ۱۰۵، ح ۱۹.

نفحات القرآن، ج۵، ص: ۴۰

وفى تعبير آخر أيضاً قال تعالى: «وَبِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُون». (البقرة/ ۴)

أمّا التعبير ب «اليوم الآخر» أو «الدارُ الآخرة» أو «الآخرة» فيقع مقابل التعبير عن دار الدنيا ب «النشأة الاولى كما جاء فى قوله تعالى «وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ النَّشأَةَ الْأُولَى فَلَوْلَا تَذَكَّرُونَ».

(الواقعة/ ۶۲)

وفى آية أخرى أيضاً: «وَلَلْآخِرَةُ خَيرٌ لَّكَ مِنَ الْاولَى . (الضحى/ ۴)

قال فقهاء اللغة: إنّ «الآخِر» هو ما يقابل الاوّل، و «الآخَر» هو ما يقابل «الواحد».

قال المرحوم الطبرسى فى مجمع البيان: سمّيت الآخرة بذلك لكونها بعد الدنيا، والدنيا من أجل دنوّها من الناس سميت بالدنيا (من مادة دُنُو) وقال آخرون من أجل دنائتها وضعتها بالنسبة للآخرة «۱».

وجاء فى تفسير روح البيان وتفسير الفخر الرازى أيضاً ما يشابه ذلك «۲».

وهذا التعبير يبيّن هذه الحقيقة، وهى أن مسير تكامل الإنسان يبدأ من هذا العالم ويستمر، وأنّ العالم الآخر هو نهاية هذا المسير، فالدنيا

هى بمثابة منزل استراحة فى وسط ذلك الطريق، والآخرة هى المقرّ النهائى والأبدى.
وهذا هو تحذير لجميع البشر كى لا- يعتبروا الدنيا منزلًا للخلود وكى لا- تتعلق بها قلوبهم ولا يعتبرونها الهدف الرئيسى ولا يبذلوا قصارى جهدهم للحصول على نعيمها، بل ليجعلوها ممرّاً للوصول إلى دار الآخرة.

### ۳- يوم الحساب

«يوم الحساب»: أيضاً من الاسماء المشهورة للقيامة، وقد ورد فى خمس آيات من القرآن الكريم، والسبب فى هذه التسمية هو أنّ جميع أعمال الإنسان صغيرها أو كبيرها،

---

(۱) تفسير مجمع البيان، ج ۱، ص ۴۰.

(۲) تفسير روح البيان، ج ۱، ص ۴۱؛ وتفسير الكبير، ج ۲، ص ۳۲.



جزئية أو كلية، معنوية أو مادية، من أعمال الجوارح أو الجوانح، يشملها الحساب بدون استثناء فى ذلك اليوم.
جاء فى قوله تعالى على لسان موسى بن عمران عليه السلام: «وَقَالَ مُوسَى انِّى عُذتُ بِرَبِّى وَرَبِّكُمْ مِّنْ كُلِّ مُتَكَبِّرٍ لَّايُؤْمِنُ بِيَوْمِ الْحِسَابِ». (غافر/ ۲۷)
وعبّر عن ذلك تارةً ب «يَوْمَ يَقُومُ الْحِسَابُ». (إبراهيم/ ۴۱)
ورد فى مقاييس اللغة أربعة معان لمادة «حساب»: «العدُّ» و «الاكتفاء» و «الحسبان» بمعنى الوسادة الصغيرة و «احْسَب» أى الذى ابيضّ لون بشرته وسقط شعر رأسه إثرَ المرض.
وذكر عدد من أصحاب اللغة معانىَ أكثر للحساب، وقد بلغت سبعة معانٍ، منها الجزاء والعذاب «۱».
ولكن الظاهر على ما يفهم إجمالًا من مفردات الراغب إنّ جميع تلك المعانى المذكورة تعود إلى معنىً واحد وهو المحاسبة، وإن استُعمل بمعنى الاكتفاء فهو يعنى أنّ هناك محاسبة وصلت إلى حد الاكتفاء، وهكذا فى الجزاء فإنّه يعنى أنّ الجزاء يأتى بعد الحساب، والمعانى الاخرى أيضاً تعود إلى هذا المعنى بنحوٍ ما (فمثلًا، السبب فى اطلاقه على نوع من الأمراض الجلدية هو تشبيهه بالمجازاة الإلهيّة التى تتم بعد الحساب، ومن المحتمل أنّ اطلاق حسبان على الوسادة الصغيرة لأنّ المحاسبين عند انجاز عملية الحساب يتّكئون عليها).
على أيّة حال فإنّ الحساب الإلهى- الذى سيأتى توضيح كيفيته بعون اللّه فى أبحاث منازل الآخرة- من أبرز الأعمال التى تمارس يوم القيامة، وفى الواقع أنّ قيام يوم القيامة إنّما هو لأجل الحساب.

---

(۱) نهاية ابن الأثير؛ ولسان العرب.



### ۴- يوم الدين

استعمل هذا الاسم أيضاً بشكل واسع فى القرآن الكريم، وقد بلغ عدد الآيات التى ورد فيها التعبير ب «يوم الدين» ثلاثة عشر آية،

وأكثر ما يَرِدُ على الألسن هو ما جاء فی سورة الحمد: «مَالِكِ يَومِ الدِّين».
يعتقد بعض أصحاب اللغة أنّ «دين فی الأصل بمعنى الخضوع والطاعة والانقياد، وإذا اطلقت هذه الكلمة على معنى الجزاء فإنّه إمّا من أجل وجوب قبول الجزاء أو من أجل أنّ الجزاء من مخلفات الطاعة».
وفُسِّر يوم الـدين أيضاً بمعنى يوم الحساب فی بعض الروايات، وهو فی الواقع من قبيل ذكر العلّة وارادة المعلول؛ وذلک لأنّ الحساب مقدمة للجزاء.

## ۵- يوم الجمع

ورد هذا التعبير مرتين فی القرآن المجيد، منها قال تعالى «يَوْمَ يَجْمَعُكُمْ لِيَوْمِ الجَمْعِ ذَلِکَ يَوْمُ التَّغَابُنِ». (التغابن/ ۹)
وأخرى «لِتُنذِرَ امَّ القُرَى وَمَنْ حَولَهَا وتُنْذِرَ يَوْمَ الْجَمْعِ». (الشورى/ ۷)
وكيف لا-يكون ذلـک اليوم يوم الجمع حيث إنّ جميع الاولين والآخرين وجميع الجن والانس وحتى الملائكـة المقربين يجمعون فی ذلک اليوم، ولم يُجْمَعوا لوحدهم فحسب بل يجمعون مع جميع أعمالهم، فيتأهبون للمثول امام محكمة العدل الإلهی.
وقد ورد هذا الاسم بصورة اخرى «ذَلِکَ يَوْمٌ مَجْمُوعٌ لَّهُ النَّاسُ». (هود/ ۱۰۳)

## ۶- يوم الفصل

«يوم الفصل» (يوم الافتراق) هو اسم آخر من اسماء يوم القيامة، وقد تكرر ذكر هذا
نفحات القرآن، ج۵، ص: ۴۳
الاسم فی القرآن المجيد ست مرات «۱»، قال تعالى «انَّ يَوْمَ الْفَصْلِ كَانَ مِيقَاتاً». (النبأ/ ۱۷)
إنّ هـذا التعبير عميق جـدّاً يدلّ على الافتراق فی ذلک اليوم العظيم مثل: افتراق الحق عن الباطل وافتراق صـفوف المؤمنين والصالحين عن صفوف الكفار والمجرمين وافتراق الأخ عن أخيه والام والأب عن الأبناء وافتراق مصير الصالحين عن مصير (الطالحين) الفاسقين.
ويأتی هـذا التعبير تارةً بمعنى يوم القضاء والتحكيم؛ ذلک لأنّ القاضـی يفصل النزاع بحكمه، لـذا أُطلِقَ «الفصل» على الحكم والقضاء لأنّه السبب فی نهاية النزاع.

## ۷- يوم الخروج

جاء هـذا التعبير فی آيـة واحـدة من القرآن المجيد فی سورة ق الآية ۴۲ وذلـک من خلال الإشارة إلى نفـخ الصور الثانی، قال تعالى «ذَلِکَ يَوْمُ الْخُروجِ». (ق/ ۴۲)
نعم، إنّه يوم الخروج من الموت إلى الحياة ومن عالم البرزخ إلى عالم الآخرة ومن الباطن إلى الظاهر ومن الخفاء إلى العلن!
وجاء هذا المعنى بصورة اخرى قال تعالى «يَوْمَ يَخْرُجُونَ مِنَ الْأَجْدَاثِ سِرَاعاً كَأَنَّهُمْ إِلَى نُصُبٍ يُوفِضُونَ» «۲». (المعارج/ ۴۳)
ويـدلُّ هذا التعبير على أنّ أحداث يوم القيامة فی أوّل الأمر تمرُّ بسرعة هائلة، وفی نفس الوقت استُعمل هذا التعبير للطعن والاسـتهزاء بعبدة الأوثان الذين يعتبرون الأوثان من أهم الامور فی حياتهم، وقد اسـتقطبت الأوثان أكثر أصـحاب العقول الناقصة، فقد وصلوا إلى حدٍ

(۱) الصافات، ۲۱؛ الدخان، ۴۰؛ المرسلات، ۱۳ و ۱۴، ۳۸؛ النبأ، ۱۷.

(۲) «سراع» جمع «سریع» (علی وزن ظِراف وظریف) بمعنی الشخص أو الشی الذی یسیر بسرعة. و «نُصُب» جمع «نصیب» و «نُصب» «نَصْب» علی وزن (کَسْب) فی الأصل بمعنی الشی الذی ینصب فی مکانٍ ما، لذا لم یطلق إلّاعلی المحل الذی یُنْصب فیه. قالوا إن الفرق بین النصب والصنم هو أنّ الصنم له شکل معیّن لکن النصب حجر خالٍ من أی صورة، وکانوا یعظمونه ویذبحون له القرابین.

نفحات القرآن، ج۵، ص: ۴۴

من الجهل جعلهم یعتبرون الهرولة نحو الأصنام من اوضح مصادیق «الاسراع» فی العبادة، إذ کانوا یعدون بسرعة نحو الأوثان فی أیّام الفرح أو أیّام العزاء أو عند العودة من السفر ومن هنا یظهر السّر المکنون فی هذه الآیة.

## ۸- الیوم الموعود

ورد هذا التعبیر مرّة واحدة فی آیة واحدة من القرآن أیضاً بصورة قَسَم عظیم حیث قال تعالی: «وَالْیَومِ الْمُوعُودِ»، (أی الیوم الذی هو موعد الجمیع وقد وعد جمیع الأنبیاء بذلک).

(البروج/ ۲)

وفسَّر بعض المفسرین الیوم الموعود علی انَّه إشارة لیوم الخروج من القبور أو الیوم الذی یشفع فیه النبی الأکرم صلی الله علیه و آله، ولکن المعنی الأول یشمل جمیع هذه المعانی «۱».

وورود هذا القَسَم فی القرآن المجید بعد القسم: «وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الْبُرُوجِ»، هو إشارة إلی عظمة ذلک الیوم وأنّ عظمته کعظمة السماء، أو إشارة إلی أن خلق هذه السماء العظیمة وذلک النظام الدقیق المهیمن علیها لا یتمّ إلّامن أجل ذلک الیوم الموعود؛ ذلک لأنّ هذه الدنیا الفانیة لوحدها لا تستحق مثل هذا النظام العظیم المترامی الأطراف.

ومهما یکن من أمر فقد ورد تعبیر آخر یشابه هذا التعبیر، قال تعالی «فَذَرْهُمْ یَخُوضُوا وَیَلْعَبُوا حَتَّی یُلَاقُوا یَوْمَهُمُ الَّذِی یُوعَدُونَ» «۲».

(الزخرف/ ۸۳)

## ۹- یوم الخلود

لم یرد هذا التعبیر فی آیات القرآن إلّامرّة واحدة فی قوله تعالی: «أُدخُلُوهَا بِسَلَامٍ ذَلِکَ

(۱) تفسیر روح المعانی، ج ۳۰، ص ۸۶.

(۲) ورد ما یشابه هذا التعبیر فی الآیة ۴۳ من سورة المعارج؛ والآیة ۶۰ من سورة الذاریات أیضاً.

نفحات القرآن، ج۵، ص: ۴۵

یَوْمُ الْخُلُودِ». (ق/ ۳۴)

ورد هذا التعبیر بعد وصف «الجنّة» فی آیات سورة ق، وإن دلّ علی شیء فإنّه یدلّ علی خلود ودوام تلک النعمة الإلهیّة والمکافأة العظیمة وجمیع نعمه تعالی التی وهبها للمحسنین إلی الأبد، وفی الحقیقة إنَّ یوم الخلود یبدأ من وقت الدخول إلی الجنّة.

وهذا التعبیر یؤید بوضوح ما قلناه مسبقاً وهو أنّ کلَّ واحد من أسماء وصفات القیامة یحمل فی طیاته إشارة إلی أحد أبعادها، والکلام

هنا عن الـدوام الأبدى، ومن الطبيعى أنّ عذاب جهنم كذلك ولكن لم يعبّر القرآن ب «يوم الخلود» إلّافى هذا المورد، أمّا بشأن جهنم فيوجد تعبير مشابه آخر وهو «دار الخلد» قال تعالى «ذَلِكَ جَزَاءُ أَعْدَاءِ اللَّهِ النَّارُ لَهُمْ فِيهَا دَارُ الْخُلْدِ». (فصلت/ ۲۸)

## ۱۰- يومٌ عظيم

ورد اطلاق وصف اليوم العظيم فى آيات متعددة من القرآن المجيد، منها: قوله تعالى
«فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مِن مَّشْهَدِ يَوْمٍ عَظِيمٍ» «۱». (مريم/ ۳۷)
ومن الجـدير بالـذكر أنّ التعبير بـ «عـذاب يوم عظيم» جاء أيضاً فى آيات القرآن فى موارد العـذاب الدنيوى المهيب، وبمجرد البحث فى الآيات السابقة واللاحقة يمكن تمييزه عن عذاب يوم القيامة بسهولة.
على أيّـة حال فإنّ نعت ذلك اليوم بالعظمة انّما جاء لأمورٍ مهمة كثيرة تحصل فى ذلك اليوم العظيم مثل: المكافأة والمجازاة العظيمة، والقضاء والحساب العظيم، والحضور العظيم للمخلوقات فى ذلك اليوم، وعظمـة امتـداد ذلك اليوم، وعظمـة الخوف والرهبـة والفزع، وهيبة المحشر والحساب، وفى عبارة مختصرة هى العظمة فى جميع جوانبها.

---

(۱) جـاء أيضـاً مـا يشابه هـذا التعبير فى الآيـة ۱۵، يـونس؛ ۱۵، الانعـام؛ ۵۹، الاـعراف؛ ۱۳۵، الشـعراء؛ ۲۱، الاحقـاف؛ ۱۳؛ الزمر؛ ۵، المطففين.

نفحات القرآن، ج۵، ص: ۴۶

## ۱۱- يوم الحسرة

ورد هـذا التعبير فى آية واحدة من القرآن وهو من التعبيرات التى تهز المشاعر عن يوم القيامة، فهو يوم الحسـرة والأسف والندامة، قال تعالى: «وَأَنْذِرْهُمْ يَوْمَ الْحَسْرَةِ إِذ قُضِيَ الْأَمْرُ وهُمْ فِي غَفْلَةٍ وَهُمْ لَايُؤْمِنُونَ». (مريم/ ۳۹)
«الحسـرة»: من مـادة «حَسْر»، قـال صاحب (المفردات) وصاحب (مقاييس اللغـة) وعـدد آخر من اللغويين: إنّها بمعنى الكشف، فمعنى حسرتُ عن الذراع كشفتُ عنها ورفعتُ عنها الكُم، ثم اطلقت كلمة حسرة على الغم والهم الحاصل من ضياع الفرص أو بعض الامور، فكأن حجاب الجهل يُرفع عن الإنسان فيكتشف اضرار الأعمال التى كان يمارسها وتظهر له الحقيقة على ما هى.
لكن البعض الآخر يعتبر الأصل فى الحسـر هو «الانسـحاب»، ولكن الحقيقة أنّ الانسـحاب من لوازم المعنى الأول، فعندما ينسـحب ماء البحر إلى الخلف مثلًا فإنّ من الطبيعى أن تظهر السواحل التى كان يغطيها الماء، أو عندما يسـحب الإنسان كُمَّه إلى الخلف فإنّ ذراعه سوف تنكشف «۱».
على أيّة حال فإنّ الحزن والأسف والندامة من لوازم مفهومه، وأنّ يوم القيامة هو يوم الهم والندامة والحسـرة حقاً، لا للمذنبين فحسـب بـل للمحسـنين أيضـاً؛ ذلـك لأنّـهم عنـدما يشاهـدون المكافآت الإلهيّـة العظيمـة فإنّهم يتأسـفون على أنّهم لماذا لم يحسـنوا أكثر ممّا احسنوا!؟
وقد صرّح بهذا عدد من المفسرين «۲»، إلّاأنّ الفخر الرازى يقول: إنّ الحسـرة لا تشـمل أصـحاب الجنّة بل تكون من نصيب المُسيئين فقط وذلك لعدم إمكان وجود أى غم أو هم فى الجنّة «۳».

---

(۱) التحقيق، ج ۲.

(۲) تفسير مجمع البيان، ج ۶، ص ۵۱۵؛ وتفسير روح البيان، ج ۵، ص ۳۳۵؛ وتفسير روح المعانى، ج ۱۶، ص ۸۵.

(۳) تفسير الكبير، ج ۲۱، ص ۲۲۱.



ولكن يجب الاعتراف بأنّ غماً كهـذا هو نوع من الكمال وليس منبعاً للعـذاب الروحى، وبناءً على هـذا فإنّ وجوده فى الجنّة لامانع منه (فتأمل).

فإن كان التأسف والحسرة ممّا ينجبر فى هذه الدنيا فإنّه لا مجال لذلك هناك، ولذا يجب أن يسمى ذلك اليوم بيوم الحسرة الحقيقية والحسرة الكبرى وقد جاء نفس هذا المعنى ولكن بصورة اخرى «انْ تَقُولَ نَفْسٌ يَا حَسْرَتَى عَلَى مَا فَرَّطْتُ فِى جَنبِ اللَّهِ» «۱».

(الزمر/ ۵۶)

## ۱۲- يوم التغابن

ورد هذا التعبير فى القرآن مرّة واحدة وذلك فى قوله تعالى: «يَومَ يَجْمَعُكُمْ لِيَومِ الْجَمْعِ ذلِكَ يَوْمُ الْتَّغَابُنِ». (التغابن/ ۹)

«التغابن»: من مادة «غَبْن» وهنا جاءت بمعنى انكشاف الغبن، أى يظهر فى ذلك اليوم من هو المغبون «۲».

قـال المرحوم الطبرسـى فى مجمع البيـان: «وهو تفاعـل من الغبن وهو أخـذ شـر وترك خير أو العكس، فالمؤمن ترك حظه من الـدنيا واخـذ حظه من الآخرة فترك ما هو شرّ له وأخـذ ما هو خير له فكان غابناً، والكافر ترك حظه من الآخرة وأخذ حظه من الدنيا فترك الخير وأخذ الشر فكان مغبوناً، فيظهر فى ذلك اليوم الغابن والمغبون».

وفى صـحاح اللغة «الغبن» بمعنى الخدعة والمكر، والمغبون من وقع ضـحية الخداع والمكر، وعندما تسـتخدم فى موارد التفكّر والتعقّل فإنها تعنى الضعف وعدم الاقتدار، لذا «غبين» جاءت بمعنى ضعيف الفكر.

على أيّة حال ففى يوم القيامة يكشف عن الحُجب وتظهر نتائج الأعمال والاعتقادات

---

(۱) ورد أيضاً ما يشابه هذا المعنى فى سورة الانعام الآية ۳۱.

(۲) مفردات الراغب.



والنيّات، ويرى الإنسان نفسه بين كميّة عظيمة من نتائج وآثار أعماله، وهناك يُخبَر المسيئون عن خسارتهم وفشلهم وعن خداع ومكر الشيطان وعن ضياع رأس مالٍ عظيم وعن فقدانهم للسعادة الخالدة والوقوع فى مخاطب العذاب الإلهى، وهذا هو الغبن الحقيقى.

## ۱۳- يوم التناد

ورد هـذا التعبير مرّة واحـدة أيضاً فى القرآن المجيد عندما كان مؤمن آل فرعون يحذّر الفراعنة من العذاب الإلهى الذى يحلُّ بهم فى الدنيا والآخرة، قال تعالى «وَيَاقَوْمِ إِنّى أَخَافُ عَلَيْكُمْ يَوْمَ التَّنَادِ». (غافر/ ۳۲)

«التناد»: جاء فى الأصل من «التنادى» حذفت ياؤه واضيفت الكسرة فى آخره للدلالة على حذف الياء، وهو من مادة «نداء».

ذهب كثير من المفسرين إلى أنّ «يوم التناد» من أسماء القيامة «۱»، وجاء كل منهم بدليل لاثبات مدّعاه.

قال بعضهم: إنّ الدليل عليه هو أنّ أصحاب النار ينادون أصحاب الجنّة كما فى الآية الكريمة: «وَنَادى أَصْحَابُ النَّارِ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ أَنْ أَفِيضُوا عَلَيْنَا مِنْ المَاءِ أَوْ مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ» فيجيبهم أهل الجنّة: «قَالُوا انَّ اللَّهَ حَرَّمَهُمَا عَلَى الْكَافِرِينَ». (الاعراف/ ۵۰)

نُقل هذا المعنى فى كتاب «معانى الأخبار» خلال حديث روى عن الإمام الصادق عليه السلام.

وقال آخرون: إنّ العلّة فى هذه التسمية هى أنّ الناس فى يوم الحشر ينادى بعضهم بعضاً يطلبون العون.

أو أنّ الملائكة تنادى الناس للحساب وينادى الناس الملائكة لطلب العون! أو لأنّ المؤمن عندما يرى صحيفة أعماله ينادى من شدة الفرح: «هَاؤُمُ اقْرَؤُا كِتَابِيَه». (الحاقة/ ۱۹)

وينادى الكافر عندما يُعطى كتابه بيده من شدّة الفزع: «يَالَيْتَنِى لَمْ اوْتَ كِتَابِيَه».

---

(۱) ادّعى الفخر الرازى فى تفسيره (الكبير ج ۲۷، ص ۶۱) الإجماع واتفاق المفسرين على هذا القول.

نفحات القرآن، ج۵، ص: ۴۹

(الحاقة/ ۲۵)

وهنالك وجوه اخرى ذكرت لهذه التسمية، ففى بعض التفاسير عدّوها ثمانية وجوه، ولكن بعضَ تلك الوجوه ضعيفة، ومن الممكن أنّ جميع هذه المعانى قد جُمعت فى مفهوم الآية وذلك لعدم المنافاة.

## ۱۴- يوم التلاقِ

ورد هذا التعبير مرّة واحدة فى القرآن المجيد فى قوله تعالى: «يُلْقِى الرُّوحَ مِنْ أَمْرِهِ عَلَى مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ لِيُنْذِرَ يَوْمَ التَّلَاقِ». (المؤمن/ ۱۵)

المراد من لقاء الروح بقرينة الآيات الاخرى هو الوحى والكتب السماوية، كما جاء فى خطابه تعالى للنبى الأكرم صلى الله عليه و آله فى قرآن الكريم: «وَكَذلِكَ أَوْحَينَا الَيْكَ رُوحاً مِّنْ أَمْرِنَا».

(الشورى/ ۵۲)

وعلى هذا الأساس فإنّ القرآن المجيد روحٌ نُفختْ فى المجتمع الإنسانى من قبل اللَّه عزّوجلّ!

قال الراغب فى المفردات: سُمى القرآن روحاً لأنّه هو السبب فى إيجاد الحياة المعنوية.

والهدف من لقاء هذه الروح هو الانذار من هول يوم التلاقى العظيم.

إنّ كل أنواع اللقاءات التى جُمعت فى مفهوم الآية تحصل فى ذلك اليوم، وإن أشار المفسرون إلى بعض زوايا تلك اللقاءات.

إنّه اليوم الذى يلتقى فيه العباد بربهم: «يَا ايُّهَا الْإِنْسَانُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَى رَبِّكَ كَدْحاً فَمُلَاقِيهِ». (الانشقاق/ ۶)

وهو اليوم الذى يلتقى فيه الإنسان بملائكة الحساب والثواب والعقاب: «وَتَتَلقَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ». (الأنبياء/ ۱۰۳)

وهو اليوم الذى يلتقى فيه الإنسان بحساب الأعمال والأقوال: «إِنِّى ظَنَنتُ أَنِّى مُلَاقٍ

نفحات القرآن، ج۵، ص: ۵۰

حِسَابِيَهْ». (الحاقة/ ۲۰)

إنّه اليوم الذى يلتقى فيه الأولون والآخرون.

يوم تلاقى دعاة الحق ودعاة الباطل بأعوانهم.

يوم تلاقى الظالم والمظلوم.

يوم تلاقى أهل الجنّة وأهل النار!

نعم، إنّ الهدف الرئيس من بعث الأنبياء ونزول الكتب السماوية هو تحذير وانذار العباد من ذلك اليوم، يوم التلاقى العظيم وما أعجبه من مفهوم واسع ورهيب.

## ۱۵- يومٌ ثقيل

وهذا الاسم أيضاً من الأسماء التى وردت مرّة واحدة فى قوله تعالى: «إِنَّ هَؤُلَاءِ يُحِبُّونَ الْعَاجِلَةَ وَيَذَرُونَ وَراءَهُمْ يَوماً ثَقِيلًا». (الإنسان/ ۲۷)

إنّ نعت ذلك اليوم بالثقيل هو وصف واسع وعميق المعنى ثقيل من حيث المحاسبة وثقيل من حيث المجازات وثقيل من حيث الفضائح وثقيل من حيث شدائد الحشر وثقل المسؤوليات وثقيل من حيث الذنوب التى تثقلُ كاهل المجرمين! وعبّر ب «يذرون وراءهم» مع أنّ القاعدة تقتضى أن يقال «أمامهم» وذلك من أجل الإشعار بأنّ المجرمين نسوا ذلك اليوم إلى حدٍ كأنّه تركوه وراءهم.

## ۱۶- يومُ الآزفة

إنّ كل اسم من أسماء يوم القيامة يحمل فى طياته خطاباً متميزاً، ومنها اسم «يوم الآزفة» الذى ورد مرّة واحدة فى القرآن المجيد (التعبير ب «الازفة» ورد مرتين، ولكن «يوم الازفة» مرّة واحدة) قال تعالى «وَأَنْذِرهُمْ يَوْمَ الازِفَةِ إِذِ الْقُلُوبُ لَدَى الْحَنَاجِرِ كَاظِمِينَ».

نفحات القرآن، ج۵، ص: ۵۱

(المؤمن/ ۱۸)

«الآزفة»: من مادة «ازَف» على وزن (صَدَف)، قال فى مقاييس اللغة والمفردات ومصباح اللغة وكتب اخرى ازَف بمعنى اقترب، ولكن البعض الآخر قال إنّها بمعنى الاقتراب المشوب بضيق الوقت.

هذه التسمية تشير إلى هذه الحقيقة وهى أنّ موعد وقوع القيامة اقرب ممّا يتصوره الناس، كى لا يقول الغافلون لدينا متّسع من الوقت وأنّ يوم القيامة موعد مؤجل! فإنّه يوم قريب تصل القلوب فيه إلى الحناجر من شدّة الخوف وتبلغ الروح الحلقوم، إنّ الهمّ المشوب بالخوف فى ذلك اليوم يخنق الناس.

نعم يجب التأهب فى كل لحظة لمثل هذا اليوم.

وقد أشار القرآن الكريم وبتعبير آخر إلى نفس هذا المعنى فى الآية الاولى من سورة الأنبياء: «اقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ وَهُمْ فِى غَفْلَةٍ مُّعِرضُونَ»، وهو إشارة إلى أنّ حساب يوم القيامة قريب جدّاً.

ولابدّ من الالتفات إلى أنّ جملة (اقترب) فيها تأكيد للمعنى أكثر من (قرب) وهو إشارة إلى أنّ يوم الحساب قريب جدّاً.

فالقرآن الكريم- لقرب القيامة وحتمية وقوعها- أخبر عنها بصيغة الماضى فى كثير من تعبيراته، مثل قوله تعالى «إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَاماً* إِنَّهَا سَاءَتْ مُسْتَقَرّاً وَمُقَاماً».

(الفرقان/ ۶۵- ۶۶)

وغيرها من الآيات الشريفة.

## ۱۷- يومٌ عسير

ورد هذا التعبير مرّتين فى القرآن المجيد فى الآيهٔ الاولى: «فَذَلِكَ يَوْمَئِذٍ يَوْمٌ عَسِيرٌ».
(المدثر / ۹)
وفى الآيهٔ الثانيهٔ: «وَكَانَ يَوْماً عَلَى الْكَافِرِينَ عَسِيراً». (الفرقان/ ۲۶)
نفحات القرآن، ج۵، ص: ۵۲
وورد هذا التعبير مرّهٔ واحدهٔ بلفظ «عَسِر» (على وزن خَشِن) قال تعالى «يَقُولُ الْكَافِرُونَ هَذَا يَوْمٌ عَسِرٌ» «۱». (القمر/ ۸)
من البديهى أن يكون ذلك اليوم منهكاً ومؤلماً ومحزناً للكافرين، بنحوٍ ينهار فيه القوى منهم ويصبح عاجزاً ذليلًا منهك القوى
يقول الفخر الرازى فى تفسيره: «عسرُ ذلك اليوم على الكافرين لأنّهم يناقشون فى الحساب ويعطون كتبهم بشمائلهم وتسوَدّ وجوههم ويحشرون زرقاً وتتكلم جوارحهم فيفتضحون على رؤوس الاشهاد» «۲».
وهذه إحدى مراحل صعوبات المحشر، والمراحل الاخرى أصعب واكبر بلاءً من تلك المرحلهٔ عندما يساقون إلى جهنم ثم يرون أنواع العذاب ويقعون فى نار الغضب الإلهى، فذلك اليوم ليس بيسيرٍ حتى على المؤمنين، إنّ حساب جميع الأعمال حتى إذا كان بمثقال ذرّهٔ والعبور من تلك المسالك الصعبهٔ أمرٌ عسيرٌ جدّاً.

## ۱۸- يوم اليم

ورد هذا التعبير مرتين أيضاً فى القرآن المجيد (وإن وردت كلمهٔ «أليم» مجردهًٔ عشرات المرات فى وصف عذاب القيامهٔ فى سور مختلفهٔ من القرآن الكريم).
إحداها فى سورهٔ هود نقلًا عن لسان النبى نوح عليه السلام عندما كان يخاطب قومه، قال تعالى:
«إِنِّى أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ أَلِيمٍ». (هود/ ۲۶)
والاخرى فى سورهٔ الزخرف عن لسان الوحى الإلهى: «فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْ عَذَابِ يَوْمٍ أَلِيمٍ». (الزخرف/ ۶۵)
إنّ وصف ذلك اليوم بالأليم ليس من حيث العذاب المؤلِم فحسب، بل علاوهٔ على

---

(۱) «عسير» و «عَسِر» كلاهما صفهٔ مشبّههٔ.
(۲) تفسير الكبير، ج ۳۰، ص ۱۹۷.

نفحات القرآن، ج۵، ص: ۵۳
هذا فإنّ ذلك اليوم هو مصدر الألم والعذاب من عدّهٔ وجوه، من حيث الفضيحهٔ ومن حيث الندامهٔ والحسرهٔ القاتلهٔ، ومن حيث أنواع الآلام الروحيهٔ الاخرى فمثلًا الإنسان الذى يرى الآخرين قد دخلوا الجنّهٔ بواسطته فى حين يجد نفسه من أهل النار، وأليم لعدم إمكان العودهٔ ثانيهًٔ وأليم لدوام العذاب فى ذلك اليوم.
ومن الجدير بالذكر هو أنّ إحدى الآيتين السابقتين تحدثت عن المشركين والاخرى تحدثت عن الظالمين، ونحن نعلم بأنّ الشرك نوع من الظلم، وأنّ الظلم والاضطهاد أيضاً هو من دوافع الشرك على نوعيه الجلىّ والخفىّ.

## ۱۹- يومُ الوعيد

وردت هذه التسمية مرّة واحدة في القرآن المجيد بأجمعه حيث قال تعالى: «وَنُفِخَ فِي الصُّورِ ذَلِكَ يَوْمُ الْوَعِيدِ». (ق/ ۲۰)
ولا يخفى أنّ كلمة «وعيد» تكرر ذكرها في القرآن كثيراً، ولكن التعبير ب «يومُ الوعيد» لم يرد إلّافي مورد واحد.
كلمة «وعيد» اشتُقّت من مادة «وعد»، قال الراغب في المفردات: «وعد» تستعمل في موارد الخير والشر معاً، ولكن «وعيد» لا تستعمل إلّافي موارد الشر، ولذا فسّرَها «ابن منظور» في لسان العرب بالتهديد، وكلمة «ايعاد» جاءت بهذا المعنى أيضاً.
على أيّة حال فإنّ هذا التعبير إشارة عميقة إلى جميع أنواع عقوبات يوم القيامة، فهو إشارة إلى عقوبات المحشر وإلى محكمة العدل الإلهيّة وإلى عقوبات النار وجميع العقوبات الماديّة والمعنوية مثل الخزى أمام الناس والبعد عن فيض وقرب الرّب.
وللمفسرين أقوال في مسألة نفخ الصور التي وردت في هذه الآية، فهل هو نفخة الموت وانتهاء الحياة الدنيا، أم هي نفخة عودة الحياة وبداية الآخرة؟ ولكن جاء في الآية التالية لهذه الآية: «وَجَاءَت كُلُّ نَفْسٍ مَّعَهَا سَائِقٌ وَشَهِيدٌ». (ق/ ۲۱)
وهذا دليل على أنّ المراد منها هو النفخ الثاني وهذا اليوم (يوم الوعيد) هو نفس ذلك
نفحات القرآن، ج۵، ص: ۵۴
اليوم أيضاً «۱».

## ۲۰- اليوم الحق

ورد هذا التعبير مرّة واحدة أيضاً في القرآن المجيد، وقد عُبّر به عن يوم القيامة، قال تعالى: «ذَلِكَ الْيَوْمُ الْحَقُّ». (النبأ/ ۳۹)
نعم إنّها حقيقة لا تنكر، وحقيقةٌ تعطي مفهوماً لفلسفة خلق كل ما في الدنيا، ولولا ذلك اليوم لما بقي هدف ومفهوم لخلق هذا العالم.
إنّ الدنيا في الواقع ليست أكثر من سراب، وهي «مجاز» وليست «حقيقة»، بل هي فناءٌ لابقاء، وموتٌ لا حياة، نعم إنّ حقيقة المفهوم الرئيسي للحياة يتجلى في يوم القيامة «وَإِنَّ الدَّارَ الْآخِرَةَ لَهِيَ الْحَيَوانُ». (العنكبوت/ ۶۴)
وأشار بعض المفسرين في تفسيرهم لحقانية ذلك اليوم إلى ثلاثة امور:
۱- ذلك اليوم هو الحق وغيره باطل، وذلك لأنّ باطل أيّام الدنيا أكثر من حقها.
۲- الحق بمعنى الوجود الثابت ولذا اطلقوا كلمة الحق على اللَّه تعالى لأنّهم قالوا باستحالة تصور الفناء له، ويوم القيامة كذلك أيضاً، وعلى هذا فإنّ القيامة حق.
۳- إنّ ذلك اليوم يستحق اطلاق كلمة اليوم (بمعنى النهار) عليه وذلك لأنّ في ذلك اليوم المنير يُكشف عن الأسرار الخفية بينما تكون أحوال الخلق مجهولة ومكتومة في الدنيا (كما هو الحال في الليل) «۲».

## ۲۱- يومٌ مشهود

---

(۱) رَجَّحَ هذا المعنى كثير من المفسرين مثل أبو الفتوح الرازي والعلّامة الطباطبائي والفخر الرازي والآلوسي في روح المعاني والمراغي في تفسيره عند تعليقه على تلك الآية.
(۲) التفسير الكبير، ج ۳۱، ص ۲۵.
نفحات القرآن، ج۵، ص: ۵۵

ورد هـذا الوصف مرّة واحـدة أيضـاً فی القرآن المجيـد وذكر ذلـك اليوم بعـد ذكر عـذاب الآخرة، قال تعالى: «وَذَلِكَ يَوْمٌ مَّشْـهُودٌ». (هود/ ۱۰۳)

ولا يكون ذلك اليوم مشـهوداً من قبل الأولين والآخرين فحسب، بل سوف تشاهـد فی ذلك اليوم الأعمال والحساب ومحكمـة العدل الإلهی ومكافآت وعقوبات الأعمال أيضاً.

وعن المرحوم الطبرسـی فی مجمع البيان والعلّامـة الطباطبائی فی الميزان أنّهم قالوا: إنّ هذه الآية تدل على أنّ الإنسان لايحضـر لوحده ويشاهد ذلك اليوم بل إنّ الجن والملائكة أيضاً سوف يحضرون ويشهدون ذلك اليوم فإنّه يوم الجمع الشامل «۱».

وقال القرطبی أيضاً إنّ سكان السموات يحضرون ويشهدون ذلك اليوم أيضاً.

ومن البـديهی أنّ جميع الأيّام يمكن مشاهـدتها، ولكن انتخاب هـذا الوصف ليوم القيامة يقع تارةً من حيث الدلالة على حتمية وقوعه، واخرى للدلالة على أهميّة تلك الأحداث التی تقع فی ذلك اليوم والحضور الشامل لسائر الخلق فيه.

## ۲۲- يومٌ معلوم

ورد هـذا التعبير مرّة واحـدة أيضـاً فی القرآن الكريم فی جواب اسـتفسار الكفّار عن الحياة ما بعـد الموت، قال تعالى: «قُلْ إِنَّ الْاوَّلِينَ وَالْآخِرِينْ* لَمجْمُوعُونَ إِلَى مِيقَاتِ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ».

(الواقعة/ ۴۹- ۵۰)

إنّ العلم بذلك اليوم يمكن أن يكون له مفهومان:

۱- «العلم التفصـيلی» أی العلم بـذلك اليوم وتاريـخ وقوعه الـدقيق، ونحن نعلم بأنّ هذا العلم يختصُ باللَّه تعالى، ولا أحد يعلم بذلك حتى الأنبياء والمرسلين والملائكة المقربين، لكنّه ثابت ومقطوع به ومعلوم من جميع الجهات فی علم اللَّه عزّ وجلّ.

۲- «العلم الإجمـالی» أی العلم بأنّنـا سوف نواجه جميعاً مثل هـذا اليوم، فبما أنّ علمنا نابع من أعماق فطرتنا- كما سيأتی فی الأبحاث اللاحقـة إن شاءاللَّه- ومع وجود الـدلائل المتعددة عن طريق العقل التی يمكن أن يحصل عليها العالم والعامی بالإجمال، وباضافة علم جميع الرسل والأنبياء، يكون ذلك اليوم يوماً معلوماً وحتمياً وضرورياً وإن لم يعلم

(۱) تفسير الميزان، ج ۱۱، ص ۷؛ وتفسير مجمع‌البيان، ج ۵، ص ۱۹۱ ورجّح «المراغی» هذا القول فی تفسيره أيضاً.

نفحات القرآن، ج‌۵، ص: ۵۶

أحد تاريخه بالدقة.

وأكثر المفسـرين رجحوا المعنى الأول، لكن الأكثريـة أخـذوا بالمعنى الثانی واسـتدلوا على شـمولية هذا العلم بكلمة «قُل» وذلك لأنّ مفهومها يتضمن تبليغ هذا الأمر للجميع «۱».

لكن يمكن الجمع بين التفسيرين فی مفهوم الآية أيضاً.

إنّ الخطـاب الـذی يوجهه الينا تعبير (يوم معلوم) هو أن نكون صادقين فی تعاملنا مع هـذا اليوم وأن نتأهب للقائه، وأن نعلم علم اليقين بأنّ القيامة على أيّة حال واقعة بجميع آثارها ونتائجها، وهذا العلم واليقين له أثر كبير فی التربية.

## ۲۳- يوماً عبوساً قمطريراً

ورد هـذا التعبير مرّة واحـدة أيضاً فى القرآن المجيد فى نقل خطاب «الأبرار» «۲» عنـد قولهم: «إِنَّا نَخَافُ مِن رَّبِّنَا يَوْماً عَبُوساً قَمْطَرِيراً». (الانسان/ ۱۰)

كلمـة «عبوس» هى من صـفات الإنسان وهذا ممّا لا يحتاج إلى تفسـير، وتطلق هذه العبارة على الإنسان الذى تقطّب وجهه وكان حاله على غير مايرام، ووصف ذلك اليوم ب «عبوس» كنايـة حيّة عن وضع ذلك اليوم الرهيب المرعب، أى أنّ وقائع ذلك اليوم بلغت من الصعوبة والإيلام حدّاً كبيراً لا يكون الإنسان لوحده عبوساً فى ذلك اليوم، بل كأن اليوم بنفسه عبوسٌ مقطّبٌ بشدّة!

و «القمطرير»: عند كثير من المفسـرين بمعنى «الصعب الشديد» أو الإنسان العبوس السّيئ الخلق، وبناءً على هذا يكون مفهومه قريباً من مفهوم العبوس، ثم إنّ هـذه الكلمـة مشـتقة من مـادة «قطر» على وزن (قفل) والميم زائـدة فيها، وقيل إنّها مشـتقه من مادة «قمطر» (عى وزن خنجر).

---

(۱) تفسير الكبير، ج ۲۹، ص ۱۷۲.

(۲) والمعلوم أنّ هذه السورة نزلت فى بيان شأن الإمام على وفاطمة والحسن والحسين (سلام اللَّه عليهم أجمعين) الذين هم فى الركب الأول من «الأبرار والصالحين».

نفحات القرآن، ج۵، ص: ۵۷

على أيّة حـال فـإنّ التعبير المـذكور يشـير إلى أن أحـداث ذلك اليوم تبلغ من الصـعوبة والشـدّة والألم درجـة يجعل آثارها تظهر من بـواطن النـاس على وجـوههم، ويسـيطر الخوف والاضـطراب على تمـام وجودهم، وذلـك لأنّ أحـداً لا ـ يعلم إلى أين ينتهى مصـيره، والجميع ينتظرون الحساب وينتظرون لطف اللَّه.

قال بعض المفسرين فى شدّة هذا اليوم: سبحان اللَّه ما أشدَّ اسم هذا اليوم وهو من اسمه أشد.

## ۲۴- يوم البعث

ورد هـذا التعبير مرّتين فى القرآن المجيد وذلك فى آية واحدة وهى: «وَقَالَ الَّذِينَ اتُوا الْعِلمَ وَالإِيمانِ لَقَدْ لَبِثْتُمْ فِى كِتَابِ اللَّهِ إِلَى يَومِ الْبَعْثِ فَهذَا يَوْمُ الْبَعْثِ وَلكِنَّكُمْ كُنْتُمْ لَاتَعْلَمُونَ». (الروم/ ۵۶)

من الواضح أنّ التعبير عن احياء الموتى ب «البعث» (والأفعال المشـتقة منه) فى آيات القرآن المجيد كثير جدّاً واستعمل استعمالًا واسع النطاق كما أشـرنا إليه سابقاً، وكل تلك التعبيرات تبيّن هـذه الحقيقة وهى أنّ ذلك اليوم يوم حياة الجميع بعد موتهم، وبما أنّنا أشـرنا إليه بما فيه الكفاية فى هذا الصدد فلا نرى ثَمّة حاجة إلى توضيح أكثر.

إلى هنـا ينتهى القسم الأول: ومن خلال الأسـماء والاوصاف والتعبيرات المختلفـة التى وردت فى هـذا القسم تتجلى لنا بوضوح هـذه الحقيقـة وهى أنّ القرآن جاء لينبّه الناس من غفلتهم، ومن أجل تربيتهم وتعليمهم وهـدايتهم إلى التكامل والسـمو، وكـذلك من أجل عرض وتوضـيح الصور المختلفـة للمعاد، فقـد انتخب للمعاد أسـماءً متنوعـة يشـير كل واحد منها إلى بُعدٍ من أبعاد ووقائع ذلك اليوم وأحـداثه العظيمـة المزلزلـة التى لا نظير لها، فكل واحـد من هذه الأسـماء، أو بتعبير آخر كل واحد من أوصاف ذلك اليوم يحمل فى طياته خطاباً متميزاً

نفحات القرآن، ج۵، ص: ۵۸

لجميع البشر وعلى مرّ القرون والعصور.

خطابٌ إذا ما اعتُبِرَ به فإنّه سيكون عاملًا مؤثراً فى الردع عن الانحرافات والسيئات والخطايا والجرائم والمنكرات والمظالم.

إنّه خطاب يكشف البحث فيه بوضوح عن أبعاد فصاحة وبلاغة القرآن فى الميادين المخلتفة وخصوصاً فى المواضيع التربوية، وهو أفضل هادٍ لسالكى طريق الحق وللباحثين عن طريق القرب الإلهى (فتأمل).

**القسم الثانى:**

**اشارة**

والآن نبحث فى قسم آخر من أسماء القيامة والتى لا تصف القيامة فى كلمة واحدة بل من خلال جملة كاملة.

## ۲۵- يومَ نطوى السماء كطىِّ السِّجلِّ للكُتُب

بعض هذه التعبيرات تتحدّث عن الوقائع التى تحدث فى العالم عند ظهور مقدمات القيامة، والبعض الآخر يتعلق بأحوال البشر فى ذلك اليوم، ويخبر قسم آخر عن انتهاء كل شى.
التعبير أعلاه هو من ضمن التعبيرات التى تتعلق ب «مقدمات القيامة» بعد الإشارة إلى عدد من مكافآت المحسنين وعقوبات المسيئين، قال تعالى «يَوْمَ نَطْوِى السَّمَاءَ كَطَىِّ السِّجِلِّ لِلْكُتُبِ كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُّعِيدُهُ وَعْداً عَلَيْنَا إِنَّا كُنَّا فَاعِلِينَ». (الانبياء/ ۱۰۴)
«السجل»: من مادة (سَجْل) على وزن (سَطْل) بمعنى الدلو الكبير المملوء بالماء، وقيل إنّه بمعنى «الجمع والادّخار لأجْل الاراقة والنثر»، من أجل هذا اطلقوا كلمة «سَجْل» على الدلو الكبير، واطلقوا كلمة «سِجِلّ» (بكسر السين والجيم وتشديد اللام) على الصحائف
نفحات القرآن، ج۵، ص: ۵۹
التى تكتب عليها المطالب وتطوى أحياناً كما كانت تطوى «الوثائق» فى السابق، ويستعمل طى السجل فى هذا المورد.
ويعتقد البعض أنّ السِجلّ بمعنى الملفّات التى تكتب وتحفظ فيها الدعاوى وامور اخرى مشابهة، لذا جاء التسجيل بمعنى التقرير والإثبات «۱».
على أيّة حال فإنّ ظاهر الآية يشير إلى أنّ السماء كلها تطوى عندما يفنى العالم وتبدأ القيامة، فتصير بصورة قطعة واحدة كما كانت عليه فى البداية، وهذا ممّا صرح به العلم الحديث، وهو أنّ العالم فى البداية كان على شكل حزمة واحدة ثم دار حول نفسه بسرعة تحت تأثير علل خفية وتناثرت اجزاءه تحت تأثير القوة الطاردة عن المركز وهو الآن فى حال الاتساع والانبساط ثم يعود ثانيةً وبسرعة إلى الانقباض والاتجاه نحو المركز، ثم أخيراً تعود الأجزاء إلى بعضها وتشكّل حزمة واحدة، وهذه هى نهاية نظام هذا الكون.
ثم تبدأ حركة جديدة وتظهر سموات وأرض جديدة لعالم اخر، وعلى هذا المعنى فلا حاجة إلى تفسير الآية بالمعنى الكنائى، ولو أنّ كثيراً من المفسرين مالوا إليه، وربّما كان ذلك بسبب عدم وجود هذا التفسير فى ذلك الزمان.
لكن انطواء السموات فى أيّة صورةٍ كان، لا يعنى فناءها المطلق وانعدام العالم المادى؛ وذلك لأنّ القرآن أشار فى آياتٍ متعددة وبصراحة إلى أنّ الناس يخرجون من القبور وتعود الحياة إلى رفاتهم وتبقى الذرات الحاصلة من تفسخ أبدانهم وتجمع وتبدأ حياةً جديدة.

## ۲۶- يوم تبدَّلُ الأرضُ غيرَ الأرضِ والسموات

من خلال ما قيل فى البحث السابق بشأن القيامة يتضح معنى هذا التعبير القرآنى أيضاً، هذا التعبير الذى ورد مرّة واحدة لا غير فى القرآن المجيد، يدل على الانتقام الإلهى من الظالمين والمجرمين، قال تعالى: «يَوَم تُبَدَّلُ الْأَرْضُ غَيْرَ الْأَرْضِ وَالسَّموَاتُ».

---

(١) القاموس؛ والمفردات؛ والتحقيق وكتب اخرى

نفحات القرآن، ج۵، ص: ۶۰

(ابراهيم/ ۴۸)

فى أول الأمر يُبَعثَر كل شىء، ثم يضع بانى عالم الوجود تصميماً جديداً، ويُبدعُ ارضاً وسماءً جديدة تكونان أرقى وأعلا مرتبةً من سابقتيهما حتى تليق بطبيعة يوم القيامة.

وللمفسرين نقاش حول المُبدَّل، هل هو ظاهر الأرض وصفتها أم هو ذاتها؟ فقال بعضهم: إن جميع الاجبال والغابات وغيرهاتُبدّل وتصبح الأرض مستوية بيضاء اللون كالفضة، وكأنما لم يُرقْ على تلك الأرض دم ولم يرتكب عليها ذنب قط، وتبدل السموات بذلك النحو أيضاً.

وقال البعض الآخر: إن هذه الأرض وهذه السماء تفنيان بالمرّة ويحلّ محلهما أرضٌ وسماءٌ جديدتان، لكن هذا الاحتمال- كما أشرنا سابقاً- لايتلائم مع الآيات القرآنية الاخرى التى تتحدث عن قبور الناس وعن تراب ابدانهم التى تبقى كما كانت عليه، فإن قيل إن تبديل الأرض هذا يتم بعد انتهاء الحياة البشرية، قلنا إنّ هذا الكلام ينافى ذيل الآية، لأنّ ظاهرها يدل على ظهور وبروز الخلق بعد تبديل الأرض. حيث قال اللّه تعالى «وَبَرَزُوا لِلّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ». (إبراهيم/ ۴۸)

## ۲۷- يوم تمورُ السماءُ مَوراً

ورد هذا التعبير مرّة واحدة فقط فى القرآن الكريم، وقد جاء بعد بيان وقوع العذاب الإلهى حيث لا مانع ولا دافع لوقوعه، قال تعالى: «إِنَّ عَذَابَ رَبِّك لَوَاقِعٌ* مَّالَهُ مِن دَافِعٍ* يَوْمَ تَمُورُ السَّمَاءُ مَوْراً* وَتَسِيرُ الْجِبَالُ سَيْراً». (الطور/ ۷- ۱۰)

«المور»: على وزن (موج) وله معانٍ مختلفة- على حد قول أصحاب اللغة-: حيث جاء بمعنى الحركة الدائرية وبمعنى الموج وبمعنى الحركة السريعة وبمعنى الذهاب والاياب وبمعنى الغبار الذى يذهب به الريح فى كل جانب «۱»، وأكثر المعانى مناسبةً هنا هو الحركة

---

(١) لسان العرب؛ ومفردات الراغب؛ وتفسير مجمع البيان، ج ۹، ص ۱۶۳؛ وتفسير روح البيان، ج ۹، ص ۱۸۹.

نفحات القرآن، ج۵، ص: ۶۱

السريعة.

فمن الممكن أن تكون هذه الحركة بياناً لتلك الحركة السريعة نحو مركز الكون التى تحدث عند انقباض أجزاء عالم المادّة كما أشرنا إليها فى الصفحات السابقة، ومن الممكن أيضاً أن تكون بياناً لحركة العالم المستديرة فى مسير انبساط وانقباض المجموعة الكونية.

وقال الفخر الرازى خلال تعليقه على هذه الآية: وقوله «وتسير الجبال» يُحتمل أن يكون بياناً لكيفيّة مور السماء، وذلك لأنّ الجبال إذا سارت وسير معها سكّانها يظهر أنّ السماء كالسيّارة إلى خلاف تلك الجهة كما يشاهده راكب السفينة، فانّه يرى الجبل الساكن متحرّكاً «۱».

مفهوم هذا الكلام هو أنّ السموات ثابتة فى الحقيقة ولكنّها تبدو للانظار متحركة، لكن هذا على خلاف ظاهر الآية.

## ٢٨- يوم تشقَّقُ السماءُ بالغمام

## ٢٩- يوم تشققُ الأرض عنهم سراعاً

هذان التعبيران عن يوم القيامة متشابهان فى أحد أبعادهما.

ففى الآية الاولى قال تعالى: «وَيَوْمَ تَشَقَّقُ السَّماءُ بِالْغَمَام». (الفرقان/ ٢٥)

وفى الآية الثانية قال تعالى: «يَوْمَ تَشَقَّقُ الْأَرْضُ عَنْهُمْ سِرَاعاً». (ق/ ٤٤)

إنّ انشقاق الأرض من فوق الناس له مفهوم واضح وهو بيان لزلزال القيامة الذى يشق القبور ويحيى الناس بأمر اللَّه ويخرجون بسرعة للحساب والجزاء.

أمّا تمزق السموات بالغمام فيمكن أن يكون بياناً للانفجارات الهائلة التى تحدث فى الأجرام السماوية عند فناء الكون وأنّ الغمام الحاصل من هذه الانفجارات يملأ السماء (هذا على أنّ «الباء» فى «بالغمام» باء الملابسة أى يلابس ويصطحب مع الغمام).

أو أنّ السموات أى «الأجرام السماوية» تتمزق بتأثير الغيوم التى تحمل أمواجاً قوية هائلة حاصلة من الانفجارات النووية أو غيرها (وفى هذه الحالة تكون الباء سببية) «٢»- «٣».

---

(١) تفسير الكبير، ج ٢٨، ص ٢٤٣.

(٢) قال بعض المفسرين إنّ «الباء» بمعنى «عن» فيكون المعنى هو أن تتمزق وتتنحى عن واجهة السماء لكن هذا المعنى بعيد جدّاً.

(٣) «الغمام» من مادة «غم» بمعنى الحجب، ومن حيث إنّ الغيوم تحجب السماء فإنّهم اطلقوا عليها «الغمام» ومن حيث إنّ الهم والحزن يملّا قلب الإنسان فإنّهم اطلقوا على ذلك الغم.

نفحات القرآن، ج٥، ص: ٦٢

قال المرحوم العلّامة الطباطبائى فى تعليقهِ على هذه الآية: «ليس من البعيد أن يكون هذا الكلام كناية عن انكشاف غمة الجهل وبروز عالم السماء وهو من الغيب وبروز سكانها وهم الملائكة ونزولهم إلى العالم الأرضى موطن الإنسان» «١».

ولكن بما أنّ الحمل على الكناية يحتاج إلى قرينة ولا قرينة عليه فى الآية فإنّ التفسير الأول يظهر على أنّه أكثر مناسبةً، وهكذا فى الآية الثانية أيضاً فإنّ انشقاق الأرض يحمل المعنى الظاهرى لا الكنائى والمعنوى.

والشاهد الآخر وجود الآيات الكثيرة فى القرآن المجيد والتى تدل على حدوث تغيّرات وانقلابات شديدة فى جميع شؤون عالم المادّة لا فى السماء والأرض والجبال والبحار فقط.

## ٣٠- يوم تكون السماء كالمُهل

هذا وصف آخر ليوم القيامة والتغيّرات الحادة التى تطرأ على العالم، وقد ورد هذا التعبير مرّة واحدة فى القرآن حيث قال تعالى: «يَوْمَ تَكُونُ السَّمَاءُ كَالْمُهْلِ». (المعارج/ ٨)

و «مُهْل»: على وزن (قُفْل) فسروها تارة بمعنى المعادن المنصهرة، وتارةً بمعنى الثُقل أو الرسوبات التى تترسب فىقعر إناء الزيت وأمثاله، وتارةً اخرى بمعنى الفضة المذابة وتارة بمعنى رسوبات الزيت «٢»، هذا ولكن المعنى الأول أرجح عند إمعان النظر فى آيات اخرى تحدثت عن وقائع يوم القيامة.

والمراد بالسماء هنا هو إمّا الأجرام السماوية أو واجهة السماء التى تصبح على هيئة

---

(۱) تفسير الميزان، ج ۱۵، ص ۲۰۲.

(۲) تفاسير مجمع البيان؛ الكبير؛ الميزان وتفاسير اخرى فى التعليق على الآية.

نفحات القرآن، ج۵، ص: ۶۳

معدن منصهر بفعل انفجار الأجرام.

قال بعض المفسرين: من المحتمل أنّ عدداً كبيراً من الأجرام السماوية والتى هى حالياً على هيئة غازات مضغوطة تتبدل صورها يوم القيامة وتتحول إلى أشكال ذائبة، وهى الصورة الجديدة لتلك الغازات والتى تكون مقدمة لحدوث القيامة «۱».

## ۳۱- يوم ترجف الأرضُ والجبال

لوحظ هذا الوصف فى آيتين من القرآن المجيد على تفاوت ضئيل بينهما فى وصف يوم القيامة، وجاء هذا الوصف فى الآية: «يَوْمَ تَرْجُفُ الْأَرْضُ والْجِبَالُ وَكَانَتِ الْجِبَالُ كَثِيباً مَّهِيلًا». (المزمل/ ۱۴)

و كذلك قوله تعالى «يَوْمَ تَرْجُفُ الرَّاجِفَةُ». (النازعات/ ۶)

اليوم الذى تتعرض فيه كل الأرض للزلازل العنيفة وتَتحطّم الجبال بشدّة حتى تصبح أكواماً من الرّمل، فما هو حال الإنسان الضعيف المنهك فى ذلك اليوم؟!

جميع تلك الامور تتعلق بالوقائع التى تؤدّى إلى فناء هذا العالم، ثم تبدأ مرحلة العالم الآخر، فالقرآن جمع بين هاتين المرحلتين ووضعهما فى وصفٍ واحد.

فتارةً يبين ضعف الإنسان واخرى يُخبر عن التطورات الرهيبة عند فناء العالم وثالثة يصور تغيّرات العالم الممهِّدة لقيام القيامة، كل هذه التعبيرات جاءت من أجل تربية الإنسان وتشكّل انذاراً مؤكداً ومتواصلًا له.

إنّ «ترجف وراجفة» من مادة «رَجْف» بمعنى الاهتزاز الشديد ولذا اطلق على البحر المائج «بحرٌ رَجّاف»، و «ارجاف» بمعنى بث الشائعات التى تهز المجتمع، و «اراجيف» تطلق على جذور الفتن والوقائع.

---

(۱) تفسير فى ظلال القرآن، ج ۸، ص ۲۷۸ و ۲۷۹.

نفحات القرآن، ج۵، ص: ۶۴

وقد احتملوا لمعنى «الراجفة» فى الآية السابقة معانٍ مختلفة منها الواقعة والصيحة الكبرى و ...، ولكن الآية الآخرى تشكّل قرينة على أنّها الأرض التى تُزَلزَل بشدّة فى ذلك اليوم.

و «الكثيب»: بمعنى «الرمل المتراكم» والبعض حملها على معنى «التل الكبير من الرمل».

و «المهيل»: بمعنى الرمل الناعم جدّاً الذى يتطاير عند وضع القدم عليه، وإذا ما خُلّى جانبه انهال ما تبقّى منه، ولذا فسّره البعض بالرمل السيّال «۱».

## ۳۲- يوم يَسْمَعُونَ الصيحةَ بالحقِ

## ۳۳- يَومَهُمُ الذى فيه يُصْعقون

التعبيران أعلاه، واللذان يتقاربان فى الافق هما أيضاً وصفان آخران لذلك اليوم العظيم، ففى الآية الاولى «يَوْمَ يَسْمَعُونَ الصَّيْحَةَ بِالْحَقِّ ذَلِكَ يَوْمُ الْخُرُوجِ». (ق/ ۴۲)

نحن نعلم بأنّه عند انتهاء الدنيا وابتداء القيامة تطلق هنالك صيحتان على حد تعبير القرآن المجيد واللتان عبّر عنهما أحياناً ب «نفخ الصور» وهما: «الصيحة الاولى» وهى صيحة فناء العالم والموت الشامل، و «الصيحة الثانية» صيحة الحياة الجديدة والقيامة، والآية التى وردت أعلاه تدلّ على الصيحة الثانية وذلك بقرينة «ذَلِكَ يَوْمُ الْخُرُوجِ» التى جاءت فى آخر الآية.

أمّا ما هى كيفية هذه «الصيحة العظيمة»؟ وبأى الوسائل يحدث هذا الصوت؟ وما هو تأثيره فى احياء الموتى فإنّ هذه الامور لايعلم أحد تفاصيلها، بَيد أنّ القرآن أشار إليها إشارةً اجمالية، ولا-عجب من جهلنا بها فى هذا الزمان؛ وذلك لأنّ كل ما يتعلق بالقيامة يختلف اختلافاً تاماً عمّا فى الدنيا، ومحفوف بهالة من الابهام، كما هو الحال فى الجنين فإنّه

---

(۱) مفردات الراغب؛ وتفسير مجمع البيان؛ وتفسير الكبير وتفاسير اخرى فى التعليق على آيات البحث.

نفحات القرآن، ج۵، ص: ۶۵

لا يمكن أن يُدرك حياة هذه الدنيا وإن كان بالفرض يمتلك قدرة فكرية عظيمة.

وفى الآية الثانية قال تعالى: «فَذَرْهُمْ حَتَّى يُلَاقُوا يَوْمَهُمُ الَّذِى فِيهِ يُصْعَقُونَ».

(الطور/ ۴۵)

«يصعقون»: من مادة «اصعاق» اشتقت فى الأصل من «الصاعقة»، وبما أنّ الصاعقة لها صوت عظيم بالإضافة إلى أنّها مهلكة فقد فُسِّرت هذه الجملة بهذين المعنيين معاً، فإن كانت بمعنى الهلاك فتكون دليلًا على إرادة النفخة الاولى وفناء الكون، كما جاء فى الآية:

«وَنُفِخَ فِى الصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِى السَّموَاتِ وَمَن فِى الْأَرْضِ». (الزمر/ ۶۸)

وإن كانت كلمة (صعق) بمعنى الصوت فإنّها من الممكن أن تكون دليلًا على النفخة الاولى أو الثانية التى هى نفخة يوم القيامة، فعلى هذا تكون مرادفة للآية السابقة.

ورجّح كثير من المفسرين المعنى الأول، وفى نفس الوقت لم يهجروا المعنى الثانى «۱».

وأمّا ما احتمله البعض من أنّ الآية تشير إلى هلاك مجموعة من المشركين فى غزوة بدر فيبدو بعيداً جدّاً (بدليل الآية ۶۸ من سورة الزمر التى مرّ ذكرها).

## ۳۴- يوم يُنفخُ فى الصور

ورد هذا التعبير أربع مرات فى القرآن المجيد ففى الآية الاولى قال تعالى «وَلَهُ الْمُلْكُ يَوْمَ يُنْفَخُ فِى الصُّورِ». (الانعام/ ۷۳)

وفى الآية الثانية قال تعالى «يَوْمَ يُنْفَخُ فِى الصُّورِ وَنَحْشُرُ الُمجرِمِينَ يَؤمَئِذٍ زُرْقاً».

(طه/ ۱۰۲)

وفى الآية الثالثة قال تعالى: «وَيَوْمَ يُنْفَخُ فِى الصُّورِ فَفَزِعَ مَنْ فِى السَّموَاتِ وَمَن فِى الْأَرْضِ إِلَّا مَن شَاءَ اللَّهُ». (النمل/ ۸۷)

وفى الآية الرابعة قال تعالى: «يَوْمَ يُنْفَخُ فِى الصُّورِ فَتَأْتُونَ افْوَاجاً». (النبأ/ ۱۸)

---

(۱) تفسير مجمع البيان، ج ۹، ص ۱۶۹؛ وتفسير القرطبى، ج ۹، ص ۶۲۴۷؛ وتفسير روح المعانى، ج ۳۷، ص ۳۴؛ وتفسير الميزان، ج ۱۹، ص ۲۳؛ وتفسير روح البيان، ج ۹، ص ۲۰۵.

نفحات القرآن، ج۵، ص: ۶۶

يتحدث القرآن المجيد- كما سيأتى فى بحث «نفخ الصور» إن شاء اللّه- عن نوعين من نفخ الصور: ففى النفخ الأول تموت جميع الاحياء الموجودة فى الأرض والسماء، وفى النفخ الثانى والذى هو نفخة الحياة يحيا الجميع ويتأهبون للحساب والكتاب، لكن الآيات الاربع السابقة الذكر كلّها أو جلّها تتعلق بالنفخ الثانى أى نفخ الحياة فى القيامة.

ومهما يكن من شىء فإنّ هذا التصوير للقيامة من قبل القرآن يصور للانظار الوقائع العديدة التى تقع عند ذلك اليوم، وهذا التعبير هو أحد التعابير العديدة التى تحتوى على معنىً دقيق والتى تصوّر للضمائر وقائع ذلك اليوم الصعبة المرعبة فتنبّهها من غفلتها.

أمّا البحث عن معنى «الصور» ومفهوم «النفخ» والخصوصيات الاخرى فسوف نتناوله فى محله إن شاء اللّه، ولكن ولأجل الاطّلاع على محتوى هذا التعبير نتطرق لذكر الحديث النبوى الشريف الذى يذكر مجموعة من تلك الوقائع والذى ورد فى تفسير الآية الرابعة من بحثنا هذا (الآية ۱۸ من سورة النبأ):

قال «معاذ بن جبل» سألت رسول اللّه صلى الله عليه و آله عن تفسير الآية: «يَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ فَتَأْتُونَ أَفْوَاجاً» فقال رسول اللّه صلى الله عليه و آله: «يامعاذ بن جبل سألت عن أمرٍ عظيم» ثم أرسل عينيه باكياً، ثم قال: «يحشر عشرة أصناف من أمتى أشتاتاً قد ميّزهم اللّه تعالى من جماعات المسلمين، وبدلّ صورهم، فمنهم على صورة القردة وبعضهم على صورة الخنازير وبعضهم منكسون، أرجلهم أعَلاهم، ووجوههم يسحبون عليها، ....، ....، وبعضهم يمضغون ألسنتهم، فهى مُدلاة على صدورهم، يسيل القيح من أفواههم لعاباً، يتقذرهم أهل الجمع، ....، وبعضهم مصلبون على جذوع من نار، وبعضهم أشد نتناً من الجيف، وبعضهم ملبسون جلابيب سابغة من القطران لاصقة بجلودهم؛ فامّا الذين على صورة القردة فالقَتّات من الناس- يعنى النمام- وأمّا الذين على صورة الخنازير، فأهل السحت والحرام والمَكس، وأمّا المنكسون رؤوسهم ووجوههم، فأكلة الربا، ....، ....، والذين يمضغون ألسنتهم: فالعلماء والقصاص الذين يخالف قولهم فعلهم، ...، والمصلبون على جذوع النار: فالسعاة بالناس إلى السلطان والذين هم أشد نتناً من الجيف فالذين يتمتعون بالشهوات واللذات ويمنعون حق اللّه من أموالهم، والذين يلبسون الجلابيب: فأهل الكِبْر والفخر والخيلاء» «۱» پ.

---

(۱) ذكر هذا الحديث عدد كبير من المفسرين مثل أبى الفتوح الرازى والقرطبى وروح البيان وقد أوردنا الحديث باختصار.

نفحات القرآن، ج۵، ص: ۶۷

### ۳۵- يومٌ كان مقدارُهُ خمسين الف سنةٍ

وصف القرآن المجيد وفى آيتين يوم القيامة بأنّه يومٌ طويل للغاية، قال اللّه تعالى فى أحد الآيتين: «تَعْرُجُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ». (المعارج/ ۴)

وقال فى محلّ آخر: «يُدَبِّرُ الْأَمْرَ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ أَلْفَ سَنَةٍ مِمَّا تَعُدُّونَ». (السجدة/ ۵)

لا شك فى أنّ الآية الاولى تختص ببيان يوم القيامة، والآيات التى أتت بعدها تتعرض لصفات القيامة ولعذاب المجرمين فى ذلك اليوم وكذلك إلى أوصاف جهنم.

وقد اختلف المفسرون فى مورد الآية الثانية فهناك عدة آراء «۱» فالبعض قالوا: إنّها إشارة إلى المنحنى النزولى والصعودى للتدبير الالهى فى هذه الدنيا، أو بتعبير آخر إشارة إلى مراحل التدبير الإلهى فى هذا العالم والتى تتم كل مرحلة منها فى مدّة الف عام على يد

الملائكة المكلّفين بأمرٍ من اللَّه بإجراء هذا التدبير التكوينى، ثم بعد انتهاء هذه المرحلة تبدأ مرحلة اخرى وهلمّ جرّا.

لكن بعد البحث فى الآيات القرانية التى تحدثت عن انطواء السماء والأرض، وكذلك الروايات التى وردت فى شرح هذه الآية يفهم منها أنّها تتحدث عن يوم القيامة.

ولذا رجّح المرحوم العلّامة الطباطبائى فى الميزان هذا التفسير أيضاً بعد أن ذكر عدّة احتمالات لهذه الآية «۲».

لكن يبقى هنالك سؤال وهو كيف قُدِّر ذلك اليوم فى الآية الاولى بخمسين الف سنة- من سنين الدنيا- وفى الآية الثانية بالف سنة؟ اجيبَ بوضوح عن هذا السؤال فى حديثٍ نقله المرحوم الشيخ الطوسى فى أماليه عن

---

(۱) ذكر الآلوسى فى تفسير روح المعانى، ج ۲۱، ص ۱۰۷ سبعة تفاسير للآية، أحدها هو القيامة.

(۲) تفسير الميزان، ج ۱۶، ص ۲۶۱، وجاء نفس هذا المعنى أيضاً فى تفسير ظلال القرآن ج ۶، ص ۵۱۱.

نفحات القرآن، ج۵، ص: ۶۸

الإمام الصادق عليه السلام، قال عليه السلام: «إنَّ فى القيامة خمسين موقفاً؛ كُلُّ موقفٍ مثلُ الف سنةٍ ممّا تعدون ثم تلا هذه الآية: «فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ»».

والكلام فى أنّ العددين (الف وخمسين الف) سنة هل جاءت هنا لبيان العدد أم للدلالة على الكثرة؟ فيه احتمالان، ولكن على أيّة حال فإنّ مضمون خطاب هذه الآية هو أنّ ذلك اليوم يومٌ صعبٌ جدّاً ومعضل، ولا يتيسر لأحد تجاوزه بسهولة، ويجب على الجميع أن يتأهبوا لمثل هذا اليوم الطويل الملى بالمخاطر.

وهناك أمرٌ يثير الاهتمام وهو أنّ اليوم (أى دوران الكواكب السماوية حول محورها دورة كاملة) يختلف تماماً من كوكب لآخر، فالكرة الأرضية تدور حول محورها فى كل ۲۴ ساعة دورة كاملة بينما تطول مدة الدوران الموضعى فى القمر لمدّة شهر تقريباً (فالنهار فيه يبلغ اسبوعين والليل فيه يبلغ اسبوعين تقريباً) وهكذا الحال فى الكواكب الشمسية الأخرى فكل منها له ليلٌ ونهار يختص به ويمتد زمانه بمقدار متميز، والآن فى هذا الزمان من الممكن أن تكون فى عالم الوجود كواكب يمتد دورانها الموضعى إلى مئات أو الاف من السنين، بناءً على هذا فلا عجب من أن يكون امتداد كل يوم فى القيامة يعادل خمسين الف سنة.

ونواصل التأكيد على أنّ هدف القرآن الرئيسى هو الجانب التربوى الكامن فى مثل هذه التعبيرات.

### القسم الثالث:

### ۳۶- يومَ يكونُ الناسُ كالفراشِ المبثوث

كل ما قرأنا لحد الآن فى وصف ذلك اليوم كان يتحدّث عن الوقائع المزلزلة التى تقع فى مقدمة ذلك اليوم فى عالم الدنيا وإن كل وصف يحمل فى طياته خطاباً خاصاً، ففى الوصف الأخير طرحت مسألة طول وامتداد ذلك اليوم وهذا أيضاً يحمل انذاراً متميزاً.

والآن نذهب صوب الأوصاف التى تصوّر حال الناس فى ذلك اليوم، ونلتفت إلى أنَ

نفحات القرآن، ج۵، ص: ۶۹

تعبيراتٍ كل واحد منها أقوى تأثيراً من الآخر وكأنّها تأخذ بيد الإنسان وتسير به فى اروقة المحشر وتعرفه على كل موضع منه فتجسّم له وقائع ذلك اليوم العظيم وكأنّه يراه بعينه المجردة.

فى الوصف الذى نتناوله بالبحث والذى ورد مرّة واحدة فى القرآن المجيد فقط حيث يصور وضع الناس المروع فى ذلك اليوم بهذا

النحو: «يَوْمَ يَكونُ النَّاسُ كَالْفَرَاشِ الْمَبْثُوثِ».

(القارعة/ ۴)

وجاء مثل هذا التعبير ولكن باختلاف ضئيل عندما قال تعالى «كَأَنَّهُمْ جَرَادٌ مُنْتَشِرٌ».

(القمر/ ۷)

وللمفسرين آراء مختلفة فى سبب تشبيه الناس فى ذلك اليوم بالفراش، ومن جمله ما قالوا هو أنّ السبب فى هذا التشبيه هو كثرة الناس واضطرابهم وخوفهم وفرارهم فى كل صوب وضعفهم وتخبّطهم.

ومن الممكن أيضاً أن تكون هذه المسألة من مكنونات التعبير المذكور أعلاه وهى أنّ الفراش عادةً يرمى بنفسه باتجاه نور الشمع والمصباح بصورة جنونية فيحترق، وأنّ المجرمين أيضاً فى ذلك اليوم تعتريهم هذه الحالة عند مواجهتهم لنار جهنم، وكل هذا يدلّ على الحيرة والضلال الشديد والاضطراب والرعب العظيم الحاصل فى ذلك اليوم.

على أيّة حال فإنّه تعبير ناطق وتصوير واضح عن حالة الناس العجيبة الحاصلة فى ذلك اليوم والتى عبّر عنها القرآن بتعبير وجيز، ويرى البعض أنّ السبب فى دوران الفراشة حول النار حتى الاحتراق هو فقدانها للذاكرة، فإنّها تقترب من الشعلة وتحس بحرارتها فتهرب ولكنها تنسى بسرعة وتعود ثانيةً وتقترب من شعلة النار وتكرر هذا العمل حتى تلقى بنفسها فى النار وتحترق.

وكذلك الحال بالنسبة للمسيئين والمجرمين، فمن شدّة الاضطراب والجزع كأنّهم يفقدون صوابهم ويلقون أنفسهم فى النار كما تفعل الفراشات.

وذكر أهل اللغة والمفسرون معانى متعددة ل «الفراش»: فالبعض فسّره بمعنى الجراد الذى

نفحات القرآن، ج۵، ص: ۷۰

ينتشر بكثافة فى السماء، والبعض فسّرها بمعنى البعوض الذى يطير على شكل أفواج، ولكن أغلب المفسرين واللغويين فسروها بذلك المعنى وهو الفراش، على الأخص ما قاله «الخليل بن أحمد» فى كتاب «العين» فإنّه قال: «الفراشُ التى تطيُر طالبةً للضوء» وقال فى صحاح اللغة أيضاً: «الفراش» جمع «فراشة» تلك الحشرة الطائرة التى تطير وتقع فى النار.

## ۳۷- يوم تبلى السرائر

## ۳۸- يوم هم بارزون

هذان الوصفان يبينان خلال تعبيرين اثنين حقيقة واحدة عن ذلك اليوم العظيم (وقد وردا فى الآية ۹ من سورة الطارق والآية ۱۶ من سورة المؤمن)، ويقرران أمراً خطيراً إذا ما آمن به الناس كان له أثر عميق فى تربيتهم.

ففى ذلك اليوم لا تخفى خافية؛ وذلك لارتفاع الاستار الطبيعية مثل الجبال والتلال، وتكون الأرض كما أشار إلى ذلك فى الآية: «قَاعاً صَفْصَفاً»، (أى صافية خالية من المرتفعات). (طه/ ۱۰۶)

ومن ناحية اخرى يخرج الناس من القبور وتُخرج الأرض ما فى باطنها: «وَأَخْرَجَتِ الْارْضُ أَثْقَالَهَا». (الزلزال/ ۲)

وثالثة، تنشر صحف أعمال الناس والامم ويُعلن عن محتواها أمام الملأ: «وَإِذَا الصُّحُفُ نُشِرَتْ». (التكوير/ ۱۰)

وتنطق الأيدى والأرجل وجميع الجوارح حتى الجلود، وتبدأ بالعويل واعلان الفضائح.

فالأرض والدهر كلها تنطق وشهداء الأعمال يشهدون على أعمال الناس، ففى ذلك اليوم يعلن أمام الملأ- حتى عن نيّات الناس واعتقاداتهم فضلًا عن أعمالهم، إنّه يوم الفضيحة الكبرى للمسيئين ويوم الفخر العظيم للمحسنين حقاً.

ويجب الانتباه إلى أنّ «تُبلى من مادة «بلاء» بمعنى الامتحان وبما أنّ حقائق الأشياء تظهر عند الاختبار فقد فُسِّر البلاء هنا بمعنى الاتضاح.

نفحات القرآن، ج۵، ص: ۷۱

جاء في الحديث عن «معاذ بن جبل» أنّه قال: (سألت رسول اللّه صلى الله عليه و آله، وما هذه السرائر التي تبلى بها العباد في الآخرة، فقال: «سرائركم هي أعمالكم من الصلاة والصيام والزكاة والوضوء والغسل من الجنابة وكل مفروض لأنّ الأعمال كلها سرائر خفية فإن شاء قال الرجل صليت ولم يصل وإن شاء قال توضأت ولم يتوضأ، فذلك قوله يوم تبلى السرائر» «۱».

والجدير بالذكر هو أنّ ما جاء في الحديث الشريف المذكور هو بيان أمثلة من هذه الحقيقة الكلية، وإلّا فإنّ الآية الشريفة تشتمل على جميع «العقائد» و «النيات» وأعمال الناس» سواء الحسن منها أم السيء.

ومن هنا يظهر أنّ العناوين البراقة الكاذبة التي حصلت عليها الكثير من الشخصيات بواسطة التضليل والتستر في هذه الدنيا سوف تذهب هباءً بفعل زوابع المحشر وتحل محلها الفضيحة العظمى وما أروع من سقوط هؤلاء الأفراد وأصحاب الواقع السيى المتلبسين بالظاهر الأنيق، من اوج العزّة والكرامة إلى قعر الذّلة والمهانة!

وما أحلى الكرامة التي حاز عليها المؤمنون المخلصون الذين لم يراؤوا وحافظوا على اخفاء ارتباطهم باللّه في هذه الدنيا وما أجمل ظهورهم في ذلك اليوم وجلوسهم على عرش العزة والعظمة!

هذا هو النداء الذي يقدّم لنا الوصف المذكور أعلاه وهو انذار لجميع الناس العالِم منهم والجاهل.

### ۳۹- يوم ينظُرُ المرءُ ماقدَّمت يداه

### ۴۰- يوم تجدُ كُلُّ نفسٍ ما عَمِلَت من خيرٍ مُحضراً وما عملت من سوءٍ

هذان التعبيران أيضاً يوضحان أحد الحقائق التي صُبَّت في قالبين، ويبينان حقيقة مهمّة اخرى لذلك اليوم تقصم الظهر وتزلزل القلوب وتجعل الإنسان يسرح في تأمّل عميق.

---

(۱) تفسير مجمع البيان، ج ۱۰، ص ۴۷۱.

نفحات القرآن، ج۵، ص: ۷۲

ففي الآية الاولى قال تعالى: «يَوْمَ يَنْظُرُ الْمَرءُ مَاقَدَّمَتْ يَدَاهُ». (النبأ/ ۴۰)

بما أنّ مسألة تصور الأعمال في ذلك اليوم العظيم ومشاهدة جميع الأعمال التي ارتكبها الإنسان في هذه الدنيا يُعتبر أمراً غير معقول لكثير من المفسرين فإنّهم فسّروا «ينظر» حيناً بمعنى «ينتظر»، وحيناً آخر بمعنى مشاهدة كتاب الأعمال أو مشاهدة ثوابها وعقابها.

والسبب الذي دفعهم إلى ذلك هو أنّ المفسرين في تلك العصور لم يمعنوا النظر في مسألة تجسّم الأعمال، وإلّا فما الضرورة لهذه التقديرات والتأويلات؛ وذلك لأنّ القرآن يقول: إنّ الإنسان سوف يشاهد بعينيه في ذلك اليوم كل ما ارتكب من قبل، أي أنّ نفس أعماله التي فنيت مادياً في الظاهر لم تفن في الواقع وسوف تبقى وتظهر للعيان بصورةٍ ما، وليس بالضرورة أن يراها جميع أهل المحشر، كما جاء نفس هذا المعنى أكثر وضوحاً في الآية: «وَ وَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِراً»! (الكهف/ ۴۹)

وورد نفس هذا المعنى بجلاء في الآية الثانية أيضاً قال تعالى: «يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُّحْضَراً وَمَا عَمِلَتْ مِنْ سُوءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُ أَمَداً بَعِيداً».

(آل عمران/ ۳۰)

وممّا يثير الاهتمام هنا هو ما قاله المرحوم «الطبرسى» فى «مجمع البيان» فى تعليقه على الآيـة الثانية، قال: «فأما أعمالهم فهى اعراض قد بطلت ولا يجوز عليهـا الاعـادة، فيستحيل أن ترى محضـرة»، لـذا ذهب إلى تفسيرين آخرين أحـدهما حضور كتب الأعمال، والثانى حضور جزاء الأعمال من ثوابٍ وعقاب.

ولكن كما أشـرنا فى كتاب (التفسير الأمثل)، أنّ أعمال الإنسان هى نوعٌ من الطاقة مثل جميع أنواع الطاقة الموجودة فى العالم، فإنّها لا تفنى أبداً بل تتغير اشكالها وهى باقية قطعاً.

وقلنا أيضاً بأنّ تحوّل «المادة إلى «طاقـة» والطاقـة» إلى «مادة» كلاهما أمر ممكن من الناحيـة العلميـة، فعلى هـذا لا مانع من بقاء أعمال الإنسان وتحولها فى ذلك اليوم إلى مادة، وظهور كل واحـد منها على هيئـة مناسبـة لحاله، وبناءً على هـذا فإنّ الآيات المذكورة تُمثّل فى الواقع جزءً من المعجزات العلمية للقرآن والتى لم تكن حين نزول القرآن معروفة لأحد،

نفحات القرآن، ج۵، ص: ۷۳

وهذه الحقيقة اتضحت لنا بسبب الاكتشافات العلمية الحديثة.

وممّـا يثير الاهتمـام أيضاً أنّ الروايات الإسـلامية تحـدثت كثيراً أيضاً عن تجسم الأعمال فى البرزخ والقيامـة، ولكن لا يعلم علّة عـدم اهتمـام المفسـرين السـابقين بهـذه الروايـات، ومن المحتمل أن يكون السبب فى ذلك هو اعتقادهم بأنّ الأعمال «اعراض» وبأنّها فانية وبأنّ إعادة المعدوم محال، بينما اتّضح لنا فى هذا الزمان بطلان هذا الاستدلال كلياً (وسوف نقرأ فى بحث تجسم الأعمال تفصيلًا أكثر فى هذا المجال).

## ۴۱- يوماً تتقلّبُ فيه القلوب والأبصار

## ۴۲- يوم تشخصُ فيه الأبصار

التعـبيران المـذكوران فى الآيـتين أعلاه واللـذان يجمعهمـا شـبه كبير يرفعـان السـتار عن أسـرار اخرى من أسـرار ذلـك اليوم العظيم، ويحملان لجميع الناس نداءات جديدة.

ففى الآيةِ الاولى قال تعالى «يَخَافُونَ يَوْماً تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ والْابْصَارُ». (النور/ ۳۷)

وفى الآيةِ الثانية قال تعالى «إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ الْأَبْصَارُ». (إبراهيم/ ۴۲)

حلبـة المحشـر رهيبـة من عـدة جوانب: من جـانب مـا يسـتجد فيها من الوقائع الرهيبـة التى تقع عنـد قيام القيامـة، ومن جانب اسـتعداد الملائكة مع حضور الاشـهاد لمحاسبة العباد، ومن جانب نشر الصحف التى تحتوى على سائر أعمال الإنسان التى ارتكبها خلال حياته صغيرها وكبيرها، ومن جانب اتضاح ملامح النار والعذاب الإلهى واستحالة العودة لإصلاح مافات وعدم وجود خليلٍ ومنقذ!

إنّ هـذه الوقائع والتى يكفى كل واحد منها بوحده لقلب افئدة الناس، تقع جميعها فى وقت واحد، تجعل الإنسان فى حصار شديد ممّا يؤدّى به إلى أن يقلّب عينيه فى كـل جـانب بـدون إرادة ويتلفت إلى كل جانب باضـطراب يطلب العون، وعلى حـد تعبير القرآن أنّها تقلب الأبصار وأحياناً تقف عن الحركة نهائياً وتبقى الأجفان مفتوحة وكأن روح الإنسان فارقت جسده!

نفحات القرآن، ج۵، ص: ۷۴

ومن الجـدير بالـذكر أنّ الآيـة الاولى تختص بـالمؤمنين والآيـة الثانيـة بالظـالمين، وهـذا يـدل بوضوح على أنّ الجميع من المحسـنين والمسيئين سوف يستولى عليهم الرعب فى ذلك اليوم المفزع، وذلك (لجهل الناس بعواقب أعمالهم بسبب الدقة والشدة فى الحساب

الإلهى فلا أحد يعلم بالضبط إلى اين ينتهى مصيره.
«تتقلب»: بمعنى انقلاب الشىء رأساً على عقب وبمعنى التحوّل، وللمفسرين تعابير مختلفة فى تفسير هذه الجملة تشير جميعها إلى الخوف والاضطراب الشديد الذى يهيمن على ظاهر وباطن الإنسان وعلى بصره وبصيرته.
«تَشْخَصُ»: من مادة «شخوص» بمعنى توقف العين والأجفان عن الحركة والتركيز بالنظر على نقطةٍ دون التفات.
والأصل فى «شخوص» على وزن (خلوص) هو بمعنى القيام أو الخروج، و «الشخص» من حيث إنّه يبدو من بعيد على هيئة بارزة اطلق عليه كلمة شخص، وخروج الإنسان من محلٍ آخر يطلق عليه الشخوص أيضاً.
و «شاخص»: المشتق من نفس هذه المادة أيضاً بمعنى الجسم المرتفع الذى يستخدم لقياس الوقت وأمثال ذلك «۱».
وبما أنّ عين الإنسان حين التعجب والتحديق كأنّها تريد أن تخرج من حدقتها فقد استعمل هذا التعبير فى عدة موارد، بلى إنّ الناس فى عرصة المحشر يصبحون أُسارى الخوف بنحوٍ يجعل عيونهم تتوقف عن الحركة وتشخص وكأنّها تريد أن تخرج من حدقتها، وهذه الحالة تظهر لدى الإنسان أحياناً فى حال الاحتضار.
ومن البديهى أن تكون هذه الحالات أشد بكثير عند المذنبين والمجرمين، ولذا جاء فى القرآن المجيد: «وَاقْتَرَبَ الْوَعْدُ الْحَقُّ فَإِذَا هِيَ شَاخِصَةٌ أَبْصَارُ الَّذِينَ كَفَرُوا». (الأنبياء/ ۹۷)

---

(۱) مفردات الراغب؛ ومقاييس اللغة؛ والمصباح؛ والتحقيق فى كلمات القرآن الكريم.
نفحات القرآن، ج۵، ص: ۷۵

## ۴۳- يوم يتذكَّرُ الإنسان ما سعى

هذا التعبير أيضاً من التعبيرات التربوية التى وردت مرّة واحدة فى القرآن المجيد، قال تعالى: «يَوْمَ يَتَذَكَّرُ الْإِنْسَانُ مَا سَعَى . (النازعات/ ۳۵)
هذا التذكّر والانتباه إمّا أن يحصل بسبب مشاهدة صحيفة الأعمال، وإمّا بسبب تجسم الأعمال، أو بسبب شهادة الجوارح أو الملائكة التى تشهد على الأعمال أمام اللَّه، أو بسبب ارتفاع الحجُب عن قلب وروح الإنسان وزوال ما يسبب الغفلة والنسيان.
ولذا تبرز جميع الحقائق المكنونة ويتذكّر الإنسان كل سعيه ومحاولاته، ولكن ياللحسرة فلا مجال أمامه لجبران الخطايا والتقصير والغفلة.
وجاء هذا التعبير بصورة اخرى فى الآية «وَجِيءَ يَوْمَئِذٍ بِجَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ يَتَذَكَّرُ الْإِنْسَانُ وَأَنَّى لَهُ الذِّكْرَى ، ثم يضيف إلى ذلك: «يَقُولُ يَالَيْتَنِي قَدَّمْتُ لِحَيَاتِي». (الفجر/ ۲۳)
إنّه أسف وحسرة لا فائدة منها هناك أبداً سوى مضاعفة المعاناة والألم.
وكلمة «لحياتى» تثير الانتباه، وهى تدل على أنّ الحياة الحقيقية هى الحياة الآخرة، وأنّ الحياة الدنيا لا تستحق حتى اطلاق اسم الحياة عليها، وعلى حد تعبير القرآن ماهى إلّالهو ولعب.
والهدف هو انذار سائر بنى الإنسان بأن يستفيدوا من الفرصة المتاحة أمامهم قبل الابتلاء بمثل هذا البلاء فالتذكّر فى ذلك اليوم لا ينفع مثقال ذرّة.

## ۴۴- يوم تأتى كُلُّ نفسٍ تُجادلُ عن نفسها

هذا التعبير يرسم صورة اخرى لذلك اليوم العظيم، قال تعالى «يَوْمَ تَأْتِى كُلُّ نَفْسٍ تُجَادِلُ عَنْ نَّفْسِهَا». (النحل/ ۱۱۱)

نعم إنّ الرعب والخوف من العذاب والعقاب الإلهى يسيطر على وجود الإنسان ممّا

نفحات القرآن، ج۵، ص: ۷۶

يجعله ينسى أعزّ أحبائه، فهو لا يهتم بالأبناء ولا بالزوجة ولا بالوالدين ولا بأعز الأصدقاء، ولا يهتم إلّابانقاذ نفسه لا غير.

وجاء فى الحديث الشريف: «كُلُّ احدٍ يقولُ يومَ القيامة نفسى نفسى من شدّة هول يوم القيامة سوى محمد صلى الله عليه و آله فإنّه يُسأَلُ فى امته» «۱».

## ۴۵- يومَ يقومُ الناسُ لِرَبِّ العالمين

هذا التعبير فى الواقع هو توضيح لاسم (القيامة) فى قوله تعالى: «يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ العَالَمِينَ». (المطففين/ ۶)

إنّه قيام يدل على جدّية الموقف فى ذلك اليوم، ودليلٌ على الحضور فى محكمة كبرى ودليل على خضوع جميع الأعمال للحساب.

ومن الجدير بالذكر أنّ القرآن المجيد أتى بهذا التعبير فى سورة المطففين لتحذير وتنبيه الذين يبخسون الميزان، قال تعالى «أَلَا يَظُنُّ أُولئِكَ أَنَّهُمْ مَّبْعُوثُونَ* لِيَوْمٍ عَظِيمٍ» ثم يضيف «يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ». (المطففين/ ۴- ۵)

أى أنّهم لو كانوا على يقينٍ بأنّ مثل هذا «الحضور» و «القيام» فى يوم كهذا واقع حتماً لما ارتكبوا السيئات أبداً، ولكن للأسف أنّ حب الدنيا والغفلة والغرور وطول الأمل ظلل على أفكارهم وقلوبهم وأرواحهم ظِل الشؤم والظلام ممّا جعلهم يغفلون هذه الحقائق.

جاء فى احدى الروايات «عن إبن عمر وهو من أصحاب الرسول الأكرم صلى الله عليه و آله و سلم أنّه وعند قراءته لسورة المطففين: لمّا بلغ قوله «يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمينَ» بكى بكاءً شديداً أعجزه عن مواصلة القراءة» «۲».

---

(۱) تفسير القرطبى، ج ۶، ص ۳۸۰۹.

(۲) تفسير الكبير، ج ۳۱ ص ۹۰؛ تفسير القرطبى، ج ۱۰، ص ۷۰۴۶.

نفحات القرآن، ج۵، ص: ۷۷

## ۴۶- يوم يقوم الاشهاد

## ۴۷- يومَ يقوم الروحُ والملائكة صفاً

التعبيران المذكوران أعلاه يذكّران بجانب آخر من أبعاد ذلك اليوم العظيم ويتركان أثراً اخلاقياً كبيراً لدى الإنسان، ويشتملان على مناجاة تستهوى القلب والروح.

فى التعبير الأول يصف ذلك اليوم ب «وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَادُ». (المؤمن/ ۵۱)

و «أشهاد»: جمع «شاهد» أو «شهيد» (مثل «أصحاب» التى هى جمع «صاحب»، و «اشراف» جمع «شريف») والأشهاد هنا هم شهود يوم القيامة، ويرى بعض المفسرين أنّ المراد من الأشهاد هم فقط الملائكة الذين يراقبون الأعمال، ويرى البعض الآخر أنّ المراد بهم الأنبياء عليهم السلام والمؤمنون جميعاً.

ويرى آخرون أنّ المراد منهم جميع ماذكر بالإضافة إلى الجوارح التى تشهد على أعمال الإنسان أيضاً، ولكن نظراً لوجود التعبير «يقوم» فإنّ هذا التفسير يبدو بعيد الاحتمال.

والتعبير ب «قيام» فى مواردٍ كهذه هو بيان للوضع الخاص المتعارف عليه فى‌المحاكم وهو قيام الشهود عند الادلاء بشهادتهم؛ وذلك تأكيداً لجدّهم وحزمهم فى أداء الشهادة واحتراماً لرسمية ووضع المحكمة.

على أيّة حال فهو يومٌ لايكفى فيه شاهد واحد فحسب بل يشهد فيه شهود كثيرون فى تلك المحكمة العظمى شهادة تكون مصدر عز وفخر للمؤمنين وتأتى بالخزى والذلة للمجرمين، شهادة تحيط بكل شىء ولا يخفى على شهودها شىء، شهادة لا يسع المجرمون انكارها أبداً وتكون مدعومة بالقرائن الكثيرة حتى لا يبقى أمامهم طريق إلّاالتسليم والاذعان.

ومن هنا ينبغى الامعان فى المعانى التى يحملها هذا الوصف عن القيامة وإلى مدى ما بلغت من التأثير والجذابية.

وفى الآية الثانية عبّر عن ذلك اليوم ب «يَوْمَ يَقُومُ الرُّوحُ والْمَلَائِكَةُ صَفاً». (النبأ/ ۳۸)

بما أنّ «الصف» له معنىً مصدرى ويستعمل فى الجمع والمفرد على السواء، فقد رأى

نفحات القرآن، ج۵، ص: ۷۸

جمع من المفسرين احتمال أن يكون المراد من الصف هو بيان صفوف مختلف الملائكة، أو المراد منه صفّان على الأقل يستقر الروح فى الصف الأول وفى الصف الثانى بقية الملائكة.

وفى الجواب عن ما هو المراد من «الروح» هنا؟ اختلفوا على أقوال عدّة بلغت الثمانية أقوال أو أكثر، ومن بين هذه التفاسير المشهورة:

۱- الروح هو أحد ملائكة اللَّه المقربين، وهو أفضل من جميع الملائكة حتى جبرائيل عليه السلام، وهو الذى كان يرافق الأنبياء والأئمة المعصومين عليهم السلام.

۲- المراد به هو جبرائيل الأمين حامل وحى اللَّه.

۳- المراد به هو أرواح الموتى ولكن قبل إلحاقها بالأبدان.

۴- المراد به هو مخلوق عظيم لا من صنف البشر ولا من صنف الملائكة.

۵- المراد به هو القرآن المجيد، ومعنى قيامه هو ظهور آثاره فى مشهد المحشر.

وقد استُدل على كلٍ من هذه التفاسير المذكورة ببعض آيات القرآن.

مع أنّ للروح معانٍ مختلفة فى مختلف آيات القرآن، وأكثر هذه التفاسير قرباً للصحة كما يبدو هو التفسير الأول، وقد ورد هذا التفسير صريحاً فى بعض روايات المعصومين عليهم السلام.

فعن على بن إبراهيم باسناده عن الإمام الصادق عليه السلام قال: «هو ملك أعظم من جبرائيل وميكائيل» «۱».

وروى عن ابن عباس أيضاً بأنّه قال: أنّ النبى صلى الله عليه و آله قال: «الروح جند من جنود اللَّه ليسوا بملائكة لهم رؤوس وأيد وأرجل، ثم قرأ: «يَوْمَ يَقُومُ الرُّوحُ وَالْمَلَائِكَةُ صَفّاً» قال: هؤلاء جند وهؤلاء جند» «۲».

---

(۱) تفسير مجمع البيان، ج ۱۰، ص ۴۲۷.

(۲) تفسير القرطبى، ج ۱۰، ص ۶۷۷۷.

نفحات القرآن، ج۵، ص: ۷۹

## ۴۸- يومَ لا ينفعُ مالٌ ولا بنون

## ۴۹- يوم لا بيعٌ فيه ولا خِلالٌ

ينعكس فى هـذين التعبيرين نداءان آخران متقاربان فى الافق حول اوضاع ذلك اليوم العظيم، ففى التعبير الأول قال تعالى: «يَوْمَ لَايَنْفَعُ مَالٌ وَلَابَنُونَ* إِلَّا مَن أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ». (الشعراء/ ۸۸- ۸۹)

وفى التعبير الثانى قال تعالى: «يَوْمٌ لَابَيْعٌ فِيهِ وَلَا خِلَالٌ». (إبراهيم/ ۳۱)

فى الواقع أنّ رأسـمال هـذه الـدنيا يتلخص فى ثلاثـة أشـياء: المـال والثروة، والأولاـد الراشـدون، والأصـدقاء الأوفيـاء، لكن معضـلات المحشـر وابتلاءاته المهيبة لا يمكن الخلاص منها بالمال والثروة ولا بمعونة الأولاد ولا الأصدقاء، ولو افترضـنا أنّ جميع أموال الإنسان تنقل إلى هناك وكان جميع الأولاد والأصـدقاء إلى جانبه فهذا لا يحل حتى عقدة واحدة من مشاكله، وذلك لأنّ المقاييس والمعايير هناك شـىء آخر، والمنقـذ فى المحشـر هو الإيمان والعمل الصالـح والقلب السـليم، القلب الخالى من أى شـرك ورياء ولا يوجد فيه مكان لما سوى اللَّه.

أغلب المشـكلات فى هذه الدنيا يمكن حلّها عن طريق المال والثروة وتقديم الفدية والخسائر والرشوة وما شابه ذلك بصورةٍ مشروعة أو غير مشـروعة، ويمكن حل كثير من المصاعب أيضاً بواسـطة الجهود الإنسانية بالأخص الأولاد الطيبين والأصدقاء المخلصـين، وبناءً على ذلك فإنّ أغلب مشاكل هذا العالم تُحل بهذه السبل، بينما لا يكون لهذه الامور أى تأثير هناك.

ولا شك فى أنّ المراد من المال والأولاد هنا هو غير الأولاد الـذين اسـتخدموا فى الطريق المؤدى إلى رضوان اللَّه، أو الأصدقاء الذين يمكنهم الشفاعة عند اللَّه، بل المراد هو أنّ هذه الامور لو نقلت إلى هناك بمجرّدها فهى لا تغنى شيئاً.

ولذا جاء فى قوله تعالى: «الْأَخِلّاءُ يومَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلّا الْمُتَّقِينَ»!

(الزخرف/ ۶۷)

نفحات القرآن، ج۵، ص: ۸۰

## ۵۰- ... يوماً لا تجزى نفسٌ عن نفسٍ شيئاً

## ۵۱- يوم لا تملكُ نفسٌ لنفسٍ شيئاً

## ۵۲- يوم لا يجزى والدٌ عن ولده

أحـد طرق الاخلاـص من مخـاطب العقوبـات فى هـذه الـدنيا هو أن يتقبـل شـخص التبعـات التى تترتب على الآـخر نيابـة عنه ويؤدّى الغرامات المالية التى تحملها الشخص الآخر ويتقبل عقوبة ذنبه برحابة صدر وطيب نفس.

يبيّن القرآن الكريم فى الآيات المذكورة أعلاه والتى هى من صفات يوم القيامة عدم جواز إلقاء أوزار أعمال أحد على عاتق الآخرين مطلقاً، فالكل مسؤول عن أعماله وهو لوحده يتحمل جزاءها فيؤدّى ثمن ما اقترف من جرائم وذنوب.

ففى الآية الاولى التى وردت فى القرآن المجيد مرتين قال تعالى: «وَاتَّقُوا يَوْماً لَاتَجْزِى نَفْسٌ عَنْ نَّفسٍ شَيْئاً». (البقرة/ ۴۸- ۱۲۳)

وجاء هذا المعنى باختلاف ضئيل فى الآية الثانية، قال تعالى: «يَوْمَ لَاتَمْلِكُ نَفْسٌ لِنَفْسٍ شَيْئاً». (الانفطار/ ۱۹)

وفى الآية الثالثة ركّز على مورد متميز فقال: «وَاخْشَوا يَوْماً لَّايَجْزِى وَالِدٌ عَن وَلَدِهِ وَلَا مَوْلُودٌ هُوَ جَازٍ عَن وَالِدِهِ شَيْئاً». (لقمان/ ۳۳)

إنّ العلاقـة بين الأـب والأولاد تقوم على أساس «العاطفـة والمحبّـة»، وتقوم العلاقـة بين الأولاد والأب على أساس «الاحترام والمحبّـة»،

وفى الواقع أنّ هـاتين العلاقتين هما أقرب وأقوى الروابط العاطفيـة لـدى الإنسان، ولكن رعب وخوف يوم القيامـة يبلغ حـداً من الهول العظيم ممّا يجعل هذه الروابط تتلاشى وتذوى وتبلغ حدّاً يؤدّى إلى أن لا يفكّر أحد إلّا بنفسه، دون غيره.

وأفادَ عدد من المفسرين فى تفسير الآيات المذكورة بأنّ «لا تجزى» أتت بمعنى «لا تغنى» «۱».

---

(۱) تفسير مجمع البيان، ج ۱، ص ۱۰۳؛ وتفسير الميزان، ج ۱۶، ص ۲۵۱؛ وتفسير روح البيان، ج ۱، ص ۱۲۷.

نفحات القرآن، ج۵، ص: ۸۱

قال «الراغب» فى «المفردات»: الجزاء فى الأصل بمعنى الاسـتغناء والاكتفاء، واطلقوا على الثواب والعقاب جزاء لأنّهما يكفيان لإصلاح العمل المرتكب، وجاء نفس هذا المعنى فى مقاييس اللغة أيضاً.

ومن الجـدير بالـذكر أنّ الخطـاب فى الآيتين الاوليين موجّهٌ إلى بنى اسـرائيل الـذين يضـرب بهم المثل على مـدى الـدهور بالتعصّـب العرقى والقومى، فالقرآن ينذرهم بقوله: أنتم الذين تحملون روح التعصب فيما بينكم فسوف تنسون كل شـىء فى ذلك اليوم العظيم، كل شىء إلّاأنفسكم.

والحقائق الناصعة التى تحملها هذه الآيات لا تحتاج إلى توضيح؛ وذلك لأنّها تُثبتُ بوضوح أنّ أهوال يوم القيامة والوقائع الصعبة التى تقع فى ذلـك اليوم العظيم لا ـ مثيـل لها فى هـذه الـدنيا، ففى هـذه الـدنيا يوجـد الكثير ممن يضـحّى للآخرين بنفسه من أجل الروابط العاطفية، ولكن هذا الأمر لا يَصْدُق فى يوم القيامة على أحد.

## ۵۳- يوم تبيضُّ وجُوهٌ وتسودُّ وجُوهٌ

هـذا التعبير الـذى جاء فى مورد واحد من القرآن المجيد هو بيانٌ لبعدٍ آخر من أبعاد ذلك اليوم العظيم ويعكس صورة اخرى عن يوم المحشر، قال تعالى: «يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ». (آل عمران/ ۱۰۶)

والوجوه المنيرة هى لأولئـك الـذين تنعّموا بنور الإيمان فيظهر هـذا النور على وجوههم لأنّ يوم «القيامـة هو يوم تبرز فيه السـرائر» قال تعالى: «وَ أَمَا الَّذِين ابْيُضَّتْ وُجُوهُهُمْ فَفِى رَحْمَةِ اللَّهِ هُمْ فِيها خَالِدُونَ». (آل عمران/ ۱۰۷)

أمّا أصـحاب القلوب المظلمـة الـذين خَلَتْ قلوبهم من النور، والكفار والمجرمون الذين اسودّت قلوبهم فإنّ ظلمات باطنهم تخرج إلى ظاهرهم، ويُغمرون فى عذاب اللّه ويقال لهم:

«فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ». (آل عمران/ ۱۰۶)

نفحات القرآن، ج۵، ص: ۸۲

وهـذا التعبير المـذكور أعلاه انعكس بصورة اخرى فى آيـات القرآن المجيـد أيضـاً، ففى احـدى الصور قـال تعـالى «كَأَنَّمَـا اغْشِـيَتْ وُجُوهُهُم قِطَعاً مِّنَ الَّيْلِ مُظلِماً». (يونس/ ۲۷)

وجاء فى صورة اخرى قال تعالى «وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ مُسْفِرَةٌ* ضَاحِكَةٌ مُسْتَبْشِرَةٌ». (عبس/ ۳۸- ۳۹)

وفى الثالثة: «وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ عَلَيْهَا غَبَرَةٌ* تَرْهَقُهَا قَتَرَةٌ». (عبس/ ۴۰- ۴۱)

متى تَحِلُّ هذه الواقعة؟ ومتى تبيضُّ وجوهٌ وتسودُّ وجوهٌ اخرى

يرى البعض أنّ هذا سـيقع عندما تتفرق الصـفوف عن بعضها للورود إلى الجنّة أو الدخول إلى النار، ويرى البعض الآخر أنّ هذا سيقع عند مشاهدة صحائف الأعمال، ويرى آخرون إنّه سيقع عند الخروج من القبور أو عند الوقوف إزاء ميزان العدل الإلهى.

ولكن بما أنّ ذلك اليوم هو يوم إبراز وظهور حقائق الأفراد والأعمال فإنّه يبدو أنّ وقوع هذا الأمر يتمّ فى أول وهلة عند خروج الناس

من القبور ويستمر فيما بعد.

من هم أصحاب الوجوه البيض ومن هم أصحاب الوجوه السود؟

للمفسرين فى الجواب على ذلك احتمالات عديدة، وأحياناً حصروا ذلك فى أشخاص محدودين، ولكن الظاهر أنّ جميع المؤمنين أصحاب العمل الصالح يكونون فى صف أصحاب الوجوه المبيضة وجميع أهل الكفر والمجرمين فى صف أصحاب الوجوه المسودّة.

وأخيراً أراد بعض المفسرين أن يحمل هذين التعبيرين على مفهومهما المجازى فقالوا البياض هو لبيان السرور والفرح والسواد لبيان الغم والهم «۱».

ولكن لا يوجد هناك ضرورة لارتكاب مثل هذه المخالفة للظاهر، بل يجب حمل الآية على المعنى الحقيقى لها، فعندما يقول القرآن: «يَسْعَى نُورُهُمْ بَيْنَ أَيْدِيْهِمْ وَبِأَيْمَانِهِمْ». (حديد/ ۱۲)

فما الذى يثير العجب من أن تكون هناك وجوه بيض منيرة ووجوه سود مظلمة؟

---

(۱) تفسير المراغى، ج ۴، ص ۲۵.

نفحات القرآن، ج۵، ص: ۸۳

وما أعظم خوف ذلك اليوم حقّاً! عندما يظهر ما فى قلب الإنسان وروحه على وجهه، إنّه يوم الخزى العظيم لسود القلوب ويوم الكرامة الكبرى لبيض القلوب، ولهذا السبب يكون المؤمنون فى ذلك اليوم موضع احترام وتكريم فى المحشر ويكون الكافرون مورد لعنٍ وطرد!

## ۵۴- ويخافون يوماً كان شرُّهُ مسطيراً

هذا التعبير جاء فى موردٍ واحد من القرآن الكريم عند وصف الأبرار والمحسنين، قال تعالى: «وَيَخَافُونَ يَوْماً كَان شَرُّهُ مُسْتَطِيراً». (الإنسان/ ۷)

«مستطير»: من مادة «طيران» وهى هنا بمعنى واسع ومذبذب، لذا فسّرها البعض بمعنى الشى الذى اتّسع بشكل خارق للعادة، واطلق هذا التعبير على الفجر عندما ينبسط فى الافق فقالوا: «فجرٌ مستطيرٌ».

و «الشر»: جاء هنا بمعنى عذاب يوم القيامة، أو الخوف والرعب من ذلك اليوم الذى ينتشرُ حتى يغطى جميع الأرض والسماء ممّا يجعل الملائكة أيضاً يتملَّكهُمُ الخوف، هناك يَتَمَلَّكُ الخوفُ الجميعَ لا المجرمين والمسيئين فحسب، بل حتى المؤمنين والمحسنين يتملّكهم الخوفُ وذلك لأنّهم لا يعلمون ما ينتهى إليه مصيرهم أو مآلهم.

والجدير بالذكر أنّه يُعتبرُ فى الآية المذكورة الخوفُ من مثل هذا اليوم من الصفات الممدوحة والامور الايجابية فى أخلاق الأبرار الطاهرين؛ وذلك لأنّ خوفاً كهذا يكون نابعاً من التقوى والتوجُّهِ إلى الطاعة المطلقة للخالق جلّ شأنهُ.

## ۵۵- يوم يفرُّ المرءُ من أخيه

التعبير أعلاه والذى ورد ذكره مرّة واحدة فى القرآن المجيد هو تجسيم آخر بيِّنٌ لمشهدِ يومِ القيامة، قال تعالى «يَوْمَ يَفِرُّ الْمَرْءُ مِن أَخِيْهِ* وَأُمِّهِ وَأَبِيْهِ* وَصَاحِبَتِهِ وَبَنِيْهِ* لِكُلِ

نفحات القرآن، ج۵، ص: ۸۴

إِمْرِءٍ مِّنْهُمْ يَوَمِئذٍ شَأنٌ يُغْنِيهِ». (عبس / ۳۴- ۳۷)

من الطبيعى أن يكون أقرب وأحبّ الأفراد للإنسان هم الأخوة والأم والأب والزوجة والأولاد، ومن العجيب أنّ القرآن لم يقُلْ إنَّ الإنسان فى غفلة عن هؤلاء فى ذلك اليوم بل قال: إنّه يفرُّ من الأُمّ التى كان يحبها كثيراً أو الأب الذى يكُنُّ له التقديرَ والاحترام ومن الزوجة التى كان يعشقها، والأولاد الذين كانوا ثمرة قلبه ونور عينيه! بلى إنّه يفرّ منهم جميعاً!

إنّ هؤلاء كانوا ملجأً له من مشاكل الدنيا، وسكناً له فى المصائب الشدائد ولكن ما الذى يحدثُ هناك بحيث يفرّ منهم؟!

إن صيحة يوم البعث والذى عبر عنها القرآن الكريم ب «الصاخة» والتى وردت فى الآية التى سبقت الآيات المذكورة فى موضوع بحثنا، حيث وصفت هذه الصيحة بالعظمة بحيث تمزق عُرى كافة الأواصر، وهذا الصوت من الرهبة بحيث يدخل الرعب والرهبة على القلوب ويصم الآذان.

فلماذا يفرّ المرءُ؟

هل يفرّ خوفاً من الفضيحة أمام أقرب الخلق إليه؟

أو خوفاً من تبعات الذنوب التى ارتكبها؟

أو يفرّ من حقوق الناس التى تثقل عاتقه؟ فمن المحتمل أن يطالبه هؤلاء بحقوقهم فى ذلك اليوم الذى تكون فيه يد الإنسان خالية من كلّ شىء!

أو لا هذا ولا ذاك بل إنّه يهرب من شدّة الخوف والرعب فى المحشر حيث إنّ هذا الموقف يُرغمُ كلَّ إنسانٍ على الهرب أحبّته والاهتمام بنفسه ولا غير، كى يجد لها مخلصاً ممّا هى فيه.

إنّ كل واحد من هذه الامور الأربعة يكفى لوحده أن يكون مدعاة للهرب والخلاص فكيف الحال إذا اجتمعت معاً؟

جاء فى الحديث الشريف إنّ أحد أقرباء النبى الأكرم صلى الله عليه و آله سأله عن: ثلاثة مواقف يوم القيامة لا يفكر أحد إلّابنفسه: ۱- الميزان ۲- الصراط ۳- تطاير الكتب «۱».

---

(۱) تفسير البرهان، ج ۴، ص ۴۲۹، ح ۱.

نفحات القرآن، ج۵، ص: ۸۵

## ۵۶- يوماً يجعلُ الولدان شيباً

هذا التعبير الذى ورد ذكره فى القرآن المجيد مرّة واحدة تصوير أو تجسيد آخر للوقائع المروّعة لذلك اليوم العظيم، فقد خاطب الكفار والمشركين فقال تعالى «فَكَيفَ تَتَّقُونَ إنْ كَفَرْتُمْ يَوْماً يَجْعَلُ الْوِلْدَانَ شِيباً» «۱»

- «۲». (المزّمل / ۱۷)

إنّ هذا التعبير من أبلغ التعابير التى تميط اللثام عن الوقائع المرعبة لذلك اليوم كما تؤثّر تلك الوقائع على عالم الطبيعة وعلى الجبال والصحراء وتجعلها هباء وتؤثر كذلك فى هذا الإنسان الترابى بحيث الاضطراب والخوف والانقباض إلى درجة تشيبُ الولدانُ من هولها.

وحمل بعض المفسرين هذا التعبير على معناه الحقيقى أى أنّ آثار المشيب تظهر على الأطفال حقيقة وإن كانت الفاصلة الزمنية بين الطفولة والمشيب كبيرة، وجاءوا لإثبات ذلك بأدلة أيضاً، فإننا فى هذه الدنيا نشاهد أفراداً يبيضُّ شعر رؤوسهم خلال عدّة أيّام أو حتى لعدّة ساعات من شدّة المصاب الذى يحلّ بهم، فإن كان بوسع أحداث هذه الدنيا أن تؤثر مثل هذا التأثير على الإنسان فإنّ وقائع

المحشر التی هی أشدّ وأصعب کثیراً ستؤثر مثل هذا التأثیر لا محالة.
ولکنَّ جمعاً من المفسرین حملوه علی المعنی المجازی لأنّ مثل هـذه الکنایة من الامور الشائعة علی ألسنة العرب وغیرهم، فإنّهم من أجل بیان عظمة احدی الشدائد یقولون:
«شیبنی هذا الأمر»!
وکلا التفسیرین وجیه بالنسبة لهذه الآیة، أمّا ما قیل بأنّ مشیب الأطفال یحصل من طول ذلک الیوم فهذا بعید، لأنّ هذه الآیة مثل کثیر من الآیات الاخری المختصة بالقیامة ناظرة إلی الوقائع المروعة لذلک الیوم، والآیات السابقة لهذه الآیة والتی تتحدث عن دَکِّ الجبال تصلح دلیلًا مؤیداً لهذا القول.

---

(۱) یری جمع من المفسرین أنّ «یوماً» الذی جاء فی الآیة المذکورة أعلاه هو ظرف ل «یتّقون»، ولکن احُتمِل بأنّه «مفعول به» لیتقون، ففی هذه الصورة قدّروا کلمة عذاب فی الآیة فتصبح الآیة علی هذا بهذه الصورة: فکیف تتقون إن کفرتم (عذاب) یوم یجعل الولدان شیباً.
(۲) «شیب» علی وزن (فِعْل) جمع «أشْیَب» بمعنی الشیخ المُسِن، ومادة شَیب علی وزن (فَعْل) بمعنی تغیّر لون الشعر من الاسود إلی الابیض.
نفحات القرآن، ج۵، ص: ۸۶

## ۵۷- هذا یومُ لا ینطقون

ورد ذکر هذا التعبیر مرّة واحدة أیضاً فی سورة المرسلات، قال تعالی «هذَا یَوْمُ لَایَنْطِقُونَ». (المرسلات/ ۳۵)
هـل یکون الفزع والخوف العظیم الحاصل فی القیامة السبب فی توقف ألسنتهم عن النطق کما هو الحال فی الدنیا عندما تصیب الإنسان داهیة تجعله لایستطیع الکلام؟!
أم لأنّهم لا یمتلکون خطاباً ولا عذراً وحجةً؟! أم تتوقف الألسن عن التکلم بأمر اللَّه وتشهد الجوارح علی أعمالهم؟ کما جاء فی الآیة الکریمة: «الْیَومَ نَخْتِمُ عَلَی أَفْوَاهِهِمْ وَتُکَلِّمُنَا أَیْدِیهِمْ وَتَشْهَدُ أَرْجُلُهُم بِمَا کَانُوا یَکْسِبُونَ». (یس/ ۶۵)
من الممکن أن تجتمع هـذه التفاسیر الثلاثة معاً فی الآیة، وإن کان التفسیر الثالث أکثر مناسبة، علی أیّة حال فإنّ هذا لایمنع من أن یتکلّم الإنسان فی بعض مواقف القیامة بأمر اللَّه، لأنّ القیامة لها مواقف مختلفة، وقد اتضح من خلال الآیات القرآنیة أنّ المجرمین فی بعض هذه المواقف یکونون صُمّاً بُکْماً لاینطقون وأنّهم فی مواقف اخری یتکلمون بأمر اللَّه.

## ۵۸- یوَم یُکشَفُ عن ساقٍ ویُدْعَونَ إلی السُّجودِ فلا یستطیعون

ونواجه هنا أیضاً من خلال هـذا التعبیر الدقیق والفرید من نوعه وجهاً عبوساً آخر لذلک الیوم العظیم، قال تعالی : «یَوْمَ یُکْشَفُ عَنْ سَاقٍ وَیُدْعَونَ إِلَی السُّجُودِ فَلَا یَسْتَطِیعُونَ». (القلم/ ۴۲)
یری الکثیرُ أو جمعٌ من المفسرین بأنّ التعبیر: «یُکْشَفُ عَن سَاقٍ» هو کنایة عن هولِ المطلع وشدّة الخوف والفزع، وذلک لأنّ الناس قدیماً کانوا یرفعون الأکمام عن أذرعهم ویرفعون أذیال ثیابهم إلی المحزم تأهباً عند مواجهة الشدائد والحوادث وفی هذه الحالة تکون السیقان مکشوفة طبعاً.

ويرى بعضٌ من المفسرين أنّ هناك احتمالًا آخر في تفسير هذه الآية وهو إن «ساق»

نفحات القرآن، ج۵، ص: ۸۷

بمعنى الأصل والأساس لكل شيء (مثل ساق الشجرة)، وبناءً على هذا تكون جملة «يُكشَفُ عن ساقٍ» دليل على ظهور وبروز حقائق الأشياء في ذلك اليوم «۱».

وعلى أي حال فإنّ الجميع يُدعون في ذلك اليوم المرعب للسجود أمام عظمة خالق الكون فيسجد المؤمنون، ومن المحتمل أن تكون هذه السجدة من بواعث اطمئنان القلب والروح، أما من تلوث قلبه بالكفر والذنوب فلا يستطيع السجود.

جاء في الحديث عن الإمام الرضا عليه السلام في قوله: «يَوْمَ يُكْشَفُ عَن سَاقٍ وَيُدْعَونَ إِلَى السُّجُودِ» قال: «حجاب من نور يكشف فيقع المؤمنون سجداً وتدمج اصلاب المنافقين فلا يستطيعون السجود» «۲».

وقال البعض إنّ المراد من «يَوْمَ يُكشَفُ عَن سَاقٍ» هو ظهور النور الإلهي.

## ۵۹- يومَ لا ينفعُ الظالمين معذرتهم

هذا التعبير أيضاً يوضّح واقعة اخرى مؤلمة من وقائع ذلك اليوم، قال تعالى «يَوْمَ لَايَنْفَعُ الظَّالِمِينَ مَعْذِرَتُهُمْ وَلَهُمُ اللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوءُ الدَّارِ». (غافر/ ۵۲)

من المتعارف في هذه الدنيا اللجوء إلى الاعتذار وطلب المغفرة من أهل النجاة من مخالب العقوبات، لكنّ طبيعة يوم القيامة تكون على نحوٍ لا مجال فيه لعذر الظالمين، لأنّ ذلك اليوم وُضِع أساساً لجني الأعمال لا لترميم الماضي الذي يعتبر نوعاًمن العمل.

في بعض الآيات السابقة اتضح لنا عدم الاذن لهم بالاعتذار في ذلك اليوم، وفي البعض الآخر من الآيات اتضح أنّهم وإن اعتذروا بألسنتهم إلّاأنّ ذلك الاعتذار أيضاً لا ينفعهم، فبناءً على هذا لا يبقى أمامهم إلّاطريق الاستسلام للغضب الإلهي وبئس المصير.

ويخاطب القرآن الكريم جميع الناس في هذا التعبير بأن يسارعوا لطلب العفو من اللَّه

---

(۱) تفسير روح المعاني، ج ۲۹، ص ۳۵؛ تفسير القرطبي، ج ۱۰، ص ۶۷۲۸.

(۲) تفسير نور الثقلين، ج ۵، ص ۳۹۵، ح ۴۹.

نفحات القرآن، ج۵، ص: ۸۸

لمحو آثار الذنوب فإنّ محوها غير ممكن إلّافي هذه الدنيا، ومحو آثار الظلم عن طريق أداء حق المظلومين، فيجب الاستفادة من هذه الفرصة وإلّا فإنّ في ذلك الموقف العظيم والمحكمة الكبرى لا ينفع الندم ولا الاعتذار ولا البكاء والعويل.

## ۶۰- يومَ يعضُّ الظالمُ على يديه

هذا التعبير من التعبيرات الرهيبة أيضاً، وقد ورد ذكره مرّة واحدة في القرآن المجيد، قال تعالى «وَ يَوْمَ يَعَضُّ الظَّالِمُ عَلَى يَدَيْهِ يَقُولُ يَالَيْتَنِى اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلًا» ثم أعقبه تعالى «يَاوَيْلَتَى لَيْتَنِى لَمْ أَتَّخِذ فُلَاناً خَلِيلًا». (الفرقان/ ۲۷- ۲۸)

يعضُّ الإنسان أحياناً على أصابعه عند الندم للتأسُّفِ الشديد من الأعمال الماضية، ويعضُّ أحياناً على ظاهر كفّه أيضاً، وعندما يكون الندم والتحسّر شديداً جدّاً فإنّه يعضُّ على كلتا يديه بالتناوب، وهذا أروعُ تعبير لبيان شدّة الندامة والأسف.

بلى إنّ الظالمين يعضّون على أيديهم في ذلك اليوم العظيم بصورة مستمرّة، لأننا نعلم بأنّ أحد أسماء ذلك اليوم هو: «يَوْمُ الْحَسْرَة».

(مريم/ ۳۹)

ولكن ما الفائدة من ذلك؟ هل أنّ إدماءَ الأيدى بالأسنان والذى هو نوع من الانتقام من النفس يصلح لحلّ المشكلة، أو لجلب الاطمئنان؟ أم يزيدُ من ألم الظالمين ويجعل فضيحتهم اشنع؟!

جاء فى تفسير «الميزان» إن «الظالم» فى هذه الآية يشمل جميع الظالمين، كما أنّ «الرسول» أيضاً يشمل جميع الرُّسُل، (أى اللام فيهما للاستغراق) وإن كان الخطاب فى هذه الآية موجهاً إلى ظالمى هذه الامة والمراد من الرسول هو رسول اللَّه محمد بن عبداللَّه صلى الله عليه و آله.

وقد ذكروا أسباباً مختلفة لنزول هذه الآية يطول تفصيلها، ولكننا نعتقد بأنّ أسباب النزول لا تحدد مفهوم الآيات «۱».

---

(۱) للاطلاع أكثر راجع التفسير الأمثل، ذيل الآية ۲۸ من سورة الفرقان.

نفحات القرآن، ج۵، ص: ۸۹

## ۶۱- يومَ يُعرَضُ الّذِينَ كفروا على النّار

## ۶۲- يوم تقلّبُ وجوهُهُم فى النار

يلاحظ هنا أيضاً تعبيران متشابهان ومتقاربان لوصف مشهد ذلك اليوم العظيم: ففى التعبير الأول والذى ورد ذكره مرّتين قوله تعالى «وَيَوْمَ يُعْرَضُ الَّذِينَ كَفَرُوا عَلَى النَّارِ».

(الاحقاف/ ۲۰- ۳۴)

ففى الآية الاولى بعد ذكر هذا المقطع قال تعالى «أَذْهَبْتُمْ طَيِّبَاتِكُمْ فِى حَيَاتِكُمُ الدُّنْيَا وَاسْتَمْتَعْتُمْ بِهَا فَالْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ بِمَا كُنْتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ فِى الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَبِمَا كُنْتُمْ تَفْسُقُونَ».

وفى الآية الثانية قال تعالى «وَيَوْمَ يُعْرَضُ الَّذِينَ كَفَرُوا عَلَى النَّارِ أَلَيْسَ هَذَا بِالْحَقِّ قَالُوا بَلَى وَرَبِّنَا قَالَ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ».

لقد ورد التأكيد فى الآية الاولى لبيان أنّ السبب يقع على الجانب العملى، أى تلك اللّذات اللامشروعة والاستفادة المحرمة من الهبات الإلهيّة، وفى الآية الثانية جاء التأكيد على الجانب الاعتقادى الذى يكون سبباً فى هلاك أهل النار.

و من الملفت للنظر: إنّ بعض الآيات القرآنية تَذْكرُ بأنّ يوم القيامة يؤتى بالنار صوب المجرمين «وَجِئَ يَوْمَئِذٍ بِجَهَنَّمَ». (الفجر/ ۲۳)

ولكن فى هذه الآية التى هى محلّ بحثنا ذُكِرَ بأنّ الكفار هم الذين يساقون تجاهَ النار، وكأنّما هنالك قوّة جذب بينهما، فتارة يؤتى بجهنم صوبهم وأخرى يؤتى بهم إلى النار! ليتجرّعوا العذاب.

وفى التعبير الثانى يُشار إلى نوع آخر من أنواع العذاب المؤلم ليوم القيامة ويسمى ذلك اليوم باسم ذلك العذاب، قال تعالى «يَوْمَ تُقَلَّبُ وُجُوهُهُمْ فِى النَّارِ يَقُولُونَ يَالَيْتَنَا أَطَعْنَا اللَّهَ وَأَطَعْنَا الرّسولَا». (الاحزاب/ ۶۶)

وللمفسرين اقوال عدّة فى المراد من تقلّب الوجوه فى ذلك اليوم، فتارةً قيل إنّ المراد من التقلّب هو تغيّر لون الوجوه، فتكون مصفرّة وذابلة وأُخرى تصير محمرّة كالنار وثالثة تسودُّ وتصبح كقطع الليل.

نفحات القرآن، ج۵، ص: ۹۰

وقال البعض منهم إنّ المراد من التقلّب هو تقليب الوجوه كما تقلب الأشياء على النّار للطهى من طرفٍ إلى آخر، فهكذا يُفعلُ بوجوه المجرمين أيضاً فى ذلك اليوم العظيم.

وقيل إنّ المراد إلقاؤهم على وجوههم فى النار، والحكمة من ذكر الوجوه هنا هو إنّ الوجوه أشرف أعضاء بدن الإنسان وأجلّها لديه.
وهناك احتمال آخر أيضاً وهو الجمع بين التفاسير الثلاثة فى هذه الآية وإن كان التفسير الأول والثانى أقرب للصحة فعلى أيّة حال فإنّ الآية تُنبئُ عن الفاجعة الكبرى والعذاب العظيم الذى يواجهه المجرمون والكافرون والمعاندون يوم القيامة.
والخطاب الذى تحمله هذه الآية هو دعوة الناس إلى الاجتهاد فى طاعة اللّه ورسوله فى الدنيا قبل حسرة ذلك اليوم العظيم وقولهم ياليتنى ... والتى لا تعود عليهم بأيّة فائدة حينئذٍ؟ لماذا يرجّحون اليوم طاعة العباد الذين يتخلّقون بأخلاق الشيطان وطواغيت العصر على طاعة اللّه؟ الأمر الذى يكون السبب الرئيسى فى ندمهم يوم القيامة.

## ۶۳- يومَ يُدَعُّونَ إلى نارِ جَهَنَّمَ دَعّا

هذا التعبير أيضاً له شبه كبير بالتعبيرات السابقة، قال تعالى «يَوْمَ يُدَعُّونَ إِلَى نَّارِ جَهَنَّمَ دَعّاً». (الطور/ ۱۳)
ثم يقال لهم: «هَذِهِ النَّارُ الَّتى كُنْتُمْ بِهَا تُكَذِّبُونَ* أَفَسِحرٌ هَذَا أَمَ أَنْتُمْ لَاتُبْصِرُونَ».
(الطور/ ۱۴- ۱۵)
«يُدَعُّون»: من مادة «دَعّ» كما قال الراغب فى المفردات بمعنى «الطرد الشديد»، فهذا التعبير يدلّ على أنَّ نَفْسَ الأَخْذِ إلى جهنم أيضاً يكون مقروناً بالشدّة والفزع والخوف والاضطراب الشديد فى يوم القيامة العظيم، إن تصوّر هذا التعبير يكفى لأنّ يرتعد الإنسان ويفكر فى عاقبة أمره، ويوضح للإنسان عِظَمَ المصير الذى سوف يلاقيه.
وما أكثر التباين بين أصحاب جهنم وأصحاب الجنّة، حتى فى كيفية انتقالهم إلى مقرّهم
نفحات القرآن، ج۵، ص: ۹۱
النهائى! فقد جاء فى القرآن الكريم عن كيفية انتقال أهل الجنّة إليها: «سَلَامٌ عَلَيْكُمُ ادْخُلُوا الْجَنَّةَ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ». (النحل/ ۳۲)
وجاء فى موضع آخر بأنّ الملائكة تقول لهم: «سَلَامٌ عَلَيكُمْ بِمَا صَبَرتُم فَنِعْمَ عُقبى الدّارِ». (الرعد/ ۲۴)

## ۶۴- يومَ نَبطِشُ البَطْشةَ الكبرى

## ۶۵- يومٌ لا مَرَدَّ لهُ من اللّه

التعبير الأول تعبيرٌ مروّع عن ذلك اليوم العظيم، وذلك لأنّ اللّه عزوجل بعظمته وقدرته الخالدة يهدد الكافرين والمجرمين بأشدّ اسلوب فيقول: «يَوْمَ نَبْطِشُ الْبَطْشَةَ الْكُبْرَى إِنَّا مُنْتَقِمُونَ». (الدخان/ ۱۶)
فكلما أمعَنَ الإنسان النظر فى مفردات هذه الآية؟ كالتعبير ب «البطش» الذى يعنى الأخذ بالقوة والمصحوب بالهجوم، والتعبير ب «الكبرى الذى هو دليل على قوة البطش أو عظمته، والتعبير ب «إنا منتقمون» الذى هو جملة اسمية وبنفس الوقت مؤكّد ب «إنّ» فسوف يرتعد له بدنه، لأنّ اللّه الرحيم الغفور واللّه القادر القاهر يهدد بمثل هذا التهديد.
قال جمع من المفسرين واحتمل آخرون أنَّ الآية تدلّ على العقاب الشديد الذى أصاب المشركين فى غزوة بدر الكبرى لكنّ مفردات الآية تتناسب مع عذاب أكبر وأشدّ وأشمل، وهذا ممّا لا يصدق إلّاعلى عذاب الآخرة، بالإضافة إلى أنّ الآيات السابقة لها لا تناسب النزول فى غزوة بدر الكبرى
وفى التعبير الثانى أشير إلى بُعد آخر من أبعاد ذلك اليوم، قال تعالى «يَوْمٌ لّا مَرَدَّ لَهُ مِنَ اللَّهِ». (الشورى ۴۷)

فلا يوجد هناك سبيل لجبران الماضى ولا سبيل للعودة إلى هذه الدنيا لتدارك ما فات.

ويرى بعض المفسرين أنّ هذه الجملة تدل على حتمية وقوع ذلك اليوم لأنّه تعالى قال:

نفحات القرآن، ج۵، ص: ۹۲

«يَوْمٌ لَّا مَرَدَّ لَهُ مِنَ اللَّهِ»، أى أنّه واقعٌ حتماً، فعلى هـذا المعنى يكون مفهوم الآية قريباً من جملة «لا ريب فيه» التى وردت للتعبير عن يوم القيامة، لكنّ ذيل الآية: «مَالَكُمْ مِنْ مَلْجَإٍ يَوْمَئِذٍ وَمَالَكُمْ مِن نَّكِيرٍ» يناسب التفسير الأول.

وهناك احتمال آخر هو أنّ المراد من الآية أنّ أحداً لايستطيع فى ذلك اليوم مَنْع وايقاف العذاب الإلهى عنكم، وهذا المعنى يتناسب مع ذيل الآية.

فعلى أيّة حال فإنّ أىّ تفسيرٍ نرجّحه من بين هذه التفاسير فهو يحمل خطاباً بليغاً وشديداً.

## ۶۶- يومَ يَدْعُ الدّاعِ إلى شيٍ نُكُرٍ

هـذا التعبير الـذى ورد ذكره فى القرآن المجيـد مرّة واحـدة هو تعبير غـامض ومُفزعٌ، وينبّه الإنسـان إلى امور مهمّـة فيما يتعلق بـذلك اليوم، قال تعالى «يَوْمَ يَدْعُ الدَّاعِ إِلَى شَيءٍ نُّكُرٍ». (القمر/ ۶)

وللمفسّـرين احتمالات عدّة فى مسألة من هو «الداعى» فهل هو اللّه؟ أم الملائكة المقربون؟ مثل جبرئيل، أو اسرافيل الذى يدعو الناس إلى القيامة بواسطة نفخ الصور، فلو أخذنا بنظر الاعتبار الآية الشريفه: «يَوْمَ يَدْعُوكُمْ فَتَستَجِيبُونَ بِحَمْدِهِ». (الاسراء/ ۵۲)

فإنّ المعنى الأول يكون مناسباً، وإن كانت الآيات اللاحقة أكثر تناسباً مع الملائكة وعمّال الحساب والجزاء.

ما هو المراد من «شىء نُكُر»؟

هل يكمن هذا الشيءُ فى أنواع العذاب الرهيب التى لم تخطر على بال أحد من البشر؟

أم هو الحساب الدقيق للأعمال الذى لم يكن يتوقّعهُ أحد من قبل؟ أم هو مجموع هذين؟

فمهما يكن من شىء فهو أمر رهيب ومُفزع وعسير ومؤلم.

نفحات القرآن، ج۵، ص: ۹۳

## ۶۷- يوم يُسحبونَ فى النّار على وجوههم

إنّ الانذار الشديد الذى يحتوى عليه هذا التعبير عن القيامة عجيبٌ حقاً، قال تعالى

«يَوْمَ يُسْحَبُونَ فِى النَّارِ عَلَى وُجُوهِهِمْ ذُوقُوا مَسَّ سَقَرَ». (القمر/ ۴۸)

نحن نعلم بأنّ الوجه أشـرف محل فى الإنسان وفى نفس الوقت ألطف جزء من أعضاء البـدن، ونعلم بأنّ كثيراً من الأجزاء المهمّة مثل العين والفم والأنف توجـد فى الوجه، ومن جانب آخر نعلم بأنّ نار جهنم أشـد من نار الـدنيا بكثير فإنّ نار الـدنيا فى مقابل تلك النار ضئيلة أو محدودة جدّاً.

تصـوروا مـاذا سيحدث إذا سُحِبَ أحـدٌ فى النـار على وجهه؟ بالإضافـة إلى ذلـك فـإنّ هـذا العمـل دليـل على شـدّة التحقير لهؤلاء المستكبرين عُبّاد الذات، فعلى هذا يجتمع هناك العذاب الجسمى والعذاب الروحى فى آنٍ واحد.

ويوجد هناك احتمالان فى معنى «سَقَر» التى هى على وزن (سَفَر):

الاحتمال الأول: هو أنّها نفس جهنم

الاحتمال الثانى: أنّ المراد منها قسم معّين من جهنم الـذى هو مقرّ المتكبرين وذو حرارة عاليـة واحراقٍ شديد، والاحتمال الثانى تؤيده روايةُ الإمام الصادق عليه السـلام، قال عليه السلام: «إنّ فى جهنم لوادٍ للمتكبرين يقال له سقر شكا إلى اللَّه شدّة حره وسأله أن يأذن له أن يتنفس فأحرق جهنم» «۱».

## ۶۸- يوم نقول لجهنم هل امتلأتِ

هـذا التعبير الـذى ورد ذكره مرّة واحـدة فى القرآن المجيـد يعتبر من جملـة صـفات يوم القيامـة ومن التعبيرات التى تبعثُ على الرهبةِ والهلع أيضـاً، ويشـير إلى حجم النار الكبير وكثرة أصـحاب جهنم، هـذا المشـهد يبعث الرعب والخوف فى قلب كل إنسان لئلا يكون أحد

---

(۱) تفسير الصافى، ج ۵، ص ۱۰۴- ۱۰۵ فى تعليقه على الآية.



هؤلاء، قال تعالى «يَوْمَ نَقُولُ لِجَهَنَّمَ هَلِ امْتَلَأْتِ وَتَقُولُ هَلْ مِن مَّزِيدٍ». (ق/ ۳۰)

ويوجـد فى تفسير هـذه الآيـة رأيـان: الأـول هو أنّ الاسـتفهام هنـا «اسـتفهام إنكـارى»، أى أنّ جهنم فى الجواب عن هـذا السؤال هل امتلأت؟ تقول بتعجب هل هناك زيادة على هذا؟

للدلالة على أنّه لم يبق فيها مكان فارغ.

والاحتمـال الثـانى أنّ الاسـتفهام «اسـتفهام تقريبى»، أى هـل هناك أفراد آخرون يردون جهنم؟ على هـذا المعنى تكون النار دائماً فى حالة البحث عن الظالمين المجرمين، ويشبه حالها حال الإنسان الشره الذى يطلب دائماً طعاماً كثيراً ولا يشبع من ذلك أبداً، ولا عجب أن لا تشبع النار من المذنبين الظالمين ولا تشبع الجنّة من الصالحين.

إلّا أنَّ بعض المفسرين أوردوا على هذا التفسير إشكالًا بأنّه لا يتناسب مع هذه الآية:

«لَأَمْلَئَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ اجْمَعِينَ». (السجدة/ ۱۳)

وعلى هذا الأساس فلابدّ من الرجوع إلى التفسير الأول «۱»، ولكن يمكن الجواب على هـذا الإشـكال بأنّ الامتلاء له درجات، كما لو مُلىء صحن من الطعام وأعطى لشخص فيطلبُ أن يُزادَ له فيه.

وفى مسألة كيفية الاسـتفسار من جهنم وجوابها قال البعض: إنّه سؤال من خزنة وحفظة جهنم وجوابهم، وقال البعض إنّ هذا الاستفسار والجواب هو بلسـان الحـال وقيـل أيضاً إنّه يفهم من مجموع آيات القرآن وبعض الأخبار بأنّ جهنم موجود حىّ قادرة على النطق ونباءً على هذا فإنّه من الممكن تفسير الآية بنفس المعنى الظاهرى لها «۲».

وعلى أيّة حال فإنّ هـذه الآيـة توحى بكثرة أصـحاب النار وجدّية التهديد الإلهى لهم، وتنذر الجميع أن لا يكونوا من هذه الزمرة فيها فهذه التحذيراتُ من الممكن أن توقظ الإنسان وتجعله يراجع نفسه ويتوقف عن الاستمرار فى ارتكاب الذنوب والخطايا.

---

(۱) هذا الإشـكال فى تفسير الكبير، ج ۲۸، ص ۱۷۴؛ وتفسـير روح المعانى ج ۲۶، ص ۱۷؛ وتفسـير الميزان، ج ۱۸ ص ۳۸۴ نقلًا عن بعض المفسّرين.

(۲) ذكر فى تفسير روح البيان ج ۹، ص ۱۲۷، شواهد من الآيات والروايات لإثبات هذا المعنى

### ۶۹- یومَ یقولُ المنافقون والمنافقات ...

هـذا التعبیر عن یوم القیامهٔ ورد ذکره مرّهٔ واحدهٔ فی القرآن المجید فی قال تعالی «یَوْمَ یَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ لِلَّذِینَ آمَنُوا انظُرُونَا نَقْتَبِسْ مِن نُّورِکُمْ»، (أی ألقوا علینا نظرهٔ حتی نستلهم من نورکم، أو أمهلونا حتی نستفید من نورکم). (الحدید/ ۱۳)

هذا والحال أنّ المؤمنین والمؤمنات یمرّون علی الصراط بسرعهٔ خاطفهٔ وأشعهٔ أنوارهم تسطع أمامهم وعن أیمانهم: «یَوْمَ تَرَی الْمُؤْمِنِینَ وَالْمُؤْمِنَاتِ یَسْعَی نُورُهُمْ بَیْنَ أَیْدِیهِمْ وَبِأَیْمَانِهِمْ بُشْرَاکُمُ الْیَوْمَ جَنَّاتٌ ...». (الحدید/ ۱۲)

اما المنـافقون فإنهم ینظرون إلی المؤمنین بحسـرهٔ ولهفـهٔ یطلبون حزمـهٔ أو قبضـهٔ من نور المؤمنین ولکنهم یجابون حینها «قِیلَ ارْجِعُوا وَرَاءَکُمْ فَالْتَمِسُوا نُوراً». (الحدید/ ۱۳)

إنّ القیامهٔ وساحهٔ المحشـر لیستا محلًا لکسب النور، بل محل ذلک هو الدنیا فارجعوا إلیها إن اسـتطعتم واطلبوا النور والضیاء لأنفسکم من مصـباح الهدایـهٔ المنیر والعمل الصالـح، فما أسوا حال المنافقین أصـحاب القلوب الغلف والأفکارِ المظلمـهٔ! وما أجمل نورَ الإیمان والعملِ الصالح وما اعظمَ فحوی هذا الخطاب الذی تحمله لنا الآیهٔ الکریمهٔ فی بیانها لحال الفریقین معاً!

### ۷۰- یومٌ لا ریب فیهِ

التعبیر السـبعون وهو الأـخیر فی وصف یوم القیامـهٔ هو التعبیر المـذکور أعلاـه الـذی ورد ذکره مرّتین فی سورهٔ آل عمران، قال تعالی «رَبَّنَا إِنَّکَ جَامِعُ النَّاسِ لِیَومٍ لَّارَیْبَ فِیهِ».

(آل عمران/ ۹)

وورد هذا التعبیر فی نفس هذه السورهٔ أیضاً، قال تعالی «فَکَیْفَ إِذَا جَمَعْنَاهُمْ لِیَوْمٍ لَّا رَیْبَ فِیهِ». (آل عمران/ ۲۵)

وبما أننا تحدثنا فی بحث «حتمیهٔ یوم القیامهٔ فی نظر القرآن الکریم»- بالقدر الکافی-

نفحات القرآن، ج۵، ص: ۹۶

فی موارد هـذه الآیـات (فی هـذا الجزء من الکتاب، فلانری ضـرورهٔ لتکرار ذلک، لکننا نشـیر إلی مسألـهٔ واحـدهٔ فقط وهی أنّ حتمیهٔ وقوع ذلک الیوم وتحقق الوعود الإلهیّـهٔ فیه لیست من المسـلمات والبـدیهیات فی القرآن الکریم فحسب، بل هی کـذلک عنـد جمیع المؤمنین الراسـخین فی إیمانهم، فإنّهم یعترفون ویجمعون علی أنَّ المقولاتِ السابقـهٔ لیوم القیامهٔ تخبرُ عن وقائعِ ذلک الیوم العصـیب، بینمـا یخبرُ هـذا التعبیر عن حتمیـهٔ وقوعه بلاـ شکّ، وفی الواقع فهـذا التعبیر تأکیـد لجمیع تلک التعبیرات ولهـذا انتخبنا هـذا الوصـف لیکون آخر حلقهٔ تُذکر من سلسلهٔ التعبیرات الواردهٔ فی یوم القیامهٔ.

وهـذه المسألـهٔ من المسائـل الجـدیرهٔ بالـذکر لأنَّ المؤمنین عنـدما یتحـدثون عن ذلک الیوم العظیم فإنّهم یأتون بالـدلیل علیه ودلیلهم ماجاء فی ذیل الآیهٔ الاولی «إِنَّ اللَّهَ لَایُخْلِفُ الْمِیعَادَ»، وهذا دلیلٌ علی حتمیهٔ وقوع ذلک الیوم وعدم إمکان الشک فیه.

### ثمرهٔ البحث:

من خلال هذا البحث الواسع حول «أسـماء القیامهٔ فی القرآن» اتضح لنا بأنّ «لیوم القیامهٔ» فی القرآن المجید علی الأقل «سـبعون اسماً»، وبـدیهیٌ إن مـا نریـده من الاسم هنا لیس هو الاسم العلم بل جمیع التعبیرات التی وردت فی مورد اسم القیامـهٔ فی القرآن الکریم التی ابتدأت بکلمهٔ «یوم» (اسم توصیفی).

لكنّنا قسّـمنا هذه الأسماء إلى مجموعتين إحداهما الأسماء التى احتوت على كلمة واحدة فقط للتعبير عن ذلك اليوم العظيم، مثل «يوم البعث ويوم القيامة ويوم الدين ويوم الحساب» البالغة أربعة وعشـرين اسـماً، والاخرى الأسماء التى وصفت يوم القيامة من خلال جملة واحدة (وهى بقية التعبيرات).

وهذه الأسماء والصفات السبعون غنية جدّاً بالمواضيع فهى تنظر إلى يوم القيامة من نوافذ وزوايا مختلفة، وقد كشفت عن جميع الوقائع التى تقع فى ذلك اليوم العظيم من بدايته

نفحات القرآن، ج۵، ص: ۹۷

التى هى إحياء الموتى حتى نهايته عندما يُساقُ أصحاب الجنّة إلى الجنّة وأصحاب النار إلى النار.

إنّ هـذه الأسـماء السـبعين ترسم لنا لوحـة عجيبة ورهيبة وواضـحة وناطقة عن ذلك اليوم العظيم، وتتحدث عن كل ما يمكن أن يقال عنه، وتخبُر عن عاقبة جميع البشر فى مواقف المحشر جميعاً.

إنّه ليس من المعقول أن يتأمل الإنسان فى هـذه الاسـماء وينظر إليها نظرة موضوعية فلاتؤثر فيه الأثر التربوى العميق، فالهدف منها فى الواقع هو ايقـاظ الإنسـان من خلالـ هـذه التعبيرات التى صوّر كـل واحـد منهـا زاويـة معينـة من المعـاد، فإنّها تـدعوه إلى الخروج من الضـلال إلى الهـدى ومن الرجس إلى الطهـارة، ومن حبّ الـدنيا إلى الزهـد فيهـا، ومن الفسق إلى التقوى ومن الظلمـة إلى النور ومن الكفر إلى الإيمان ومن الشرك إلى التوحيد.

إنّ هذا القرآن كتاب هدايةٍ حقّاً، وما أعجب سبله التربوية العالية.

ضَعُوا هـذه الأسـماء إلى جنب بعضـها مرّة اخرى ومرّوا بهـا على نوافـذ قلوبكم، وتـأملوا فى كل موردٍ وردت فيه، وماهى العواقب التى يصوّرها للإنسان؟ ثم استفيدوا منها فى تربية أنفسكم.

اللّهم أعطنا إدراكاً وبصيرة نرى ذلك اليوم العظيم من جميع زواياه التى بينتها لنا فى القرآن الكريم.

ونصغى لنداء هذه الآيات.

ونحفظ فحوى هذه الأسماء.

ووفِّقنا للتأهب لذلك اليوم العظيم آمين يا ربّ العالمين.

نفحات القرآن، ج۵، ص: ۹۹

## الأدلة على المعاد

### اشارة

نفحات القرآن، ج۵، ص: ۱۰۱

### أدلة إثبات المعاد

#### تمهيد:

نظراً للأهميـة الفائقـة التى أولاهـا القرآن الكريم للمعـاد فى بعـد المعـارف الدينيـة ومن حيث التأثير التربوى لها فى الآخرين معاً، فإنّه خصص آيات متعددة لبيان أدلة إثبات المعاد.

وهذه الأدلة فى الواقع تنقسم إلى قسمين رئيسيين:

القسم الأول: الأدلة التى استدل بها على إثبات وقوع المعاد وإثبات وجود الحياة بعد الموت من طرق متعددة.

القسم الثانی: الأدلة التی تُمثل فی الواقع جواباً علی الإشكالات التی أوردها المخالفون، الذين يعتقدون باستحالة الحياة بعد الموت. وادّعوا من خلال تعبيرات مختلفة «عدم إمكان» وقوعها.
لقد طرح القرآن المجيد فی مقابل ذلك مجموعة من الأدلة «العقلية» و «الحسية التجريبية» واثبت لهم «إمكان المعاد الاخروی» ودحض ادّعاءهم.
إنّ الاسلوب الطبيعی للبحث يوجب علينا طبعاً أن نطرح أولًا أدلة «إمكان» المعاد، فنبتدئ بالإنطلاق من مرحلة «الجحود المطلق» إلی مرحلة «الإمكان المطلق»، بعد ذلك نطرح «أدلّة حتمية» علی المعاد و «أدلة إثبات الوقوع» كی نتعرف من خلال ذلك وبصورة صحيحة ومنطقية علی حقيقة المعاد ومراحله جميعها.
والملاحظة المهمّة التی يجب أن نؤكد عليها هنا: إنّ جميع مناظرات القرآن الكريم فی مجال إمكان المعاد جاءت لاقناع منكری المعاد الجسمانی، والقرآن الكريم يؤكدّ علی
نفحات القرآن، ج۵، ص: ۱۰۲
مسألة إعادة «الروح» و «الجسم» معاً فی الدار الآخرة وأنّه امر ممكن بلا شك وذلك لأننا نشاهد فی هذا العالم نماذج مختلفة لمصاديق ذلك.
علی أيّة حال فإنّ الطرق التی يسلكها القرآن لإثبات ذلك كثيرة جدّاً ومتنوعة ويمكن تلخيصها فی ستِّ طرق:
۱- آيات الخلق الأول (خلق العالم والإنسان).
۲- آيات شمول القدرة الإلهيّة.
۳- آيات احياء الأرض.
۴- آيات تطور مراحل الجنين.
۵- آيات عودة الطاقة.
۶- آيات النماذج الحيّة والتأريخية للمعاد فی هذه الدنيا.
ومن أجل التعرف علی هويةِ المخالفين الذين يعنيهم القرآن الكريم وعلی مقصود الآيات فی ذلك يجب قبل الدخول فی البحث أن نطرح بعض الجوانبِ من منطق المخالفين الذی بينته آيات القرآن الكريم، ذلك المنطق الذی يطرحه المخالفون فی يومنا هذا أحياناً ويؤكّدون عليه.
بعد هذا التوضيح نتوجه للبحث فی أدلة (امكان المعاد) ونتحدث أولًا فی تحديد منطق المخالفين ووجهة نظرهم فيه:
نفحات القرآن، ج۵، ص: ۱۰۳

### إمكان المعاد ومنطق المخالفين:

### إشارة:

قلنا بأنّ القرآن المجيد من أجل تهيئة الأرضية الفكرية اللازمة لاستيعاب هذه المسأله يبدأ أولًا بالحديث عن «إمكان المعاد»، ويثبت ذلك بطرق مختلفة (الطرق الستّ)، بعد ذلك يبدأ بذكر أدلة «وقوع المعاد».
ويحتمل أن لا تكون هناك ضرورة للتنبيه علی أنّ المخالفين للمعاد لا يمتلكون دليلًا معيناً لإثبات مقصدهم فهم عادةً يؤكّدون علی مسألة استحالة الحياة بعد الموت بسبب عقليتهم الساذجة، حتی يعتبرون الاعتقاد بمسألة الحياة بعد الموت من علامات الجنون وكانوا يسخرون ممن يقول بذلك ويتهمونه بالافتراء علی اللّه.

بعد ذكر هذه المقدمة نعود إلى القرآن الكريم لنتأمل خاشعين فى الآيات التالية:

۱- «وَقَالُوا ءَإِذَا كُنَّا عِظَاماً وَرُفَاتاً ءَإِنَّا لَمَبْعُوثُونَ خَلْقاً جَدِيداً». (الاسراء/ ۴۹- ۹۸)

۲- «وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا هَلْ نَدُلُّكُمْ عَلَى رَجُلٍ يُنَبِّئُكُمْ إِذَا مُزِّقْتُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍ إِنَّكُمْ لَفِى خَلْقٍ جَدِيدٍ* أَفْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِباً أَمْ بِهِ جِنَّةٌ». (سبأ/ ۷- ۸)

۳- «وَقَالُوا ءَإِذَا ضَلَلْنَا فِى الْارْضِ ءَإِنَّا لَفِى خَلْقٍ جَدِيدٍ». (السجدة/ ۱۰)

۴- «وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا ءَإِذَا كُنَّا تُرَاباً وَآبَاؤُنَا ءَإِنَّا لَمخْرَجُونَ* لَقَدْ وُعِدْنَا هَذَا نَحْنُ وَآبَاؤُنَا مِن قَبْلُ إِنْ هَذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ». (النمل/ ۶۷- ۶۸)

۵- «فَقَالَ الْكَافِرونَ هَذَا شَىءٌ عَجِيبٌ* ءَإِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَاباً ذَلِكَ رَجْعٌ بَعِيدٌ».

(ق/ ۲- ۳)

۶- «أَيَعِدُكُمْ أَنَّكُمْ إِذَا مِتُّم وَكُنتُم تُرَاباً وعِظَاماً أَنَّكُمْ مُخرَجُونَ* هَيْهَاتَ هَيْهَاتَ



لِمَا تُوعَدُونَ* إِنْ هِىَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنيَا نَمُوتُ ونَحْيَا وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ».

(المؤمنون/ ۳۵- ۳۷)

۷- «إِنَّ هَؤُلَاءِ لَيَقُولُونَ* إِنْ هِىَ إِلَّا مَوتَتُنَا الْأُولَى وَمَا نَحنُ بِمُنشَرِينَ» «۱».

(الدخان/ ۳۴- ۳۵)

## جمع الآيات وتفسيرها

### هل يستحيل التراب إلى إنسان مرّة اخرى!

هذه الآيات وإن كانت ذات مضامين مشتركة إلّاأنّ هناك تفاوتاً فى تعبيراتها ومحتوياتها وتحتاج إلى الدقّة والإمعان.

ففى الآية الاولى إشارة إلى مقولة مشركى العرب، قال تعالى «وَقَالُوا ءَإِذَا كُنَّا عِظَاماً وَرُفَاتاً ءَانَّا لَمَبْعُوثُونَ خَلْقاً جَدِيداً».

كيف يمكن للإنسان بعد أن يتفسخ لحمه ويصبح تراباً ثم تندرس عظامه وتصبح رميماً ورفاتاً أن تجمع ثانياً ثم تلبس ثوب الحياة من جديد فأين العظام الرميمة والمتلاشية من الإنسان الحيّ المتحرك القوى؟!

«رُفات»: من مادة «رَفْت» (على وزن فَعْل) بمعنى حطام، وعدّ البعض «الالتواء» من معانيه أيضاً، وقال البعض إنّ «الرفات» بمعنى الذرات العتيقة المتفسخة وهى الحالة التى تحصل للعظام بعد أن تمضى عليها سنون متمادية وهذه التفسيرات جميعها كثيرة الشبه ببعضها «۲».

وما فسّره البعض- نقلًا عن روح المعانى- بأنّه بمعنى التراب أو الغبار أو ما اصبح دقيقاً إِثْرَ الدّقِّ الكثير فهو فى الواقع بيان لبعض مصاديقه.

---

(۱) يوجد فى هذا المجال آيات متعددة اخرى متقاربة الافق مع هذه الآيات المذكورة مثلًا ما جاء فى سورة الواقعة الآية ۴۷ و ۴۸؛ وفى سورة الصافات الآية ۵۳؛ وسورة يس الآية ۷۸ و ...

(۲) مفردات الراغب ومقاييس اللغة والتحقيق وتفسير روح المعانى.



### الإنسان العاقل لا يتحدث بمثل هذا!

والآية الثانية تصور الأسلوب الخشن، المعاندَ والأكثر غروراً للمشركين في قوله تعالى
«وَقالَ الَّذِينَ كَفَرُوا هَلْ نَدُلُّكُمْ عَلَى رَجُلٍ يُنَبِّئُكُمْ إِذَا مُزِّقْتُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍ إِنَّكُمْ لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ* أَفْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِباً» (لانّه يدعّى أنّ هذا الخبر من اللَّه) «أَمْ بِهِ جِنَّةٌ» (فكلامه كلام المجانين) (والعياذُ باللَّه).
هكذا كان يتصور هؤلاء بأنّ أخبار النبي الأكرم صلى الله عليه و آله عن المعاد الجسماني ناتج عن أحد أمرين فكانوا يقولون: إمّا أن يكون هذا الرجُل عاقلًا وفطناً لكنّه من أجل الطموحات الشخصيّة نَسَبَ هذه الامور إلى اللَّه كذباً كي يجمع الناس حوله، وإمّا أن لا يكون لديه غرض شخصي ولكنّه (والعياذ باللَّه) اصيب بالجنون! وإلّا فإنّ العاقل لا يمكن أن يقول بأنّ العظام البالية والتراب المنثور الذي ركبت ذرّاته أمواج الرياح وذهبت في كل صوب أن تجتمع يوماً وتحيي من جديد!
إنّ هؤلاء الحمقى المغرورين الذين لم يذكروا النبي إلّابعنوان «رجُل» وبصيغة نكرة قد نسوا نشأتهم الاولى بالمرّة وخيّمتْ على بصائرهم حُجب الجهل فمنعتهم من مشاهدة مصاديق المعاد في حياتهم اليومية، وسوف نتطرق للبحث في هذا المجال بإذن اللَّه بعد ذكر هذه الآيات.
و «مُزِّقْتُم»: من مادة «تمزيق» بمعنى الشّق والتقطيع، وجاءتَ هنا للدلالة على تحلل الإنسان وتناثرِ عناصره واختلاطها بالتراب والماء والهواء.
وفي الآية الثالثة نجد تعبيراً جديداً في هذا المجال، قال تعالى «وَقَالُوا ءإِذَا ضَلَلْنَا فِي الْأَرْضِ ءإِنَّا لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ».
التعبير بالضلال في الأرض يكون تارةً للدلالة على تحول أعضاء جسم الإنسان إلى تراب بحيث تكون كالارض، وتارةً اخرى للدلالة على تشتتها في مناطق متوارية من العالم على نحوٍ لا يمكن تمييزها أبداً.
بهذا الأسلوب كانوا يريدون أن يثبتوا بأنّ عودةً كهذه أَمرٌ محال جدّاً! بينما قد تحقق
نفحات القرآن، ج۵، ص: ۱۰۶
نفس هذا الأمر في بداية خلق الإنسان، فإنّ العناصر المنبثقةَ في عالم الطبيعة اجتمعت بقدرة اللَّه ووجد منها الإنسان (والوقوع أفضل دليل على الإمكان).

### إنّها أساطير فحسب:

ورد ذكر هذا الإدّعاء في الآية الرابعة مع بعض الإضافات الاخرى قال تعالى «وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا ءَإِذَا كُنَّا تُرَاباً وَآبَاؤنَا ءَإِنَّا لَمُخْرَجُونَ* لَقَدْ وُعِدْنَا هذَا نَحْنُ وَآبَاؤنَا مِن قَبْلُ إِنْ هذَا إِلّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ» «۱».
يفهم من هذا التعبير أنّ مسألة المعاد وبالتحديد المعاد الجسماني لم تكن من مختصات القرآن والشريعة الإسلامية فحسب، بل ممّا أخبر عنه الأنبياء المتقدمون أيضاً، ولكن للأسباب التي سوف نذكرها لاحقاً- إن شاء اللَّه- لم يخضع متكبّرو الامم للحق أبداً، وكانوا يعتبرونه أمراً خرافياً واسطورياً بعيداً عن العقل والمنطق، فالآية الشريفة ذكرت أنّ هؤلاء تمسّكوا بأمرين لانكار المعاد:
الأول: أنّ عودة الحياة للتراب تبدو أمراً مستبعداً.
والثاني: بما أنّ جميع الأنبياء السابقين وعدوا الامم السالفة ولم يتحقق وعدهم أبداً، فهذا دليلٌ على أنّ هذا الأمر اسطورة وخرافة لا غير، (وكأنّهم يتوقعون بأنّ القيامة يجب أن تتحقق على الفور وإلّا فهي كذب وافتراء).

---

(۱) «اساطير» جمع «اسطورة» ويرى بعض اللغويين أنّها جمع «أسطار» وهي بدورها جمع «سطر» بمعنى الشي المدوّن كذباً، وقال البعض أيضاً: بما أنّ «اسطورة» من الصّيغ «المزيد فيها» فإنّها تدل على زيادة في السطر المعهود، ولذا اعتبروها بمعنى «السطر المنّمق»،

ومهما يكن من أمر فإنّ الاسطورة بمعنى المقولة الباطلة الخرافية التى لا أصل لها. (مقاييس اللغة- المفردات- مصباح اللغة- التحقيق).

نفحات القرآن، ج۵، ص: ۱۰۷

وفى الآية الخامسة يَردُ تعبير آخر عن ذلك الإنكار والاستبعاد، قال تعالى «فَقَالَ الْكَافِرُونَ هذَا شَىءٌ عَجِيبٌ* ءَإِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَاباً ذَلِكَ رَجْعٌ بَعِيدٌ» «۱».

فهم فى مبتدأ مقولتهم يعتبرون ذلك أمراً «عجيباً»، وفى ذيل مقولتهم يعتبرونه «بعيداً» ولكنهم لم يفكّروا بخلقهم وإن هذا الأمر «العجيب والبعيد» قد تحقق بوضوح فى خلقهم الأول، بل كما سوف يأتى لاحقاً بأنّ مسألة المعاد وتجدد الحياة من الامور التى شاهدناها ونشاهدها دائماً فى هذه الدنيا، فكيف يكون هذا الأمر عجيباً وبعيداً؟

وفى الآية السادسة نرى المخالفين يكررون هذا اللون من الانكار ولكن بأُسلوبٍ آخر، فكانوا يقولون لقرنائهم وأقربائهم مشكّكين متخذين أسلوب الاشاعة والاثارة: «أَيَعِدُكُمْ أَنَّكُمْ إذا مِتُّم وَكُنْتُمْ تُرَاباً وعِظَاماً أَنَّكُمْ مُّخْرَجُونَ* هَيْهَاتَ هَيْهَاتَ لِمَا تُوعَدُونَ».

ثم إنّ هؤلاء الحمقى لايخالون أنّ هناك حاجة للاستدلال فيقولون بِتَعَسُّفٍ: «إِنْ هِىَ إِلّا حَيَاتُنَا الدُّنْيا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِين».

وهذا من أشد تعبيرات المنكرين المعاندين فى مجال إنكار المعاد، وذلك من دون أن يفكروا فى فلسفة خلق الإنسان وأنّه هل من الممكن أن تكون هذه الحياة القصيرة المليئة بالمصائب والمشاكل الهدف والغرض الرئيسى من خلق الإنسان؟ ومن دون أن يفكّروا بفلسفة الأوامر الإلهيّة وأنّه هل من الممكن أن يعامل اللَّه العادل، الصالحين والطالحين على حدٍ سواء؟ وأن لا يفرّق بينهم لا فى الدنيا ولا فى الآخرة، ومن دون أن يفكّروا بنشأتهم الاولى حين كانوا فى البداية تراباً وعناصر متفرّقة.

قد يكون تقدم كلمة التراب على العظام فى الآية الكريمة- مع أنّ بدن الإنسان يتحول إلى عظام رميمة أولًا ثم يكون تراباً- وذلك للإشارة بالتراب إلى اللحم الذى يصبح تراباً

---

(۱) بعض المفسرين لا يرون فرقاً بين «رَجْع» و «رجوع» (مثل صاحب الميزان) بينما يعتقد البعض الآخر بأنّ «رَجْع» استعمل متعدياً و «رجوع» لازم (تفسير روح البيان، ج ۹، ص ۱۰۳) وجاء فى تفسير فخر الرازى أيضاً الفرق بين هذين التعبيرين، ولكن الآية تحتمل كلا المعنيين (تفسير الكبير، ج ۲۸، ص ۱۵۲).

نفحات القرآن، ج۵، ص: ۱۰۸

قبل العظام، أو الذكر له بالتراب على الأجداد والماضين الذين تحولت أبدانهم إلى تراب تماماً، وللدلالة بالعظام إلى الأباء والامهات الذين فارقوا الحياة قريباً، أو لأنّ عودة الحياة إلى التراب أبعد إلى التصديق من عودته إلى العظام، لذا تقدمت كلمة التراب، وفى كل الأحوال فيه بيان لشدّة معارضتهم لهذه المسأله.

### إن هى إلّاحياة واحدة وموتة واحدة:

وفى الآية السابعة والاخيرة نلاحظُ تعبيراً جديداً أيضاً، وهو إن مشركى العرب ومنكرى المعاد من دون أن يتحدّثوا عن الرفات والتراب وأمثال هذه الامور، ادّعوا بدون دليل: «إِنَّ هَؤُلَاءِ لَيَقُولُونَ* إن هِىَ إِلّا مَوْتَتُنَا الْأُولَى وَمَا نَحنُ بِمُنْشَرِينَ».

الأمر العجيب فى هذه الآية أنّ هؤلاء قالوا إن هى إلّاموتتنا الاولى فلماذا اتوا بهذا التعبير بينما كان عليهم أن يقولوا: إن هى إلّاحياتنا الاولى

وقد أجاب المفسرون عن هذا السؤال بأجوبة مختلفة، ولكن الجواب الأكثر مناسبة أن يقال إنّهم كانوا يقصدون من كلامهم هذا إنّه لا يوجد بعد هذه الحياة إلّاالموت ولا شىء يحدث بعد الموت، أىْ لا يوجد هناك حياة اخرى

وآخر الكلام فى هذه الآية قال الزمخشرى بعد أن طرح هذا الإشكال فى الكشاف: إنّه قيل لهم إنّكم تموتون موتة تتعقبها حياة، كما

تقدّمتكم موتة قد تعقبتها حياة، وذلك قوله عزوجل: «وَكُنْتُمْ أَمْوَاتاً فَأَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ». (البقرة/ ۲۸)
فقالوا: «إِنْ هِيَ إِلَّا مَوْتَتُنَا الْأُولَى يريـدون: ما الموتـة التى من شأنها أن يتعقبها حياة إلّا الموتـة الاولى دون الموتة الثانية وما الصـفة التى تصفون بها الموتة من تعقب الحياة لها إلّا للموتة الاولى خاصة «۱».
لكنّ التكلف واضح على هذا التفسير، والتفسير الأول هو المناسب (فتأمل).

---

(۱) تفسير الكشاف، ج ۴، ص ۲۷۹ فى ذيل الآية مورد البحث.

نفحات القرآن، ج۵، ص: ۱۰۹

السؤال الآخر الـذى طرح فى مورد هـذه الآيـة إنّ كل «أول» يجب أن يكون له «ثانٍ» فعلى هـذا كيف يمكن أن لا يتلو «الموت الأول» «موت ثانٍ»؟
والجواب على هذا السؤال واضح، وهو أنّه ليس من الضـرورى أن يكون لكل أول ثانٍ، فمثلًا لو نذر الإنسان على نفسه أن يسـمّى أوّل ابنٍ يهبه اللَّه له «محمـداً»، فمن الممكن أن لا يهب اللَّه له إلّاذلك الابن، أو أن ينذر للَّهعلى نفسه أن يهدى أوّل كتاب يؤلفه إلى أبيه، ومن الممكن أن لا يؤلّف كتاباً غيره، ونحن نعلم أيضاً أنَّ أحد أسماء اللَّه تعالى هو الأول مع أنّه لايوجد هناك إلهٌ ثان.

### نتيجة البحث:

تعرفنا من خلال الآيات السـبع المذكورة والآيات الاخرى المقاربة لها على منطق منكرى المعاد وبالأخص اولئك الذين عاصروا نزول القرآن، ويمكن تلخيص اقوالهم فى مجال إنكار المعاد الجسمانى غالباً فى عدّة جمل ادّعائية:
كيف يمكن للعظام الرميم أن تلبس ثوب الحياة من جديد؟
كيف يمكن لِلَحْمِنـا وعظامنـا التى تحولت إلى تراب وتفرقت عناصـرها فى كل صوب وتحللت واختلطت بالأرض وتلاشت أن تجمع ثانية وتدبَّ فيها الحياة من جديد؟ أليس هذا افتراء على اللَّه أو من علائم الجنون؟!
لا يوجـد هناك غير هـذه الحياة الدنيا وهذا الموت، فهل قام أحد من مرقده كى نصدق هذا الادّعاء؟ إنّ هذا الإدعاء لا أساس له وهو أمرٌ عجيب وغير ممكن فلا يمكن تصديقه!
إنّ هؤلاء المنكرين الغرورين الـذين لم يتأملوا حتى فى خلقهم الأول، ولم يعوا نماذج الحياة بعـد الموت التى يشاهدونها باسـتمرار فى حياتهم، وهؤلاء الـذين يعتمدون على الادّعاءات الواهية، لا شـىء إلّامن أجل العناد والحميّة لا يختصون بذلك الزمان فحسب ولا بأىّ زمـانٍ معيّن، فنحن فى هـذه الأيّام أيضـاً نسـمع مثـل هـذه الأقاويـل على لسان أفراد آخرين من الـذين حشـروا أنفسـهم بين الفلاسـفة والعلماء.

نفحات القرآن، ج۵، ص: ۱۱۰

وعلى أيّة حال فإنّ القرآن المجيد أجاب عن هذه الادّعاءات بكل قوّة كما سوف يأتى ذلك فى البحوث القادمة، فهى إجابات لجميع فرق منكرى المعاد وعلى جميع المسـتويات العلميـة، ومن الممكن أن تقنع هذه الأجوبة حتى اولئك الذين لم يمتلكوا شـيئاً من العلم، ولكن على شرط أن يكونوا من طلّاب الحقيقة.
والآن نستمع لبيانات القرآن فى مجال أدلة إمكان المعاد.

نفحات القرآن، ج۵، ص: ۱۱۱

### أدلة إمكان المعاد

### اشارة

۱- الخلق الأول

۲- القدرة الإلهيّة المطلقة

۳- آيات احياء الأرض

۴- التطورات الجنينية

۵- المعاد فى عالم الطاقة

نفحات القرآن، ج۵، ص: ۱۱۳

## ۱- الخلق الأول

### تمهيد:

لقـد وردت طرق كثيرة لإثبات إمكان المعاد فى القرآن المجيـد جميعها على شـكل اسـتدلالات منطقيـة، فصوّرها القرآن بتعابير راقية جدّاً.

ويمكن تلخيص ما جاء فى القرآن- كما أشرنا سابقاً- إلى ستة مواضيع:

۱- الخلق الأول.

۲- شمول القدرة الإلهيّة.

۳- تكرر حدوث الموت والحياة فى عالم النباتات.

۴- التطورات الجنينية.

۵- اعادة الطاقة.

۶- النماذج الحيّة لوقوع المعاد.

إنّ القرآن الكريم أوردَ آيات متعـددة لكلٍ من العناوين المذكورة، والتدبر فى هذه الآيات لايوصـلنا إلى إثبات إمكان المعاد فحسب، بل ويدلّنا على مواضيع مهمّة اخرى أيضاً.

بعد هذه الإشارة الوجيزة نعود إلى القرآن المجيد فنمعن النظر خاشعين فى القسم الأول من الآيات المتعلقة بالخلق الأول:

۱- «وَضَـرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِىَ خَلقَهُ قَالَ مَن يُحيِ العِظَامَ وَهِىَ رَمِيْمٌ* قُلْ يُحيِيهَا الَّذِى انشَأَهَا اوَّلَ مَرّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ». (يس/ ۷۸- ۷۹)

۲- «افَعَيِينَا بِالخَلْقِ الْأَوَّلِ بَلْ هُمْ فِى لَبْسٍ مِّن خَلقٍ جَدِيدٍ». (ق/ ۱۵)

۳- «وَهُوَ الَّذِى يَبْدَأُ الخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَهُوَ أَهوَنُ عَلَيْهِ». (الروم/ ۲۷)

نفحات القرآن، ج۵، ص: ۱۱۴

۴- «اوَلَمْ يَرَوَا كَيْفَ يُبْدِئُ اللَّهُ الخَلقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ».

(العنكبوت/ ۱۹)

۵- «كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ». (الاعراف/ ۲۹)

### جمع الآيات وتفسيرها

## من يحيى العظام وهى رميم؟!

تبدأ الآية الاولى بسرد القصة المعروفة للرجل المشرك و هو إمّا «ابَى بن خلف» أو «العاص بن وائل» أو «اميّة بن خلف» الذى جاء يحمل بيده عظماً رميماً وهو يقول سأذهب وأخاصم محمداً صلى الله عليه و آله بهذا الدليل القاطع! وابطلُ ما جاء به عن المعاد!
فذهب إلى النبى صلى الله عليه و آله ونادى قائلًا: «من الذى يحيى هذا العظم الرميم؟» ومن يصدق هذه الدعوى ومن المحتمل أنّهُ من أجل التأكيد على خطابه سحق جزءاً من ذلك العظم ونثره على الأرض: «قَالَ مَنْ يُحْيِ الْعِظَامَ وَهِىَ رَمِيمٌ».
وبعد وقوع تلك الحادثة خاطب القرآن النبى صلى الله عليه و آله (فى خمس آيات) وأمره أن يجيب على هذا الرجل وأمثاله بقوّة ومن طرق متعددة إحداها الإشارة إلى الخلق الأول وقد بينها القرآن بعبارة وجيزة ولطيفة جدّاً، قال تعالى: «ونَسِىَ خَلْقَهُ»!
ثم قام تعالى بشرحها فقال: «قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِى أَنْشَأَهَا اوَّلَ مَرَّةٍ» فإن كنت تتصور أنّ العظام بعد أن تبلى وتنشر كل ذرّة منها فى ناحية فإعادة جميع الأوصاف الاولى إليها أمرٌ محال حيث لا يوجد أحدٌ يحيط بها علماً، فإنك فى ضلالٍ بعيد، لأنّ اللّه تعالى الذى خلق كل شىء: «وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ».
و «انشأها»: من مادة «انشاء» بمعنى الإيجاد والهداية وهى هنا كأنّها إشارة لهذه الحقيقة وهى أنّ الذى خلقها فى البداية من لا شىء فإنّه من الأَولى أن يتمكن من خلقها مرّة اخرى من التراب.
نفحات القرآن، ج۵، ص: ۱۱۵
وهناك احتمالان فى المراد من نسيان الخلق فى هذه الآية، الاحتمال الأول: إنّ الإنسان نسىَ خلقه الأول الذى بدأ من نطفة حقيرة وقطرة ماءٍ مهين ثم بدأ يتردّدُ ويشكك بقدرة اللّه على الإحياء الجديد.
والاحتمال الثانى: إنّ هذه الآية تشير إلى خلق آدم من التراب، وكأنّها تريد أن تقول: ألم نخلق الإنسان من تراب فى بادئ الأمر؟ فكيف يكون من المحال تكرار هذا الأمر؟ وذلك لأنّ «حكم الأمثال فيما يجوز وفيما لا يجوز واحد».
ومن اليديهى أنّ «النسيان» هنا إمّا جاء بمعنى النسيان الحقيقى الواقعى أو تنزيل الشخصِ منزلة الناسى وإن لم يكن فى الواقع كذلك، وذلك لأنّه لم يعمل وفق علمه بل اتّخذ موقفَ المُنكِر (۱).
وفى الآية الثانية أشير إلى هذه الحقيقة ببيانٍ آخر، فقد قال تعالى فى جواب منكرى‌المعاد: «أَفَعَيِينَا بِالْخَلْقِ الْأَوَّلِ»؟ حتى نعجز عن خلقه مرّة اخرى
ثم يضيف تعالى إنّ هؤلاء لم يشكوا فى قدرة اللّه تعالى على الخلق الأول، بل ترددوا وشككوا بالاحياء المجدد بسبب غفلتهم ونسيانهم أو بسبب تعصبهم وعنادهم أو أنّهم اعتادوا على ما يشاهدونه فى حياتهم أنّهم لم يروا أحداً خرج من قبره حياً بعد موته: «بَلْ هُمْ فِى لَبْسٍ مِّن خَلْقٍ جَدِيدٍ».
وهكذا ورّطوا أنفسهم فى تناقضٍ واضح لايجدون له مخرجاً أبداً.
«عيينا»: من مادة «عَىّ» تأتى أحياناً بمعنى العجز وعدم القدرة وأحياناً بمعنى التعب والألم، وقد جاءت هنا على المعنى الأول، أى أننا لم نعجز عن الخلق الأول.
والمراد من «الخلق الأول» إمّا الإيجاد الأول لكل إنسان أو يختص بخلق آدم، وأمّا ما احتمله بعض المفسرين من أنّ المراد من الخلق الأول هو خلق عالم الوجود فإنّه لا يتناسب مع بحثنا.

---

(۱) جاء هذان الاحتمالان فى تفسير روح المعانى، ج ۲۳، ص ۵۰.
نفحات القرآن، ج۵، ص: ۱۱۶

و «لبس»: على وزن «حَبْس» فى الأصل بمعنى ستر الشىء واللباس سُمّىَ بذلك لأنّه يستر ويغطّى البدن، أمّا الراغب فإنّه يرى أنّه يستعمل فى الامور المعنوية أيضاً، فيدلّ على ستر الحقائق، وفى الآية المعنية جاءَ هذا المعنى أى أنّ أمر المعاد هو حقيقة التبست عليهم.

وفى الآية الثالثة نلاحظ تعبيراً آخر فى هذا المجال، هو إجراء المقارنة بين «مبدأ» الحياة و «المعاد»، قال تعالى «وَهُوَ الَّذِى يَبْدأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ».

فسّر عدد من المفسيرين جملة «يبدأ» على أنّها تدل على الماضى، أىْ أنّ اللَّه تعالى بدأ الخلق، لكن ماهو المانع من تفسير «يبدأ» بمعناه الحقيقى بما أنّه فعل مضارع؟ وبما أنّ الفعل المضارع يدل على الاستمرار فيكون معنى الآية هنا: «إنّ اللَّه يخلق ويعيد على الدوام» أى أنّ عالم الوجود هو عبارة عن تكرار الحياة والموت واستمرار المبدأ والمعاد، فعلى هذا الأساس لا يمكن الشك فى إمكان وقوع المعاد.

فعالمنا يموت ويحيي ويخلق من جديد باستمرار، ومن هنا تكون الإعادة إلى حياة جديدة أمراً غير مستغرب، فيكون هذا جواباً دقيقاً وجميلًا للجاحدين.

و جملة «و هو أهون عليه» تُبين هذا المفهوم، وهو: أنّه لايوجد فى قاموس القدرة الإلهيّة المطلقة واللامحدودة أى معنى للسهل والصعب فكل شىء لديه سهل يسير، ولا فرق بين قلع جبل من أعظم جبال العالم من مكانه وبين رفع قشة صغيرة، وخلق منظومة شمسية وخلق ذرة من تراب، لأنّ السهل والصعب فى مقابل القدرة الإلهيّة لا معنى له، طبعاً بالنسبة لنا أصحاب القدرة المحدودة، فإنّ رفع حجر صغير أمر سهل أمّا رفع حجر كبير يعد من المصاعب.

فما هو المراد من قوله «أهونُ»؟ هل هناك شىء صعب عليه وآخر أهون منه مع أنّ قدرته واحدة بالنسبة لجميع الأشياء؟

وقد أجاب المفسّرون عن هذا السؤال بعدّة أجوبة فقالوا: إنّ أفضل جواب هو أنّ هذا

نفحات القرآن، ج٥، ص: ١١٧

الخطاب ذكره اللَّه تعالى من أجل استئناس العباد بهذا المنظار وهذا المنطق، لأنّ من ينجز عملًا يكون عليه إنجاز ذلك العمل فى المرّة الثانية أهون، وإن كانت جميع الأشياء متساوية بالنسبة للقادر المتعال.

واجيب تارةً أخرى إنَّ «أهون» لم تأتِ هنا بصيغة افعل التفضيل، بل أتت بمعنى «هين» أى سهل.

وقد أتوا بتفسيرات اخرى أعرضنا عن ذكرها لعدم مناسبتها المقام.

على أيّة حال فإنّ مفهوم سهل وأسهل يصدق على الناس، وإن كل شىء بالنسبة لقدرة اللَّه سبحانه السر مدية متساوٍ، ولا يوجد هنالك اسهل أو أصعب بالنسبة له تعالى

والآية الرابعة تحمل مضمون الآية السابقة بنحو آخر، وماهى فى الحقيقة إلّاتفسير وتوضيح لما جاء فى تلك الآية، حيث قال تعالى «اوَلَمْ يَرَوْا كَيْفَ يُبْدِئُ اللَّهُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ» (١).

والإتيانُ بصيغة المضارع «يبدأ» و «يعيد» من المحتمل أن يكون تأكيداً لما جاء فى الآية المذكورة سابقاً من أنّ اللَّه يُبدئ ويعيد الخلق على الدوام وبصورة مستمرّة فيتجدد العالم ويتغير ويتكرر وقوع الإيجاد والمعاد فى كل آنٍ وخاصة عندما اتى بهذا التعبير: اوَلَم يروا ... الذى يشير إلى أنّ مشاهدة هذا الايجاد المستمر والاعادة المتكررة أمر ممكن لجميع الناس.

ويوجد هناك احتمالٌ أخر هو أنّ «يُعيدُ» بيان للمعاد الحاصل فى يوم القيامة لا غير، ففى هذه الحالة يكون معنى الآية بهذا النحو: أولم يروا كيف يُبدئ اللَّه الخلق؟ فإنّ المُبدئ للخلق يمكنه أن يعيده مرّة اخرى

---

(١) يجب الانتباه إلى أنّ يُبْدى (من باب الأفعال) وَيبْدأ (من الثلاثى المجرد) كلاهما لهما معنىً واحد وهو ابداء واظهار الشىء.

نفحات القرآن، ج۵، ص: ۱۱۸

وجملة «إنّ ذلک على اللَّه يسير» تشير إلى أنّ كل شىء سهل ويسير على اللَّه تعالى ومن الممكن أن تكون دليلًا للذين فسّروا «أهون» بمعنى «هيّن» فی الآية السابقة.

على أيّة حال فإنّ جميع منكرى المعاد يرون بأعينهم كيف تنبت النباتات فی الأرض الميتة؟، وكيف يضع البشر أقدامهم فی عالم الوجود؟ وكيف تورق وتثمر الأشجار من جذع يابس؟ وكيف تتكرر عملية الخلق والايجاد فی هذا العالم فی كل آن؟

فهل تكون هذه الاعادة لجميع الموجودات أمراً عسيراً على خالقها؟ مع أنّ الإيجاد والاعادة كلاهما واحد بالنسبة لشمول قدرته، ووجود الشی أفضل دليلٍ على إمكانه؟

وقد بيّن سبحانه فی الآية الخامسة الأخيرة لُبّ المطلب من خلال تعبير وجيز ومختصر جدّاً، حيث قال تعالى: «كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ». (الأعراف/ ۲۹)

إنّ هذه العبارة فی الحقيقة أقصر تعبير واوضح استدلال للقرآن الكريم فی مجال إمكان المعاد، فإنّه قاس إمكان الحياة الثانية على إمكان الحياة الاولى وهذا قياس منطقی لقضية عقلية، أمّا اولئك الذين يعتبرون مثل هذه الآيات دليلًا على جواز القياس فی الأحكام التعبدية فإنّهم قد وقعوا فی خطأ فاحش، لأنّ القياس لا يجوز إعماله إلّاإذا كان دليل الحكم الأول وعلته وحكمته واضحاً مبيناً، ويجب أن تكون هذه العلة موجودة فی الحكم الثانی أيضاً، كما هو الحال فی الآية المذكورة، فی بحث المعاد وغيرها من الامور، لأننا نعلم بأنّ المؤثر فی الخلق الأول هو القدرة الإلهيّة، وهذا الأمر بنفسه يكون مؤثراً فی الخلق المستأنف، أمّا بالنسبة للقياس فی الأحكام الفرعية التی لم تتضح عللها ولم يُصّرح عنها فی ذلک الدليل فإنّه لا قيمة له، وذلک لأنّه قياس ظنّی وتخمينی لا يقينی وعقلی.

على أيّة حال فإنّ التفسير المذكور أعلاه واضح جدّاً إذا ما استعنّا بالآيات الاخرى التی وردت فی هذا المجال، ولكن العجيب تفسير بعض المفسرين من أنّ المراد من هذه الآية هو: كما بدأكم أول الأمر وخلق منكم السعداء والأشقياء والكفار والمؤمنين فإنّه سوف يعيدكم فی الآخرة على تلک الحال «۱».

---

(۱) ذكر الفخر الرازی هذا التفسير واعتبره أحد الاحتمالين فی تفسيير هذه الآية (تفسير الكبير، ج ۱۴، ص ۵۸).

نفحات القرآن، ج۵، ص: ۱۱۹

ومن المحتمل أن يكون السبب فی هذا التفسير هو أنّ البعض أرادوا عن هذا الطريق أن يجدوا دليلًا لتعزيز عقيدتهم الباطلة فی مسألة الجبر، بينما لم يكن الحديث فی هذه الآية إلّا عن أصل خلقة الإنسان وإيجاده، ثم اعادته إلى حياة جديدة، ولم تأتِ حتى إشارة واحدة للسعادة والشقاء الجبری فی هذه الآية ولم يرد فيها شیء عن ذاتية الكفر والإيمان.

## ثمرة البحث:

اتضح جيداً من خلال هذه الآيات أنّ السبب الرئيسی فی إنكار المعاد من قبل المنكرين هو غفلتهم وعدم توجههم للخلق الأول لهذا العالم والإنسان، وذلک لأنّهم لو تمعّنوا قليلًا فی ذلک الأمر لحصلوا على الجواب المطلوب.

فهل من الممكن أن يكون (الخلق الأول للإنسان من التراب أمراً يسيراً بينما لا تكون إعادته كذلک)؟!

## توضيح

### اليوم الذى خلق فيه الإنسان:

يقول العلماء إنّ الكرة الأرضية بعد انفصالها عن الشمس قبل خمسة مليارات عام تقريباً كانت على شكل كتلة من نار، وبمرور عدّة مليارات من السنين أخذت درجة حرارتها بالانخفاض تدريجياً، ثم تحولت الغيوم التى كانت تحيط بالأرض بكثافة إلى أمطار، وتلك الأمطار التى كانت تهطل بغزارة على الأرض كانت تغلى لشدّة حرارة الأرض وتتبخّر ثانياً فتتحول إلى غيوم مرّة اخرى واستمرت هذه العملية واستمر معها انخفاض درجة حرارة الأرض.

بعد ذلك بدأت إنسيابيّة المياه إلى المناطق المنخفضة من الأرض وكوّنت البحار والمحيطات، ولم يكن آنذاك للحياة أثر.

نفحات القرآن، ج۵، ص: ۱۲۰

ولم يكن للنبات أثر.

ولم يخفق طائر بجناحه أو يغرّد.

ولم يتحرك فى تلك المحيطات العظيمة أيُّ موجودٍ حى.

وذلك لأنّ محيط الكرة الارضية لم يزل حاراً للغاية ممّا لم يفسح المجال لظهور الحياة عليها.

ثم أخذت درجة الحرارة بالإنخفاض أكثر فاكثر حتى ظهرت بقدرة اللَّه اوّلُ براعم الحياة فى البحار والصحارى ثم ظهرت بعد ذلك موجودات حيّة كثيرة وأخيراً خلق الإنسان.

وبناءً على هذا لا يوجد أيّ شك فى أنّ الإنسان خلق من التراب ثم يعود إليه فما المانع فى أن يعاد ثانياً من التراب؟!

إنّ استئناس الإنسان بهذه الحياة وقصر نظرته وحُجب العناد والتعصب الفكرى أحياناً تمنع الإنسان من أن يرى هذه الحقائق الواضحة وأن يصدق أو يعترف بها.

نفحات القرآن، ج۵، ص: ۱۲۱

## ۲- القدرة الإلهيّة المطلقة

### تمهيد:

الطريق الآخر لإثبات امكان اعادة الخلق مرة أُخرى فى يوم القيامة هو ثبوت القدرة الإلهيّة غير المحدودة.

لأنّ البحث عن المعاد يأتى بعد إثبات أصل التوحيد وقبوله والتصديق بالصفات الثبوتية والاخرى السلبية للحق تعالى نحن نعلم بأنّ أحد صفاته الثبوتية هى «القدرة المطلقة» وهيمنته على كل شىء، وأنّ أفضل طريق لإثبات قدرته هى التمعن فى عظمه عالم الخلق، بالإضافة إلى أنّ واجب الوجود له وجود غير محدود فمن الطبيعى أن تكون قدرته غير محدودة أيضاً.

إنّ سعة السماواتِ وعظمة المنظومات السماوية وعظمة المجرّات وكثرة الكواكب المحورية والسيارات التى تدور حولها وتنوّع المخلوقات الحيّة من نباتات وحيوانات والأعمال الدقيقة العجيبة التى تؤدّيها الخلايا الحيّة ومكوّنات الذرّة، كل هذه الامور دليل على القدرة اللامتناهية للَّه تعالى

فعند الاعتقاد بهذه الامور وتصديقها لا يبقى مورد للشكِّ والترديد فى من هو القادر على إحياء العظام الرميم؟ أو كيف يمكن للتراب المنتشر أنْ يُجمعَ ويلبس ثوب الحياة؟!

لقد كانت هذه نبذة مختصرة عن المواضيع التى سنبحثها فى هذا الباب، وقد اشير إلى هذه المواضيع فى آيات متعددة من القرآن الكريم، وقبل أن نعطى توضيحاً أكثر نتأمل أولًا فى هذه الآيات خاشعين:

۱- «لَخَلْقُ السَّموَاتِ وَالْأرْضِ اكبرُ مِنْ خَلْقِ النَّاسِ وَلَكِنَّ اكْثَرَ النَّاسِ لَايَعلَمُونَ». (المؤمن/ ۵۷)

نفحات القرآن، ج۵، ص: ۱۲۲

۲- «أوَلَمْ يَرَوا انَّ اللَّهَ الَّذِى خَلَقَ السَّموَاتِ وَالْارْضَ قَادِرٌ عَلَى ان يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ وَجَعَلَ لَهُمْ اجَلًا لَّارَيْبَ فِيهِ فَأَبَى الظَّالِمُونَ إلّا كُفُوراً». (الاسراء/ ۹۹)

۳- «اوَلَمْ يَرَوا أَنَّ اللَّهَ الَّذِى خَلَقَ السَّموَاتِ وَالارْضَ وَلَم يَعْىَ بِخَلْقِهِنَّ بِقَادِرٍ عَلَى ان يُحْيِىَ المَوْتَى بَلَى انَّهُ عَلَى كُلِّ شَىءٍ قَدِيرٌ». (الاحقاف/ ۳۳)

۴- «اوَلَيْسَ الَّذِى خَلَقَ السَّموَاتِ وَالْارْضَ بِقَادِرٍ عَلَى انْ يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ بَلَى وَهُوَ الْخَلَّاقُ الْعَلِيمُ». (يس/ ۸۱)

۵- «قُلْ سِيرُوا فِى الْارْضِ فَانْظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ ثُمَّ اللَّهُ يُنْشِئُ النَّشْأَةَ الْآخِرَةَ إنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَىءٍ قَدِيرٌ» «۱». (العنكبوت/ ۲۰)

## جمع الآيات وتفسيرها

### إنّه على كل شيءٍ قدير:

فى الآية الاولى يقيس اللَّه تعالى إحياء الموتى بخلق السموات والأرض، قال تعالى

«لَخَلْقُ السَّموَاتِ وَالْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ النَّاسِ وَلَكِنَّ اكْثَرَ النَّاسِ لَايَعْلَمُونَ».

فحتماً يكون قادراً على إعادة الإنسان الذى خلقه أولًا، فهذا برهان جلى فى إفادة هذا الأمر.

قال الفخر الرازى فى تفسيره لهذه الآية: وكان من حقهم أن يقروا بأنَّهُ القادر على خلق السماواتِ والأرض ... فقد ظهر بهذا المثال أنّ هؤلاء الكفار يجادلون فى آيات اللَّه بغير سلطان ولا حجّة، بل بمجرد الحسد والجهل والكبر والتعصب «۲».

وصَرّح آخرون مثل «الطبرسى» فى مجمع البيان و «القرطبى» و «روح البيان» بأنّ هذه الآية خوطب بها منكرو المعاد وهى تقول: من قدر على خلق السماوات والأرض

---

(۱) أشير إلى هذا المعنى فى آيات اخرى أيضاً مثل الآية ۹ من سورة الشورى والآية ۲ من الحديد.

(۲) تفسير الكبير، ج ۲۷، ص ۷۹.

نفحات القرآن، ج۵، ص: ۱۲۳

واختراعهما مع عظمهما وكثرة أجزائهما يقدر على إعادة خلق البشر «۱».

والإتيان بجملة: «وَلَكِنَّ اكْثَرَ النَّاسِ لَايَعْلَمُونَ» كما قال كثير من المفسّرين: ليس بمعنى أنّهم فى الواقع لا يعلمون بأنّ «خلق السماواتِ بتلك الدقّة والعظمة أرقى من اعادة خلق الإنسان»، بل قد نُزِّلوا منزلة الجاهل فى هذه الامور لأنّهم غفلوا عنها ولم يفكّروا ويُمْعِنوا فيها وذلك لتعصبهم واتباعهم الهوى فضلوا فى أمر المعاد «۲».

والعجيب هنا هو أنّ فى تلك العصور لم تكتشف بعدُ عظمة السماواتِ كما هو الحال فى عصرنا الحاضر، والقليل من الناس كان له اطلاع آنذاك على الأسرار العظيمة التى كُشفت عن طريق التقدم العلمى فى العصور الحديثة، وكانوا لا يعلمون منها إلّاظاهرها، لكنّ القرآن الكريم المترشح من علم اللَّه اللامحدود رفع الحجاب عن تلك الأسرار.

وهناك ملاحظة هى: أنّ اللام فى «لخلق» هى «لام الابتداء» ظاهراً وقد جاءت هنا للتأكيد.

وفى الآية الثانية وبعد أن نقل كلام المنكرين الذين انكروا إعادة خلق الإنسان بعد استحالة عظامه وصيرورتها تراباً، قال تعالى «أَوَلَمْ

يَرَوا انَّ اللَّهَ الَّذِى خَلَقَ السَّموَاتِ وَالْأَرْضَ قَادِرٌ عَلَى أن يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ».

التعبير ب «مثل» هنا من الممكن أن يكون للدلالة على خلق البشر ثانياً، لأنّ خلقهم يكون كالسابق، ومن الممكن أيضاً أن يكون للدلالة على أنّ اللّه تعالى قادرٌ على خلق آخرين من البشر من جديد كما خلق هؤلاء، فكأنّه يقول عندما يكون اللّه قادر على خلق هؤلاء فإنّه قادرٌ على خلق غيرهم.

وهناك احتمال آخر هو أنّ الأبدان المخلوقة من جديد مهماكانت فهى ليست عينَ تلك الأبدان السابقة، وذلك لأنّ مادّتها الاولى تعود مع كيفية وهيئة جديدة غير تلك

---

(۱) تفسير الطبرسى، ج ۸، ص ۵۲۹؛ وتفسير القرطبى ج ۸، ص ۵۷۶۹؛ وتفسير روح البيان ج ۸، ص ۱۹۹.

(۲) تفاسير مجمع البيان؛ الكشاف؛ وروح المعانى ذيل الآية مورد البحث.

نفحات القرآن، ج۵، ص: ۱۲۴

الصورة السابقة، فمن أجل هذا عبّر القرآن ب «مثل»، ولكن روح الإنسان هى تلك الروح، فبعد أن تتعلّقَ بالبدن تحافظ على وحدة شخصيتها السابقة واللاحقة، بناءً على هذا فإنّ الناس بعد إعادتهم يكونون عينهم من ناحية، ومثلهم من ناحية اخرى (فتأمّل).

ثم يجيب فى ذيل الآية عن سؤال آخر للمنكرين، فأولئكَ كانوا يقولون: إذا كانت القيامة حق فَلِمَ لا ـ تقع، قال تعالى فى جوابهم: «وَجَعَلَ لَهُمْ اجَلًا لَّارَيْبَ فِيهِ».

وبتعبير آخر إنّه تعالى مع الحفاظ على كامل قدرته عيّن وقت قيام القيامة بالدقّة حيث ستقع فى ذلك الزمان المعيّن من دون أىّ تأخير.

«فَأَبَى الظَّالِمُونَ إلّاكُفُوراً» لأنّ هوى النفس والتعصب والعداء للحق أرخى على أفكارهم حُجبه وسدوله.

وفى الآية الثالثة ورد نفس هذا المعنى بتعبير آخر، قال تعالى «اوَلَمْ يَرَوا أَنَّ اللَّهَ الَّذِى خَلَقَ السَّموَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَمْ يَعْىَ بِخَلْقِهِنَّ بِقَادِرٍ عَلَى انْ يُحْيِىَ الْموتَى بَلَى إِنَّهُ عَلَى كُلِّ شَىءٍ قَدِيرٌ».

عبارةُ «اوَلَمْ يروا» المراد منها المشاهدة بعين البصيرة والعقل، لذلك فسَّرها المفسرون بمعنى أولم يعلموا، والبعض الآخر فسّرها بمعنى العلم والاطلاع المصحوبِ بالدقّة والتمعّن.

و «يَعْىَ»: من مادة «عَىّ» بمعنى العجز وعدم القدرة على المشى عند الإنسان، واستعملت أيضاً للدلالة على شمول العجز وعدم القدرة على إنجاز عملٍ ما، أو العجز عن بيان أمرٍ ما عن طريق التحدّث للآخرين، و «داءٌ عيّاء» المرض الذى لاعلاج له سُمّى بذلك لأنّه متعب ومسبب للعجز.

وفسّر بعضهم «العى» ب «الجهل» ولكن هذا المعنى لا يناسب هذه الآية.

ومن البديهى أن يُتَصَوّرَ العجزُ وعدم القدرة فى الأشخاص الذين تكون قدرتهم محدودة، ولكن هذا غير مُتَصَوَّرٍ بالنسبة للّه‌تعالى الذى لا حدَّ لقدرته، فالعجز والتعب لا معنى لهما فى هذا المورد.

نفحات القرآن، ج۵، ص: ۱۲۵

وعلى أيّة حال فإنّه من الممكن أن يكون هذا التعبير بياناً لخرافاتِ اليهود الذين كانوا يقولون: إنّ اللّه بعد أن خلق السماواتِ والأرضَ عَيِىَ وتعب! فخصَّصَ يوم السبت للاستراحة ومنذُ ذلك الحين أصبح هذا الأمر سنّةً لهم.

وسخافة هذا القول من الوضوح إلى درجة أنّه لايستحقُّ أىَّ بحث.

وفى الآية الرابعة ومن خلال أجوبةٍ متعددة لمنكرى المعاد وللشخص الذى جاء عند الرسول صلى الله عليه و آله يحمل العظم الرميم الذى قال: «مَن يُحْيِ الْعِظَامَ وَهِىَ رَمِيمٌ»، قال تعالى

«اوَلَيْسَ الَّذِى خَلَقَ السَّموَاتِ وَالْأَرْضَ بِقَادِرٍ عَلَى انْ يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ بَلَى وَهُوَ الْخَلَّاقُ العَلِيمُ».

وعندما يكون الحديث عن السماوات فَمِنَ البديهى أن يراد منها جميع ما تحتويهٔ من سيارات ونجوم ومجرّات، ونحن نعلم بأنّ الاكتشافات الأخيرهٔ لعلماء الفلك تنصُّ على أنّ منظومتنا الشمسيهٔ تقع ضمن مجرّهٔ درب التّبانهٔ المعروفهٔ، وقالوا: إنّ هذه المجرّهٔ تحتوى على عدد من النجوم يبلغ مائهٔ مليار نجمهٔ! والشمس التى نراها إحدى النجوم المتوسطهٔ الحجم لتلك المجرّهٔ!

وقالوا أيضاً: إنّ التلسكوبات العملاقهٔ تمكنت حتى الآن من اكتشاف مايقارب المليار مجرّهٔ!

فلو ضربنا هذه الأعداد ببعضها لحصلنا إجمالًا على رقم هائل من تلك الأَجرام السماويهٔ، مع العلم أنّ هذه الارقام هى ما توصَّل إليه علم البشر لحد الآن ومن الممكن أن نكتشف فى الأزمنهِٔ القادمهٔ عوالم اخرى كثيرهٔ ممّا يَجعلُ ما اكتشف الآن بالنسبهٔ لها شيئاً قليلًا لايُعتدُّ به، كل هذا كان بالنسبهٔ للحديث عن السماء، أمّا عندما يكون الحديث عن الأرض فإنّه يشمل جميع أَسرارها وعجائبها أيضاً.

فهل يعجزُ ويكلُّ خالق هذا العالم العظيم العجيب الذى يحتوى على نظام دقيق أن يُعيد خلق الإنسان ثانياً؟!

والتعبير ب «خلّاق» (اى كثير الخلق) من الممكن أن يكون للدلالهٔ على أنَّ اللَّه تعالى فى

نفحات القرآن، ج۵، ص: ۱۲۶

حالهٔ إيجاد الخلق على الدوام، وفى حالهٔ خلق موجودات جديدهٔ فى كل يوم، وكذلك فى حالهِٔ إفناء وإعدام مخلوقاتٍ اخرى فى كل يوم، من أجل هذا استخدمت كلمهٔ «خلّاق» بصيغهٔ المبالغهٔ.

ومن الممكن أيضاً أن يكون التعبير ب «عليم» للدلالهٔ على أنّ جمع ذرّات البشر الذين يموتون ويصبحون تراباً وينتشر ترابهم فى كل مكان ليس بأمرٍ صعب على اللَّه العالم المطّلع على كل شىء، كما أنّه ليس من الصعب أيضاً محاسبتهم على أعمالهم التى ارتكبوها طيلهٔ حياتهم (يجب الالتفات إلى أنّ «عليم» صفهٔ مشبّههٔ، وبما أنّها جاءت مقارنهٔ لصيغهٔ المبالغهٔ خلّاق فإنّها هنا تفيد التأكيد).

الآيهٔ الخامسهٔ والأخيرهٔ فى هذا المجال تضع أمام منكرى المعاد دليلًا حسياً وتجريبيّاً.

قال تعالى مخاطباً الرسول صلى الله عليه و آله: «قُلَ سِيرُوا فِى الْأَرْضِ فَانْظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ ثُمَّ اللَّهُ يُنْشِئُ النَّشْأَةَ الْآخِرَةَ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَئٍ قَدِيرٌ». و «السير فى الأرض»: يزيد الإنسان علماً بمعرفهٔ نشأهٔ وظهور الحياهٔ على الكرهٔ الأرضيهٔ، وذلك لأنّ الموجودات الحيّهٔ التى وجدت منذ ظهور الحياهٔ على هذا الكوكب بقيت آثارها فى طيات القشرهٔ الأرضيهٔ، والعلماء فى هذا اليوم- عن طريق مطالعهٔ تلك الآثار- توصَّلوا إلى كشف الكثير من أسرار خلق الموجودات الحيّهٔ.

ومن الممكن أيضاً أن يكون الهدف من السير فى الأرض كشفَ أسرار تكوّن الكرهٔ الأرضيهٔ الذى يتم عن طريق فحصِ الطبقات المختلفهٔ للأرض والعناصر المختلفهٔ الموجودهٔ فيها.

ومن الممكن كذلك أن يكون دليلًا على الخلق الذى يتكرر وقوعه فى كل يوم على الكرهٔ الأرضيهٔ، ففى كل يوم تظهر إلى الوجود موجودات حيّهٔ كثيرهٔ وتغيب عن الانظار موجودات اخرى

نفحات القرآن، ج۵، ص: ۱۲۷

فكيف يعجز عن إحياءِ الموتى الهُ قادر على الإتيان بخلقٍ كهذا وتطورات كهذه؟ وهكذا اعتُبرتْ قدرهٔ الحق المطلقهٔ دليلًا على إثبات إمكان إحياء الإنسان ثانياً.

ولكن يبقى هناك احتمال أيضاً هو أنّ الآيهٔ المذكورهٔ دليل على النشأهٔ الأولى للإنسان، وقياس عقلى لإثبات الخلق المستأنف على الخلق الأول، ففى هذه الصورهٔ تكون الآيهٔ فى عداد الآيات المذكورهٔ سابقاً، وعلى أىّ تقدير تكون دليلًا على نفس المدّعى

يبقى هناك تساؤل وهو: كيف أمر القرآن الكريم البشر بالسير فى الأرض لاكتشاف أسرار ظهور الحياهٔ عليها، مع أنّ بدايهٔ ظهور الحياهٔ على هذه المعمورهٔ تعود إلى مليارات خلت من السنين ولا يمكن مشاهدتها فى هذا اليوم؟ والجواب عن هذا التساؤل يتضح بصورهٔ جليّهٍٔ من خلال التفسير الذى ذكرناه لهذه الآيهٔ آنفاً، فقد ذكرنا فيما سبق ثلاثهٔ أجوبهٔ عن هذا التساؤل «فتأمل».

والجدير بالذكر التعبير عن المعاد هنا ب «النشأة الآخرة» و «نشأة» كما قال الراغب: هى بمعنى إيجاد وتربية الشى، وهذا يدلّ على أنّفى يوم القيامة يوجد خلق جديد وتربية جديدة أيضاً.

### ثمرة البحث:

هذا القسم من الآيات بمثابة تذكُّر لمنكرى المعاد، لعلهم يعون قدرة اللّه المطلقة، فتقول لهم: فإن لم تؤمنوا فألقوا بنظرة فاحصة على عالم خلق السماوات والنجوم الثابتة والكواكب السيارة والمجرات والمنظومات السماوية، ثم انظروا إلى الأرض ولما تحتويه من عجائب وأسرار وإلى النظام المهيمن عليهما جميعاً.

فهل فى ذلك شك بعد مشاهدة كل هذه الدلائل؟ وهل يمكنكم أن تنكروا قدرة اللّه المطلقة؟! فإن آمنتم بقدرته المطلقة فكيف تشكّون فى مسألة المعاد وإحياء الموتى وتعتبرون ذلك من الامور العجيبة التى لايمكن التصديق بها؟!

نفحات القرآن، ج۵، ص: ۱۲۹

## ۳- آيات إحياء الأرض

### إشارة:

الإحياء بعد الموت الحاصل فى عالم النباتات يمثل ظاهرة اخرى من ظواهر المعاد التى أشار إليها القرآن المجيد مرّات متعدّدة، وقد رسم منها لوحة جميلة لاثبات هذا الأمر ووضعها امام أنظار الجميع.

فهذه الظاهرة يتكرر حدوثها فى كل عام أمام الملأ، ونحن نشاهد ذلك مراراً بعدد السنين التى نعيشها فى هذه الدنيا.

القانون السائد بالنسبة للحياة والموت هو نظام موحد فى كل زمان ومكان، فإن كان احياء الإنسان بعد موته وتحوله إلى تراب من المستحيلات فكيف يَتُمّ إحياء النباتات التى تموت وتتفسّخ مرّة اخرى !

وما بال هذه الأرض الميتة تهتز وتربو بعد نزول المطر وتلبس ثوب الحياة وتخرج النباتات من أعماقها وتنمو وتُظِهرُ ازهارها وتبتسم ورودها؟ إن كل مشاهد الحياة تدل على أنَّ هناك حشراً وحياةً جديدة.

إنّ القرآن الكريم لَفتَ أنظار جميع البشر لهذا الأمر، والآيات الآتية من أهم النماذج لذلك، فلنمعن فيها خاشعين:

۱- «وَنَزَّلْنا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً مُّبَارَكاً فَانبَتْنا بِهِ جَنَّاتٍ وَحَبَّ الحَصِيدِ* وَالنَّخلَ بَاسِقاتٍ لَّهَا طَلْعٌ نَّضِيدٌ* رِّزقاً لِّلْعِبَادِ وَاحْيَيْنَا بِهِ بَلْدَةً مَّيتاً كَذَلِكَ الخُرُوجُ». (ق/ ۹- ۱۱)

۲- «يُخرِجُ الحَيَّ مِنَ المَيِّتِ ويُخرِجُ المَيِّتَ مِنَ الحَيِّ وَيُحيِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوتِهَا وَكَذَلِكَ تُخرَجُونَ». (الروم/ ۱۹)

نفحات القرآن، ج۵، ص: ۱۳۰

۳- «فَانْظُرْ الَى آثَارِ رَحْمَتِ اللَّهِ كَيفَ يُحيِ الارْضَ بَعْدَ مَوتِهَا إنَّ ذَلِكَ لُمحْيِ الْمَوتَى وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ». (الروم/ ۵۰)

۴- «وَ تَرَى الْأَرْضَ هَامِدَةً فَإذَا أَنْزَلنَا عَلَيْهَا المَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنْبَتَتْ مِنْ كُلِّ زَوجٍ بَهِيجٍ* ذَلِكَ بِانَّ اللَّهَ هُوَ الحَقُّ وَأَنَّهُ يُحْيِ المَوْتَى وَانَّهُ عَلَى كُلِّ شَيءٍ قَدِيرٌ». (الحج/ ۵- ۶)

۵- «وَ مِنْ آيَاتِهِ أَنَّكَ تَرَى الْارْضَ خَاشِعَةً فَإذَا أَنْزَلنَا عَلَيْهَا المَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبتْ إنَّ الَّذِى أَحيَاهَا لُمحيِ المَوْتَى إِنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيءٍ قَدِيرٌ». (فصلت/ ۳۹)

۶- «وَاللَّهُ الَّذِى أَرسَلَ الرِّيَاحَ فَتُثِيرُ سَحَاباً فَسُقنَاهُ إِلَى بَلَدٍ مَّيِّتٍ فَاحْيَينَا بِهِ الَارْضَ بَعْدَ مَوتِهَا كَذَلِكَ النُّشُورُ». (فاطر/ ۹)

۷- «وَهُوَ الَّذِی یُرسِلُ الرِّیَاحَ بُشْراً بَیْنَ یَدَیْ رَحمَتِهِ حَتَّی إِذَا اقَلَّتْ سَحاباً ثِقَالًا سُقنَاهُ لِبَلَدٍ مَّیِّتٍ فَأَنزَلنَا بِهِ المَاءَ فَأَخْرَجْنَا بِهِ مِن کُلِّ الثَّمَرَاتِ کَذَلِکَ نُخْرِجُ الْمَوْتَی لَعَلَّکُمْ تَذَکَّرُونَ».

(الاعراف/ ۵۷)

## جمع الآیات وتفسیرها

### هل رأیتم کیف تحیی الأرضُ المیتةُ؟ فهکذا النشور!

لقـد اهتم القرآن الکریم فی الآیـة الاولی من هذا البحث بشـرحِ جذورِ الحیاةِ الرئیسـیةِ أیْ قطراتِ المطر، قال تعالی: «وَنَزَّلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً مُّبَارَکاً فَانْبَتْنَا بِهِ جَنَّاتٍ وَحَبَّ الحَصِیدِ».

أشار القرآن الکریم بهذه الآیة إلی جمیع بساتین الفواکه ومزارع الغلّات والبقول «۱».

ثم أشـارَ إلی النخیـل الباسـقات الـتی تحمـل ثمراً کثیراً وهـذا النوع من النخیـل یعتبر من أرقی واکمـل أنواع النخیـل، فأضـاف تعـالی «وَالنَّخْلَ بَاسِقاتٍ لَهَا طَلْعٌ نَّضِیدٌ» «۲».

---

(۱) یجب الالتفات إلی أنّ المراد من «حب الحصید» الحبوب القابلة للحصد (و «حصید» بمعنی «محصود»).

(۲) «باسقات» جمع «باسق» أی المرتفع.

نفحات القرآن، ج۵، ص: ۱۳۱

والجـدیر بالـذکر أنّه ذکر النخیـل الباسـقات من جهـة أنّهـا خُلقتْ ونشأتْ من تلک الأرض المیتـة، وتلک البـذور الصـغیرة التی نمت وأصبحت بهذه الهیئة العجیبة.

ومن ناحیـة اخری أشار إلی ثمارها المتراصـة التی تحملها فی ارتفاع شاهق، تلک الثمار اللذیـذة المغذیة «الحیویة»، تحتوی علی أنواع من المواد الضروریة التی یحتاج إلیها جسم الإنسان «۱».

وأخیراً نصل إلی هـذه النتیجة وهی:، إنّ الهدف من هذا أنّ اللَّه سـبحانه یهب (رزقاً للعباد)، «وَأَحْیَیْنَا بِهِ بَلْدَةً مَّیتاً» «۲» «ک مقدمه لک الخرو عید مبارک».

إنّ هـذه الآیـة تکشف عن حقیقـة وهی أنَّ خروج الإنسـان یوم القیامـة تـابع لتلک القوانین المهیمنـة علی النباتات والبـذور والأشـجار بفواکهها المتنوعـة، ذلک الأمر الذی نشاهده کل عام بأعیننا، ولکن بما أننا اعتدنا علی ذلک فإننا نعتبره أمراً عادیاً، وبما أننا لم نشاهد عودة البشـر إلی الحیاة بأعیننا فإنّ البعض یعتقـد بأنّ ذلک امر غیر معقول وأحیاناً یعتقـد بأنّه من المحالات، مع أنّ النظام المهیمن علی الأمرین واحد.

وفی الآیة الثانیة طُرحت نفس المسألة ولکنْ بتعبیرٍ آخر، قال تعالی «یُخْرِجُ الْحَیَّ مِنَ الْمَیِّتِ وَیُخْرِجُ الْمَیِّتَ مِنَ الحَیِّ».

إنّ الفاصـلة الزمانیـة التی ترونها بین الحیاة والموت لا تکون امراً یُعتنی به بالنسـبة للذات المقدّسـة الإلهیّة، فهو علی الدوام یُخرجُ الحیَّ من المیّت وبالعکس، (یجب الانتباه إلی أن «یخرج» فعل مضارع وهو یدل علی الاستمراریة، أی أنّ هذا العمل مستمر ودائم) علی هذا فإنّ منظر نهایة هذا العالم الذی هو عبارة عن خروج الموت من باطن الحیاة، وکذلک منظر

---

(۱) «الطلع» هو اسم ثمـار النخیل فی بـدء ظهورها، و «نضـید» بمعنی متراکم، ومن الغرائب هو أنّ الأشـجار نادراً ما تحتوی علی فواکه

عنقودية الشكل والأكثر غرابه من ذلك أنّ عناقيد ثمار النخيل ثقيلة.

(٢) جاء هنا بالصفة «ميتاً» بصيغة المذكر مع أنّ الموصوف «بلدة» مؤنث والسر فى ذلك هو أن «بلدة» هنا جاءت بمعنى المكان.

نفحات القرآن، ج٥، ص: ١٣٢

المعاد الذى هو عبارة عن خروج الحياة من باطن الموت امرٌ مستمر ويتكرر وقوعُه أمام أعيننا دائماً ولو على مستوىً محدود، فما المانع من أن تموت جميع الموجودات الحيّة مرّةً واحدة ويُعاد البشر إلى حياة جديدة فى يوم الحشر؟ أىْ أنْ يتحقّقَ قانونُ تبديل الموت بالحياة والحياة بالموت بصورة أوسع وأشمل ممّا عليه حالياً.

وأمّا بالنسبة لعروض الموت على الحياة فإنّه أمرٌ بديهى وواضح لدى الجميع، ولكن بما أنّ عروض الحياة بعد الموت يخفى على البعض ويحتاج إلى شيء من التأمل فقد قال تعالى فى ذيل الآية: «وَيُحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوتِهَا وَكَذلِكَ تُخْرَجُونَ».

وجملة «كذلك تُخرجون» تشير بوضوح إلى هذه الحقيقة وهى أنّه لا يوجد هناك ایّ تفاوت بين القيامة الصغيرة التى تحدث فى عالم النباتات والأرض الميتة وبين تلك القيامة الكبرى الشاملة.

وبمجرّد أن يتأمل الإنسان قليلًا فى هذا الموضوع فإنّه سوف تزول عنه كل ظنونه الخاطئة والوساوس الشيطانية التى تنتابه فى أمر المعاد.

إنّ فى كل لحظة تمرُّ على هذا العالم الوسيع تنفلق فيها الآلافُ المؤلفة من البذور وتخرج منها براعم جديدة للحياة، وفى كل لحظة تبدأ أرض واسعةٌ بالحياة بعد أن كانت ميتة، إنّها سُنّةُ اللَّه السرمدية والتى تُوحى بها الآية الثالثة وبعد بيان كيفية تكوّن الأمطار بعد تسيير الرياح وتراكم الغمام على بعضها، قال تعالى: «فَانْظُرْ الَى آثَارِ رَحْمَتِ اللَّهِ كَيْفَ يُحيِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوتِهَا»، «إِنَّ ذَلِكَ لُمحيِ الْمَوتَى ، نعم إنّه: «عَلَى كُلِّ شَىءٍ قَدِيرٌ». و «آثار»: جمع «أَثَر»، قال فى «مقاييس اللغة»: إن الأَثَرَ له ثلاثةُ معانٍ، الشى الذى له سابق، والذكر الباقى بعد الموت، وما بقى من رسم الشى، لكن بعض علماء اللغة حَصَروا معنى الأثر فى المعنى الثالث، وذلك لأنّ المعنيين الأولين ناتجان عن الآثار الباقية من أجل الفضيلة وعوامل علوّ الشأن.

نفحات القرآن، ج٥، ص: ١٣٣

والمراد من «رحمة اللَّه» هنا هو المطر الواهب للحياة الذى يعتبر نموذجاً حياً وبيّناً للرحمة الإلهيّة التى تتجلّى آثارها فى كل مكان، فهو يحيى الأرض الميتة ويفيض بالحياة على القلوب الميّتة ويهب النشاط والحياة للهواء الملوّث الميّت وأخيراً يجود بنور الحياة على جسم الإنسان.

واستعمال كلمة «ذلك» فى الآية للإشارة إلى اللَّه تعالى فى حين أنّه يستعمل للإشارة إلى البعيد للدلالة على عظمة مقامه وعلى أنّه لا تدركه العقول والأبصار.

والإتيانُ ب «أنّ» التى تفيد التوكيد و «اللام» فى «لَمُحيى» الذى يفيد التوكيد أيضاً بالإضافة إلى «الجملة الإسمية» التى تفيد التوكيد كذلك، كل هذا من أجل إثبات حقيقة إنّ الذى يحيى الأرض الميتة عن طريق إنزال مطرِ رحمتِهِ باستمرار بإمكانه أن يُحييَ أمواتَ البشر ويعيدَ لهم الحياة من جديد.

واستعمال كلمة «انظر» تجلب الانتباه من جهة أنّها تشير إلى أنّ مسألة المعاد أمرٌ حسىّ مشاهد، ظاهرٌ للعيان دائماً، فكيف تُنكرون ذلك أو تتخذونه سخريّاً؟!

وفى الآية الرابعة بعد أنْ ذكر المراحل التكاملية للنطفة فى الرحم وبعد ذِكْرِ تطوراتِ الجنين بانّها دليل واضح على مسألة إمكان المعاد، ينتقل إلى الحديث عن بذورِ النباتات التى تنمو فى أعماق الأرض، قال تعالى «وَتَرَى الْأَرْضَ هَامِدَةً» «١».

«فَإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا الَماءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنْبَتَتْ مِنْ كُلِّ زَوجٍ بَهِيجٍ».

إنّ القرآن المجيد كتاب عجيب حقاً، فإنّه عندما يريد أن يؤكّد على احدى الحقائق ويرسخها فى الأذهان ويكرر ذكرها يصورها

بألوان مختلفة، فيشعر الإنسان عند سماع تلك

(١) «هامدة» من مادة «همود» قال الراغب فى المفردات: الهمود فى الأصل بمعنى انطفاء النار (وذهاب حرارتها ونورها)، لكنّ عدداً من أصحاب اللغة والمفسرين ذكروا لها معانى اخرى أيضاً، ومن جملة معانيها: الجفاف، والسكوت، والموت، وصيرورة الشى بالياً عتيقاً، وهذه المعانى جميعها يمكن أن تنطبق على هذه الآية، فالأرض تموت وتخمد وتطفأ فى فصل الشتاء، بينما تدبّ الروح فيها وتأخذ بالحركة فى فصل الربيع وكأنّها تصرخ!

نفحات القرآن، ج۵، ص: ۱۳۴

الحقيقة كأنّه يواجِهُ حقيقةً غيرَ التى سمعها سابقاً ويجد نفسه أمام صورة جديدة من صور تلك الحقيقة، فلا يصبح تكرارها مملًّا أو غير نافعٍ له، فالإنسان يتلقّى دروساً جديدة باستمرار، ونحن نشاهد فى مسألة احياء الأرض الميتة فى الآيات المعنيّة بالبحث نموذجاً لذلك.

ومن الجدير بالذكر أنّ القرآن الكريم فى هذه الآية التى عطفها على مسألة التطورات الجنينية يؤكد على أنّحياة الإنسان والحيوان والنبات تقع جميعها تحت مقولة واحدة، وكل نموذج نراه ونلمسه فى هذه الثلاثة، يكون دليلًا على إمكان المعاد لغيرها من المخلوقات، فالتعبيرُ ب «ترى كالتعبير ب «انظر» فى الآية السابقة وكلاهما للتأكيدِ على أنّ قيامة النباتات أمرٌ محسوس ومشاهد.

و «اهتزّت»: من مادة «اهتزاز» المشتقّة من «هزّ» بمعنى الحركة الشديدة، وفسّرها البعض بمعنى الحركة الجميلة الجذّابة، وقد جاءت هنا للدّلالةِ على التغيرات الجميلة والحركات المختلفة التى تحصل بفعل نمو أنواع النباتات التى تظهر على سطح التربة.

و «رَبَتْ»: من مادة «ربوّ» وجاءت هنا بمعنى نموّ الأرض لا ـ نمو النباتات، والمراد من نمو الأرض هنا هو بروز اجزاء من التربة بفعل خروج النباتات وتوغّل الجذور وظهور سيقان النباتات، أمّا الذين فسّروا هذه الجملة بأنّها تدلّ على نموّ النباتات فإنّهم فى الحقيقة غفلوا عن مفاد الجملة المتأخرة عنها، لأنّه تعالى يقول: «وَأَنْبَتَتْ مِنْ كُلِّ زَوجٍ بَهِيجٍ».

وتحمل الآية الخامسة فى طيّاتها نفس محتويات الآية السابقة ولكنّها تختلف عنها بعدّة أمور: أولًا أنّها اعتبرت احياء الأرض الميتة دليلًا على أصل التوحيد بالإضافة إلى دلالتها على المعاد، قال تعالى «وَمِنْ آيَاتِهِ أَنَّكَ تَرَى الْأَرْضَ خَاشِعَةً فَإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ»، (إِنَّ الَّذِى أَحيَاهَا لُمحْيِ الْمَوتَى إِنَّهُ عَلَى كُلِّ شيءٍ قَدِيرٌ».

وثانياً عبّرت عن الأرض الميتة ب «الخاشعة»، قال فى «الميزان» هى الأرض القاحلة،

نفحات القرآن، ج۵، ص: ۱۳۵

وقد شبّهها هنا بالفقير الذليل المسكين الذى لا يمتلك شيئاً، ثم شبّهها بعد نزول المطر بالذى أُوتىَ مالًا كثيراً ولبس أفضل الثياب، حيثُ يمشى بنشاط مرتفعَ الرأس مستقيماً تبدو آثار النعمة على وجهه «١».

وهناك أمرٌ آخر يمكن أن نستخلصه من هذا التعبير وهو درس من دروس الأخلاق، فكما أنّ الأرض الخاشعة الخاضعة تشملها رحمةُ اللَّه فتحصل على كل آثار البركات والنمو والنشاط، فإنّ عباد اللَّه الخاشعين والخاضعين تنالهم رحمة اللَّه الواسعة أيضاً، وتنمو فى نفوسهم براعم العلم والإيمان والتقوى

و وردت هذه المسألة فى الآية السادسة بتعبير جديد من خلال بيان كيفية نزول المطرِ، قال تعالى «وَ اللَّهُ الَّذِى أَرْسَلَ الرِّيَاحَ فَتُثِيرُ سَحَاباً فَسُقْنَاهُ إِلَى بَلَدٍ مَّيِّتٍ فَاحْيَينَا بِهِ الْارضَ بَعْدَ مَوتِهَا»، «كَذَلِكَ النُّشُورُ».

وهذِهِ الآية فى الحقيقة من أدلة إثبات المُبدئ تعالى أيضاً، أى إثبات الذات الإلهيّة المقدّسة، وفى نفس الوقت تستعمل دليلًا على المعاد، فهو يشير فى البداية إلى الآيات والبراهين الدالة على وجوده تعالى عن طريق بيان النظام الدقيق المهيمن على حركة الرياح والسحاب وسقى الأرض الميتة وإحيائها، وأخيراً يشير إلى دليلٍ حيّ وعميق المعنى لإثبات المعاد.

وجملةُ «كـذلك النشور» بالإضافة إلى أنّهـا تشبّه إحيـاء الإنسان بإحياء الأرض الميّتـة، إلّا أنّها من الممكن أن تكون دليلًا على سوق الأرواح إلى الأبـدان في يوم القيامـة ويساق التراب المنتشـر فيُجمع وتحلّ فيه الروح، كما هو الحال في سوق الرياح للسُحُبِ وجمعها إلى بعضها كي تتلاقح وتهطل ثمارها التي هي عبارة عن قطرات المطر.

وفي الحديث الشريف أنّ أحد أصحاب رسول اللَّه صلى الله عليه و آله سأله قائلًا: كيف يحيي اللَّهُ

(۱) تفسير الميزان، ج ۱۷، ص ۴۱۹.

نفحات القرآن، ج۵، ص: ۱۳۶

الموتى وما آيـةُ ذلك في خلقه؟ فقال رسول اللَّه صـلى الله عليه و آله: «أمَا مَرَرْتَ بوادِيْ أهلِكَ مُمْحِلًا ثمَّ مَرَرْتَ بِهِ يهتزُّ خَضِـراً؟» «۱» فقال الصحابي: بلى يارسول اللَّه: فقال صلى الله عليه و آله: «فكذلك يُحيي اللَّهُ الموتى وتلك آيتُهُ في خلقه» «۲».

وفي الآيـة السابعـة والأخيرة تحدّث سبحانه أيضاً عن إرسال الرياح واعتبرها تُبشِّر عن نزول مطر رحمته، قال تعالى «وَهُوَ الَّذِى يُرسِلُ الرِّيَاحَ بُشْراً بَيْنَ يَدَىْ رَحْمَتِهِ حَتَّى إذَا أَقَلَّتْ سَحَاباً ثِقَالًا سُقْنَاهُ لِبَلَدٍ مَيِّتٍ فَانْزَلْنَا بِهِ المَاءَ» «۳».

وبعد ذلك مباشرةً قال تعالى: «فَأَخْرَجْنَا بِهِ مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ كَذَلِكَ نُخْرِجُ الْمَوتَى لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرون».

وجملةُ «لعلّكم تـذكّرون» جاءت للدلالـة على أنّ اللَّه يريكم هذه المشاهد في هذه الدنيا كي يثبت لكم وجوده تعالى من ناحيةٍ، ومن ناحيةٍ اخرى يُثبتَ لكم أنّهناك معاداً وقيامةً في العالم الآخر.

والعجيب مـا جاء في الحـديث المنقول عن رسول اللَّه صـلى الله عليه و آله، حيث قال: «ثمَّ يُرسلُ اللَّهُ مَطَراً كأنّهُ الطَّلُّ فتنبُتُ مِنهُ أجسادُ الناس، ثم يُقال: يا أيُّها الناسُ هَلُمُّوا إلى ربِّكُمْ، وقفوهُم إنّهم مسئولون» «۴».

ويُستفاد من أقوال بعض المفسّـرين إنّ ذلـك المطر ليس كـالمطر المعتـاد، بل له شـبه بماء النطفـة التي يتكوّنُ الإنسان منها! ويستمرّ هطول هذا المطر مدّة أربعين يوماً، فيؤثّر في أجزاء الإنسان الميّتة بشكل عجيب وينفخُ فيها الروح.

(۱) «ممحل» من مادة «مَحل» على وزن «نخل» ويعني سَنة الجفاف وانقطاع الأمطار، وموت النباتات، مجمع‌البحرين، مادة (محل).

(۲) تفسير القرطبي وتفسير روح البيان في ذيل الآية مورد البحث.

(۳) يجب الانتباه إلى أنّ «سحاب» تفيد الجمع من جهة المفهوم لذلك جاءت الصفة «ثقال» بصيغة الجمع، لكنّها من جهة اللفظ مفردة لذلك جاء الضمير في «سقناه» مفرداً.

(۴) تفسير القرطبي، ج ۴، ص ۲۶۶۷.

نفحات القرآن، ج۵، ص: ۱۳۷

جواب عن سؤال:

أَعطى القرآن المجيد في الآيات المذكورة آنفاً جواباً قاطعاً لمنكرى المعاد وذلك عن طريق مثال حسـيّ واضح، وجعل «الشاهد» دليلًا على «الغائب» و «اليوم» دليلًا على «الغد».

وذلـك لأنّ الأرض الميّتـة تحيي في كل عام مرّة أو مرّتين أو أكثر بفعل هطول مطر الرحمـة الإلهيّـة، بل يمكن القول بأنّ هـذا الأمر يتكرر وقوعه في كـلّ يوم في العـالم، فينبت في كـل يوم نبتٌ جديـد في الأرض الميتـة، وتظهر في كـل يوم ظـاهرة المعـاد أمـام نظر الإنسان.

ومن هنا يُطرح هذا السؤال: إنّ العلماء المعاصرين اتفقوا على أنّ جميع التجارب أعطت نتيجة واحدة هي أنّ الموجودات الحيّة لا تولد إلّامن موجودات حيّة اخرى فإن لم توجدْ في الأرض بذور نباتية فسوف لن يكون نزول المطر مؤثراً أبداً.

ومن ناحية اخرى إنّ البذور تتكوّن من قسمين، وأحد هذين القسمين والذى يعتبر القسم الأكبر من البذرة يشكّل المادّة الغذائية فيها، والقسم الآخر أى القسم الأصغر من البذرة عبارة عن خليّة حيّة، وهذه الخلية إذا توفرت لها الظروف المساعدة (على الأخص الماء) فإنّها سوف تنمو وتترعرع بواسطة التغذّى على المادة الغذائية الموجودة فى البذرة والموادّ الموجودة فى التربة، فإذا ماعُدمت هذه الخلية الحية فإنّه من المستحيل أن تحيى الأرضُ الميّتة.

وجوابنا عن ذلك هو: إنّ هذا ممّا لا- شكّ فيه، وهو كما تقولون وإنّ تلك الخليّة الحيّة الصغيرة تتغذى على الأجزاء الميّتة التى تمتصها من التربة وتحولها إلى جسم حىّ وموجود حىّ (فتأمل).

وبتعبير آخر: إنّ النخلة التى يصل وزنها أحياناً إلى طن واحد كانت فى البداية خليّة صغيرة تأخذ مكانها فى النواة، ووزنها لا يتعدّى المليغرام الواحد، ثم بعد ذلك امتصّت ما يقارب الطنّ الواحد من الموادّ الميّتة الموجودة فى التربة والماء والهواء التى تعتبر جميعها موجودات غير حيّة، فأعطت الحياة لجميع هذه الموجودات، وهذا فى الواقع هو معنى

نفحات القرآن، ج۵، ص: ۱۳۸

تبديل الأرض الميّتة إلى موجودات حيّة.

والجدير بالذكر أنّ القرآن الكريم يقول: تُحيى الأرض الميّتة (ولا يقول تُحيى الأشجار والبذور الميّتة، لأنّ هذه لم تمُت بالكامل) أى أنّ هذه الأرض الميّتة أصبحت جزءاً من بدن النباتات والشجر ثم تبدّلت إلى خلايا حيّة.

ومن البديهى إنّنا لو امعَنّا النظر فى ظهور الحياة على الكرة الأرضية لصار الأمر أكثر وضوحاً، لأنّ الأرض بعد انفصالها عن الشمس كانت كتلة من النار ولم يوجد أىّ موجود حى فى ذلك الحين طبعاً، ولكن بعد أن بردت الأرض وأصبحت مستعدة لاستقبال الموجودات الحيّة وهطلت الأمطار بغزارة عليها فبردت الأرض بفعل هطول المطر أكثر وأعدّها ذلك المطر لاستقبال الحياة فظهرتْ آنذاك أول براعم الحياة النباتية التى لم يكتشف لحدّ الآن سرّ ظهورها، وبقى هذا السرّ مخفياً عن العلماء وكأنّ ظهورها من تلك الموادّ الميّتة التى تحتوى عليها التربة، وبهذا النحوِ غمرت الحياة تلك الموجودات الميّتة (فتأمل جيّداً).

نفحات القرآن، ج۵، ص: ۱۳۹

### ۴- التطورات الجنينية

#### تمهيد:

الطريقة الاخرى التى اتبعها القرآن فى إثبات إمكان المعاد بالاستفادة من آيات متعددة هى طريقة التغييرات التى تطرأ على «النطفة» منذ استقرارها فى عالم «الرحم» العجيب والغامض حتى مرحلة الولادة، وكل مرحلة من هذه المراحل فى الحقيقة هى حياة جديدة ونموذج من نماذج المعاد! فالمراحل الكيفية لهذه التطورات كثيرة جدّاً، ممّا تثيرُ مطالعتها ومشاهدتها تعجّبَ الإنسان وتجعله يغرق فى التمعّن فى كيفية هذا التحول العجيب الذى يطرأ على النطفة الحقيرة فى هذه المدّة الوجيزة.

من هنا تعتبر هذه التحولات العجيبة التى لا- تتوقف فى أى وقت دليلًا على وجود بارى هذا العالم القادر، الذى أوجد جميع هذه العجائب فى ظلمات الرحم الثالث، ومن ناحية اخرى فإنّ هذه التحولات لها شَبَهٌ كبير بمسألة الحياة بعد الموت، والقرآن المجيد فى كلا الأمرين (التوحيد والمعاد) يعتمد على هذه الآيات والدلالات، وحقاً إنّ مثل هذه الظاهرة تستحق أن يُعتمدَ عليها بهذا الشكل.

بعد هذه الإشارة نعود إلى القرآن المجيد ونمعن خاشعين فى الآيات التى وردت فى هذا المجال:

۱- «يَا ايُّهَا النَّاسُ إنْ كُنتُمْ فِى رَيبٍ مِّنَ البَعْثِ فَانَّا خَلَقنَاكُمْ مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ مِن عَلَقَةٍ ثُمَّ مِن مُّضغَةٍ مُّخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخلَّقَةٍ لِّنُبَيِّنَ لَكُمْ وَنُقِرُّ فِى الْارْحَامِ مَا نَشَاءُ إِلَى اجَلٍ مُّسَمّىً ثُمَّ نُخرِجُكُمْ طِفْلًا ...* ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الحَقُّ وَانَّهُ يُحيِ المَوْتى وَأَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ

قَدِيرٌ». (الحج/ ۵- ۶)

نفحات القرآن، ج۵، ص: ۱۴۰

۲- «الَمْ يَکُ نُطْفَةً مِّن مَّنِيٍّ يُمْنَى ثُمَّ كَانَ عَلَقَةً فَخَلَقَ فَسَوَّى فَجَعَلَ مِنهُ الزَّوجَينِ الذَّكَرَ وَالانثَى الَيسَ ذَلِکَ بِقَادِرٍ عَلى انْ يُحْيِيَ الْمَوْتَى . (القيامة/ ۳۷- ۴۰)

۳- «وَانَّهُ خَلَقَ الزَّوجَيْنِ الذَّكَرَ وَالْانثَى مِن نُّطْفَةٍ إِذَا تُمْنَى وَأَنَّ عَلَيهِ النَّشْأَةَ الاخْرَى . (النجم/ ۴۵- ۴۷)

۴- «قُتِلَ الْانسَانُ مَا اكفَرَهُ* مِنْ أَيِّ شَيْءٍ خَلَقَهُ* مِن نُطفَةٍ خَلَقَهُ فَقَدَّرَهُ* ثُمَّ السَّبِيلَ يَسَّرَهُ* ثُمَّ أَمَاتَهُ فَاقبَرَهُ* ثُمَّ إِذَا شَاءَ انْشَرَهُ». (عبس/ ۱۷- ۲۲)

۵- «وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ مِن سُلَالَةٍ مِّن طِينٍ* ثُمَّ جَعَلنَاهُ نُطفَةً فِى قَرَارٍ مَّكِينٍ* ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا العَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا المُضْغَةَ عِظَاماً فَكَسَونَا العِظَامَ لَحماً ثُمَّ أَنشَأنَاهُ خَلقاً آخَرَ فَتَبَارَکَ اللّهُ احسَنُ الخَالِقِينَ* ثُمَّ إِنَّكُمْ بَعدَ ذَلِکَ لَمَيِّتونَ* ثُمَّ إِنَّكُم يَوْمَ الْقِيَامَةِ تُبعَثُونَ». (المؤمنون/ ۱۲- ۱۶)

## جمع الآيات وتفسيرها

## إن شككتم بأمر القيامة فانظروا إلى الجنين!

فالآيـة الاولى فى هـذا الباب هى نداء لجميع البشـر، البشـر الذين لا يحدّهم زمان ولا مكان، قال تعالى «يَاأَيُّهَا النَّاسُ إِنَ كُنْتُمْ فِى رَيْبٍ مِّنَ الْبَعْثَ فَإِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِنْ مُضْغَةٍ مُّخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ لِّنُبَيِّن لَكُمْ».

فهو يشـير إلى أربع مراحل من خلق الإنسان (وهى مرحلـة التراب، ثم النطفـة، ومن بعدها العلقة، ثم المضـغة، وكل مرحلة هى بنفسـها تعتبر عالماً عجيباً وصعب المنال).

ثم يواصل البيان فيقول تعالى «وَنُقِرُّ فِى الْأَرْحَام مَانَشَاءُ إِلَى أَجَلٍ مُّسَّمىً»، وأخيراً وبعد سلوک هذا الطريق الوعر «ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلًا».

بعـد ذلک يبيّن المراحل المختلفـة لحياة الإنسان فى هـذه الـدنيا، ثم يلتفت إلى عالم النبات ويأتى بمثال آخر من امثلة اسـتقرار البذور النباتية فى باطن الأرض ويشير إلى إحياء

نفحات القرآن، ج۵، ص: ۱۴۱

الأرض الميّتة بواسطة المطر فيضيف تعالى قائلًا: «ذَلِکَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّهُ يُحْيِ الْمَوْتَى وأَنَّهُ عَلَى كُلِّ شيءٍ قَدِيرٌ».

فهو يسلّط الأضواء على البعد التوحيدى لهذه الظواهر المهمّة للوجود حيناً، ويُسَلِّطُ الأضواء على بُعد المعاد حيناً آخر.

وفى هذه الآية توجد إشارات دقيقة ولطيفة تساعدنا على التوصّل إلى هذه الغايات وهى:

۱- مع أنّ منكرى المعاد يقطعون بنفى المعاد إلّاأنّ القرآن يخاطبهم بالقول: «إن كنتم فى ريب ...» وهنا يـدل على أنّه لا يوجـد هناک أىّ دليل على إنكار هـذه الحقيقـة، وأكثر ما هنالک هو أنّكم من الممكن أن ترتابوا فى أمر المعاد، ومن الواضـح أنّ المرتاب ما عليه إلّاالفحص والتحقيق لا الانكار!.

والجـدير بالـذكر هنـا أنّ «ريب» جـاءت بصورة النكرة، وفى هـذه الموارد تأتى لبيان حقارة الأمر، أىْ إنَّ شـكّكم فى هـذا المجال هو شكٌّ سقيم ولايُعتدُّ به أيضاً، لأنّ أدلةَ المعادِ نشاهدها جليّة التردّد.

۲- قد يكون شـروع الآية بالحديث عن خلق الإنسان من التراب إشارة إلى خلق آدم عليه السـلام أو جميع الناس منه، لأنّ أصل المواد التى تشـكل القسم المهم من جسم الإنسـان من التراب، وعلى أيّـة حـال فـإنّ خلق الإنسـان من تراب دليـل واضـح على إمكـان إحيـاء

الموتى

۳- الحديث في هذه الآية كان أولًا عن خلق الإنسان من التراب، وبعد ذلك تحدثت الآية عن مسألة «البلوغ الجسمى والروحى» ثم عن «الكهولة والمشيب» فيصبح عدد تلك المراحل المختلفة سبع مراحل، وإنْ كان هدفنا هو المراحل الخمس الاولى التى تمثل كل واحدة منها حياة جديدة وولادة جديدة ومنظر من المعاد.

۴- وجملة «لنبيّن لكم» يمكن حملها على محملين، فمن الممكن أن يكون المراد من البيان هو بيان علم وقدرة الخالق ومسألة التوحيد، كما أنّه من الممكن أن يكون المراد هو بيان مسألة المعاد أى الحياة بعد الموت.



۵- والظريف فى الأمر هو أنّ كافة التحولات الهائلة والعجيبة التى تحدث فى مرحلة الحياة الجنينية، حيث إنّ الفترة التى تمربها النطفة، تلك الذرة الصغيرة حتى تصل إلى مرحلة الإنسان الكامل، تمثل فترة قصيرة تساوى التسعة أشهر، ففى هذه الفترة تحدث أمور عجيبة وغريبة، لو سطرناها فى كتاب فإنّ الوقت اللازم لقراءة هذا الكتاب يستغرق زماناً أطول من تسعة أشهر، فأمام هذه الآيات والعلامات الواضحة، هل يمكن لأحد أن يفسح مجالًا للشك والريبة فى مسألة إمكان المعاد؟!

وفى الآية الثانية جى بنفس هذا المعنى ولكنها أَتَتْ بنحوٍ آخر وهى فى الحقيقة بيانٌ لما جاء فى بداية سورة القيامة فى قوله تعالى «أَيَحْسَبُ الإِنْسَانُ أنْ لَنْ نَّجمَعَ عِظَامَهُ»؟!

فإنّه تعالى يتحدّاهم ويقول لهم ماذا تظنون؟ «الَمْ يَكُ نُطْفَةً مِّن مَّنيٍ يُمنَى ثُمَّ كَانَ عَلَقَةً فَخَلَقَ فَسَوّى فَجَعَلَ مِنْهُ الزَّوجَينِ الذَّكَرَ وَالْانْثَى . «أَلَيسَ ذَلِكَ بِقَادِرٍ عَلَى انْ يُحْيِيَ الْمَوْتَى .

فهو يكتفى فى هذه الآية بذكر أربع مراحل لتطورات الجنين فقط: مرحلة النطفة، فالعلقة، فتسوية الأعضاء، وظهور جنس الجنين ذكراً هو أم انثى

و «النطفة»: على ماقاله بعض أصحاب اللغة هى بمعنى الماء الصافى، ولهذا اطلقوا كلمة نَطَفَ» على اللؤلؤ «۱».

لكنّ البعض فسّروها بمعنى الكميّة القليلة من ماء، أو ما تبقّى من الماء فى الأناء «۲».

وصرّح البعض الآخر أيضاً بأنّ النطفة هى بمعنى الماء الصافى، قليلهُ أم كثيرهُ «۳».

والبعض الآخر اعتبر هذه المعانى كلّها جزءً من معانى النطفة ولكنّ الفرق هو أنّ «النُّطْفَة» بمعنى الماء الصافى أو الماء القليل و «النُّطفَة» بمعنى اللؤلؤ.

---

(۱) مقاييس اللّغة ومفردات الراغب.

(۲) لسان العرب.

(۳) قاموس اللّغة ومجمع البحرين ولسان العرب.



ومن الجدير بالذكر أنّه طبقاً للتحقيقات التى اجراها مؤخراً بعض العلماء هو أنّ هذا الماء القليل الذى يسمى «بالنطفة» مركّب من مياه مختلفة تترشّح من غدد مختلفة فى الجسم، فقسمٌ منه يترشّح من البيضتين اللتين تحتويان على مادّة «الاسبرماتوزوئيد»، وقسمٌ منه يترشّح من أكياس البَيْض التى توجد بالقرب من غدّة «البروستات»، القسم الثالث يترشّح من نفس غدّة «البروستات» فيستمدّ شكله الظاهرى ورائحته الخاصّة من تلك الغدّة والقسم الرابع يترشّح من غدد «الكوبر» وغدد «الليترة» اللتين تقعان جنب مجارى الادرار.

وهذه المياه الخمسة تختلط مع بعضها بنسب دقيقة ومبرمجة وتشكّل مادّة الحياة، ومكتشف هذه المعلومات عالم فرنسى شُغف بحب القرآن والإسلام وكتب كتاباً فى هذا المجال، ويعتقد هذا العالم بأنّ كلمة «امشاج» (أى مختلط) التى ورد ذكرها فى القرآن كان

محتواها خفياً على الناس والعلماء. أقتبست هذه العبارات من كتاب (المقايسة بين التوراة، والانجيل والقرآن والعلم) تأليف الدكتور بوكارى وترجمة المهندس ذبيح اللّه دبير (ص ۲۷۱).

وعلى أيّة حال فإنّ اطلاق هذه العبارة على الماء الذّى يتدفّق من الرجل عند ممارسته العملية الجنسية هو من أجل التناسب الواضح الموجود بينها وبين المعنى الرئيسى.

و «مَنِىّ»: من مادة «مَنْى» (على وزن مَنْع) وهى بمعنى تعيين العاقبة والتقدير، لذلك أطلقُوا «المنيّة» على الموت و «الأُمنيّة» على الآمال، والسبب فى اطلاق هذه الكلمة على الماء الذى يخرج من صلب الرجل لأنّه قُدّر له أن يكون إنساناً «۱».

بناءً على هذا يكون مفهوم جملة: «أَلَم يَكُ نُطْفَةً مِنّ مَّنِيٍّ يُمْنَى هو: ألَمْ يكن الإنسان فى بدايته ماءً مهيناً قُدِّر أن يُخلق الإنسانُ منه «۲»؟

إنّ كل مرحلة من المراحل الأربع التى بينتها هذه الآية نموذج واشعاع جديد من الحياة الدنيا والحياة بعد الموت، ومن الممكن أن تكون كل مرحلة دليلًا واضحاً على قدرة الخالق

---

(۱) تاجُ العروس فى شرح القاموس.

(۲) لكنّ عدداً من المفسرين لم يفسروا «يُمنى بمعنى التقدير، بل فسّروها بمعنى تدفّق ذلك الماء فى الرحم. على أيّة حال فإنّ «من» هنا بيانية لا تبعيضية.

نفحات القرآن، ج۵، ص: ۱۴۴

من جهة، ودليلًا على إمكان مسألة المعاد والحياة بعد الموت من جهة اخرى على الخصوص فى مجال تعيين جنس النطفة من ذكرٍ أو أُنثى

إنّ المسائل المتعلّقة بعلم الجنين من أعقد وأعجب المسائل، والقانون المهيمن على هذا العلم لم يتضح لحدّ الآن حتى لدى الحاذقين من العلماء، وكل ما لدينا من العلم أنّ مسألة تشخيص جنس الجنين فى رحم الام غير ممكن أبداً، ولا يتميّز إلّابعد وصول الجنين إلى المراحل النهائية من الحمل، ونحن نعلم أيضاً بوجود قوانين دقيقة تهيمن على تلك الأُمور، هذه القوانين التى توجد التعادل والتقارب بين تعداد كلٍّ من الجنسين، لكنّ جزئيات وتفاصيل تلك الامور ظلّت مخفية وراء حجاب الابهام.

فلو افترضنا أنّ فى كل عشر ولادات تسع منها إناث وواحد منها ذكر أو بالعكس، فسوف يحدث اختلال عجيب وفوضى مخيفة وصراع رهيب فى المجتمع الإنسانى!

وفى الآية الثالثة بعد أن بيّن اللّه تعالى قدرته، قال: «وَانَّهُ خَلَقَ الزَّوجَيْنِ الذَّكَرَ وَالْاُنْثَى مِنْ نُّطْفَةٍ إِذَا تُمْنَى وَأَنَّ عَلَيْهِ النَّشأَةَ الْاُخْرَى .

فالقرآن وإن لم يصرّح بهذه الحقيقة وأنّه يمكن أن نتوصل إلى إثبات النشأة الآخرة عن طريق المقايسة بينها وبين تطورات الجنين، إلّاأنّه يمكننا عن طريق ارتباط الآيات فيما بينها أن نجعل الأمر الأول دليلًا وشاهداً على الأمر الثانى كما انتبه إلى ذلك بعض المفسرين أيضاً «۱».

و «النشأة الآخرة»: بمعنى «الايجاد الآخر» والمراد منه برأى الأكثرية الساحقة من المفسرين «الحياة الاخرى لكنّ البعض أصرَّ على أنّ المراد منه مرحلة نفخ الروح فى الجنين وجعلوا آية: «فَكَسَونَا الْعِظَامَ لَحْماً ثُمَّ أَنْشَأْنَاهُ خَلْقاً آخَرَ». (المؤمنون/ ۱۴) دليلًا على مدّعاهم الآنف.

---

(۱) تفسير فى ظلال القرآن، ج ۷، ص ۶۳۱.

نفحات القرآن، ج۵، ص: ۱۴۵

لكن عند مراجعة هذا التعبير: «قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانْظُرُوا كَيْفَ بَدأَ الْخَلْقَ ثُمَّ اللَّهُ يُنْشِيءُ النَشْأَةَ الْآخِرَةَ». (العنكبوت/ ٢٠)

و ما شابه هـذا التعبير فى آيات اخرى من القرآن يتضح لنا جليّاً أنّ المراد من النشأة الآخرة يوم القيامـة، حيث قال تعالى: «وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ النَّشْأَةَ الْأُولَى فَلَوْلَا تَذَكَّرُونَ».

(الواقعة/ ٦٢)

وفى الآيَة الرابعة وردت هذه الحقيقة أيضاً وبشكل آخر وبصورة اجمل واوجز واوضح، قال تعالى «قُتِلَ الْإِنسَانُ مَاأكْفَرَهُ* مِنْ أَيِّ شَيءٍ خَلَقَهُ* مِنْ نُّطْفَةٍ خَلَقَهُ فَقَدّرَهُ* ثُمَّ السَّبِيلَ يَسَّرَهُ* ثُمَّ أَمَاتَهُ فَاقبَرَهُ* ثُمَّ إذا شَاء أَنْشَرَهُ».

أشارت هـذه الآيات أولًا إلى خلق الإنسان من نطفة، ثم أشارت إلى تكامل الجنين إشارة مبهمة، بعد ذلك أشارت إلى مسألة الموت، ثم إلى الحيـاة بعـد الموت، أمّا العلاقـة والرابطـة الموجودة بين هـذه المسائل فهى إمكان الاسـتدلال بكل واحـد من هـذه الامور على إثبات الأمر الآخر.

وهنا توجد عدّة امور تجلب الانتباه:

١- إنّ جملـة «خلقهُ فقـدّره» جملـة عميقـة المغزى فقد صُبّت فيها جميع مراحل تطورات الجنين فى مرحلة الحمل، فالتقدير فى أصـل وجوده، وفى أعضاء بـدنه، وفى تركيب أجزائه، وفى احتياجاته المتعـددة وفى الفواصل الزمانيـة المختلفة التى عليه أن يقطعها للوصول إلى مراحل تكامله، إنّ اللَّه تعالى قدّر كل ذلك له، ووضع له نظاماً متقناً.

بناءً على هـذا جيء بجملة «خلقه» للدلالة على المرحلة الاولى لخلق الإنسان من النطفة وبجملة «قدّرهُ» للدلالة على جميع المراحل التى تلى فيما بعد.

٢- وجملة «ثُمَّ السَبِيلَ يَسّرَهُ» أيضاً من الجمل العميقة المغزى ومن الجمل الجذّابة التى يمكن أن تكون دليلًا على الامور الآتية:

تسهيل طريقِ الولادة أمامه بعد خوض مراحل التكامل، فالجنين الذى يكون رأسه إلى

نفحات القرآن، ج۵، ص: ۱۴۶

الأعلى فى حـالته الطبيعيـة يتغيّر وضعه فجأة ويتـدلّى رأسه إلى الأسـفل، وذلـك لإعـداده للولادة الطبيعيـة وفى نفس الوقت ترتخى عضـلات الأُمِّ الموجودة فى طريق الولادة وتتهيأ لوضع هـذا المولود، ثم يحصل ضـغط على الجنين من جميع أنحاء الرحم كى يتيسّر عليه طريق الخروج من الرحم، بعـد ذلك يتمزّقُ فجأة الكيس المملوء بالماء الـذى كان يسبح فيه الجنين أيّام الحمل العاديّة فيترطّب مسير الخروج المعدّ للمولود، وخلاصة الكلام إنّ جميع الأمور تُعدّ وتتيسرُ له من أجل دخوله إلى دنيا جديدة.

ومن جهة اخرى أودعه اللَّه العقل وأنواع الغرائز، وكلّ واحد من هذه الامور يفتح أمامه طريق الحياة.

ومن ناحية اخرى أرسل إليه الرسل والكتب السماوية كى يتيسر له سبيل الطاعة وعبادة اللَّه وطريق سعادته.

إضافـة إلى ذلك دلّ هـذا التعبير على أنّ الإنسان خُلِقَ مريـداً ومختاراً فى تصـرفه، لأنّه تعالى لم يقل وسـلكناه السبيل بل قال يّسـرنا له السبيل، فهو مختارٌ فى سلوكه.

وفى الآيَة الخامسة والأخيرة إشارة إلى مراحل تكامل الجنين أيضاً بصورٍ مفصّـله، بل جاء هنا بتفاصـيل أكثر ممّا جاء فى جميع الآيات التى تحدثت عن ذلك، فتعرضت هذه المرّة إلى جزئيات دقيقة، قال تعالى «وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ مِنْ سُلَالَةٍ مِّن طِينٍ* ثُمَّ جَعَلْنَاه نُطفَةً فى قَرَارٍ مَّكِينٍ (الرحم)* ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً (دم متخثر) فَخَلَقْنَا العَلَقَةَ مُضْغَةً (تَشْبَهُ اللحم الممضوغ) فَخَلَقْنَا المُضْغَةَ عِظَاماً فَكَسَونَا العِظَامَ لَحْماً».

وبعـد أن بيّن المراحل الخمس (النطفـة والعَلَقَةَ والمضـغة والعظام واللحم) أشارَ إلى امرٍ آخر والذى يعتبر من أهمّ المراحل وهو مرحلة نفخ الروح الإنسانية، فقال تعالى «ثُمَّ أَنْشَأْنَاهُ خَلْقاً آخَرَ» «فَتَبَارَكَ اللَّهُ احْسَنُ الْخَالِقِينَ».

وجملة «فكسونا العظام لحماً» لم تُذكر ضمن مراحل تكامل الجنين إلّافى هذه الآيَة

نفحات القرآن، ج۵، ص: ۱۴۷

التى كشفت الستار عن أهميّة خلق العظام.

ولقد ثبت حديثاً بأنّ العظام لا- تكون هيكلًا لحفظ استقامة البدن وحفظ أعضاء الإنسان فحسب، بل إنّ فى عهدتها أَهمَّ الوظائفِ الحياتية والبايلوجية للبدن.

فالعظام تحتوى على جميع ما يحتاجه الجسم من قبيل الفسفور والكالسيوم والاملاح الاخرى التى تنظم الأعمال الحياتية لجسم الإنسان وضربات القلب وتقويم حركة العضلات، والأهمُّ من ذلك أنّالعظام تُقدِّم للجسم ما يحتاجه من كريات الدّم الحمر والبيض طيلة عمر الإنسان! ويكفينا أن نعلم بأنّ فى الدقيقة الواحدة تموت مايقارب ۱۸۰ مليون كرية حمراء وأنّ العظام تملأ الفراغ الحاصل من موت هذه الكريات بواسطة كريات جديدة ونشطة! «۱».

والجدير بالذكر أنّ بعض المفسرين قالوا: ثبت حديثاً أنَّ أوّل ما يظهر فى الجنين هى خلايا العظام، ثم خلايا اللحم، وهذه الحقيقة رفع القرآن الستار عنها قبل أربعة عشر قرناً عندما لم يكن لأحد علم بها «۲».

والتعبير ب «الكسوة» عن اللحم هو تعبير جميل وجذّاب، فالملابس تُجمِّل جسم الإنسان وفى نفس الوقت تحفظه من اضرار مختلفة، والعضلات كذلك فلو عُدِمَت وبقيت العظام لوحدها فما أقبح منظرها! ومن ناحية اخرى إنّ العظام تتأثّر بأدنى ضغط يرد عليها من أىّ جانب وتصاب بعطبٍ كبير جرّاءَ ذلك، والذى يحفظ العظام تلك الكسوة التى هى العضلات.

وهذا التعبير: «ثُمَّ أَنْشَأْنَاهُ خَلْقاً آخَرَ» الذى ورد ذكره بعد مرحلة تكامل الجنين لم يأتِ إلّا فى هذه الآية من القرآن، وهذا البيان العجيب وإن كان قد ذُكِرَ سابقاً إلّاأنّه يختلف كثيراً عن ذلك، ذلك لأنّه سمّى هنا «خلقاً آخر»، حيثُ يرى أكثر المفسرين أنّ هذه الجملة جاءت للدلالة على خلق الروح، لأنّنا نعلم بأنّ الجنين من يومه الأول وحتى يبلغ ما يقارب

---

(۱) قرآن برفراز اعصار، ص ۱۸۷.

(۲) تفسير فى ظلال القرآن، ج ۶، ص ۱۶.

نفحات القرآن، ج۵، ص: ۱۴۸

الشهر الرابع من الحمل أكثر ما يشبه النبات، فهو ينمو بسرعة من غير أن يمتلك أىّ حسٍ أو حركة، ثم تبدأ الأعضاء المُعَدّة لإدراك الحقائق بالظهور تدريجاً وهذا التحول المفاجى (الذى يشبه الطفرة) ظلّ مبهماً على جميع العلماء ولا يعلم مايطرأ على الجنين حينما ينتقل من مرحلة إلى اخرى إلّااللّه العالم القادر.

على أيّة حال فإنّ اجتياز هذه المراحل خلال هذه المدّة الوجيزة دليل على عظمة مُبدئ عالم الوجود الذى هو اللّه احسن الخالقين، وفى نفس الوقت دليل على إثبات وقوع الحياة بعد الموت التى اشير إليها فى ذيل تلك الآيات.

**ثمرة البحث:**

من خلال الآيات المذكورة التى صورت مراحل تكامل الجنين ووضعتها أمام انظار الإنسان الذى من طبيعته أن يكون باحثاً عن الحقيقة، أجيب منكرى المعاد بوضوح، وهذه المراحل فى الواقع تُعْتَبَرُ كل واحدة منها حياةً جديدة ومظهراً من مظاهر المعاد، ويكفى التمعّن فى مرحلة واحدة من هذه المراحل فى إثبات هذه الحقيقة.

نفحات القرآن، ج۵، ص: ۱۴۹

**۵- المعاد فى عالم الطاقة**

### تمهيد:

عندما تموت الكائنات الحية فى هذا العالم المترامى الاطراف تُخَلِّف وراءها دائماً بقايا وآثاراً، لكن بالنسبة لتبدد الطاقة فالأمرُ عجيب، لأنّها فى الظاهر عندما تتلاشى تفنى كلياً فلا يبقى لها أىّ اثر، فلو لاحظنا الشمس كمثال لكلامنا هذا لوجدنا ضوءها وحرارتها هما عبارة عن طاقة تبعثها نحو كرتنا الأرضية والسيارات الاخرى التابعة للمنظومة الشمسية، وبعد انحسار الإشعاع تفنى تلك الطاقة ولايبقى لها اىّ أثر، وإذا لم يستمر مصدر الإشعاع أى الشمس على إرسال الأشعة، فإنّه سوف لن يبقى أثر للنور والضوء وتفنى الحرارة.

لكنّ العلم الحديث أثبت بأنّ الطاقة أيضاً لا تفنى بالكامل، بل تَكمُن وتتحوّل من حالة إلى اخرى وعندما تتوفر الظروف المناسبة فإنّها تعود ثانياً وتُبعث من جديد بصورة عظيمة.

المثير للدّهشه هو أنّ القرآن المجيد من أجل إثبات مسألة إمكان المعاد يعتمد على هذه المسألة، ويتخذ من تحوُّل الطاقة الضوئية والحرارية فى هذا العالم دليلًا على القيامة العظمى الحاصلة للبشر فى العالم الآخر.

وبعد هذه الإشارة الوجيزة نذهب إلى آيات القرآن ونتأمل فيها خاشعين كى تتّضحَ لنا تلك الحقيقة:

۱- «قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِى أَنشَأَهَا اوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ* الَّذِى جَعَلَ لَكُمْ مِّنَ الشَّجَرِ الْأَخْضَرِ نَاراً فَإِذَا أَنتُم مِّنهُ تُوقِدُونَ». (يس/ ۷۹-۸۰)

۲- «افَرَأَيتُمُ النَّارَ الَّتِى تُورُونَ* ءَأَنتُم أَنْشَأْتُم شَجَرَتَهَا امْ نَحْنُ المُنشِئُونَ* نَحنُ جَعَلنَاهَا تَذْكِرَةً وَمَتَاعاً لِّلمُقوِينَ». (الواقعة/ ۷۱- ۷۳)

نفحات القرآن، ج۵، ص: ۱۵۰

### جمع الآيات وتفسيرها

### استئناف عَوْدِ الطاقة يتجدد امام انظارنا!

فى آواخر سورة «يس» هناك بحوث جامعة ومتنوّعة وعميقة فى مجال المعاد، واحد هذه البحوث الحبث عن معاد الطاقة.

لقد أجاب القرآن على شبهة من كانوا يتعجّبون من إمكان اعادة العظم الرميم إلى الحياة بِعِدّة أجوبة، فقال تعالى «قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِى أَنَشَأَهَا اوَّل مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ».

وهذا القسم من الأجوبةِ يتعلّق بمقايسة المعاد بالنشأة الاولى التى بحثناها سابقاً.

ثم يضيف تعالى بعد ذلك: «الَّذِى جَعَلَ لَكُم مّنَ الشَّجَرِ الْأَخْضَرِ نَاراً فَإِذَا أَنْتُمْ مِّنهُ تُوقِدُونَ».

ومن البديهيّ أن يكون هذا البيان دليلًا على مسألة المعاد وأن يكون جواباً آخر لمنكرى المعاد.

ولكن كيف يكون ذلك، وبأىّ بيانٍ يتمّ؟

للمفسرين عدّة آراء فى هذا المجال هى:

۱- الكثير من المفسرين اعتبروا هذه الآية إشارة إلى الشجرتين المشهورتين لدى العرب وهما «مَرْخ» و «عَفار» وكان العرب يستخدِمونهما لإيقاد النار بدلًا من الكبريت المستخدم فى عصرنا الحاضر، فكانوا يضربون الخَشَبَتينِ ببعضهما بشدّة ليحصلوا منها على قدحة أو شرارة ليتمكّنوا بواسطتها من ايقاد النار، وفى الحقيقة كانوا يستخدمون ذلك بدلًا عن حجر القدحة الذى كان يُستخدم فى العصور الغابرة.

فالقرآن يقول: إنّ الذى يقدر على أن يُخرج النار من تلك الخشبتين الخضراوينِ بإمكانه أن يحيى الموتى فمن يتمكّن من جمع النار

مع الماء كيف لا يتمكّن من خلق الحياة بعد الموت؟ ألا يشبه التضادُّ بين «الحياة» و «الموت» التضادَّ بين الماء والنار؟

۲- وتَجاوزَ آخرون هذا الحدَّ فقالوا: إنّ خاصيّة ايقاد النار لا تنحصر بخشب تلك الشجرتين (مَرْخ وعفار)، بل تعمّ جميع أشجار العالم، ولكنّها تشتدُّ فى أخشاب تلك

نفحات القرآن، ج۵، ص: ۱۵۱

الشجرتين، لذا جاء فى المثل العربى: «فى كُلِّ شجرٍ نار»!

فخلاصة الكلام أنّ أخشابَ الأشجار عندما تصطدم ببعضها بقوّة تخرج منها شرارة من النار، وهذا الأمر يصدق حتى فى أخشاب الأشجار الطريّة! وبسبب هذه الظاهرة تَحدُثُ حرائقُ هائلة ومرعبة فى الغابات من دون أن يكون للإنسان ايُّ تدخّل فيها.

وهذه الحرائق تحدث بفعل الرياح الشديدة التى تضرب أغصان الأشجار ببعضها بشدّة فَتَسْقُطُ شراراتُها أحياناً على أوراق الشجر الجافّة فتحرقها، ثم تتسع بعد ذلك رقعةُ النار بسبب هبوب الرياح، فنرى فجأةً التهام النار لمناطق شاسعة من الغابات.

وأمّا تفسير هذه الظاهرة من وجهة نظر العلم الحديث فهى جليّة وواضحة، لأننا نعلم بأنّ الأشجار ليست الوحيدة التى تولّد شرارة من النارعند ارتطامها ببعضها بقوّة بل تتولّدُ شرارة كهربائية من ارتطام كل جسمين ببعضهما، وهذه النار موجودةٌ فى جميع ذَرّاتِ العالم المادّى حتى فى باطن الأشجار الخضراء.

إنّه أمرٌ عجيبٌ حقّاً، فما القدرة التى تخلط النار فى الماء؟ ومن أصلح فيما بين هذين العدوّين اللّدودين اللّذينِ عرّفهما القدماء بأنّ طبع أحدهما بارد رطب والآخر حارٌ جاف؟

فهل يكون الإصلاح بين الموت والحياة أمرٌ عسير على هذه القدرة؟ أو هل يصعب على القدرة أن تجعل أحدهما فى مكان الآخر؟!

وبتعبير آخر: هل يمكن لأحد أن يجمع النار والماء فى مكان واحد بحيث لا يُطفى الماءُ النارَ ولا تُحرقُ النارُ الشجرَ، وهل يكون إحياء الشجر اليابس مرّة اخرى أمراً عسيراً؟!

۳- وهناك تفسير آخر لهذه الآية قد خفى على المفسّرين السابقين، لكنّه أصبح واضحاً لنا بعد تطور العلم الحديث، ومن المحتمل أن يكون أنسب التفاسير، وهو: إنّ الأشجار خلال فترة حياتها تمتصُّ ضوءَ وحرارة الشمس باستمرار وتَدَّخِرُهُما فى باطنها، وعندما نُحرِق الخشب الجافَّ تنبعث الحرارة والضوءُ اللتان امتصّتهما الشجرة فى مدّة طويلة وتنفدُ فى مدّة وجيزة ونستفيد نحن منهما، أى أنّ الطاقة الخاملة تعودُ فى هذه القيامةِ وتُظهِرُ وجودها، فبناءً على ذلك نحن نرى منظر المعاد أمام أعيننا إذا أجّجْنا ناراً!

نفحات القرآن، ج۵، ص: ۱۵۲

وتوضيح ذلك: إنّ «السليلوز» يشكّل المادّة الرئيسية للأشجار، وهو مركب من «الكاربون» و «الاوكسجين» و «الهيدروجين».

فالنباتات تحصل على الاوكسجين والهيدروجين من الماء، وتحصل على الكاربون من الهواء، أى أنّها تأخذ ثانى أو كسيد الكاربون الذى هو عبارة عن تركيب من الاوكسجين والكاربون وتحلل ذلك المركب فتحتفظ بالكاربون وتُطلِق الاوكسجين، ثم تصنع الخشب بواسطة تركيب الكاربون مع الماء.

ومن الجدير بالذكر هنا بناءً على القواعد المتّبعة فى علم الكيمياء إنّ الكثير من التركيبات الكيميائية لا تتمّ إلّاعند توفر نوع من أنواع الطاقة، والأشجار أيضاً تّتبع هذا القانون وتستخدم ضوءَ وحرارة الشمس فى انجاز التركيبات الكيميائية (فتأمّل).

على هذا فالأشجار عندما تنمو وتكبر وتقوى سيقانها يوماً بعد يوم فإنّها تدّخر كميّة كبيرة من الطاقة الشمسية فى داخلها، تلك هى الضوءُ والحرارة التى تظهر عند احتراق الخشب، فنفس تلك الطاقة المدّخرة التى قد كَمُنت فى الظاهر تعودُ مّرة اخرى من خلال معادٍ موزون ودقيق.

والدليل الذى يؤيد هذا التفسير هو التعبير الوارد فى القرآن لبيان هذه الامور وهو جملة:

«فإذا أنتم منه توقدون».

ولنرَ ما المراد من كلمة «وقود» لغوياً؟

بناءً على تصريح أكثر كتب اللغة أنّ «الوقود» بمعنى الحطب أو الشى المحترق «۱».

بينما اطلقوا على الأشياء التى تُوجِدُ القدحةَ اسم «الزَنْد» أو «الزناد»، قال فى المقاييس:

«الزند» فى الأصل بمعنى زند اليد، وأُطلِق على القدحة أو الشرارة للملازمة الموجودة سابقاً بين زند اليد والآلات التى كانت تستخدم قديماً فى اشعال النار.

و «القَدْح»: استُعمل أيضاً فى هذا المجال، لكنّ الأمر المهمّ تأكيد القرآن على ذكر الوقود لا «الزند» أو القَدْح، بينما فات القدماء الانتباه إلى هذه المسألة، وفسّروا الآية على أنّالمراد

---

(۱) مفردات الراغب؛ ولسان العرب؛ ومقاييس اللّغة.



منها هو القدْح، لكنَّ ماجاء فى تفسيرنا الثالث ينطبقُ تماماً مع التعبير ب «الوقود» (فتأمّل).

والسؤال الوحيد الذى لم يُجَبْ عنه إنّ الخشب الذى يستخدم فى الحرق يكون جافاً، بينما عبّر عنه القرآن ب «الشجر الاخضر».

هناك جوابان لهذا السؤال: الأول إنّ الخشب الاخضر قابل للاحتراق أيضاً وإنَّ إحراقه أصعب من إحراق الخشب الجاف، جاء فى المثل المشهور: إذا اشتعلت النار فسوف تحرق الأخضر واليابس معاً للإشارة إلى هذا الأمر.

ولو تجاوزنا هذا، فهنالك مسألة مهمّة هى إنّ الأشجار الخضراء هى الوحيدة التى يمكنها أن تجذب وتدّخِر ضوءَ وحرارة الشمس، ويحتمل أن يكون القرآن فى صدد بيان هذه المسألة العلمية الدقيقة، لأنّ الأشجار عندما تجفّ تتوقف فيها عملية جذب الكاربون نهائياً، ولا تدّخر الطاقة الشمسية بأى نحوٍ كان.

على أيّة حال فإنّ الآية المذكورة تعتبر من الآيات الرائعة فى مجال إثبات المعاد، وإنّ كلّ واحد من هذه التفسيرات الثلاثة يجسِّم منظر المعاد أمام الانظار، ولايوجد أىّ مانع فى أن تكون هذه التفسيرات الثلاثة مجموعة فى مفهوم هذه الآية، فهذه التفسيرات منها ما يختصّ بالعوامّ من الناس، ومنها مايختصّ بالخواصّ منهم، ومنها مايختصّ بخواصّ الخواصّ، وبعضها يختصّ بالناس الذين عاشوا فى العصور الغابرة، وبعضها يختصّ بالناس المعاصرين، ومن المحتمل أن تكون هنالك تفسيرات أعمق وأدقّ لعلماء المستقبل فى هذه الآية.

والآية الثانية من آيات سورة الواقعة، والتى يختصّ قسم كبير من آياتها بأدلّة المعاد والقيامة، على الأخصّ ماجاء فى الآية ۵۷ فيما بعد فى جوابِ منكرى المعاد (المسائل السبع) الذين ذُكرتْ ادّعاءاتُهم فى نفس هذه السورة فى الآية ۴۷ حيث كان كلّ واحد من تلك الأجوبة دليلًا على مسألة المعاد بنفسه «۱».

---

(۱) ذكرت هذه الأدلة السبعة فى تفسير الامثل، ذيل الآية ۵۷ من سورة الواقعة.



والآية التى يدور بحثنا حولها تعتبر فى الواقع الدليل السابع والأخير، قال تعالى

«أَفَرَأَيْتُمُ النَّارَ الَّتِى تُورُونَ «۱»* ءَأَنْتُمْ أَنْشَأْتُمْ شَجَرَتَهَا أَمْ نَحْنُ الْمُنْشِئُونَ* نَحْنُ جَعَلْنَاهَا تَذْكِرَةً وَمَتَاعاً لِّلْمُقْوِينَ «۲»». (الواقعة/ ۷۳- ۷۱)

وفى تفسير معنى المراد من شجرة النار هنا، يوجد تفسيران رئيسيّان:

الأول: إنّ المراد من شجرة النار الشجرتان المعروفتان «مَرْخ» و «عَفار» اللتان كانتا تُستخدمان لدى العرب فى ايجاد القدحة، حيث كانتا تُستخدمان بدلًا عن «الكبريت» لإشعال النار.

والثانى: إنّ المراد منها جميع الأشجار لأنّها لها قابلية توفير الحطب والوقود «۳».

وللمفسِّرين آراء فى معنى المراد من «تـذكرة»، فعـدد منهم يرى أنَّ المراد منها التذكّر بنار جهنم عند رؤية نار الدنيا، ففى هذه الصورة تصلح هذه الآية لأنّ تكون دليلًا لإثبات المعاد.

والرأى الثانى هو أنّ المراد منها التذكير بأمر المعاد، وذلك لأنّ الذى يقدر على أن يودع النار المحرقة فى قلب الشـجر الأخضر فإنّه لا يعجز عن ارجاع الحرارة الغريزيـة لبـدن الأموات، والـذى يقـدر على جمع الضِّدَّينِ كالماء والنار فإنّه بطريق أولى يمكنه أن يجمع بين الموت والحياة على التوالى، أى إيجادهما الواحد بعد الآخر.

أو بتعبير آخر كيف لايتمكّن مَن يُعيد الطاقة الكامنة والضوءَ والحرارة مِن أن يهب حياة جديدة للأموات من بنى الإنسان؟

والتفسـير الأخير هو أكثر تناسباً مع آيات هـذه السورة التى تتصـدى للاجابـة عن شـبهات منكرى المعاد طبعاً، كما إنَّ الجمع بين هذه التفاسير ممكن أيضاً.

---

(۱) «تورون» من مادة «ايراء» بمعنى اشـعال النار، قال الراغب فى المفردات: ايراء فى الأصل بمعنى الستر والتغشية، لذا اطلق على ما فى الخلف «وراء» وبما أنّ النار تكمن فى الحطب أو فى القدحة اطلق العرب كلمة «ورى أو «ايراء» على اخراجها من مخبئها.

(۲) «المقوين» من مـادّة «قِواء» (على وزن كِتاب) بمعنى الصـحراء القاحلـة، وتطلق على المسافرين الـذين يقطعون الصـحارى من دون متاع أيضاً.

(۳) ورد هذان التفسيران فى تفسير روح المعانى، ج ۲۷، ص ۱۲۹؛ وفى تفسير الكبير، ج ۲۹، ص ۱۸۴ فى ذيل الآيات مورد البحث.

نفحات القرآن، ج۵، ص: ۱۵۵

والتعبير ب «متاعاً للمقوين» هو تلميح لفوائد وأهميّة النار فى حياة الإنسان ذلك لأنّ المفسـرين وأصحاب اللغة ذكروا معانىَ متعددة ل «المقوين» هى:

أولًا: ماذكرناه آنفاً أنّها من مادة «قواء» على وزن (كتاب) بمعنى الصـحراء القاحلـة، بناءً على هـذا يصـبح مصداق «المقوين» هم الذين يقتحمون الصـحارى القاحلـة، وهؤلاء يحتاجون بشدّة إلى الحطب والخشب الجاف لإيقاد النار، أمّا احتياجهم لخشب القدْح فلا يخفى على أحد.

ومن البـديهى أنّ الإنسان يحتاج إلى ذلك فى المـدن أيضاً، ولكن بما أنّ إيقاد النار فى المدن أمرٌ يسـير، لأنّ الذى يريد أن يوقد ناراً يمكنه أن يستفيد فى ذلك من نار الآخرين، بالإضافة إلى ذلك لايشكّل عدم وجود النار فى المدينة خطراً جسيماً على الإنسان، بينما تعدّ النار بالنسبة لقاطعى الصحراء أمراً مصيرياً بسبب الحاجة إلى إعداد الطعام ودفع البرد والاستنارة.

والرأى الآـخر أنّ المراد من «المقوين» هم الفقراء، وعُـدّ هـذا من أحـد معانيها فى اللغـة، ومن المحتمل أن يكون السـبب فى ذلك أنّ سُكّانَ الصـحراء فقراء فى الغـالب، وقـد ذكرنـا أنَّ «قواء» بمعنى الصـحراء القاحلـة، وأنّ احتيـاج الجميع للنار امر بـديهى إلّاأنّ احتياج الفقراء لها اشدّ من غيرهم، ذلك لأنّ النار تأخذ مكان الملابس أحياناً بالنسبة لهم.

وقـال البعض أيضـاً: إنّ «المقوين» بمعنى «الاقويـاء»! لأنّ الكلمـة المـذكورة من الكلمات التى لها معانٍ متضادّة، فيحتمل أن تكون من مادّة القوة والقدرة.

ففى هذه الحالة تكون للدلالة على استخدام الاغنياء للنار بكثرة، على الأخص فى دنيانا هذا اليوم، فإنّ الحرارة والنار كلٌّ منهما المحور الرئيسـى الذى تدور عليه عجلات الصـناعة والمحركات، فإذا ما نَفَدَ الوقود الذى تعتبر الأشجار والنباتات المنبع الرئيسى له (سواء كان بصورة مباشـرة كالخشب والفحم الحجرى أو غير مباشـرة كالبترول) فإنّ عجلات الحضارة البشريّة سوف تتوقف عن الحركة، وتذهب الثروات أدراج الرياح، فلا تطفأ شعلة الحضارة فحسب بل سوف تطفأ شعلة حياة جميع البشر.

نفحات القرآن، ج۵، ص: ۱۵۷

## النماذج التاريخيّة الحيّة للمعاد

### تمهيد:

### اشارة

بالإضافة إلى ما ذُكر فى البحوث السابقة حول أدلّة إمكان المعاد فإنّ القرآن المجيد يشير إلى عدد من النماذج التأريخية الحيّة للمعاد من خلال آيات مُتَعَدّدة، وكلّ هذه النماذج مصاديق واقعيّة للحياة بعد الموت، ويمكن الاستعانة بها على إثبات إمكانية المعاد، والنماذجُ عبارة عن:

۱- قصة النبى عُزير عليه السلام الذى وُهِبَ الحياة بعد موته بمائة عام.

۲- قصة إبراهيم عليه السلام واحياء الطيور الأربعة.

۳- قصة أصحاب الكهف.

۴- قصة قتيل بنى اسرائيل وقصة البقرة.

من البديهى إن الاستدلال بهذه الحوادث التاريخية يتوقف على الاطمئنان بصحة وقوعها، وبما أنّ منكرى المعاد يعتقدون بصحة وقوع أغلب هذه الحوادث أو على الأقل كانت مدوّنة فى كتبهم التاريخية وكانت مشهورة بين الناس، فإنّ القرآن المجيد يستدلّ بها.

بعد هذه الإشارة نعود إلى القرآن ونمعن خاشعين فى القسم الأول من هذه الآيات المتعلّقة بقصة عُزير عليه السلام

### ۱- قصة حياة عُزير عليه السلام بعد موته

تحدّث القرآن الكريم عن هذه القصّة العجيبة فى أواخر سورة البقرة من خلال آية واحدة تعتبر فى الواقع دليلًا تاريخياً لدحض ادّعاءات منكرى المعاد، قال تعالى

نفحات القرآن، ج۵، ص: ۱۵۸

«أَوْ كَالَّذِى مَرَّ عَلَى قَرْيَةٍ وَهِىَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّى يُحْيِي هَذِهِ اللَّهُ بَعْدَ مَوتِهَا فَأَمَاتَهُ اللَّهُ مِائَةَ عَام ثُمَّ بَعَثَهُ قَالَ كَمْ لَبِثْتَ قَالَ لَبِثْتُ يَوْماً أَوْ بَعْضَ يَوْم قَالَ بَل لَّبِثْتَ مِائَةَ عَام فَانْظُرْ إِلَى طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمْ يَتَسَنَّهْ وَانْظُرْ إِلَى حِمَارِكَ وَلِنَجْعَلَكَ آيَةً لِّلنَّاسِ وَانظُرْ إِلَى الْعِظَامِ كَيْفَ نُنشِزُهَا ثُمَّ نَكْسُوهَا لَحْماً فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ قَالَ أَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شىءٍ قَدِيرٌ» «۱». (البقرة/ ۲۵۹)

وتوجد هنا عدّة امور تحتاج إلى الدقّة والتّأمُّلِ:

۱- من كان هذا الرجُلِ؟ وأين تقع هذه القرية؟ (يجب الالتفات إلى أنّ المراد من القرية هنا التجمّع السكانى سواء أكان قرية أو مدينة).

فالقرآن لم يوضح ذلك، والمستفاد من سياقِ الآية أنّه رجلٌ أُوحىَ إليه، أىْ كان من أحد انبياء اللَّه لكنّ المفسّرين وبالاستناد إلى الروايات الواردة فى هذا المجال يذكرون اسمه بالتعيين، ففى كثير من الروايات وعبارات المفسرين ذُكر أن اسمه «عُزير» نبىّ بنى اسرائيل المعروف، وذكر آخرون بأنّ اسمه «الخضر» وآخرون، قالوا إن اسمه «اشْعيا» «۲».

وأياً كان فانّه لايؤثر على معنى ومحتوى الآية، أمّا ما احتمله البعض من أنّه كان رجلًا غير مؤمن وقد شك فى أمر المعاد فإنّ هذا كلام

مردود، لأنّ الآية تدلّ بجلاء على أنّ الوحى نزل على هذا الرجل.

أمّا «القرية» فهى «بيت المقدس» طبقاً لما جاء فى الروايات، وهذه الحادثة التى وقعت بعد هدم بيت المقدس على يد «نبو خذ نصّر».

٢- هل أنّ هذا الرجل المؤمن (أياً كان) قد مات حقاً أم ذهب فى سباتٍ عميق؟ ظاهر الآية يدلّ على أنّه مات حقاً وعاد إلى الحياة مرّة اخرى بإذن اللَّه بعد أن مضى على موته مائة عام، وأكثر المفسرين يعتقدون بهذا الرأى، والبعضُ منهم فَسَّرَ «الموتَ» فى هذه الآية

---

(١) جملة (أو كالّذى مَرّ ...) طبقاً لتصريح كثير من المفسرين هى عطف على الآية التى قبلها «الم تر إلى الذى حاجَّ إبراهيم ...» بناءً على هذا يكون معنى هذه الجملة كالتالى «الَم ترَ إلى الذى مَرّ على قريةٍ ...».

(٢) تفاسير البرهان؛ نور الثقلين؛ مجمع البيان؛ روح المعانى؛ روح البيان؛ والكبير والقرطبى فى ذيل الآية مورد البحث.

نفحات القرآن، ج۵، ص: ۱۵۹

بالنوم العميق المشابه للموت، كما هوَ الحال فى نوم بعض الحيوانات التى تغط فى سبات عميق فى فصل الشتاء وتخرج من سباتها فى فصل الربيع فتبدأ بالحركة.

وفى مثل هذا النوم تكون النشاطات الحيوية بطيئة إلى حَدٍّ ما ويقلّ ماتحتاجه من طاقة بكثير عمّا كان عليه فى حالاتها العادية، لكنّه لايُطْفِىءُ البصيصَ من الحياة على أيّة حال.

وقد رجّح هذا الاحتمال (اى احتمال السبات) صاحب «المنار» و «المراغى» وصاحب «أعلام القرآن» حتى أنّه ذكر فى أعلام القرآن أنَّ المراد من «مائة عام» ليس من الضرورى أن يكون مائة سنة! بل من المحتمل أن يراد منها مائة يوم أو مائة ساعة!!

إنّ بعض المثقفين الذين يصعب عليهم تصديق هذه الامور الخارقة للعادة، فإنّهم كلّما شاهدوا شيئاً من هذا القبيل سعوا للإتيان بالتبريرات والمغالطات بينما لا توجد أى ضرورة لهذا التكلّف أبداً.

إنّ القرآن المجيد والروايات الصحيحة وباختصار كل محتويات المذاهب السماوية مليئة بهذه الامور الخارقة للنواميس الطبيعية التى لايمكن إنكارها ولا السعى فى تبريرها، فإننا لو آمنّا بقدرة اللَّه تعالى على الإتيان بمثل هذه الخوارق لكان التصديق بمثل هذه الأمور أمراً يسيراً، وكل ما فى الأمر أنْ نبتعد عن المبالغة، وعن تجاوز الحدود، وألّا ننسب كل امر إلى الاعجاز أو خرق النواميس الطبيعية.

و حتّى بالنسبة للعلماء الماديين، هُناك امور خارقة لا يمكن تفسيرها بالأساليب العلمية المعروفة فما هو الداعى لتحريف أيّة ظاهرة خارقة للعادة بمجرّد العجز عن كشف سرّها.

والقضية المذكورة، وبغض النظر عن الرجل المؤمن المذكور فيها والذى مات وبُعث من جديد وبغض النظر عن الهدف منها وهو الرغبة فى تقديم مثال لاحياء الموتى يوم القيامة، تشير إلى حماره أيضاً، وقد أخبر القرآن بأنّه قد مات وتلاشت عظامه، لأنّ الآية صريحة فى جمع العظام بإذن اللَّه وتغطيتها باللحم ثم نفخ الحياة فيها، فهل يجب تعليل كلّ ذلك؟

٣- وأمّا ما يتعلق بالمدينة التى وقعت فيها تلك القصة فإنّ أغلب المفسرين يعتقدون بأنّها وقعت فى بيت المقدس بعد أن هُدمت على يد «نبو خذنصّر» وخُربت عن آخرها وقد عبّر عنها القرآن ب «خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا» أى بعد تهديم سقوفها وتخريب جدرانها

نفحات القرآن، ج۵، ص: ۱۶۰

ومساواتها بالأرض؟ وقيل هى قرية مجاورة لبيت المقدس.

أمّا ما يتعلق بحديث ذلك الرجل المؤمن مع نفسه فانّه لم يكن بسبب الإنكار ولا التعّجب والشك بل أراد أن يشاهد احياء الموتى بأم عينيه كى يطمئن قلبه كما أراد إبراهيم عليه السلام ذلك فى القصة التى سوف نذكرها عمّا قريب.

ومن الممكن أيضاً أن يكون طلبه هذا من أجل أن يقدم دليلًا مقنعاً للمنكرين والمشككين، لأنّه فى بعض الأحيان لا- تكفى الاستدلالات العقلية ولا- حتى نداء الفطرة والوجدان فى اقناع بعض الناس، فهم يصّرون على مشاهدة النماذج الحيّة لكى يأخذ

الاستدلال طابع الحس وتزول جميع الوساوس عن قلوبهم ونفوسهم.

۴- وأمّا ما يتعلق بنوع طعامه وشرابه فإنّ القرآن لم يصّرح بشيء عنه، ولكن يظهر من جملة: «لَمْ يَتَسَنَّهْ» التى هى من مادّة «سَنَه» والتى يفهم منها عدم فساد الطعام والشراب على الرغم من مرور سنين طويلة انّهما كانا من الأغذية والأشربة التى لا تفسد بمرور الزمان، وقيل بأنّ الطعام الذى كان يحمله هو «التين» و «العنب» والشراب هو «عصير الفواكه» أو «الحليب».

والملاحظ هنا أنّ اللَّه تعالى ومن أجل اظهار قدرته، حفظ المواد السريعة الفساد من التلف، بينما ترك حماره الذى يقاوم الفساد عادةً عرضةً للفساد، وبهذا أصبح دليلًا على المكوث مائة سنة ودليلًا آخر على إمكان الحياة بعد الموت، وذلك من أجل أن يشاهد الرجل المؤمن تلك الحقيقة بامِّ عينيه فى كلا الأمرين (وجود نفسه ووجود حماره بعد الموت).

۵- عبارة: «وَلِنَجْعَلَكَ آيَةً لِلنّاسِ» تدلّ على أنّ الفائدة المرجوّة من هذه الحادثة لا تختص بذلك الرجل المؤمن لوحده، بل لتكون عبرة نافعة لجميع الناس، لأنّ الناس قد عرفوا «عُزير عليه السلام» بالقرائن المختلفة، وتيقنوا من أنّه قد مات وبُعث ثانية بعد مرور مائة عام على موته، فإن كان الجيل المعاصر لحياة عزير قد مات وفنى فإنَّ الجيل الجديد عرفوا حقيقة الأمر بواسطة المعلومات التى حصلوا عليها من آبائهم.

نفحات القرآن، ج۵، ص: ۱۶۱

## ۲- إبراهيم عليه السلام والمعاد

### اشارة

إنَّ قصّة إبراهيم عليه السلام و «الطيور الأربعة» تعتبر من النماذج التاريخية الحيّة التى استدل بها القرآن الكريم على قضية المعاد، وقد ورد ذكر هذه القصة بعد ذكر قصة عزير عليه السلام مباشرة، قال تعالى

«وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ أَرِنى كَيْفَ تُحْىِ الْمَوْتَى قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِنْ قَالَ بَلَى وَلكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبى قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِّنَ الطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ اجْعَلْ عَلَى كُلِّ جَبَلٍ مِّنْهُنَّ جُزْءً ثُمَّ ادْعُهُنَّ يَأْتِيْنَكَ سَعْياً وَاعْلَمْ انَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ». (سورة البقرة/ ۲۶۰)

لو أمعنّا النظر فى ظاهر الآية بعيداً عن أى حكم مسبق وبعيداً عن تأثير آراء ونظرات الآخرين نراها تدلّ بوضوح على أنّ إبراهيم عليه السلام كان يريد أن يرى كيفية احياء الموتى ليطمئن قلبه، فأُمِرَ أن يمارس عملياً نموذجاً حيّاً لاحياء الموتى بإذن اللَّه، وهو أن يجعل أجساد الطيور الأربعة بعد ذبحها وسحقها كالعجين ثم يجعل عدّة أجزاء من العجين على عدّة جبال وبعد أن يدعو هذه الأجزاء إليه تصبح طيوراً أربعة كما كانت بإذن اللَّه وتُعاد إليها الحياة من جديد.

كما أنّ السبب الذى أشار إليه الكثير من المفسرين فى شأن نزول هذه الآية الشريفة يؤيد هذا المدعى فقد مرّ إبراهيم عليه السلام على ساحل البحر فوجد جيفة نصفها فى الماء والنصف الآخر على الساحل تأكل منها حيوانات البحر من جانب والطيور من جانب آخر، فأثر هذا المنظر فى نفسه عليه السلام وغرق فى التفكير فى كيفية جمع أجزاء هذا الجسد وإحيائه من جديد بعد أن صار جزءاً من حيوانات كثيرة اخرى

إنَّ إبراهيم عليه السلام كان مؤمناً بالمعاد وكل مايرتبط به لأنّه نبى وله ارتباط مع الوحى وكان إيمانه أعمق من الإيمان الحاصل عن طريق الاستدلال العقلى، لكنّهُ كان يبغى شاهداً حسياً فى هذا المجال ولهذا جسَّد له اللَّه هذا المشهد كى يتجسّد أمامه المعاد الجسمانى بكل ما تعنيه هذه الكلمة من معنى وليشاهده بأمّ عينيه كى يطمئن قلبه.

نفحات القرآن، ج۵، ص: ۱۶۲

**وهنا ينبغى أن نشير إلى عدّة امور:**

أولًا: إنّ جملة: «فَصُرْهُنَّ» كما صّرح بذلك بعض اللغويين وعدد من المفسرين هى من مادّة «صور» على وزن (قول) بمعنى التقطيع والتمزيق، وهى دليل على أنّ إبراهيم عليه السلام أمر بأن يذبح تلك الطيور الأربعة ثم يقطعها ويخلط أجزائها.
لكنّ بعض اللغويين فسروها بمعنى التعويد والتربية (على الأخص عندما تتعدى ب «إلى ) ومن أجل هذا أكّد بعض المفسرين الذين يسمّون أنفسهم بذوى الأفكار النيّرة على أنّ إبراهيم عليه السلام لم يقطع تلك الطيور أبداً، بل أمر بأن تعود تلك الطيور إليه وبعد أن تأنس به يضع كل واحد منها على جبل ثم يناديها كى تسعى إليه جميعاً فيحصل من خلال هذا العمل على دليل لإحياء الموتى ولكى يعلم أنّ إحياء الموتى على اللَّه يبلغ من السهولة ما يبلغه نداء إبراهيم عليه السلام لتلك الطيور ومجيئها إليه بمجرّد أن يناديها «۱».
و قد فات هؤلاء أنّ إبراهيم عليه السلام أراد مشاهدة إحياء الموتى وأنّ اللَّه تعالى استجاب دعوته من هذا الباب كى يطمئن قلبه، فلو كانت المسألة تُحلّ بتربية الطيور وإتيانها بعد دعوتها لما تحقق ما أراده إبراهيم عليه السلام من مشاهدة إحياء الموتى ولما اطمئن قلبه بذلك، بل لا علاقة لهذا الأمر بما طلبه إبراهيم عليه السلام فإنّ مثل هذا الجواب لمثل هذا الطلب قبيح وغير لائق لو صدر من الفرد العادى، فكيف يصدر ذلك من اللَّه تعالى وبالأخص عندما يرد فى كلام فصيح ككلام القرآن ...؟
ثانيا: الظاهر أن تفسير كلمة «جزء» باطلاقها على كلِّ واحد من الطيور الأربعة، غير مناسب أبداً.
ثالثاً: إنّ سبب نزول هذه الآية الشريفة والوارد فى روايات متعددة لا يتناسب مع هذا المعنى بل صرحت جميعها بالحقيقة التالية، وهى أنّ إبراهيم عليه السلام أخذ أربعة من الطير فذبحها وخلط أوصالها ببعضها ثم قسّمها حصصاً فوضع كل منها على جبل «۲».

---

(۱) وهذا التفسير فى الأساس مقتبس من أحد المفسرين المعروف باسم (أبومسلم) وقد نقل عنه هذا التفسير فى «المنار» ودافع عنه وأيّده (ج ۳ ص ۵۶).

(۲) للاطلاع أكثر على هذه الروايات راجع تفسير نور الثقلين، ج ۱، ص ۲۷۵- ۲۸۲؛ وتفسير الدّر المنثور، ج ۱، ص ۳۳۵.

نفحات القرآن، ج۵، ص: ۱۶۳

واما جملة «فصرهن» فهى لا تؤثر فى محتوى الآية إن كانت بمعنى التقطيع أو بمعنى التعود، لأنّ الآية- على أية حال- جاءت لتوضيح كيفية إحياء الموتى بإذن اللَّه.
وكما قلنا آنفاً إنّ السبب الرئيسى فى نزوع هؤلاء إلى مثل هذه التفاسير هو عدم استيعابهم للمعجزات الخارقة للنواميس الطبيعية، ولإرضاء المدافعين عن العقيدة المادية ولذلك ورطوا أنفسهم فى هذه المتاهات، بينما تعتبر هذه الخوارق ووقوع المعجزات من البديهيات لدى جميع الأديان، ونحن فى عالم الطبيعة نشاهد الكثير من هذه الخوارق التى عجز عن تفسيرها العلم الحديث (فتأمل).
۲- والمعروف من أنواع الطيور الأربعة هى: الطاووس والديك والحمام والغراب، وكلّ واحد من هذه الطيور يحمل صفات متميزّة وقد شبّهوا حركات الإنسان بحركات هذه الطيور، فالطاووس هو مظهر الكبرياء والرياء، والديك هو مظهر الشره الجنسى، والحمام هو مظهر اللهو واللعب، والغراب هو مظهر الآمال البعيدة المنال!
وجاء فى كثير من التفاسير احتمالات اخرى أيضاً منها: أنّ تلك الطيور هى الهدهد والبوم والقصر والنسر «۱».
ومن البديهى أنّ خصوصيات تلك الطيور المذكورة لا علاقة لها بأصل المسألة، غاية مانعلم هو أنّ أنواع الطيور كانت مختلفة وهذا الإختلاف جاء من أجل الحكاية عن اختلاط تراب البشر مع بعضه.
أمّا عدد الجبال التى وضع إبراهيم عليه السلام عليها أجزاء تلك الطيور فهى عشرة طبقاً لما ذُكر فى الروايات ويحتمل أن يكون وقوع هذه الحادثة بعد ذهاب إبراهيم عليه السلام إلى الشام، لأنّ أرض بابل خالية من الجبال.

### ۳- قصة أصحاب الكهف

ورد محتوى هذه القصة فى سورة الكهف خلال أربع عشرة آية، وجاء فى بعضها:

---

(۱) تفاسير مجمع البيان والقرطبى والكبير ونور الثقلين فى ذيل الآية مورد البحث.

نفحات القرآن، ج۵، ص: ۱۶۴

«وَكَذلِكَ اعْثَرْنَا عَلَيْهِمْ لِيَعْلَمُوا أَنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَأَنَّ السَّاعَةَ لَارَيْبَ فِيها». (الكهف/ ۲۱)

نستفيد بوضوح من هذا التعبير بأنّ أحد الأهداف المتوخّاة من هذا السبات العجيب والطويل الذى له شبه كبير بالموت هو أنّ هذه الحادثة تعتبر درساً لجاحدى المعاد أو للذين ينتابهم الشك والترديد فى هذا المجال.

ويعين على ذلك بالخصوص مااستنبطوه من جملة: «اذْ يَتَنَازَعُونَ بَيْنَهُمْ أَمْرَهُمْ»، من أنّ الناس اختلفوا فى ذلك الزمان فى مسألة المعاد (المعاد الجسمانى) فالمخالفون كانوا يسعون لمحو آثار قصة أصحاب الكهف كى يسلبوا هذا البرهان القاطع من أيدى المؤمنين بالمعاد (لقد احتملوا فى تفسير هذه الجملة احتمالات جمّة، وماقلناه هو أحد هذه الاحتمالات).

وقد ذكر الفخر الرازى فى تفسيره خمس احتمالات اخرى فى تفسير هذه العبارة، منها الاختلاف فى عدد أصحاب الكهف، ومنها الاختلاف فى أسمائهم أو فى مدّة نومهم وفى مسألة المعبد الذى شُيّد بالقرب من الغار هل كان على غرار معابد المشركين أو معابد الموحّدين «۱».

فالآيات الواردة فى هذه السورة من القرآن صرحت بوضوح بأنّ مدّة نومهم امتدّت إلى ثلاثمائة وتسع سنين: «وَلَبِثُوا فِى كَهْفِهِمْ ثَلَاثَ مِائَةٍ سِنِيْنَ وَازْدَادُوا تِسْعاً». (الكهف/ ۲۵)

إنّ نوماً عميقاً كهذا يشبه الموت، والنهوض بعده أشبه بالحياة بعد الموت بلا شك، لذا فهو يصلح أن يكون نموذجاً حياً للمعاد من وجهة نظر التاريخ.

#### توضيحات

#### اشارة

هناك حديث طويل يدور حول هذه القصة، إلّاأنّ ما يتعلق بموضوع بحثنا هو عدّة امور:

---

(۱) التفسير الكبير، ج ۳۱، ص ۱۰۵.

نفحات القرآن، ج۵، ص: ۱۶۵

#### ۱- ملخص الحادثة

إنّ ما جاء فى القرآن المجيد والروايات المستفيضة فى هذا المجال هو مايلى: كان هناك ملك ظالم يدعى «دقيانوس» وقيل إنّ اسمه

«دسیوس» وکـان متسلطاً علی شعب وثنی حوالی الفترة مـابین القرن الأول إلی القرن الثالث المیلادی، وکانت عاصمة البلاد تـدعی «أفسوس»، وکان لهـذا الملک عدّة وزراء قد بانت لهم سخافة الوثنیة من خلال أحد الحوادث فرجّحوا التحرر من قیود هذه الخرافات علی الاحتفـاظ بمناصبهم، فهجروا دیارهم سرّاً من دون أن یعینوا هـدفاً لمسیرهم، وأخیراً عثروا علی غارٍ فاختبؤا فیه فالقی اللَّه علیهم نومـاً عمیقـاً یـثیر العجب حتی إذا استیقضوا من نومهم العمیق هـذا تساءلوا فی مـا بینهم فظنّوا أنّهم لبثوا فی نومهم یومـاً أو بعض یوم ولکن مظاهر وسمات أطراف الغار کانت تُنبئُ عن شیٍ آخر لذا تسرب الشک إلیهم.

ولکونهم جیاعاً بعثوا أحـدهم إلی المدینـة لیـأتیهم بالطعـام سرّاً، لکّن المسکوکات النقدیـة کشـفت سرّهم وساعـد فی ذلـک أکثر تصـرفاتهم وعاداتهم غیر المألوفـة لدی الناس فی ذلک العصـر، بالإضافة إلی أنّ قصة تواری عدد من الشبّان من أصحاب المناصب الرفیعة عن الأنظار کانت متداولة بین الناس فی تاریخهم المعاصر، فاتحدت جمیع هذه الشواهد للدلالة علی أنّ هؤلاءهم الذین تواروا عن الأنظار فی تلک الفترة!

فسمع الملأ ـ بهـذا الخبر والتفوا حولهم، لکن اولئـک الشـبان عـادوا إلی کهفهم وتواروا إلی الأبـد فبنی النـاس هنـاک معبـداً لتخلید ذکراهم.

## ۲- قصة أصحاب الکهف فی کتب التاریخ

هل ورد ذکر لهذه القصة فی کتاب آخر غیر القرآن أم لا؟ وهل ذکر فی التوراة والانجیل الحالیین شیئاً عنها؟

إنّ الجواب عن السؤال الأول بنعم، أمّا الجواب عن السؤال الثانی فهو لا.

نفحات القرآن، ج۵، ص: ۱۶۶

لأنّ وقوع هـذه الحادثـة کمـا ذکر المؤرخون- یتعلق بالفترة التی تلت میلاد المسیح علیه السـلام، وقـد صـرّح البعض بأنّ وقوع هـذه الحادثـة حصل فی الفترة مابین عام ۲۴۹- ۲۵۱ میلادی، فعلی هـذا لا یمکن أن تکون مذکورة فی التوراة والانجیل، نلاحظ ماورد فی کتاب أعلام القرآن:

«إنّ خلاصـة مـا نقله المؤرخـون الاـوربیون عن قصـة أصـحاب الکهـف هـو: فی عصـر دکیوس (۲۴۹ م- ۲۵۱ م) الـذی کـان یسوم المسیحیین سوء العذاب، هرب سبعة شبان من النبلاء ولجأوا إلی غار، فأمر دکیوس أن یغلقوا فوهة الغار ببناء جدار علیه لیهلکوا جوعاً وعطشـاً، لکن هؤلاـء السـبعة غرقـوا فی نومٍ عمیق، وبعـد مرور ۱۵۷ عـام استیقظوا من نومهم فی عصـر الملـک «تیوذر الثـانی» ویطلق المؤرخون الاوربیون علی هؤلاء اسم النیام السبعة فی أفسوس».

وجاء فی فصل آخر من هذا الکتاب: إنّ أول من سـرد هذه القصة هو «جاک» فی القرن الخامس المیلادی، وهو من سـکنة «ساروک» الـذی کـان یرأس الکنیسـة فی سوریا خلال رسالـة کتبت بالسـریانیة، وترجم هـذه الرسالـة من السـریانیة إلی اللاتینیـة شـخص یـدعی «غوغویوس» وانتخب لها اسم «جلال الشهداء» «۱».

لقد احتلت هذه القصة مقاماً متمیزاً فی التاریخ الإسـلامی والادب الشرقی والغربی، وتمکنت هذه القصة من وضع بصماتها علی الادب «الروسی» و «الحبشی» أیضاً «۲».

بناءً علی هذا فإنّ القرآن الکریم لم ینفرد بذکر هذه الحادثة، بل ورد ذکرها فی الکتب التأریخیة الاخری

## ۳- مکان الغار

المشهورة أنّ الغار يقع بالقرب من مدينة «افسوس» أحد مدن آسيا الصغرى (تركيا

(۱) أعلام القرآن، ص ۱۷۱- ۱۷۲.

(۲) المصدر السابق، ص ۱۸۱.

نفحات القرآن، ج‌۵، ص: ۱۶۷

الحالية التى تشتمل على قسم من بلاد الروم الشرقية القديمة)، بالقرب من نهر «كايستر» الواقع على بعد ما يقارب أربعين ميلًا إلى جنوب شرق «أزمير» «۱».

وقد كسبت مدينة «افسوس» شهرتها العالمية من المعبد ومجمع الأصنام الشهير «اوطاميس» الذى يعتبر من عجائب الدنيا السبع «۲».

لكنّ البعض يرى بأنّ غار أصحاب الكهف يقع فى موضعٍ بالقرب من الشام يدعى «طرطوس» «۳».

ويوجد حالياً موضعٌ بالقرب من دمشق يزوره الناس اشتهر باسم غار أصحاب الكهف.

لكنّ الرأى الأول أشهر.

## ۴- قصة أصحاب الكهف فى تصور العلم الحديث

هل يمكن للإنسان أن يعمرّ ولعدّة قرون ويتساوى لديه أن يكون فى حالة اليقظة أم فى حالة النوم؟

ولو سلّمنا بامكانية ذلك فى اليقظة فإنّ المعضلة تزداد تعقيداً فى حالة النوم، لأنّ هذا يعنى أنّ الإنسان يمكنه البقاء حيّاً من دون أن يتناول طعاماً أو ماءً، بينما يحتمل أن يحتاج الإنسان خلال هذه المدّة وفى الظروف العادية إلى أكثر من مائة طن من الغذاء ومائة الف ليتر من الماء!

هذه هى التساؤلات التى طرحها العلم حول هذه الحادثة، ويحتمل أن تكون هذه التساؤلات هى السبب فى سلوك طريق الجحود من قِبَل لم يجدوا جواباً لها، واعتبروا هذه القصة «اسطورة» من الأساطير.

لكنّ البحوث الأخيرة للعلماء من ناحية، والاكتشافات التى وصلت الينا عن

(۱) فرهنگ قصص القرآن، ص ۳۵۱.

(۲) القاموس المقدّس، ص ۸۷.

(۳) دائرة المعارف، دهخدا، مادة (أصحاب الكهف).

نفحات القرآن، ج‌۵، ص: ۱۶۸

الموجودات الحيّة من ناحية اخرى تؤكّد على إنكار هذا الأمر ليس بهذه البساطة.

ومن أجل أن نتعرف إجمالًا على المنهج العلمى للعلماء المعاصرين فى هذا المجال نُلقى نظرة خاطفة على الصحف العلمية التى نشرت حديثاً:

جاء فى إحدى هذه الصحف فى موضوع تحت عنوان هل (ينتصر الإنسان على الموت)؟

فى عام ۱۹۳۰ سعى عالم الاحياء الشهير «متالينكف» لأن يثبت بأنّ الحياة الخالدة موجودة بالقوة فى نفس الطبيعة، وأنّ مهمة العلم هى أن يصل إلى كشف أسرار الحياة الخالدة.

فهو يقول: إنّ الاحياء البسيطة مثل أحاديات الخلايا لا تموت فى الواقع، لأنّها تبقى حيّة إلى مالا نهاية عن طريق انشطار الخليّة الحيّة ...

فلمـاذا نسـتغرب أن تكون هناك موجودات حيّـة مركّبـة من ملايين من الخلايا الخالـدة وأنّ علينا نحن العلماء أن نتوصل إلى كشـف أسرارها.

وجاء فى فصل آخر من هـذه المقالـة موضوع بعنوان (نوم سـتمائة عام) مايلى: مثل هـذه الأفكار كانت تقوى يوماً بعـد آخر حتى جاء البروفسور «ايتنجر» فصاغهـا بصـيغة علميـة، قال ايتنجر: بإمكاننا الآن أن نتحـدث عن الحياة الخالـدة بلا تردد، لأنّ الحياة الخالـدة ثبتت امكانيتها نظرياً، وقد بلغنا من التقنية ما يساعدنا على تحقيق ذلك عملياً.

ثم تحدّث عن استمرار الحياة بواسطة التجميد فأضاف: عندما تنخفض درجة حرارة الجسم بشدّة فإنّ سير الحياة يبطأ حتى كأنّه يتحرر من قيود الزمان، وعندما يقترب انخفاض درجة حرارة جسمنا من «الصفر المطلق»، (الصفر المطلق/ (۲۷۰) درجة سانتيغراد تحت الصفر فى المحرار المئوى!) فإنّ مقـدار الحرارة الكافى لاسـتمرار الحياة لمـدة ثانيـة واحـدة فى الظروف الاعتيادية يكفى حينئذٍ لادامة الحياة عدة قرون!

ثم تحـدّث عن جزيئات الملح البلورية الشـكل التى تحتوى فى داخلها على خلايا متحجرة من البكتريا والعائدة لعصور مضت قبل مائة مليون عام، وقد هيأ هذا العالم لها

نفحات القرآن، ج۵، ص: ۱۶۹

الظروف الملائمـة فعادت إلى الحياة ثانيـة وبدأت بالتكاثر (وهذا فى الحقيقة يعنى أنّ تلك البكتريا نهضت من رقادها بعد مائة مليون عام) وبعـد هـذه التجربة قام هذا العالم بجمع بلورات الملح من جميع أرجاء العالم ومن مناطق مضـى عليها سـتمائة مليون عام! فهيّأ لها الظروف الملائمة ورأى ببالغ العجب بأنّ هذه المتحجرات انبعثت من نومها العميق! وبهذا سـجّل رقماً قياسـياً آخر «سـتمائة مليون عام» لحياة هذه الموجودات الحيّة المجهرية!

وهذا العالم يرى أنّ هذا الأمر يمكن أن ينطبق على الإنسان أيضاً من وجهة نظر العلم (وهذا الإنجماد يحصل خلال اللحظة التى تسـبق الموت طبقاً لظروف معينة بحيث تصان اجهزة البدن من حدوث أىّ تلف) «۱».

إنّنا لا نرى أنّ أصـحاب الكهف كانوا منجمدين، بل نقول بالتحديد إنّ النوم العميق يؤدّى إلى بطء فعالية أجهزة الجسم إلى ادنى حدّ ومن المحتمل فى هـذه الحالـة أن تكفى الطاقة المخزونة لديه لإدامة الحياة عدّة قرون، لأنّ نوماً كهذا ليس أمراً معتاداً وقد تحقق بإذن اللَّه وفى ظروف خاصة غير طبيعية.

يقول القرآن الكريم إنّ نور الشمس لم يمسّهم أبداً: «وَتَرى الشَّمْسَ إِذَا طَلَعَتْ تَّزَاوَرُ عَنْ كَهْفِهِمْ ذَاتَ الَيمِيْنِ وَاذَا غَرَبَتْ تَّقْرِضُهُمْ ذَاتَ الشِّمَالِ». (الكهف/ ۱۷)

أمّا مسألـة السبات (لو تتبعنا حياة كثير من الحيوانات لوجـدنا أنّها تغرق فى سـبات عميق طيلـة الشـتاء) فى عصـرنا الحاضـر من الامور البديهيـة، ففى هذا النوع من الرقاد تتوقف الحياة فى الأجسام تقريباً ولا يبقى إلّابصـيص منها، فضـربات القلب تهبط إلى حدٍ وكأنّه قد توقف عن العمل، ويمكن تشبيه جسم الحيوان فى هذه الحالة بأفران ضـخمة لم يبق فيها بعد خمود نارها إلّاشعلة صغيرة، وممّا لا ريب فيه هو أنّ مقدار الوقود الذى تحتاجه الافران لحرقه فى يوم واحد قد تتغذّى عليه تلك الشعلة الصغيرة مئات السنين.

إنّ العلماء يرون أنّ السبات لا يختص بالحيوانات التى لا تتناسب درجة حرارة أبدانها مع درجة حرارة محيطها بل يحصل السبات لدى الحيوانات ذات درجة الحرارة الثابتة

---

(۱) مجلة (دانستنيها) تشرين الثانى- ۱۹۸۲، العدد ۸۰.

نفحات القرآن، ج۵، ص: ۱۷۰

أيضاً، ففى مرحلة السبات تصبح الفعاليّات الحياتية بطيئة كثيراً وتتغذى تلك الحيوانات على الشحم الذى تدّخرة فى أجسامها «۱».

وليس غرضنا هنا التعرض لكيفية نوم أصحاب الكهف، بل الغرض الرئيسى هو بيان أمرين:

الأول: هو أنّ نومهم بنحو الإجمال لم يكن نوماً طبيعياً، على الأخص لو استندنا إلى ماقاله القرآن: «لَوِ اطَّلَعْتَ عَلَيْهِمْ لَوَلَّيْتَ مِنْهُمْ فِرَاراً وَلَمُلِئْتَ مِنْهُمْ رُعْباً». (الكهف/ ۱۸)

والأمر الثانى: هو أنّ القوانين الحاكمة على النوم المعتاد لا تنطبق على هذا النوع من النوم، فمن المحتمل فى هذا النمط من النوم أن تبلغ مسألة استهلاك الطاقة فى البدن من الانخفاض حدّاً ينتفى معها موضوع التغذية كلياً.

## ۵- قصة هزيمة بنى اسرائيل

النموذج الآخر الذى ذكره القرآن الكريم هو القصّة الواردة فى سورة البقرة بخصوص مجموعة مؤلفة من آلاف الأشخاص فرّوا حذر الموت وهجروا ديارهم، لكن فرارهم هذا لم ينقذهم، فوقعوا فى مخالب الموت بإذن اللّه، وبعد ذلك احياهم اللّه مرّة اخرى قال تعالى

«الَمْ تَرَ الَى الَّذِينَ خَرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَهُمْ الُوفٌ حَذَرَ الْمَوْتِ فَقَالَ لَهُمُ اللَّهُ مُوتُوا ثُمَّ أَحْيَاهُمْ». (البقرة/ ۲۴۳)

ادّعى المفسرون بأنّ هؤلاء كانوا فريقاً من بنى اسرائيل فرّوا من ديارهم خوفاً من الملاريا أو الطاعون، لكنّهم ما برحوا حتى ماتوا بذلك الوباء فمرّ أحد انبياء بنى اسرائيل ويدعى «حزقيل» ودعا اللّه عزوجل أن يمنّ عليهم بالحياة، فأحياهم اللّه ليكونوا دليلًا على احياء الموتى (فى مقابل جاحدى المعاد).

وجاء فى بعض الروايات أنّ هؤلاء كانوا يسكنون احدى مدن الشام وكان الطاعون

(۱) دائرة المعارف «فرهنگ نامه» مادّة (زمستان خوابى).

نفحات القرآن، ج۵، ص: ۱۷۱

يصيبهم بين الحين والآخر، فكلّما بان لهم أثر الوباء غادر المدينة أثرياؤهم وبقى الفقراء فريسة للهلاك فيموت منهم الكثير، أمّا الفارّون فإنّهم غالباً ما ينجون.

بعد ذلك قرروا أن يهاجروا جميعاً بمجرد ظهور آثار الطاعون وهكذا خرجوا فراراً من الموت.

إلّا أنّه لم ينج أحد منهم وماتوا جميعاً بأمر اللّه «۱».

إنّ الآية المذكورة لم تشر إلى أنّالغرض من احيائهم هو اجراء مشهد المعاد فى الدنيا، لكن بعض الروايات الواردة فى هذه الحادثة صرّحت بذلك «۲».

ونواجه هنا مرّة اخرى تفسيراً منحرفاً لبعض المفسرين الذين يصطلح عليهم بالمثقفين ونحن نعلم بأنّ فهم مثل هذه الحوادث ذات الأبعاد الاعجازية صعب على أفراد من هذا القبيل لذا فإنّهم رفضوا بالمرة حكاية وقوع هذه الحادثة بالشكل الوارد فى ظاهر القرآن الكريم واعتبروا بيان تلك الحادثة مجرّد مثال لحياة وموت الامم الذى يعتبر كناية عن النصر والهزيمة.

فقالوا: إنّ الآية المذكورة تخبر عن جماعة من الناس فقدوا سيادتهم واستقلالهم كلياً فأصبحوا كامّة ميتة، ثم نهضوا من نومهم وشمروا عن سواعدهم وحصلوا على استقلالهم وسيادتهم بما مَنَّ اللّه عليهم «۳».

لكننا نعلم بأنّ مثل هذه التفاسير والآراء إذا دخلت إطار القرآن الكريم فإنّ كثيراً من حقائقه سوف تكون عرضة للانكار، وحينئذٍ يستطيع كل شخص أن يفسّر الآيات الشريفة بتفسيرات ملائمة لميوله ورغباته ويصبح القرآن الذى يعتبر هادياً ومسيّراً للناس وسيلة لدعم أفكار وميول هذا وذاك! فيكون تابعاً بدلًا عن أن يكون متبوعاً.

وعندما تنهى الروايات بشدّة عن التفسير بالرأى، وتُشبهُ من يفسر القرآن برأيه بالذى يهوى من السماء إلى الأرض، فالمراد منه مثل هذا التفسير المنحرف الخارج عن الضوابط والقواعد السليمة لفهم القرآن.

---

(۱) تفسير مجمع البيان؛ وتفسير الكبير؛ وتفسير نورالثقلين فى تعليقهم على ذيل الآية مورد البحث.

(۲) تفسير مجمع البيان، ج ۱، ص ۳۴۷.

(۳) تفسير المنار، ج ۲، ص ۴۵۸.

نفحات القرآن، ج۵، ص: ۱۷۲

فإن أراد هؤلاء- بهذه التفاسير- اقناع الماديين، فإنّهم لن يقتنعوا بها، وإن أرادوا نفى وقوع الظواهر الخارقة للقوانين الطبيعية فهذا ممّا لا يرتضيه المؤمنون ولا المخالفون أيضاً.

### قصة قتيل بنى اسرائيل:

الحدث الأخير الذى ورد ذكره فى القرآن المجيد كمثال ملموس لإحياء الموتى فى هذه الدنيا هو القصة المتعلقة بفئة من بنى اسرائيل.

فى هذه القصة يُقتل أحد الشخصيات البارزة منهم غيلةً، فيقع بينهم شجار عنيف من أجل العثور على القاتل، فكل قبيلة منهم تتهم القبيلة الاخرى بارتكاب القتل، وخوفا من اتساع رقعة النزاع بينهم بما يهدد بخطر جسيم، لذا فانّهم ذهبوا إلى موسى عليه السلام راجين منه الحل، فما كان من موسى عليه السلام إلّاأن حل هذه المعضلة بواسطة الاستعانة بألطاف اللَّه تعالى عن طريق معجزة آمن بها الجميع.

فقد أمرهم بذبح بقرة لكن ذبحها لم يتم بسهولة طبعاً، فقد عاد إليه المتذرعون من بنى اسرائيل كراراً للسؤال عن اوصاف تلك البقرة وأخّروا انجاز ذلك العمل بهذه الأسئلة التافهة الفارغة، وأخيراً ذبحوا بقرة تحمل أوصاف معيّنة وضربوا القتيل بجزء منها فعاد مدّة وجيزة إلى الحياة وكشف عن قاتله.

وجاء فى القرآن الكريم فى القسم الأخير من هذه القصة قوله تعالى: «وَاذْ قَتَلْتُمْ نَفْساً فَادَّارَأْتُمْ فِيهَا (فتنازعتم فيها) وَاللَّهُ مُخْرِجٌ مَا كُنْتُمْ تَكتُمُونَ* فَقُلْنَا اضْرِبُوه بِبَعْضِهَا كَذَلِكَ يُحيِ اللَّهُ الْمَوْتَى وَيُرِيْكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَعقِلُونَ». (البقرة/ ۷۲- ۷۳)

والعجيب فى هذه القصة هو أنّ الضرب بقطعة من جسم «ميت» بجسد «ميت آخر» يؤدّى إلى إحيائه لإحقاق الحقيقة!، فما هى العلاقة بين هذين الأمرين؟ وما هو المؤثر فى ذلك؟ بديهى أنّ هذا من الأسرار الإلهيّة التى لا يعلمها أحد إلّاذاته المقدّسة، فهو لا يوضّح أكثر من ذلك بل يقتصر على الاستدلال بهذا وهو أنّ إحياء الموتى فى عالم الآخرة أمر يسير

نفحات القرآن، ج۵، ص: ۱۷۳

بالنسبة لقدرته، فلا توجد هناك ضرورة لأنّ يولد «الموجود الحى» من موجود حىّ آخر، بل يمكن أن تنبعث شرارة الحياة من تلاقى عضوين ميتين!

وجملة: «كَذلِكَ يُحيِ اللَّهُ المَوْتَى تدلّ بوضوح على هذه الحقيقة وهو أنّ القتيل فى هذه القصة قد عادت له الحياة واصبح نموذجاً محسوساً للدلالة على بعث البشر بعد موتهم.

ونواجه هنا أيضاً بعض الكُتّاب من أمثال مؤلف «المنار» الذى يصرّ على حمل جملة تامة الوضوح على خلاف ظاهرها من دون وجود أى قرينة عقلية أو لفظية على ذلك، ومن دون أن تكون هناك أى ضرورة.

قال صاحب المنار: «يحتمل وجود سنّة لديهم وهى أنّهم كانوا إذا وجدوا قتيلًا بالقرب من أحد المدن ولم يعثروا على قاتله كان كل

واحـد منهم يغسـل يـده خلال طقوس معيّنـة ليبرأ من القتل، وكل من يمتنع من أداء ذلك فإنّهم يعتبرونه هو القاتل، والمراد من احياء الموتى هنا هو حقن الدماء التى كانت تراق بسبب هذه الاختلافات أى أنّ اللَّه حقن الدماء بواسطة هذا التشريع!» «۱».

وكما أشرنا إلى ذلك سابقاً فإنّ هذه التفاسير هى نوع من التلاعب بالالفاظ تحط من شأن «كلام اللَّه» وتفسح المجال لأنّ نستدل بكل الآيات على كل شـىء وأن نحمل الألفاظ على الكناية والمجاز من دون وجود أى قرينة، ومن غير أى مبرر لهذا العمل، لأنّ المتدينين فى كل الأحوال يؤمنون بالمعجزات والخوارق؟ فما هى الضرورة لهذا التكليف.

ونضيف أيضاً: إنّ انتخاب البقرة للذبح يحتمل أن يكون من أجل تقديم قربانٍ للَّه‌تعالى

أمّا مايتعلق بدوافع ارتكاب هذه الجريمة، فقد جاء فى الروايات أنّ شاباً قتل عمَّه من أجل الحصول على أمواله (أو من أجل أن يتزوج منه ابنته) على هـذا يكون سبب تلـك الجنايـة هو حب المال أو النساء (هـذه هى الـدوافع الرئيسـية لارتكاب جرائم القتل فى العالم)، وتحتوى هـذه الحادثـة العجيبـة وعلى الأخص تفاصـيلها- على بنود تربوية كثيرة اعرضـنا عن ذكرها لخروجها عن دائرة موضوع بحث المعاد ومن أجل الاطلاع راجع تفسير

---

(۱) تفسير المنار، ج ۱، ص ۳۵۱.

نفحات القرآن، ج‌۵، ص: ۱۷۴

الامثل ذيل الآية ۵۵ و ۵۶ من سورة البقرة. «۱»

كانت هـذه هى النماذج المتعـددة المحسوسـة من إحياء الموتى التى ذكرها القرآن المجيد وبهذا الحديث ينتهى بحث إمكان المعاد، ونتوجه إلى بحث الأدلة العقلية لوقوع المعاد.

---

(۱) جاءت فى سورة البقرة إشارة إلى نموذج آخر من مشاهد الحياة المسـتأنفة بعد الموت عندما رافق وجهاء بنى اسـرائيل موسى عليه السلام إلى جبل الطور وطلبوا منه أن يروا اللَّه فأصابت الجبل صاعقة اندك لها الجبل وصُعِقَ موسى عليه السلام ومات بنو اسرائيل، ثم بعثهم اللَّه لعلهم يشكرون «ثُمَّ بَعَثْنَاكُمْ مِنْ بَعْدِ مَوْتِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرونَ».

(البقرة/ ۵۶)

بمـا أنّ هـذه الآيـة لم تـأت من أجل إثبات المعاد، فلـذلك لم نجعلها من ضـمن آيات البحث، وعلى الاخص بعـدما احتمل عـدد من المفسرين أنّ بنى اسرائيل لم يموتوا عندما شاهدوا الصاعقة، بل اغمى عليهم، وفسر آخر الموت هنا بمعنى الجهل والبعث بمعنى العلم (ذكر الآلوسـى هذين التفسيرين فى روح المعانى نقلًا عن بعض المفسرين، ج ۱ ص ۲۳۹) وإن كانت هذه التفاسـير على خلاف ظاهر الآية وغير مقبولة.

نفحات القرآن، ج‌۵، ص: ۱۷۵

## دلائل وقوع المعاد

### اشارة

۱- برهان الفطرة

۲- برهان الحكمة

۳- برهان العدالة

۴- برهان الغاية والحركة

۵- برهان الرحمة

۶- برهان الوحدة

۷- برهان خلود الروح

نفحات القرآن، ج۵، ص: ۱۷۷

دلائل وقوع المعاد

### تمهيد:

يوجد فى القرآن الكريم أدلة منطقية وعقلية متعددة لإثبات المعاد، فهو يصرّح بها حيناً ويلمح إليها حيناً آخر، وبعبارة اخرى أنّ القرآن من خلال تلميحاته وإشاراته ارشد المسلمين إلى تتبع هذه الأدلة والبراهين.

فالقرآن المجيد لم يعتمد فى الامور الاعتقادية على التعبد والكلام غير المستند، بل ارشد إلى الأدلة العقلية، لذا فقد تشكل الآية القصيرة أحياناً جسراً للوصول إلى دليل عقلى مهم، ولدينا فى مباحث التوحيد نماذج عديدة من هذا القبيل وسوف نلاحظ ذلك فى مباحث المعاد أيضاً- بإذن اللَّه- من خلال بحثنا هذا.

والأدلة الصريحة والتلميحية الرئيسية فى القرآن المجيد هى سبعة براهين:

۱- برهان الفطرة.

۲- برهان الحكمة.

۳- برهان العدالة.

۴- برهان الغاية والحركة.

۵- برهان الرحمة.

۶- برهان الوحدة.

۷- برهان خلود الروح.

وسوف نتناول بالشرح كل واحد من هذه البراهين السبعة:

نفحات القرآن، ج۵، ص: ۱۷۹

## ۱- برهان الفطرة

### اشارة

المراد من برهان الفطرة هنا (كما هو المراد من الاستدال بالفطرة فى جميع الموارد) هو أنّ الإنسان يرى فى أعماقه عقيدة وإيماناً بحقيقةٍ ما، ويشعر من خلال الإيمان بوجود عالم الآخرة والقيامة والعدالة الإلهيّة.

ولا- ريب أنّ هذا المعنى يمكن توضيحه وبيانه بعدّة طرق، وبعد شرح آيات القرآن المجيد سوف نتعرض لهذا الأمر فى فصل التوضيحات، والآن لنتأمل خاشعين فى الآيات الكريمة التالية:

۱- «فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّيْنِ حَنِيْفاً فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتى فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَاتَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذْلَكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ». (الروم/ ۳۰)

۲- «لَااقْسِمُ بِيَوْمِ الْقِيَامَةِ* وَلَاأُقْسِمُ بِالنَّفْسِ اللَّوَّامَةِ* ايَحْسَبُ الْانسَانُ أَلَّنْ نَّجْمَعَ عِظَامَهُ». (القيامة/ ۱- ۳)

جمع الآيات وتفسيرها

## المعاد يكمن فى أعماق الروح:

قد يحتمل البعض بأنّ الآية الاولى المذكورة أعلاه لا تشير إلّاإلى الفطرة التى تهدى إلى معرفة اللَّه، لكن التعمق فى الآية يهدى إلى أنّ موضوع دلالتها عام، وأنّها تعتبر الدين كله فطرياً، بمعنى جميع الاصول الاعتقادية، بل حتى عموم فروع الدين فطرية وأنّ الأحكام الشرعية موجودة فى أعماق الفطرة بصورة إجمالية.

نفحات القرآن، ج۵، ص: ۱۸۰

قال تعالى «فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّيْنَ حَنِيْفاً فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتى فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَاتَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّيْنُ الْقَيِّمُ وَلكِنَّ اكْثَرَ النَّاسِ لَايَعْلَمُونَ».

وهكذا نلاحظ أنّ كلمة «دين» قد تكرر ذكرها مرتين فى الآية، وليس ذلك إلّالأجل الدلالة على جميع الحقائق الدينية، وهو سبحانه وتعالى يؤكد بالقول: «فطرة اللَّه» ثم يضيف إلى ذلك: «لا تبديل لخلق اللَّه» ويؤكد ثالثاً، على هذه المسألة ويقول: «ذلك الدين القيم».

وبهذا يستخدم التأكيد ثلاث مرات على أنّ الدين امر فطرى بالنسبة للإنسان «۱».

ويستفاد من مجموع ماورد فى هذه الآية أنّ مسألة معرفة اللَّه ليست هى القضية الوحيدة التى فطر اللَّه الإنسان عليها، بل إنّ الاعتقاد بالقيامة ومحكمة العدل الإلهيّة كذلك.

والجدير بالذكر هو أنّ الروايات التى وردت فى تفسير هذه الآية قد أشارت إلى هذا المعنى أيضاً.

جاء فى الحديث عن الإمام الصادق عليه السلام أنّه عندما سُئل عن معنى الفطرة فى هذه الآية، أجاب: هى الإسلام «۲».

وجاء فى الدر المنثور نقلًا عن النبى صلى الله عليه و آله أنّه قال: فطرة اللَّه التى فطر الناس عليها: دين اللَّه «۳».

وجاء فى حديث مشهور روى من طرق الشيعة والسنة عن رسول اللَّه صلى الله عليه و آله أنّه قال:

«مامن مولود إلّايولد على الفطرة فأبواه يهوّدانه وينصرانه ويُمجسانه ...» «۴».

---

(۱) «حنيف» بمعنى خالص أو لا- يوجد فيه أى منعطف نحو الضلالة، والأصل فى الاستعمال هو «الميل» إلّاأنّها جاءت هنا بمعنى الانعطاف نحو الحق، و «الفطرة» من مادّة «فطر» على وزن (سَطَر) بمعنى الشقّ، وبما أنّ الإنشاء والخلق كأنّه شق لحجاب العدم فقد استخدمت هذه الكلمة فى الخلق والإنشاء، و «قيّم» بمعنى ثابت وذو استقامة.

(۲) تفسير نور الثقلين، ج ۴، ص ۱۸۴، ح ۵۴.

(۳) تفسير در المنثور، ج ۵، ص ۱۵۵.

(۴) تفسير در المنثور، ج ۵، ص ۱۵۵؛ وتفسير جامع الجوامع فى تعليقه على الآية المعنية؛ وكذلك فى تفسير الميزان، ج ۲۱، ص ۱۸۸.

نفحات القرآن، ج۵، ص: ۱۸۱

وفى الآية الثانية اقسم تعالى بأمرين: «لَاأُقْسِمُ بِيَومِ الْقِيَامَةِ* وَلَا اقْسِمُ بِالنَّفْسِ اللَّوَّامَةِ».

يرى البعض أنّ «لا» تحمل معنى النفى فى هذه الآية، فيكون مفهومها هو أننى لا اقسم بهذين الأمرين، والغرض من ذلك هو التأكيد، كما لو نقل لأحد: أنا لا أقسم بحياتك من أجل بيان أنّ حياتك أرقى من أن ينالها قسمى.

لكن أكثر المفسرين يرى أنّ «لا» زائدة جاءت من أجل التأكيد، فبناءً على هذا أقسم اللَّه ب «يوم القيامة» كما أنّه أقسم ب «النفس

اللوامة» أيضاً.

و «النفس اللوامة»: هى وجدان الإنسان وضميره الذى يلومه على ارتكاب الذنوب، وكلمّا كانت الخطيئة أكبر كان توبيخ الضمير وعذاب الوجدان أشدّ، وقد يقدم بعض الناس على الانتحار من أجل الخلاص من العذاب الحاصل من ارتكاب الذنوب العظيمة أو الجرائم البشعة، وقد سمع أو رأى أكثرنا بهذا الأمر بالنسبة للقتلة الذين ارتكبوا جرائم عظيمة أو الذين اقترفوا ذنوباً كبيرة.

وذكر هذين الأمرين (يوم القيامة النفس اللوامة) مقترنين بعنوان موضوعين عظيمين وقيّمين يستحقان القسم بهما إنّما هو من أجل الدلالة على الرابطة الموجودة بينهما ... فيوم القيامة هو المحكمة الإلهيّة الكبرى و «النفس اللوامة» هى محكمة مصغرة وقيامة تستقر فى أعماق روح كل إنسان، أو بتعبير آخر كأنّ هذا التقارن يقول بلسان الحال كيف تشكّون فى محكمة يوم القيامة وأنتم تشاهدون فى أعماقكم نموذجاً مصغراً منه؟ إنّكم تلمسون ذلك كثيراً فعندما تعملون عملًا صالحاً تمتلئون نشاطاً وبهجة، فهذه السكينة وارتياح الضمير هو ثواب تمنحه أيّاكم روحكم، وعندما تقترفون ذنباً تألمون وتنهال عليكم سياط الضمير من أعماقكم، فهذا العذاب هو عقاب تعيّنه لكم محكمة الضمير!.

فإن كانت هناك محكمة فى أعماق كل واحد منكم فكيف لا توجد هناك محكمة الهيئة عظيمة على مستوى الكون العظيم؟!

وممّا يجلب الانتباه هو القسم بنفس يوم القيامة لإثبات يوم القيامة، فكأنّه يقول: قسماً بيوم القيامة إنّ القيامة حق «١».

---

(١) يجب الالتفات إلى أنّ «ماجاء القسم من أجله» محذوف فى الآية، والدليل عليه فى الجملة اللاحقة فيكون التقدير «لتبعثن يوم القيامة».

نفحات القرآن، ج٥، ص: ١٨٢

وهنا يطرح السؤال الثانى نفسه وهو: إن كان هذا القسم موجّه للمؤمنين فلا داعى له هنا، وإن كان موجه للمنكرين فكيف يقسم بما لا يؤمنون به؟!

وللتخلص من هذه المعضلة قدّر بعض المفسرين كلمة «ربّ» وقالوا إنّ التقدير هو اقسم بربّ القيامة بأنّ القيامة واقعة «١».

واحتمل أيضاً أنّ هذا القسم جاء تأكيداً للذين يؤمنون بأصل يوم القيامة إلّاأنّهم يشككون فى تفاصيلها، فالقرآن يقسم بأصل يوم القيامة لإثبات التفاصيل التى وردت بعد القسم فى الآية.

وهناك تفسير آخر يحتمل أن يكون افضل من التفسيرين السابقين، وهو: إنّ القرآن أشار بذلك إلى أنّ الاعتقاد بيوم القيامة بلغ من البداهة حداً كبيراً حتى أنّه يُقسم به فى مقابل المعاندين، وبتعبير آخر أنّه استعان بفطرتهم على دحض آرائهم.

وأمّا بالنسبة ل «النفس اللوامة» فللمفسرين أقوال كثيرة فيها حتى نقل أحدهم ستة تفسيرات لها، منها: إنّها للدلالة على النفس المؤمنة التى تلوم نفسها حين التقصير.

ومنها: أنّها للدلالة على النفس الكافرة التى تلوم نفسها يوم القيامة عندما تشاهد أعمالها.

ومنها: أنّها ذات مفهوم اشمل من المؤمن والكافر.

ومنها: أنّها إشارة إلى آدم عليه السلام بعد طرده من الجنّة.

لكنّ المناسب للمقام ووجود القسم الدال على السموّ، والشرف للاقتران بيوم القيامة هو أنّ النفس اللوامة هى نفوس المؤمنين الذين لم يبلغوا بعد حدّ الكمال.

توضيح ذلك: إنّالنفوس الإنسانية على ثلاثة أنواع: فنوع من النفوس «مظلمة» لا ـ ترى قيمة للقسم ولا ـ تبدو عليها آثار السير نحو الكمال ولا ـ التنبيه من الغفلة ولا ـ تحمل شيئاً من آثار يوم القيامة، فهؤلاء هم أصحاب «النفوس الأمارة» النفوس التى تأمرهم دوماً بالإساءة واقتراف الخطايا.

وهناك نفوس أخرى «نصف نورانية» تسير نحو الكمال على منهج الحق، وهذه النفوس

---

(۱) تفسير الكبير، ج ۳۰، ص ۲۱۶.

نفحات القرآن، ج۵، ص: ۱۸۳

كلما ارتكبت خطيئة بمقتضى الحيثية المظلمة فإنّها تصحو من غفلتها بفعل نور الإيمان وتبدأ بلوم نفسها وتوبيخها ... ذلك اللّوم الذى يصبح سبيلًا لنيل الكمال، وهى نفس رفيعة ونموذج مصغّر من مشاهد القيامة والتى تُدعى ب «النفس اللوامة».

وثالثاً النفوس النورانية تماماً، فكلها «نور وصفاء» فقد تجاوزت النفس اللّوامة إلى مرحلة الاطمئنان والسكينة فجاءها خطاب: «يَاايَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَةُ» وقد أمرت بالرجوع إلى منبع الكمال المطلق بخطاب «ارْجِعِى» فدخلت فى روضة عباد اللّه الصالحين فهى: «رَاضِيَةً مَرْضِيَّةً».

وقصارى الكلام فى تفسير هذه الآية وكيفية دلالتها على المراد هو إنّ هذا التقارن بين القسمين مع الأخذ بنظر الاعتبار فصاحة القرآن وبلاغته لا يمكن أن يكون مصادفة، بل يجب أن تكون هناك علاقة بين يوم القيامة وبين النفس اللّوامة، وهذه النسبة هى أنّ كل إنسان (إن لم تنحرف فطرته بفعل التربية الخاطئة) له وجدانٌ يؤنبهُ عند ركوب الخطايا ويستحسن فعله للخير.

وهذا الوجدان الشخصى الذى هو عبارة عن محكمة صغيرة تستقر فى روح الإنسان، دليل على ضرورة وجود ضمير كبير لهذا العالم العظيم يحاكم ويلوم المجرمين ويعاقبهم، وما هذا الضمير الكبير إلّايوم القيامة.

## توضيح

### المعاد يتجلى فى الفطرة

إنَّ المسائل الفطرية وإن كانت إدراكية لا استدلالية، واضحة ومرئية لا مسموعة، بل يجب على كلّ شخص البحث عنها فى أعماقه ليعثر عليها، ولكن مع ذلك ومن أجل مساعدة الجميع فى البحث وسماع صوت الوجدان بسهولة، ومن أجل قراءة كتاب الفطرة بتأنّى، وكذلك للحصول على بيان مُقنع للتحدث به أمام المعاندين فإنّ التوضيحات التالية تعتبر ضرورية:

نفحات القرآن، ج۵، ص: ۱۸۴

۱- إذا كنّا خلقنا للفناء فما معنى حبّ البقاء؟

لا يمكن لأحد أن ينكر هذه الحقيقة وهى فراره الدائم من الموت الذى يعتبره «العدم»، وحُبه لطول العمر، بل حبّه للخلود.

إنّ السعى من أجل البقاء والسعى من أجل الحصول على «إكسير الشباب» والسعى للحصول على «ماء الحياة» الذى ذكرت له نماذج فى طيّات كتب تاريخ البشرية ومساعى العلماء وأشعار الشعراء كلها بسبب حب البقاء عند الإنسان كما أنّ حب الإنسان لأبنائه يعتبر امتداداً لحياته وهو دليل على الحب الغريزى للبقاء أيضاً.

فلو كنّا مخلوقين من أجل الفناء فإنّ وجود هذه الغريزة لدينا يكون عبثاً، ولا يكون فى الحقيقة إلّاحباً مضراً لاهدف من وجوده، فكيف يضيف الخالق الحكيم إلى وجودنا مثل هذا الأمر المضر الزائد: (يرجى الالتفات إلى أنّ بحث المعاد يأتى بعد إثبات بحوث التوحيد والإيمان بالذات المقدّسة الإلهيّة).

فى الواقع أنّ وجود الغريزة فى الإنسان يدل على وجود طريق لاشباعها وتلبية متطلّباتها، فالعطش دليل على وجود الماء، والجوع دليل على وجود الغذاء، وحب الجنس الآخر دليل على وجوده، فإن يكن الأمر كذلك فهو لا يتلائم مع حكمته تعالى

بناءً على هذا يعتبر حبّ البقاء المغروس فى فطرة الإنسان دليلًا واضحاً على الحياة الخالدة.

وللعالم المعروف المرحوم الفيض الكاشانى حديث ظريف فى هذا المجال، فقد قال:

«كيف تفنى الروح الإنسانية وقد اودع فى طبيعتها حبّ الوجود والبقاء بمقتضى حركته كما أنّه اودع فى نفس الإنسان بغض العدم والفناء؟! بينما قد ثبت استحالة البقاء والخلود فى هذا العالم، فإن لم يكن هناك عالم آخر ينتقل إليه الإنسان فإنّ هذه المسألة الغريزية الارتكازية التى اودعها اللّه فى فطرة الإنسان، أى حبّ البقاء الدائم والحياة الخالدة سوف تصبح عبثاً، والخالق الحكيم قد تنزّه عن اللغو والعبث» «۱».

---

(۱) علم اليقين، المرحوم الفيض الكاشانى، ج ۲، ص ۸۳۷.



أو على حدّ تعبير أحد العلماء المعاصرين: إن تعطّش البشر لحياة خالدة بلغ من السعة والقوة بما لا يمكن معه القبول بأنّ مثل هذه الآمال لا تتحقق.

۲- إن لم يكن المعاد أمراً فطرياً فلماذا لا يزول الاعتقاد به من نفس الإنسان على مرّ العصور؟

إنّ عادات وتقاليد الشعوب فى تغيير دائم، فالثقافة بصورة عامّة تابعة للتغيير، فلا يبقى شىء ثابت على مرّ العصور من دون أن يتأثر بمسار الزمان إلّاامور تأصلت جذورها فى أعماق الفطرة.

وبناءً على هذا التوضيح فإنّ فصل المسائل الفطرية عن الامور المعتادة أمرٌ عسير، وبتعبير آخر فإنّ كل شىء يحافظ على بقائه على مرّ التأريخ (وإن اختلفت مظاهره) يمثّل بقاؤه أفضل دليل على كونه أمراً فطرياً، وما قلناه يصدق تماماً على مسألة اهتمام الإنسان بالحياة بعد الموت (فتأمل).

يقول علماء النفس المعاصرون: إنّ العقائد الدينية، والتى تعتبر مسألة الاعتقاد بالمعاد واحدة منها، رافقت الإنسان على الدوام حتى فى عصور ماقبل التاريخ.

وكمثال على ذلك ننقل كلام «صاموئيل كنيغ» الذى ورد ذكره فى كتاب علم الاجتماع، قال: «العقائد الدينية لا تختصّ بعالمنا المعاصر فحسب، بل ثبت من خلال التحقيقات التاريخية الموثّقة بأنّ المجتمع البشرى القديم كانت لديه نوع من العقائد الدينية، فالأسلاف البشرية القديمة، أو ما يسمى بانسان (النياندرتال) كان لهم دين أيضاً لأنّهم كانوا يدفنون أمواتهم تحت التراب بصورة خاصّة، ويدفنون معهم الآلات التى كانوا يستخدمونها فى أعمالهم خلال حياتهم، وقد أثبتوا بسلوكهم هذا بأنّ هناك عالماً آخر» «۱».

إنّ التجذر العميق للعقائد الدينية لدى بنى الإنسان يعد بحد ذاته دليلًا على أنّالعقائد

---

(۱) جامعة شناسى «علم الاجتماع»، ص ۱۹۲.



الدينية امور فطرية.

۳- هل يعقل أن توجد فى أعماقنا محكمة صغيرة بينما لا توجد فى هذا الكون الكبير محكمة عادلة؟

إنّ وجود الوجدان الأخلاقى أو بتعبير آخر وجود محكمة الضمير أمرٌ محسوس لدى الجميع، فكل إنسان يطير فرحاً ويشعر بالرضا العميق عندما يقدم خدمةً إنسانية عظيمة وينقذ مجموعة من المظلومين والمحرومين، وكل من يقترن بجريمة فيقع فريسة فى مخالب الاضطراب ويشعر بآلام عميقة، (إنّ الحديث هنا لايشمل المجرمين المدمنين على الاجرام الذين مسخت فطرتهم بسبب تكرار ارتكابهم للذنوب، بل الحديث عن سائر الناس).

فيتضح حينئذٍ أنّ الاعتقاد بالمعاد يكمن فى أعماق فطرة البشر من دون حاجة إلى استدلال آخر لإثباته مع توفر ما لايُحصى من الأدلة

العقلية لإثباته.

نفحات القرآن، ج۵، ص: ۱۸۷

## ۲- برهان الحكمة

### تمهيد:

لو ألقينا نظرة اجمالية على عالم الوجود لرأينا أنّ كل المخلوقات لم تخلق إلّالغرضٍ معين موافق للحكمة وخاضع لقوانين ومسارات محدّدة.

ثم لنلقى نظرة على حياة الإنسان ولنفترض بأنّ «الموت» هو نهاية كل شىء بالنسبة له، فبقاء الإنسان لمدّة معينة مع ما يواجهه من صعوبات مع تناول مقدار من الغذاء والماء ثم يموت وينتهى كل شىء سيكون عبثاً وبلا هدف، ومن البديهى فإنّ شيئاً كهذا لا يمكن أن يعتبر هدفاً من خلق الإنسان، كما أنّه لا يمكن أبداً أن يتلائم أمر كهذا مع حكمة الخالق الحكيم.

وقد جاء هذا المعنى بصورة حية وملموسة فى آيات القرآن المجيد فلنتفكّر فيما جاء فى هذا المجال من آياتٍ قرآنية كريمة:

۱- «أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثاً وَانَّكُمْ الَيْنَا لَاتُرْجَعُونَ». (المؤمنون/ ۱۱۵)

۲- «وَمَا خَلَقْنَا السَّموَاتِ والْارْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا الّا بِالْحَقِّ وَإِنَّ السَّاعَةَ لَآتِيَةٌ» «۱».

(الحجر/ ۸۵)

۳- «أَيَحْسَبُ الْانْسَانُ انْ يُتْرَكَ سُدىً ... أَلَيْسَ ذَلِكَ بِقَادِرٍ عَلَى أنْ يُحْيِيَ الْمَوْتَى .

(القيامة/ ۳۶- ۴۰)

---

(۱) وهناك آيات اخرى فى القرآن المجيد مثل الآية ۲۷ من سورة ص؛ الآية ۳۸ من سورة الدخان؛ والآية ۱۹۱ من سورة آل عمران حيث تحدثت أيضاً عن أهداف الخلق، ولكن بما أنّها لم تُشر بصراحة لمسألة المعاد ومحكمة القيامة فقد اعرضنا عن ذكرها ولم نجعلها ضمن الآيات المذكورة أعلاه.

نفحات القرآن، ج۵، ص: ۱۸۸

### جمع الآيات وتفسيرها

### الحياة بلا معاد لامعنى لها:

أشار القرآن المجيد إلى أوضح أدلة المعاد من خلال جملة قصيرة نافذة المعنى قال تعالى «أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثاً وَانَّكُمْ الَيْنَا لَاتُرْجَعُونَ».

أى: إنْ لم تكن هناك قيامة وكانت حياتكم تتلخّص فى هذه الأيام المعدودة، لكانت حياتكم عبثاً ولم يكن لها أىّ قيمة، والحياة الخالدة هى التى تعطى لحياتكم معنىً فى هذه الدنيا وتخرجها من دائرة العبث وتجعلها متسقة مع الحكمة الإلهيّة.

ولأجل هذا ختم تعالى هذه الآية بقوله: «فَتَعَالَى اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ». (طه/ ۱۱۴)

فوجوده حقّ من جميع الجهات، ولا يجد الباطل منفذاً إليه، وإنَّ العبث واللاهدفية أمرٌ باطل، والحق لايتلائم مع الباطل.

و «عبث»: على حدّ قول صاحب مقاييس اللغة وصاحب «المفردات»: فى الأصل بمعنى الشوب والخلط، ثم أطلقت على الامور غير الهادفة والتى لا تحمل أىَّ هدف صحيح.

وقال فی «لسان العرب»: هی بمعنی اللعب، وإن عـدّوا الخلط من معانیها، واطلقت اجمالًا علی الأعمال غیر الهادفـة والباطلة والخالیة من الأغراض العقلائیة، ولاشیء من هذه المعانی یصدق علی خلق الإنسان.

وقـد ورد نفس هـذا المعنی فی الآیة الثانیة وبقالب آخر، قال تعالی «وَمَا خَلَقْنَا السَّموَاتِ والَارْضَ وَمَا بَیْنَهُمَا الّا بِالْحَقِّ»، ثم أضاف علی الفور: «وَإِنَّ السَّاعَةَ لَآتِیَةٌ».

من المحتمـل أن یکون ذکرهلهاتین العبارتین مقترنتین دلیلًا علی هـذا الأمر فإن کان الهـدف من خلق هـذا العالم العظیم مع کل ما فیه من العجائب والبرکات والنعم وکل هذه الأسـرار الخفیة من أجل عدّة أیّام من الحیاة المادیة الدنیویّة فحسب، فهو أمرٌ باطل ولا یتلائم مع الحق إذن، فالحیاة الاخری تعطی معنی وحقانیة لهذه الحیاة.

نفحات القرآن، ج۵، ص: ۱۸۹

ففی الآیـة السابقـة کان الحـدیث یـدور حول «سـلب العبث» من خلق الإنسان، وفی هـذه الآیـة یـدور الحدیث حول «حقّانیة» خلق کلّ العالم، وکلاهما یرمیان نحو هدف واحد، وهو إنّ الحیاة الدنیا إذا ماجردت عن الحیاة الآخرة فإنّها سوف تکون أمراً باطلًا لاغرض منه وخالیاً من کل معنی وهذا ممّا لا یصدر عن الحکیم أبداً.

وجاء فی تفسیر المیزان: إنّ المراد من الحق فیهـذه الآیـة هو ما قابل اللعب والباطل، والدلیل علی ذلک هو جملة «وَإِنَّ السَّاعَةَ لَآتِیَةٌ»، وتفسیر «الحق» بمعنی «العدل والانصاف» غیر صحیح «۱».

والجـدیر بالالتفات هو أنّ اللَّه تعالی أمر رسوله بالعفو والصـفح ... ذلک الصـفح الجمیل الخالص الـذی لا یشوبه حتی اللوم والعتاب، قال تعالی «فَاصْفَحِ الصَّفْحَ الجَمِیلَ».

(الحجر / ۸۵)

ومن المحتمل أن یکون هذا التعبیر إشارة إلی هذا المعنی وهو: یا أیّها النبی بما أنّ الهدف من الخلق هو تربیة البشر وإعدادهم لمرحلة الآـخرة، فعلیک أن تراعی جمیع اسـس التربیـة التی یعتبر الصـفح والعفو والرأفـة واللین من ضـمنها، وبالأخص مراعاة ذلک مع الجهلة والمتعصبین.

ومن الجدیر بالذکر أیضاً أنّ مفهوم الآیة الاولی هو إن لم تکن هناک آخرة فإنّ خلق الإنسان یکون «من العبث»، ومفهوم الآیة، الثانیة (طبقاً للتفسیر المذکور أعلاه) هو: إن لم تکن هناک آخرة فإنّ خلق کل العالم یکون باطلًا وعبثاً، فمن المحتمل أن یکون السبب فی ذلک هو بیان سـمو ثمرة الخلق وهی الإنسان وسمو شجرة الخلق وهی العالم، فإن لم تکن هناک حیاة خالدة تتمثل فی الآخرة فسوف یکون خلق «الثمرة» و «الشجرة» کلاهما أمراً عبثاً وغیر هادف.

والمراد من تعبیر «ما بینهما» شـمول جمیع أصـناف الملائکة وکذلک النور والحرارة والسـحاب والهواء وأنواع الغازات، بل تشـمل فی أحد أبعادها اصناف الموجودات التی تعیش علی وجه الأرض من البشر وجمیع أنواع الحیوانات الاخری والنباتات.

---

(۱) تفسیر المیزان، ج ۱۲، ص ۱۹۹.

نفحات القرآن، ج۵، ص: ۱۹۰

وفی الآیـة الثالثة والأخیرة أشار تعالی إلی الهدف من خلق الإنسان، وأوضح العلاقة التی تربطه بالمعاد، قال تعالی «أَیَحْسَبُ الْانْسَانُ انْ یُتْرَکَ سُـدیً»، ثم أشار إلی خلق الإنسان من ماءٍ مهین (النطفـة) وأشار إلی مراحل تکامله فی الرحم فأضاف: «أَلَیْسَ ذَلِکَ بِقَادِرٍ عَلَی أَنْ یُحْیِیَ الْمَوْتَی .

وبهذا یتّضح أنّ الهدف من خلقالإنسان لا یحصل إذا جُرد من الحیاة الآخرة.

فـإنَّ فعـل الخـالق الحکیم لاـ یخلو من الهـدف وهـذا أمرٌ بـدیهی، ومن البـدیهی أیضاً أنّ النفع الحاصل من أفعاله لایعود إلیه بفائـدة،

وذلـك لأنّه غير محـدود وغنى بالـذات من جميع الجهات، إذن فلا يعود النفع إلّاللعباده، ولكن هل من الممكن أن تكون هـذه الحياة القصيرة المشوبة بأنواع المصائب هى الهدف من هذا الخلق العظيم؟ كلّا طبعاً.

لذا لا يبقى أمامنا طريق إلّاالقبول بثبوت الآخرة واعتبارها هى الهدف من هذا المسير التكاملى للإنسان.

و «سُـدىً»: على وزن (هُـدى)- نقلًا عـن كتـاب «التحقيـق»: فى الأصـل بمعنى التحرك العبـثى الخـالى عـن الفكر والتـدبير والـبرمجة الصـحيحة، من أجل هـذا اطلقوا على الجِمال التى تجول فى الصـحراء من دون راع «إبل سُدى ، وقيل: إنّ «سَدى» على وزن (وَفا) وقد اطلقت على قطرات النـدى التى تتساقط ليلًا، لأنّها لا تتساقط بنظم معيّن، واطلقوا «سـدى على ما مُـدّ من خيوط القماش قبل أن تُحاك بالكامل، لأنّه قبل الحياكة يكون مهملًا وغير مفيد.

وقصارى القول هو: إنّ الآية تقول- من خلال استفهام إنكارى- أيمكن أن يترك الإنسان مع كل هذه الاستعدادات والطاقات الفكرية والجسـمية والإمكانـات المختلفـة بـدون أن يوضع له برنامـجٌ معينٌ؟ ثم تسـتنتج من كل ذلك مسألـة حتميـة التكاليف والمسؤوليـة ثم حتمية وجود المعاد.

نفحات القرآن، ج۵، ص: ۱۹۱

### توضيح

#### هل يمكن للعاقل أن يعتبر الأيّام المعدودة من هذه الحياة هى الهدف من الخلق؟

إنّ ممّـا لا ريب فيه أنّ العالم الـذى نعيش فيه عظيم جـدّاً ودقيق ومنظم، فالكرة الأرضـية هى إحـدى كواكـب المنظومـة الشمسـية، ثم المنظومة الشمسية بدورها تعتبر أحد اجزاء المجرّة، ومجرّتنا أيضاً واحدة من المجرّات اللامتناهية فى العدد الموجودة فى هذا العالم.

جـاء فى كتـاب (جولـة فى أعماق العالم) لمؤلفه البروفسور «كارل فليسـيس» الـذى يسافر إلى أطراف هـذا الكون الفسيح عبر أجنحة الخيال:

«إنّ هذه المجموعات الضخمة التى تدور حول محورها تسبح فى الفضاء بفواصل عظيمة جدّاً ممّا يجعل تصورها أمراً عسيراً.

فكل واحـدة من هـذه المجرّات تتألف من عـدّة مليارات من النجوم، والمسافـة الفاصـلة بين هـذه النجوم تبلغ من العظمة حداً، أحياناً يحتـاج النور (مع مالـديه من سـرعة هائلـة) لاجتياز هـذه الفواصل الموجودة بين نجمتين متقابلتين واقعتين فى محيط تلك المجرّة إلى مئات السنين من الزمان» «۱».

وإذا أضـفنا لهـذا الكلاـم هـذه الجملـة وهى: إنّ علماء الفلك المعاصـرين توصـلوا من خلال تحقيقاتهم إلى أنّ ما تحتويه مجرّتنا من النجوم يقـارب مائـة مليـارد نجمـة على الأقـل، وما توصل إليه العلم الحـديث هو اكتشاف ألف مليون مجرّة فى هـذا العالم،- هـذا من ناحية العظمة-.

وأمّا من ناحيـة الدقّـة الموجودة فى كل جزء من أجزاء هـذا العالم فإننا إذا قارنّا الدقّـة الموجودة فى خليـة واحدة بالدقّة الموجودة فى مدينة صناعية كبيرة بجميع ما تحتويه من مصانع فسوف يمكننا حينذاك تصور هذه الدقّة.

ومن بين المخلوقـات يعتبر الإنسـان أكمـل الموجودات التى نعرفها على أقل تقـدير، لما فيه من نظام خاص للروح وللجسم، ولاحتوائه على العجائب والدقة والظرافة، فإذا كانت

---

(۱) جولة فى أعماق العالم، ص ۸.

نفحات القرآن، ج۵، ص: ۱۹۲

جوهرة عـالم الخلق (أى الإنسـان) هى عبارة عن عيشه لأيام معـدودة فى هـذا العالم لقضاء حياته فى دور الطفولـة والضـعف حيناً وفى دور الشيخوخة والعجز حيناً آخر وتتأرجح به أمواج الشباب مدّة وفى مدّة اخرى يكون سالماً وأخرى مريضاً ويقضى أكثر مدّة حياته فى توفير متطلباته الحياتيـة التى تتلخص فى «الغـذاء والنوم» ثم فى نهايـة المطاف يموت ويفنى فياله من أمر قبيح وبعيـد عن الحكمة، فإننا عنـدما نقول: إنّ اللّه حكيم فهـذا يعنى أنّ جميع أفعاله مطابقـة للحكمـة، أوَ ليس من الحكمة أن تكون جميع أفعاله ذات أهداف واضـحة ومبرمجـة؟ وهـل يجـوز أن يكون هـدفه جلب النفع لنفسه مع أنّه غنى من جميع الجهـات ولـديه جميع الكمالات من غير أن تكون محـدودة بحـد، فإن كان النفع من أفعاله لا يعود على العباد فمن البـديهى أن لا تكون تلك الحياة الماديّة المحـدودة فى هـذه الدنيا هى الهدف الرئيسى من هذا الخلق العظيم، تلك الحياة التى ينطفىء بصيصها فى طرفة عين.

أليس مثل هذا كمثل المهندس الذى يصنع محركاً صناعياً عظيماً ودقيقاً خلال سنين متمادية فيحطمه فور تشغيله والانتهاء منه؟ فهل هذا من الحكمة؟

ألا يشبه هذا الأمر أن نقوم بتربية طفلٍ فى رحمٍ صناعى وبذل جهود مضنية فى سبيل ذلك حتى يوشك على الاكتمال ويستعد للحياة فنعمد إلى قتله!

إنّ الماديين الـذين لا يؤمنون باللّه والمعاد، يرون أنّ الحياة غير هادفـة وأنّها خاليـة من أىّ مفهوم، وهم محقّين فى ذلك بهـذه النظرة! لأنّ الحياة عند تجريدها عن المعاد تصبح غير هادفة وعديمة المعنى

لذا فإنّ من آمن باللّه وحكمته ليس له إلّاالإقرار بأنّ حياة الإنسان لا تنتهى بالموت، وإنّ هذا العالم يشبه رحم الأم الذى يحمل الإنسان ويُعده للخروج إلى عالم آخر، ومن البديهى أنّ الحياة داخل رحم الأم لا تُعتبر الهدف النهائى، بل تُعتبر مقدمة لحياة اخرى أوسع.

نفحات القرآن، ج۵، ص: ۱۹۳

## ۳- برهان العدالة

### تمهيد:

إنّنا نعلم بـأنّ «العـدل» أحـد صـفات البـارى تعـالى تلك العدالـة التى يـدل عليها كل جزء من أجزاء عالم الوجود كالسـماء والأرض، ووجود الإنسان وضربات قلبه وجريان دمه فى عروقه ... إلخ، وذلك لأنّه: «بِالعَدْلِ قَامَتِ السَّمواتُ وَالْاَرْضُ» «۱».

فهل يمكن أن يُستثنى الإنسان من هذا العالم الواسع؟ ولا تشمله العدالة المهيمنة على هذا العالم؟

ومن ناحيـة اخرى إنّ التأريـخ البشـرى والأحـداث المعاصـرة أثبتت بوضوح أنّ إحقاق حق المظلومين ومعاقبـة الظالمين لا يتمّ بصورة كاملة فى هذا العالم وليس بالإمكان حتّى مشاهدة ذلك إلا بنحو «القضية الجزئية» إذن بمقتضى العدالة الحاكمة على هذا العالم والتى تعتبر جزءاً من عدالة اللّه تعالى يجب أن يكون هناك يوم لمحاسبة أعمال جميع البشر بدّقة متناهية ومن دون أى استثناء، وذلك اليوم هو الذى نطلق عليه اسم (القيامة).

بعد هذه الإشارة نعود إلى القرآن المجيد لنتأمل خاشعين فى الآيات الشريفة التالية:

۱- «افَنَجْعَلُ الْمُسْلِمِيْنَ كَالْمجْرِمِيْنَ* مَالَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ». (القلم/ ۳۵- ۳۶)

۲- «امْ نَجْعَلُ الَّذِيْنَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَالْمُفْسِدِينَ فِى الارْضِ امْ نَجْعَلُ الْمُتَّقِيْنَ كَالْفُجَّارِ». (ص/ ۲۸)

۳- «امْ حَسِبَ الَّذِيْنَ اجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ انْ نَّجْعَلَهُمْ كَالَّذِيْنَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَوَاءً مَّحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ* وَخَلَقَ اللَّهُ السَّمَاوَاتِ وَالارْضَ بِالْحَقِّ وَلِتُجزَى كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَايُظْلَمُونَ» «۲». (الجاثية/ ۲۱- ۲۲)

(۱) تفسير الصافى، ذيل الآية ۷ من سورة الرحمن.

(۲) وقد استدلوا فى هذا المجال بآيات اخرى أيضاً مثل: سورة يس، ۵۹؛ الزلزال، ۷ و ۸؛ الانبياء، ۴۷، ولكن بما أنّ دلالاتها غامضة فقد أعرضنا عن ذكرها.

نفحات القرآن، ج۵، ص: ۱۹۴

## جمع الآيات وتفسيرها

### العدالة لا تتحقق بدون القيامة:

قال تعالى فى الآية الاولى بعد أن أشار إلى ثواب المتقين العظيم فى سورة القلم:

«افَنَجْعَلُ الْمُسْلِمِيْنَ كَالُمجْرِمِيْنَ».

فهل من الصحيح المساواة بين هذين الفريقين؟ وهل تقتضيى العدالة ذلك؟ ثم أضاف وقال: «مَالَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ».

لا يمكن للعاقل القبول بأنّ عاقبة المسلم والمجرم، والمطيع والعاصى، والعادل والظالم تكون واحدة، أو أن ينسب هذا الأمر إلى اللَّه الذى راعى الدقة والعدالة فى جميع افعاله.

وهناك احتمالان للمفسّرين فى تفسير هذه الآية:

الاحتمال الأول: إنّ هذه الآية تشير إلى مسألة المعاد، لأننا نرى المسلم والمجرم متساويين غالباً فى هذه الدنيا، بل قد يحصل المجرم على امتيازات لا مشروعة فى هذه الدنيا أكثر ممّا يحصل عليه المسلم، إذن يجب أن يتفوق «المسلم» على «المجرم» فى الآخرة، لأنّها من مقتضيات العدالة.

الاحتمال الثانى: إنّ هذه الآية أتت جواباً لقوم مشركين كانوا يقولون: لو كانت هناك قيامة فإنّنا سوف نتمتع بظروف حسنة كما نحن عليه فى هذه الدنيا كما يقال: (السَنَة الجيدة تعرف من ربيعِها) فأجابهم القرآن: هل من الممكن أن يساوى اللَّه العادل بين المسلمين والمجرمين؟

ولا- يوجد هناك منافاة بين هذين التفسيرين على الظاهر، بل يمكن حمل مفهوم الآية كلا المعنيين، وتبقى هناك ملاحظة وهى أنّهذه الآية الشريفة تثبت حكم العقل بالحسن والقبح والإدراكات العقلية الاخرى بقطع النظر عن تأييد الشرع لذلك، (فتأمل).

والملفت للنظر أنّ الفخر الرازى فى بداية حديثه عدّ هذه الآية من أدلة ما نقل عن مذاهب أهل السنّة أنّه يجوز للَّهأن يُدخل العاصين الجنّة وأن يُدخل المطيعين النار، «الحسن والقبح العقليين» قال: ويقبح بحكم العقل طبقاً للآية ولكن بما أنّ الرازى من

نفحات القرآن، ج۵، ص: ۱۹۵

الأشاعرة ومن منكرى الحسن والقبح العقليين فقد أجاب: إنّ إنكار هذه المساواة من باب الفضل والاحسان الإلهى لا من باب أنّ لأحدٍ حقّاً عليه تعالى «۱».

إنّ ضعف هذا الرأى لايحتاج إلى دليل فقد أمرهم القرآن بصراحة بأن يُحكّموا العقل فى هذه الموارد ثم خاطبهم بخطاب مقرون باللوم والتوبيخ فى قوله: «مَالَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ»؟

أى أنّ هذا الرأى لا يليق بالإنسان العادل، وهذا دليل واضح على إثبات حاكمية العقل والمنطق فى مثل هذه الامور.

وفى الآية الثانية تابع القرآن الكريم هذا المعنى بصراحة أكثر وبصورة أوسع، قال تعالى

«امْ نَجْعَلُ الْمُتَّقِيْنَ كَالْفُجّارِ».

والملاحظة النظرية هنا هو أنّ الآية السابقة لهذه الآية وضّحت الهدف من خلق السماء والأرض وما بينهما فى قوله تعالى: «وَمَا خَلَقْنَا

السَّمَاءَ وَالارْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا بَاطِلًا». (ص/ ۲۷)

إنّ خلق السماء والأرض بالحق من ناحية وعدم المساواة بين المؤمنين الصالحين والمفسدين الفجّار من ناحية اخرى يقتضى أن تكون هناک قيامة ومحكمة عادلة، وبهذا اندمج «برهان الحكمة» وبرهان العدالة فى هاتين الآيتين.

أجل إنّ من ينكر المعاد هو الذى يشک فى حكمة اللَّه وعدالته معاً، لأنّه لا يبقى فى هذه الحالة هدف يليق بخلق الدنيا ولا يبقى هناک ما يميز المطيعين من الفاسقين.

ومن الجدير بالذكر هو أنّ «المفسدين» فى هذه الآية يقابلهم «المؤمنون الصالحون» وإن «الفجار» يقابلهم «المتّقون» وهذه المقابلة إشارة لطيفة إلى هذه الحقيقة وهى أنّالإنسان إذا فقد الإيمان والعمل الصالح فإنّه سوف يكون فى زمرة المفسدين شاء ذلک أم أبى وإذا ما فقد التقوى أى القوة الرادعة عن ارتكاب الذنوب فسيقع فى زمرة الفجار.

---

(۱) تفسير الكبير، ج ۳۰، ص ۹۲.

نفحات القرآن، ج۵، ص: ۱۹۶

و «الفجّار»: من مادة «فجر» بمعنى الشق الوسيع، وكأنّ الفجور شق لحجاب الدين والطاعة.

وقد تحدثت هذه الآية بوضوح عن حاكمية العقل وحجيّة الإدراكات العقلية فى مجال الحسن والقبح، وهى دليل واضح لإثبات أنّ العقل يدرک بعض الحسن وبعض القبح قبل أن يصل إليه حكم الشرع، والعجيب هو أنّ الفخر الرازى- فى هذه الآية- سلم بهذا الأمر ضمنياً، بينما أنكره فى الآية السابقة! «۱».

وهذا يعنى أنّالإنسان إذا راجع وجدانه فسوف ترتفع عنه حجب التعصب ويعترف فى قرارة نفسه بهذا الواقع.

وفى الآية الثالثة ورد نفس هذا المعنى ولكن فى قالب آخر، قال تعالى «امْ حَسِبَ الَّذِيْنَ اجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ انْ نَّجْعَلَهُمْ كَالَّذِيْنَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَوَاءً مَّحْيَاهُمْ وَمَماتُهُمْ».

إنّ هذا لا يمت إلى عدالة اللَّه بصلة، وصدور أمر كهذا عنه قبيح وهو محال: «سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ»، فهل يمكن أن يتساوى الحسن والقبح أو الطهارة والرجس أو الصالح والطالح أو المؤمن والفاسق أو الظلمات والنور ... إنّ هذا لأمر محال.

أمّا فى ما هو المراد من (سواء محياهم مماتهم)؟ فقد احتمل المفسرون فى تفسيرها عدّة احتمالات!

فقالوا تارة: إنّ المراد من الحياة والموت فى هذه الآية هو الحياة والموت فى دار الدنيا، وذلک لأنّ الإيمان والعمل الصالح له آثار إيجابية على كيان الإنسان فهو ينير القلب وينير الفكر مضافاً إلى أنّ المؤمن ينال هداية اللَّه ونصره وحمايته، بينما لا- يكون الأمر كذلک فى حالة الكفر والعصيان، فإنّ الكفر يخيم بظلامه على القلب والروح ويحرم الإنسان من المدد الإلهى.

---

(۱) التفسير الكبير، ج ۲۶، ص ۲۰۱.

نفحات القرآن، ج۵، ص: ۱۹۷

وقالوا تارةً اخرى إنّ هذه الآية تشير إلى الموت فى هذه الدنيا للانتقال إلى الآخرة، أى ان الفريق الأول يعتبر مصداقاً لهذه الآية: «الَّذِينَ تَتَوَفَّاهُمُ المَلَائِكَةُ طَيِّبِيْنَ يَقُولُونَ سَلَامٌ عَلَيْكُمُ ادْخُلُوا الْجَنَّةَ». (النحل/ ۳۲)

بينما يعتبر المذنبون مصداقاً لهذه الآية: «فَكَيْفَ اذَا تَوَفَّتْهُمُ المَلَائِكَةُ يَضْرِبُونَ وَجُوْهَهُمْ وَادْبَارَهُمْ». (محمد/ ۲۷)

وهناک احتمالات اخرى لا تستحق الذكر فى تفسير هذه الآية، لكن الجمع بين التفسيرين المذكورين سهل، وإن كانت الآية التالية لها تتناسب مع التفسير الثانى، لأنّه تعالى قال: «وَخَلَقَ اللَّهُ السَّموَاتِ وَالارْضَ بِالْحَقِّ». «وَلِتُجْزَى كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَايُظْلَمُونَ» «۱».

وبما أنّ الحديث عن العدالة الإلهيّة وحقانية خلق السموات والأرض وعن ثواب وعقاب كل إنسان على قدر عمله من ناحية، ومن

ناحیة اخری وكما قلنا سابقاً- إنّ هذا الأمر لا يتمّ فی الدنيا بصورة شاملة، إذن يجب أن تكون هناك حياة اخری بعد الموت لإقامة العدالة وإحقاق الحق.

### توضیح

### العدل هو النظام الحاکم علی الخلق:

إنّ كل من لديه إلمامٌ بسيط بالعلوم الطبيعية بإمكانه أن يلاحظ أنّ جميع الكائنات فی هذا العالم تخضع لنظم وقوانين معيّنة، ودقّة هذه القوانين جعلت علماء الطبيعة يدوّنون فيها الكتب طبقاً لهذه المعادلات الدقيقة، ففی مجال الرحلات الفضائية مثلا نجد العلماء قد نظموا جميع برامجهم العلمية الدقيقة بالاعتماد علی هذه القوانين الطبيعية.

---

(۱) قال الزمخشری فی تفسير الكشاف، ج ۴، ص ۲۹۰»: جملة «ولتجزی» معطوفه علی قوله «بالحق»، لأنّها تحمل معنی التعليل (بناءً علی هذا يكون مفهوم الآية بهذا النحو: خلق اللَّه السموات والأرض ليحق الحق ولتجزی ...) ثم قال ويحتمل أن تكون معطوفة علی جملة محذوفة فيكون التقدير: خلق اللَّه السموات والأرض بالحق ليدل بها علی قدرته وتجزی كل نفسٍ.

نفحات القرآن، ج۵، ص: ۱۹۸

وبتعبير آخر: إنّ كل ما تقع عليه أنظارنا يخضع للنظم والعدالة، وقد شملت هذه القوانين كل شیء ابتداءً بالمنظومات الشمسية وانتهاءً بأصغر ذرة.

ومن ناحية اخری لا يمكن استثناء الإنسان من قانون العدالة السائد بمشيئة اللَّه علی جميع عالم الوجود، ولا يتسنی له عدم الانسجام مع أجزاء الكون الاخری لأنّ هذا الاستثناء إن وجد يكون من دون مرجح، وبهذا ستوقِن من وجود محكمة أُعُدّت للإنسان أيضاً يحضر فيها جميع البشر ليتقاسموا حصصهم من العدالة الشاملة لكل عالم الوجود.

كان علماء العقائد فی السابق يستدلون بهذا الدليل لإثبات مسألة المعاد، وكانوا يحتجّون بأمثلة من مظالم البشر التی انتهت فی هذه الدنيا من دون تحكيم العدالة فيها، فالتاريخ يحفل بكثير من الظلمة الذين عاشوا مرفهين طيلة حياتهم حتی غادروا الدنيا، ومظلومين ظلّوا يعانون الظلم والعذاب حتی لفظوا أنفاسهم الأخيرة.

فهل من الممكن أن يرضی اللَّه العادل بهذه الامور؟ ألا تتنافی هذه المشاهد وعدالته؟

وهكذا يصل العلماء إلی هذه النتيجة بسهولة وهی ضرورة وجود عالم آخر لتطبيق العدالة الإلهيّة فی خصوص البشر، وفی إطار مبدأ الآية القرآنية: «فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْراً يَرَهُ* وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَراً يَرَهُ». (الزلزلة/ ۷- ۸)

وبناء علی هذا فإنّ القيامة تعتبر الموضع الذی يتجلّی فيه العدل الإلهی، وهناك يجاب عن جميع هذه الاستفهامات.

نفحات القرآن، ج۵، ص: ۱۹۹

### ۴- برهان الغاية والحركة

### تمهيد:

ممّا لا شك فيه أنّ الإنسان قد خلق لهدفٍ معين، خلافاً لما يتصوره الماديون أنَّ خلق العالم ليس له هدف ولا غاية، فالرؤية الكونية للإلهيين تری وجود هدف من خلق الإنسان وأنّه خلال سعيه وحركته التكاملية يسير نحو هذا الهدف.

فإن كانت الحياة تنتهی بالموت فمن البديهی أن لا يصل الإنسان إلی هذا الهدف، أو بتعبير آخر: إنّ حياة الإنسان يجب أن تستمر

وتمتد إلى ما بعد الموت کی یصل الإنسان إلى التكامل اللائق به وليحصد هناک ما زرعه فی هذه المزرعة.

وقصارى القول: إنّ قبول وجود هدفٍ من الخلق لا- يجتمع وإنكار المعاد، فإنّنا لو جرّدنا ارتباط حياة الإنسان عن عالم ما بعد الموت فإنّ كل الامور تأخذ طابع الابهام وترتدی لباس الغموض.

وبهذه الإشارة نعود إلى القرآن لنمعن خاشعين فی الآيات الكريمة التالية:

۱- «يَا أَيُّهَا الانْسَانُ إِنِّکَ كَادِحٌ إِلَى رَبِّکَ كَدْحاً فَمُلَاقِيْهِ». (الانشقاق/ ۶)

۲- «وَمَنْ تَزَكَّى فَإِنَّمَا يَتَزَكَّى لِنَفْسِهِ وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ». (فاطر/ ۱۸)

۳- «إنا لِلَّهِ وَانَّا الَيْهِ رَاجِعُونَ». (البقرة/ ۱۵۶)

۴- «الَى رَبِّکَ يَوْمَئِذٍ الْمُسْتَقَرُّ». (القيامة/ ۱۲)

۵- «الَى رَبِّکَ يَوْمَئِذٍ الْمَسَاقُ» «۱». (القيامة/ ۳۰)

---

(۱) هناک آيات اخرى متعددة فی القرآن تتناسب مع الآيات المذكورة أعلاه ترى أنّ الكل يرجع إلى اللَّه مثل: العلق، ۸؛ المؤمنون، ۱۰۸؛ الانعام، ۱۰۸، الأنبياء، ۹۳؛ الجاثية، ۱۵.

نفحات القرآن، ج۵، ص: ۲۰۰

## جمع الآيات وتفسيرها

### الجميع يسير نحو اللَّه:

وجّه تعالى خطابه فی الآية الاولى إلى جميع البشر فقال: «يَا أَيُّهَا الانْسَانُ إِنَّکَ كَادِحٌ الى رَبِّکَ كَدْحاً فَمُلَاقِيْهِ».

و «كدح»: على وزن (مَدْح)- على حدّ قول عدد من المفسرين- وهو فی الأصل بمعنى الخدش الوارد على الجلد، لذا اطلقت هذه الكلمة على السعی وبذل الجهد لأنّه يؤثر على الروح والبدن «۱».

وجاء فی مفردات الراغب: إنّ الكدح بمعنى السعی المشوب بالمعاناة والتعب.

ولكن جاء فی الميزان: بما أنّ «كدح» تعدت ب «إلى فهی تعنی السير والحركة (ولا تضاد طبعاً بين هذين المعنيين) «۲».

ومن مجموع ما تقدم نستنتج أنّ القرآن المجيد شبّه البشر بقافلة بدأت مسيرها من نقطة العدم فوضعت أقدامها فی أقليم الوجود، ثم اتّجهت من هناک نحو الربّ کی تصل إلى لقائه، ويشير إلى هذا المعنى التعبير ب «وَإِنَّ الَى رَبَّکَ الْمُنتَهى». (النجم/ ۴۲)

من الممكن أن ينحرف فريق عن هذا المسير ولا ينالوا لقاء اللَّه أبداً، لكن الأساس فی خلق الإنسان هو الوصول إلى هذا الهدف.

و «لقاء اللَّه»:- كما أشرنا سابقاً- يعنی مشاهدة الرّب مشاهدة قلبية والوصول إلى مقام الشهود القلبی الذی يصل إليه الإنسان عن طريق سيره التكاملی، وهو من أهم مقامات القرب إلى اللَّه.

وفی الآية الثانية تحدث سبحانه عن الطهارة والتقوى وتزكية البشر التی يعود نفعها عليهم جميعاً، قال تعالى «وَمَنْ تَزَكَّى فَإِنَّمَا يَتَزَكَّى لِنَفْسِهِ». ثم يضيف: «وَالَى اللَّهِ الْمَصيرُ».

والجملة الأخيرة جاءت للدلالة على أنّ الصالحين والطاهرين إن لم يدركوا كل

---

(۱) تفاسير الكشاف؛ وروح المعانی؛ والكبير، فی تعليقهم على الآية مورد البحث.

(۲) تفسير الميزان، ج ۲۰، ص ۳۶۰.

نفحات القرآن، ج۵، ص: ۲۰۱

مقوّمات التقوى والنزاهة فإنّهم سوف يعودون إلى اللَّه وسوف يرون نتائج أعمالهم فى دار البقاء.

على أيّـة حال فإنّ جملـة «وَإِلَى اللّهِ الْمَصِيرُ» هى تقرير لهـذه الحقيقـة وهى أنّ سـير الإنسان التكاملى لا ينتهى بالموت وسوف يستمر حتى يلاقى اللَّه.

قال المفسـر الكبير المرحوم الطبرسـى فى تفسير الآية الثالثه من آيات بحثنا: «قالوا إنّا للَّه» هذا إقرار بالعبودية أى نحن عبيد اللَّه وملكه «وإنّا إليه راجعون» هـذا إقرار بالبعث والنشور، أى نحن إلى حكم اللَّه نصـير، ولهـذا قال أمير المؤمنين عليه السـلام: «إنّ قولنا «إِنَّا لِلَّهِ» إقرارٌ على أنفسنا بالملك، وقولنا «وَإِنَّا الَيه رَاجِعُونَ» إقرارٌ على أنفسنا بالهلك» «۱».

ومن الجدير بالذكر إنّ القرآن المجيد ذكر هذه العبارة بعنوان كأفضل ما يقوله الصابرون عند حلول المصائب بهم ... فهى عبارة تزيل الهم عن الإنسـان عنـد حلول المصائب وتوقظ قلبه وروحه عنـد مواجهـة الصـعاب وتطرد وساوس الشـيطان عن روح الإنسان فى تلك اللحظات الحساسـة، وذلك لأنّه يعترف من ناحيـة بأنّه وجميع ما يملك ملك للَّه، فهو الـذى يعطى النعم وهو الـذى يسـلبها، وقـد قال بعض المفسـرين فى مجـال سـلب النعم: بما أنّ الكريم لا يسـلب ما وهب فإنّ سـلبه يعتبر ادخار ذلك لموضع افضل، وهـذا بعينه يعتبر مواساة لمن حلت به المصيبة.

ومن ناحيـة اخرى فـإنّه عنـدما يعترف بالرجوع إليه فإنّ هـذا التعبير هو مواساة اخرى لأنّه يعنى الرجوع إلى مركز فيضه ولطفه ورحمته والرجوع نحو دار الخلد وموعد اللقاء مع اللَّه.

لـذا قال البعض: إنّ هـذه العبارة من المواهب الإلهيّـة العظيمـة التى منَّ بها اللَّه على هذه الامة كى يسـتعينوا بها فى المصائب، وكم من فرقٍ شـاسع بين هـذه الآيـة وبين كلاـم نبى اللَّه يعقوب عليه السـلام الـذى قـال عنـدما فقـد يوسف عليه السـلام: «وَقـالَ يا اسَـفَى عَلى يُوْسُفَ». (يوسف/ ۸۴) أجل إنّ جملة الاسترجاع هذه لم تكن نازلة حينذاك.

---

(۱) تفسير مجمع البيان، ج ۱، ص ۲۳۸، وقد وردت هذه العبارة أيضاً فى نهج البلاغة، الكلمات القصار، الكلمة ۹۹.

نفحات القرآن، ج۵، ص: ۲۰۲

وعلى أيّـة حال فإنّ هـذه العبارة هى عصارة التوحيـد الكامل والمعاد والتوكل على الذات المقدسة الإلهيّة فى جميع الاحوال وفى كل زمان «۱».

وفى الآيـة الرابعـة تجلّت هـذه الحقيقة بلباس جديد بعد أن أشار تعالى فى الآية التى سـبقتها إلى الأحداث العجيبة التى يواجهها العالم عند تأهبه للقيامة، قال تعالى «الَى رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ الْمُسْتَقَرُّ».

وأشـار بـذلك إلى أنّ الـدنيا ليست مقراً، وأنّ جميع العلائـم تـدل على أنّ الـدنيا هى دار فنـاء وعـدم، وتغيير وزوال، وعلى هـذا فمن البديهى أن لا تكون الدنيا هى الهدف الرئيسى من السير التكاملى للإنسان، إذا لابدّ أن يكون مقر الإنسان فى عالم آخر.

لكن بعض المفسـرين قـدّروا كلمـة محذوفـة وقالوا: المراد هو «إلى حكم ربّك» أى إلى حكم ربّك يومئذٍ المسـتقر فبحكم اللَّه يقوم العدل ويتحقق أو بحكم اللَّه يستقر فريقٌ فى الجنّة وفريقٌ فى النار.

ولكن بما أنّ التقدير خلاف القاعدة، بالإضافة إلى أنّه لاضرورة له هنا فإنّنا لا نرى دليلا واضحاً لمثل هذه التفاسير.

وفى الآيـة الخامسـة والأخيرة ورد ما ذكر فى الآيـة السابقـة بتعبير جديـد بعـد أن أشار إلى حالات المحتضـر ولحظات الاحتضار وطىّ سجل حياة الإنسان، قال تعالى «الَى رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ الْمَسَاقُ».

و «المساق»: مصدر ميمى بمعنى «السوق» وهذا يدل على أنّجهة سير البشر التكاملى

---

(۱) من خلال هذا التفسير يتضح تفسير الآيات المتشابهة لهذه مثل: المائدة، ۱۰۵؛ العلق، ۸؛ الانعام، ۳۶؛ الغاشية، ۲۵.

نفحات القرآن، ج۵، ص: ۲۰۳

يكون نحو اللَّه أى نحو الكمال المطلق والكمال اللامتناهى.

وهنا أيضاً قدّر البعض كلمة «حكم» أو «جزاء» وقالوا: المراد هو سوق الجميع نحو حكم اللَّه وجزائه، ولكن وكما أشرنا فى تفسير الآية السابقة فإننا لا نرى أية ضرورة لمثل هذه التقديرات، فالتحرك يكون نحو اللَّه تعالى

وفى بعض آيات القرآن أشير أيضاً إلى أنّالذات المقدسة الإلهيّة هى منتهى السير التكاملى والهدف النهائى، قال تعالى «وَأَنَّ الى رَبِّكَ الْمُنتَهى . (النجم/ ۴۲)

وهذا دليل آخر على الحقيقة المذكورة.

### توضيح

### نهاية المطاف:

ينصب التأكيد فى الآيات المذكورة على (رجوع جميع البشر إلى اللَّه) ... ذلك الأمر الذى يمكن إثباته بواسطة العقل أيضاً، لأنّ المجتمع البشرى يشبه القافلة التى بدأت مسيرها من نقطة العدم المظلمة واتّجهت نحو النور المطلق، وهذا المسير يتمّ تحت ظل الربوبية وبإذنها (يجب الالتفات إلى أنّ هذه البحوث تأتى بعد قبول مبدأ التوحيد والصفات الإلهيّة).

وكلمة «الرب» الواردة فى هذه الآيات تدلّ على أنّ هذه الحركة تكون تحت ظل ربوبية اللَّه تعالى وبصورة دقيقة.

ومن ناحية اخرى لو كان الموت نقطة النهاية للحركة فانّها ستكون حركة غير هادفة ولا مقر لها، وبتعبير آخر تعتبر حركة عشوائية، بينما يكون السير الإلهى ذا هدف مناسب يسير نحوه يقيناً.

فلو تأمّلنا جيداً لوجدنا أنّ كل حركة تكاملية تسير بغية الوصول إلى مرحلة أعلى ونحو نقطة وجودية أرقى هى الذات الإلهيّة المقدّسة، بناءً على هذا فإنّ جميع هذه التحركات تستهدف الوصول إليه، ومادام الهدف النهائى لم يتحقق بعد فسوف لن يهدأ الإنسان ولا يقر

نفحات القرآن، ج۵، ص: ۲۰۴

له قرار إلّابعد بلوغ جوار اللَّه وحتى يصل إلى مقام شهود الذات المقدّسة فى زمرة المقرّبين، (فتأمل).

وهذا الحديث فى جميع أبعاده يدل على أنّ السير التصاعدى للإنسان لا يتوقف بالموت، بل يستمر فى العالم الآخر أيضاً، بناءً على هذا فإنّ وجود الحركة والهدف يعتبر بحد ذاته دليلًا ملموساً على مسألة الحياة بعد الموت.

نفحات القرآن، ج۵، ص: ۲۰۵

## ۵- برهان الرحمة

### تمهيد:

«الرحمة»: من صفات اللَّه الواضحة والمعروفة، ومن البديهى أنّ الرحمة تعنى اعطاء الفيض والنعم لمن له القابلية والاستعداد لاستيعابها.

وبما أنّ الإنسان له كيان خاص وله روحٌ ولجت بدنه ببركة النفخة الإلهيّة فهو يمتلك الاستعداد للخلود وبلوغ الكمالات الرفيعة، لذا فإنّ اللَّه الموصوف بصفات الرحمن والرحيم لا- يمكن أن يمنع النسان من هذا الفيض وهذه الرحمة، ولن يقطع عنه فيضه ورحمته بسبب موته.

وهذا ما نسمّيه ب «برهان الرحمة» بعد هذا نعود إلى القرآن ونتأمل خاشعين فى هذه الآية المباركة:

«قُلْ لِّمَنْ مَّا فِى السَّموَاتِ وَالْاَرْضِ قُل لِلّهِ كَتَبَ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ لَيَجْمَعَنَّكُمْ إِلَى يَوْمِ القِيَامَةِ لَارَيْبَ فِيهِ». (الانعام/ ١٢)

## جمع الآيات وتفسيرها

تنقسم هذه الآيهٔ فى الحقيقهٔ إلى أربعهٔ أقسام: ففى القسم الأول ابتدأ سبحانه وتعالى بالاستفهام مخاطباً الرسول الأكرم صلى الله عليه و آله فقال: «قُلْ لِّمَنْ مَّا فِى السَّموَاتِ وَالْاَرْضِ»، ثم أضاف بلا فاصلهٔ: «قُل لِلّهِ» أىْ إنَّ أمراً كهذا لا يحتاج إلى مناقشهٔ واستدلال.

وفى القسم الثانى قال تعالى «كَتَبَ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ» (كى يشمل برحمته الواسعهٔ ولطفه وعنايته اللامتناهيهٔ جميع العباد).

نفحات القرآن، ج۵، ص: ۲۰۶

وفى القسم الثالث يُوَجِّهُ الأنظار نحو مسألهٔ المعاد فيقول تعالى «لَيَجْمَعَنَّكُمْ الَى يوم القِيَامَةِ لا رَيبَ فِيهِ».

وفى القسم الرابع يلفت النظر إلى هذه النتيجهٔ: «الَّذِيْنَ خَسِرُوا انْفُسَهُمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ».

ويرى عدد من المفسرين بالنسبهٔ إلى الرابطهٔ التى تربط هذه الأقسام الأربعهٔ مع بعضها بأنّ القسم الأول يختص بأمر التوحيد، والقسم الآخر بالمعاد (أو بالنبوّهٔ والمعاد معاً) لبيان أبعاد اصول الدين الرئيسيهٔ «۱».

لكنّ المرحوم العلّامهٔ الطباطبائى يرى بأنّ الآيهٔ برمّتها تختصّ ببيان أمر المعاد، وهذا التفسير أقرب إلى الصّحّهٔ، ولتوضيحه نقول:

إنّ اللّه تعالى بيّن فى القسم الأول من الآيهٔ مالكيته وحاكميته على عالم الوجود من خلال طرح سؤالٍ واحدٍ والإجابهٔ عليه، فهو يوضِّح ذلك الأمر بواسطهٔ سؤالٍ ينبع جوابُهُ من صميم الفطرهٔ والروح حتى أنّ المشركين أيضاً يخفضون جناحهم له كما لو قال الأب لولده: ألم اوفِّر لك جميع متطلبات طلب العلم والارتقاء؟ ومن دون أن ينتظر الجواب يقول: لقد فَعَلْتُ وذلك حقاً).

وبهذا يثبت أنّه لا يوجد فى عالم الوجود أى شيء يمكنه الوقوف أمام إرادهٔ الحق تعالى وأوامره.

ثم يضيف: إنّ اللّه القادر كتب على نفسه الرحمهٔ، وكيف لا يكتب ذلك على نفسه عندما يكون مصدراً للفيض الذى لا يتخَّللُهُ بخلٌ ولا ينقصه العطاء الدائم شيئاً.

فهل الرحمهٔ إلّااعطاء النعم لمن يستحقّها ويليق بها؟ وهل هى إلّاايصال كل موجودٍ إلى كماله المطلوب وفقاً لاستعداده؟

وبعد أن أثبت هاتين المقدمتين (أىْ أنّ اللّه العالم منبع الرحمهٔ من جههٔ، ومن جههٔ اخرى لا يمكن أن يمنع فيضه ورحمته أيُّ مانع) ذكر النتيجهٔ فى الجملهٔ الثالثهٔ

---

(۱) تفسير الكبير، ج ۱۲، ص ۱۶۴؛ وتفسير القرطبى، ج ۴، ص ۲۳۹۲.

نفحات القرآن، ج۵، ص: ۲۰۷

«لَيَجْمَعَنَّكُمْ الَى يَوْمِ القِيَامَةِ لَارَيْبَ فيهِ» لأنّ الموت انْ كان نهايهٔ الإنسان فهذا يعنى أنّ الإنسان لم يصل إلى الكمال المطلوب فيبقى استعداده للحياهٔ الخالدهٔ من دون اشباع أو يعنى عدم وصول الرحمهٔ الإلهيّهٔ إليه لوجود مانع، ولكن بما أنّ المانع غير موجود وأنّ وصول رحمته أمرٌ حتمى فإنّ الوصول إلى الحياهٔ الخالدهٔ فى الدار الآخرهٔ ومجاورهٔ الحق للبشر أمرٌ لا شك فيه.

ومن الطبيعى أنّبعض الناس يفقدون استعدادهم الخاص لنيل الحياهٔ الخالدهٔ ويكونون فى عداد الخاسرين، لذلك نراهم لا يؤمنون بالمعاد.

بناءً على هذا فإنّ «برهان الرحمهٔ» الذى يعتبر عصارهٔ هذه الآيهٔ هو برهان منطقى ذو استدلال تام، وبرهان آخر غير برهان العدالهٔ وبرهان الحكمهٔ، (فتأمل).

وقد يُطرح هذا السؤال: بما أنّ القيامهٔ تعتبر رحمهً لبعض البشر ونقمهٔ على البعض الآخر، فكيف يمكن التوفيق بين هذا المعنى وبين الرحمهٔ الإلهيّهٔ؟

والجواب عن هـذا السؤال جاء فى ذيل الآيـة تلميحاً إلى أنّ اللّه تعالى مَنَّ على جميع البشـر باسـتعداد نيل الرحمـة ووضع بين أيـديهم السبل المعـدّةَ للوصول إليه، فلو أضاع فريق من البشـر هذا العطاء على الرغم من امتلاكهم العقل وعلى الرغم من وصول تعاليم الوحى إليهم- فسوف يكونون السبب فى خروجهم عن دائرة الرحمة ولا تنزل اللائمة إلّاعليهم!

وكل هبات اللّه تعالى من هـذا القبيل، ففريق يسـتمتعون بها وفريق يسـتبقون فى ضـياعها ويصـبح هـذا الأمر حاجزاً أمام وصول الفيض والرحمـة الإلهيّـة للفريق الآخر، ومن الجـدير بالـذكر إنّ جملـة ليجمعنكم ... جاءت مقرونة ب «لام القسم) و «نون التوكيد الثقيلة» معاً وبجملـة «لا ريب فيه» التى تأتى جميعها للتوكيـد، فهى مؤكـدة بثلاثةِ توكيدات فى آنٍ واحد، وهذا لأَجْلِ الدلالة على أنّ وقوع القيامة بالنظر إلى الرحمة الإلهيّة أمرٌ حتمى من جميع الأبعاد.

وبما أنّ ما قدّمناه من التوضيح يكفى لاثبات هذا البرهان فإننا لا نرى حاجة لذكر توضيحات أكثر فى هذا المجال.

نفحات القرآن، ج۵، ص: ۲۰۹

## ۶- برهان الوحدة

### تمهيد:

إنّ وجود الاختلاف فى الآراء والأفكار من مميزات الحياة الدنيا، حتى أنّ أصحاب المذهب الواحد غالباً ما ينقسمون إلى فرقٍ متعددة ذات عقائد مختلفة.

وهـذا الاختلاف ينتقل أحياناً من المجتمع الكبير إلى الاسَـر، وترى كل واحـد من أعضاء الاسـرة يحمل عقيـدة معيّنـة ويدافع عن فكر معين.

لاـ شك أنّ كل إنسان يتألّم لوجود هـذه الاختلافات فى هـذه الـدنيا، ويتمنى الجميع أن يأتى اليوم الـذى تقلع فيه جـذور جميع هـذه الاختلافات.

ومن البـديهى إنّ الـذى خلق الإنسان من أجل التكامل والهدايـة سوف لن يحرمه من نيل هـذه الأمانى بمقتضـى مقام ربوبيته، وبما أنّ هـذا الهـدف لم يتحقق فى هـذه الـدنيا- للأسباب الـتى سوف نطرحهـا فيمـا بعـد وللشواهـد الدالـة على هـذا المعنى أيضـاً، فإنّ رفع الاختلافات والوصول إلى الوحدة سوف يتحقق فى الدار الآخرة.

فالقرآن المجيد أكّد كثيراً على هذا الأمر، وهناك أكثر من عشر آيات فى القرآن تشير إلى هذا الموضوع وهو أنّ إزالة الاختلافات لا تتمُّ إلّافى الدار الآخرة، وإنّ اللّه تعالى سوف ينجز هذا الأمر.

بعد هذه الإشارة نعود إلى القرآن لنتمعن خاشعين فى الآيات الكريمة الآتية:

۱- «وَاقْسَـمُوا بِاللَّهِ جَهْـدَ ايْمَانِهِمْ لَايَبْعَثُ اللَّهُ مَنْ يَمُوتُ بَلَى وَعْـداً عَلَيْهِ حَقّاً وَلكِنَّ اكْثَرَ النَّاسِ لَايَعْلَمُونَ* لِيُبَيِّنَ لَهُمُ الَّذِى يَخْتَلِفُونَ فِيْهِ». (النحل/ ۳۸- ۳۹)

۲- «ثُمَّ الى رَبِّكُمْ مَّرْجِعُكُمْ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ». (الانعام/ ۱۶۴)

نفحات القرآن، ج۵، ص: ۲۱۰

۳- «انَّ رَبَّكَ يَقْضِى بَيْنَهُمْ يَوْمَ القِيَامَةِ فِيما كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ». (يونس/ ۹۳)

۴- «اللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيما كُنْتُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ». (الحج/ ۶۹)

۵- «انَّ الَّذِيْنَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّابِئِينَ والنَّصَارى وَالَمجُوْسَ وَالَّذِيْنَ اشْرَكُوا انَّ اللَّهِ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ القِيَامَةِ انَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَىءٍ شَهِيدٌ» «۱». (الحج/ ۱۷)

جمع الآيات وتفسيرها

## متى تُحلّ هذه الاختلافات؟

بـدأت الآيةُ الاولى بنقل قَسَمَ منكرى المعاد الذى ورد فى نفى تحقق الدار الآخرة، قال تعالى «وَاقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ ايْمَانِهِمْ لا يَبْعَثُ اللَّهُ مَنْ يَمُوتُ».

ثم يجيب تعالى بهذا الجواب: «بَلى وَعْداً عَلَيْهِ حَقّاً وَلكِنَّ اكْثَرَ النَّاسِ لَايَعْلَمُونَ».

بعد ذلك يبيّن الهدف من البعث فيقول تعالى «لِيُبَيِّنَ لَهُمُ الَّذِى يَخْتَلِفُونَ فِيْهِ».

وبهـذا يتّضـحُ بأنّ «رفع الاختلافات والعودة إلى الاتحاد هو أحـد أهـداف المعاد» وذلك لأنّ طبيعـة هذه الدنيا التى تحتوى على أنواع الحجب لاـ تسـمح بزوال هـذه الاختلافـات، ولكن بمـا أنّ يوم القيامـة يوم رفع الحجب وكشف الغطاء وكشف الأسـرار والسـرائر فإنّه سوف يتضح كل شئ فى ذلك اليوم وبذلك ينتهى الاختلاف.

فالمؤمنون يرسخ إيمانهم ويصلون إلى مقام عين اليقين، والكافرون واتباع المذاهب الباطلة يعترفون بخطئهم ويرجعون إلى الحق.

---

(۱) وهنـاك آيات اخرى فى القرآن يشـبه مضـمونها الآيات المـذكورة مثل: آل عمران، ۵۵؛ المائدة، ۴۸؛ النحل، ۱۲۴؛ البقرة، ۱۱۳؛ الزمر، ۳؛ الجاثية، ۱۷؛ الحج، ۶۹؛ الدخان، ۴۰؛ النبأ، ۱۷؛ المرسلات، ۱۳ و ۱۴؛ والسجدة، ۲۵.

نفحات القرآن، ج۵، ص: ۲۱۱

وفى الآية الثانية ورد نفس هذا المعنى ولكن بأسلوب آخر، فبعد أن أبطل ربوبية آلهة المشركين وذكر بأنّ كل إنسان رهين عمله وأن المذنب لا يحمل اصره غيرُهُ، قال تعالى «ثُمَّ الَى رَبِّكُمْ مَّرْجِعُكُمْ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ».

فالآيـة الاـولى تتحـدث عن بيان الاختلاف وهـذه الآيـة اخبرت عن ذلك الاختلاف فالإخبار فى الواقع تعليل لما جاء فى الآيـة الاولى وذلك لأنّ الإخبار الإلهى فى يوم القيامة يعتبر المصوِّرَ الرئيسى لبيان الحقائق، أو يكون «التبيين» متعلقاً بالامور المرئية و «الإنباء» متعلقاً بالامور المسموعة.

وفى الآيـة الثالثة طُرِحَتْ مسألةُ الحكم والقضاء الإلهى فيما اختلف فيه الناس يوم القيامة، قال تعالى «انَّ رَبَّكَ يَقْضِى بَيْنَهُمْ يَوْمَ القِيَامَةِ فيَما كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ».

ومن البديهى أنّ اللَّه تعالى عندما يحكم بينهم بنفسه فى ذلك اليوم فسوف تزول الاختلافات وتتضح الحقائق كما هى.

وهـذه الآيـة إمّـا أن تكون إشارةً لاختلاف بنى اسـرائيل فيما بينهم فى العصور الغابرة أو أنّها تشـير إلى اختلافهم الـذى ظهر فى عصر الرسالة ونزول القرآن بسـبب علائم ظهور الإسـلام وعلائم النبى الأكرم صـلى الله عليه و آله التى آمن بها فريق منهم وجحدها آخرون حفظاً لمصالحهم الشخصية.

وقد تكون إشارةً لاختلافهم الذى وقع فى عصر موسى عليه السلام بعد نجاتهم من مخالب الفراعنة ومشاهدتهم هذه المعجزة العظيمة، أو إشارةً إلى اختلافهم الذى حصل عند ذهاب موسى عليه السلام إلى جبل الطور وظهور السامرى بعجله.

وبالرغم من أنّ أكثر المفسرين رجّحوا الاحتمال الأول إلّاأنّ الآيات المتقدمة على هذه الآية ترجّح الاحتمال الثانى «۱»، كما أنّ الجمع بين التفاسير الثلاثة ممكن أيضاً.

---

(۱) وقـد تبنى التفسـير الأول الفخر الرازى فى تفسـير الكبير وتفسـير القرطبى والمرحوم الطبرسـى فى تفسـير مجمع البيان، لكنّ تفسـير صاحب الميزان أكثر انسجاماً مع التفسير الثانى.

نفحات القرآن، ج۵، ص: ۲۱۲

وعلى أيّة حال يرى بعض المفسرين المشهورين أنَّ الاختلافات من هذا القبيل لا يمكن القضاء عليها فى الدار الدنيا، ولا تنتهى إلّافى الآخرة عندما يقضى اللَّه عزَّوجل بين الناس ويُميّزُ الحقّ من الباطل والصادقَ من الكاذب «۱».

وفى الآية الرابعة ورد التعبير بالحكم، بعد الإشارة إلى نبذة من اختلافات بنى اسرائيل قال تعالى «اللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيَما كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ».

ولمعرفة الأمر الذى اختلف فيه اليهود يستفاد من بداية الآية حيث إنّهم اختلفوا فى يوم السبت الذى يعتبر يوم العطلة الاسبوعية لليهود (واختلافهم فى حكم الصيد فى ذلك اليوم هل هو حرام أو حلال على الرغم من أنّ نبيّهم عليه السلام قد حرّم عليهم ذلك، أو كان الاختلاف فى ترجيح ذلك اليوم على يوم الجمعة أو ماشابه ذلك).

إنّ تأريخ بنى اسرائيل يشهد على أنّهم كانوا بؤرة للخلاف والتشتت على العكس تماماً من تاريخهم المعاصر، فهم اليوم أصبحوا يداً واحدة بسبب بعض الأحداث التى هددّت مصيرهم لاسيما مجابهتُهم لمسلمى العالم.

وفى الآية الخامسة والاخيرة جاء مجموع ماورد فى الآيات السابقة لكن بصورة اجمالية وعامّة وتحت عنوان آخر، فهى تشير إلى الاختلافات الواسعة الحاصلة بين المؤمنين وأصناف من الكفّار، قال تعالى «انَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّابِئِينَ والنَّصَارى وَالَمجُوْسَ وَالَّذِينَ اشْرَكُوا انَّ اللَّهَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ القِيَامَةِ انَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهيدٌ».

والجدير بالذكر إنّ «يوم الفصل» أحد الأسماء المعروفة ليوم القيامة، قال تعالى «إنِ

---

(۱) التفسير الكبير، ج ۱۷، ص ۱۵۹.

نفحات القرآن، ج۵، ص: ۲۱۳

يَوْمَ الفَصْلِ كَانَ مِيْقَاتاً». (النبأ/ ۱۷)

وورد نفس التعبير عن يوم القيامة فى آيات متعددة اخرى من آيات القرآن أيضاً.

و «الفصل»: فى الأصل بمعنى افتراق شيئين عن بعضهما، ولهذا اطلق على يوم القيامة يوم الفصل، لأنّ الحق يُفْصَلُ عن الباطل فى ذلك اليوم وترفع جميع الاختلافات بواسطة القضاء الإلهى وبهذا يُفْصَلُ الصالحون والطاهرون عن الطالحين والأرجاس.

قال المرحوم الطبرسى فى «مجمع البيان»: «سوف تبيَّضُ هناك وجوه أصحابِ الحقِّ وتمتلئ بالنور وتسودّ وجوه أهل الباطل ويعمّها الظلام» «۱».

فهل يبقى داعٍ للاختلاف بين الحق والباطل عند ظهور مثل هذه العلائم البيِّنة؟

أشارت هذه الآية إلى ستة أديان كانت سائدة فى عصر نزول القرآن وكانت تمثّل الاديان الرئيسية آنذاك، قال تعالى الذين آمنو (المسلمون) واليهود والصابئة (وهم اتباع يحيى عليه السلام إلّاأنّهم انحرفوا عن رسالته فأطلقوا عليهم اسم عبدة النجوم) والنصارى (المسيحيون) والمجوس (الزرادشتيون) والمشركين وعبدة الاوثان، ثم قال تعالى «إِنَّ اللَّهَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ ...».

فإذا كان الإنسان فى هذه الدنيا بحاجة إلى الاستدلال والمنطق من أجل المتميز بين أهل الحق وأهل الباطل فهو فى ذلك اليوم يستغنى عن كل ذلك فإذا كان المصداق العيان فما الحاجة للبيان لأنّ لون الوجوه يدل على سرائر أصحابها!

### توضيح

من خلال الآيات الخمس المذكورة وذكر خمسة عناوين مختلفة: «الانباء» و «التبيين» و «الحكم» و «القضاء» و «الفصل» اتضحت الحقيقة بأفضل أساليب البيان وأنّ يوم القيامة يوم انتهاء الاختلافات ويوم تجلّى الحقائق وفرز الحق عن الباطل ويوم الحكم والقضاء

النهائى.

---

(۱) تفسير مجمع البيان، ج ۷، ص ۷۶.

نفحات القرآن، ج۵، ص: ۲۱۴

وكيف لا يكون الأمر كذلك ويوم القيامة يوم البروز ويوم الظهور: «وَبَرَزُوا لِلّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّار». (إبراهيم/ ۴۸)

ويوم رفع الحُجب وكشف الغطاء: «فَكَشَفْنَا عَنْكَ غِطَآءَكَ فَبَصَرُكَ الْيَوْمَ حَدِيدٌ». (ق/ ۲۲)

إنّ الطبيعة المظلمة لعالم الدنيا أو التى يمتزج فيها النور بالظلمة لا تفسح المجال لظهور الحقائق على ماهِيَّتِها، كالليل بالضبط، فالإنسان مهما يبذل جُهْدَهُ لكشف الحقائق بواسطة المصابيح إلّاأنّ قسماً كبيراً منها يبقى فى دائرة الظلام، أمّا القيامة فهى تشبه سطوعَ الشمس التى تكشف بأشعتها كل شىء.

من الممكن أن يكتشف فريقٌ طريقهم فى الظلام إلّاأنّ فريقاً آخر يضلُّ عن الطريق، كما أنّه من الممكن للّذينَ سلكوا طريقاً ما أن يصفه كل واحد منهم بوصفٍ يتناسب مع منظاره الخاصّ، وهناك مثال معروف فى توضيح هذا الأمر وهو إنّ عدداً من الأشخاص الذين لم يشاهدوا الفيل من قبل دخلوا فى غرفة مظلمة فيها ذلك الحيوان، ثم لمس كلّ واحد منهم عضواً من أعضاء الفيل، ولمّا خرجوا أخذ كل واحد منهم يصف ذلك الحيوان فوصفوه بصفات متناقضة، فالذى لمس رجل الفيل وصفه بأنّه يشبه العمود! ومن لمس خرطوم الفيل وصفه بأنّه انبوب كبير، والثالث الذى لمس صدر الفيل وصفه بأنّه يشبه السقف، ولكن عندما أُخرج الفيل من الظلام بانت الحقيقة لهم ورُفعت تلك التناقضات وعلم الجميع أنَّ وصفهم كان قاصراً!

فالإنسان- وكما أشرنا سابقاً- لديه الاستعداد التامُّ للخروج من خضم أمواج الاختلافات وأن يضع قدمه فى عالم اليقين وعدم الاختلاف، ومن البديهى أنّ اللّه تعالى الذى خلق الإنسان سوف لن يحرمه من هذا الفيض.

فالاختلاف يسلب الطمأنينة وهو مِنْ موانع الوصول إلى التكامل، والسبب فى نفوذ الشكّ إلى جذور المعتقدات فى بعض الأحيان، بناءً على هذا علينا السعى لبلوغ المرحلة التى تنتهى فيها هذه المؤثّراتُ السلبية.

نفحات القرآن، ج۵، ص: ۲۱۵

ومن الطبيعى أنّ الأنبياء والأوصياء عليهم السلام وضّحوا الحقائق على قدر ما تسمح به طبيعة الحياة الدنيا بالاعتماد على الكتب السماوية، ولكن هؤلاء لم يكونوا إلّاكمثل المصابيح التى تنير الطريق للإنسان، لذا يَحلُّ الاختلافُ محلَ الإتحادِ بمجرّد غياب ذلك النور عنهم، قال تعالى فى قرآنه المجيد: «وَمَا انْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ إِلَّا لِتُبَيِّنَ لَهُمُ الَّذى اخْتَلَفُوا فِيْهِ». (النحل/ ۶۴)

وقال تعالى فى موضع آخر: «فَمَا اختَلَفُوا الّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ». (الجاثية/ ۱۷)

وهذا دليل على أنّ الأنبياء عليهم السلام قد سعوا فى إزالة الاختلاف الموجود بين الناس إلّاأنّه لم ينته كلياً.

إنّ حبّ المادّياتِ وجموح الشهوات والبغضاء والعداوة فى هذه الدنيا هى الأسس الحاكمة على الناس وهذه الامور هى اعظم الحجب، وما لم ترفع لا يستطيعُ الإنسان أن يتقدم خطوة صوب الوحدة، لكنّ هذه الحجب سوف تفنى وتحترق جميعها فتنكشف الحقائق على ما هى عليه يوم القيامة.

نفحات القرآن، ج۵، ص: ۲۱۷

## ۷- برهان خلود الروح

### تمهيد:

تَعَرَّضَ الكثير من الفلاسفة في بحث المعاد لمسألة خلود الروح واعتبروها من الأدلة الحيّة في هذا المجال.
وممّا لا شك فيه إنّ الاعتقاد ببقاء الروح يعبّد لنا طريق الوصول إلى إثبات المعاد والحياة الآخرة، ولكنَّ هذا لايعني أَنَّ من لا يعتقد بخلود الروح لا يمكنه الإيمان بالمعاد، بل يمكن إثبات المعاد من دون أن يكون لمسألةِ بقاء الروح أي أثر في ذلك.
ومن المحتمل أن يكون هذا سبب عدم تأكيد القرآن على مسألة بقاء الروح، وبتعبير آخر إنّ القرآن لا يعتقد بأَنَّ هناك صلة ورابطة بين مسألة خلود الروح وبين المعاد- كما سنرى ، ولكن لا يخفى أنّ إثبات مسألة المعاد بالاعتماد على مسألة خلود الروح تكون اوضح وايسرَ كما أنّه لا يمكن إنكار الإشارات الظريفة واللطيفة التي وردت في مسألة خلود الروح في القرآن المجيد، لذا مِنَ المناسب أن نلقي نظرة إجمالية على مسألة خلود الروح من دون التوغُّلِ في أعماق هذه المسألة، لأنّ البحوث المتعلقة بالروح بحوث واسعة ولها ميدان عريض وتحتاج لوحدها إلى تأليف كتاب مستقل أو عدّة كتب لبحثها بصورة مستقلّة.
نعود بعد هذه المقدمة إلى القرآن المجيد ونستمع خاشعين إلى الآيات الآتية:
۱- «وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبيلِ اللَّهِ امْوَاتاً بَلْ احْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ».
(آل عمران/ ۱۶۹)
۲- «وَلا تَقُولُوا لِمَنْ يُقْتَلُ فِي سَبيلِ اللَّهِ امْوَاتٌ بَلْ احْيَاءٌ وَلكِنْ لَاتَشْعُرونَ».
(البقرة/ ۱۵۴)
نفحات القرآن، ج۵، ص: ۲۱۸
۳- «النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوّاً وَعَشِيّاً وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ ادْخِلُوا آلَ فِرعَونَ اشَدَّ العَذَابِ». (المؤمن/ ۴۶)
۴- «قُلْ يَتَوَفَّاكُمْ مَّلَكُ المَوْتِ الَّذِى وُكِّلَ بِكُمْ ثُمَّ الَى رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ». (السجدة/ ۱۱)
۵- «اللَّهُ يَتَوَفَّى الانْفُسَ حِينَ مَوتِهَا وَالَّتى لَمْ تَمُتْ فى مَنَامِهَا فَيُمْسِكُ الَّتِي قَضَى عَلَيْهَا الْمَوْتَ وُيُرْسِلُ الْاخرى الَى اجَلٍ مُّسَمًّىً انَّ فى ذِلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَومٍ يَتَفَكَّرُونَ» «۱».
(الزمر/ ۴۲)

## جمع الآيات وتفسيرها

### استقلالية الروح:

دار الحديث في الآية الاولى حول الشهداء. فقد كان هناك عدد من ضعفاء الإيمان يتألَّمون لهؤلاء الشهداء لأنّهم ماتوا ودفنوا وحرموا من كل شيء، لقد خاطب القرآن في هذه المناسبة الرسول الأعظم صلى الله عليه و آله (كي يتّعظَ الآخرون) قال تعالى «وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فى سَبيلِ اللَّهِ امْوَاتاً بَلْ احيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ».
وبهذا غيّر نظرة الناس حول الموت تغييراً جذرياً وبالأخصَّ نظرتهم إلى «موت الشهداء الذين قتلوا في سبيل اللَّه»، وأبان لهم أنّ هؤلاء يرقدون في جوار رحمة اللَّه ويملأ وجودَهم الفرحُ وينادون الآخرين بأنّهم لاخوف عليهم ولاهم يحزنون.
فهذا التعبير الحي الواضح يدل بجلاء على أنّ الروح خالدة وأنّ الشهداء احياء في عالمٍ أرقى واعلى بكثير من هذا العالم.
فإذا كانت حياة الإنسان تفنى بالموت إلى الأبد تصبح هذه التعبيرات مبهمة وغير مفهومة حتى في مجال اطلاقها على الشهداء، ولن تكون سوى حفنة من المجازات اللغوية لا غير.

---

(۱) هناك آيات عديدة في القرآن المجيد تعبّر عن الموت بالتوفّي، وهذه دلالة لطيفة على مسألة خلود الروح، مثل: النساء، ۹۷؛

الانعام، ۶۱؛ النحل، ۲۷ و ۳۲ و ۷۰؛ يونس، ۴۶؛ الرعد، ۴۰؛ غافر، ۶۷ و ۷۷؛ الانفال، ۵۰؛ الاعراف، ۳۷؛ الحج، ۵.

نفحات القرآن، ج۵، ص: ۲۱۹

أمّا الذين لم يتمكنوا من إدراك مغزى ومفهوم هذه الآية فقد اتبعوا رأى ضعاف الإيمان الذين عاصروا الرسول الأعظم صلى الله عليه و آله وفسّروا هذه التعبيرات بمعنى خلود اسم الشهداء وخلود معتقدهم! أو ما شابه ذلك، بينما تُبطِلُ الآيةُ مثلَ هذه النظريات قطعاً، وقد أكّدت على أنَّ للشهداءِ حياة خالدة، ومن البديهى أن لا تكون هذه الحياة حياةً جسمانية ومادّية لأنّ أجساد الشهداء الدامية قد دُفنت تحت التراب، فلن يبقى أمامنا إذن إلّاأن نعتبرها حياةً تختصّ بالروح عن طريق خلودها فى البرزخ.

وعلى الرغم من اصرار البعض- على حدّ قول صاحب الميزان على أنّ الآية نزلت فى حق شهداء بدر (و على رأى البعض أنّها تتعلق بشهداء أحد) إلّاأنّ البديهه تفترض أنّ الآية ذاتُ مفهوم واسع وشامل، يشمل جميع الشهداء دون أىّ استثناء، بالإضافة إلى أنّها لا تنفى الانطباق على غير الشهداء أيضاً.

وعلى أيّة حال فإنّ لهجة الخطاب فى هذه الآية والآيات التاليه لها تَدلُ على خلود أرواح الشهداء والتنعّمِ بالرزق المعنوى عند ربّهم وسرورهم الحاصل من نيلهم تلك النعم وذلك الفضل الإلهى، وهذه الآيات تبطل جميع الآراء والتفسيرات المنحرفة.

### عن الشهداء فى سبيل اللّه أيضاً:

ورد نفس هذا المعنى فى الآية الثانية من آيات البحث بتعبيرٍ آخر، والفرق بينهما أنّ الآية الاولى نزلت فى شهداء احد والآية الثانية نزلت فى شهداء بدر، إلّاأنّ محتواهما يدل على العموم والشمول، وهناك فرق آخر بينهما هو أنّ الخطاب فى الآية الاولى كان موجَّهاً للنبى الأكرم صلى الله عليه و آله أمّا فى هذه الآية فقد وجَّههُ تعالى لعامة المسلمين، قال تعالى «وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ يُقْتَلُ فى سَبيلِ اللَّهِ امْوَاتٌ بَلْ احْيَاءٌ وَلكِنْ لَاتَشْعُرُونَ».

فعلى الرغم من احتواء الآية الاولى على تأكيدات أكثر على مسألة الحياة الروحية للشهداء من خلال ضمّها إلى الآيات الاخرى إلّاأنّ الآية الثانية بدورها تعبّر عن ذلك

نفحات القرآن، ج۵، ص: ۲۲۰

المفهوم أيضاً على الأخص فى قولِهِ تعالى «بَلْ احْيَاءٌ وَلكِنْ لَاتَشْعُرُونَ».

وفى هذه الآية أيضاً تُواجِهُنا أقوالٌ لبعض قاصرى التفكير الذين يرون أنَّ الحياة فى هذه الآية تعنى الهداية أو بقاء اسماء الشهداء حيّة أو بقاء معتقدهم، وهكذا اعتبروا استخدم عبارة احياء عند ربّهم يرزقون من باب المجاز وانحرفوا فى تفسيرهم وهم لا يملكون أىّ دليل لدعم ادّعاءاتهم.

وكأنَّ هؤلاء المفسرين لم ينتبهوا لكلمات هاتين الآيتين أبداً وإنّ الشهداء بالإضافة إلى وصفهم بأنّهم احياء فقد ذُكر بأنهم يرزقون ويفرحون ويتمتّعون بأنواع النعم الإلهيّة ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون، وخاصة فى قوله تعالى ولكنْ لا تشعرون!

فلو كان المراد خلود اسمهم أو معتقدهم أو احياءهم يوم القيامة لما كان اطلاق أىّ واحد من هذه التعبيرات المذكورة بحقهم صحيحاً.

وبهذا شيّد القرآن أساس بحث خلود الروح وبدأه بذكر خلود حياة الشهداء.

### عذاب آل فرعون فى البرزخ:

تَحَدَّثَتْ الآية الثالثة عن عاقبة طائفة ظالمة وهى «طائفة آل فرعون» وصوّرتْ حالها فى البرزخ فى قبال حال الشهداء، فهى تصفها بعد

الموت على هذا النحو: «النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوّاً وَعَشِيّاً وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ ادْخِلُوا آلَ فِرعَونَ اشَدَّ العَذَابِ».

إنّ ممّا لا شك فيه أنّ النار التى يُعرض عليها آل فرعون فى الصباح والمساء نار البرزخ، وذلك لأنهم ماتوا ولم تقم القيامة حتى الآن، بالإضافة إلى ذلك فإنّ القيامة ليس فيها صباح ومساء بل هم فى اشد العذاب على مرّ الزمان (كما يشهد على ذلك ماجاء فى ذيل الآية).

وهذا التعبير شاهد حىّ وملموس آخر على خلود الروح، لأنّ ما يعرض على جهنم صباحاً ومساءً إن لم يكن الروح فما هو إذن؟ هل هو الجسد المجرّد عن الروح الذى أصبح تراباً؟ كلّا طبعاً، لأنّ هذا لا يتأثر أبداً، إذن يجب أن تبقى ارواحهم خالدة حيّة كى يعرضوا

نفحات القرآن، ج۵، ص: ۲۲۱

على العذاب غدواً وعشياً فى عالم البرزخ.

ويحتمل أن يكون السبب فى استخدام كلمتى «الغدوّ» و «العشىّ» فى الآية الشريفة أنّ هذين الوقتين من الأوقات التى كان الطواغيت يتجهون خلالها ويبرزون سطوتهم ومن الأوقات التى يستغلّونها فى اللهو والبذخ.

وأمّا التعبير ب «يُعرضون» فإنّه لايعنى دخولهم النار وهذا ممّا لا شك فيه، وهو غير ما اريد فى ذيل الآية، ومن المحتمل أنّ المراد منه الدلالة على اقتراب النار منهم، فهم يقتربون من النار فى عالم البرزخ ويلجونها يوم القيامة!.

لقد استدل الكثير من المفسرين بهذه الآية على عذاب القبر أو البرزخ «۱»، ومن البديهى أنّ عذاب القبر (أو البرزخ) لا معنى له من دون خلود الروح.

جاء فى الحديث المروى عن الرسول الأعظم صلى الله عليه و آله أنّه قال: «إنّ أحدكم إذا مات عرض عليه مقعده بالغداة والعشى إن كان من أهل الجنّة فمن الجنّة وإن كان من أهل النار فمن النار يقال هذا مقعدك حين يبعثك اللّه يوم القيامة» «۲».

وهذا الحديث يشير إلى أنّ الثواب والعقاب البرزخى لا يختص بالشهداء وآل فرعون بل يشمل الجميع.

## قبض الأرواح!

وفى الآية الرابعة (والآيات المشابهة لها) نلاحظُ تعبيراً آخرَ فى هذا المجال، قال تعالى «قُلْ يَتَوفَّاكُمْ مَّلَكُ المَوْتِ الَّذِى وُكِّلَ بِكُمْ ثُمَّ الَى رَبِكُمْ تُرْجَعُونَ».

والتعبير الجديد واللطيف فى هذه الآية «يتوفاكم» من مادة «التوفّى» على وزن (الترقّى).

قال الراغب فى المفردات «وافى» فى الأصل بمعنى وصول الشىء إلى الكمال، بناءً

(۱) تفسير مجمع البيان، ج ۷، ص ۵۲۵؛ تفسير الكبير، ج ۳۷، ص ۷۳؛ تفسير القرطبى، ج ۸، ص ۵۷۶۳؛ تفسيرالميزان، ج ۱۷، ص ۳۵۴.

(۲) نقل هذا الحديث صاحب مجمع البيان عن صحيح البخارى ومسلم (ج ۷ و ۸، ص ۵۲۶).

نفحات القرآن، ج۵، ص: ۲۲۲

على هذا فإنّ «التوفّى» يكون بمعنى أخذ الشى بصورة كاملة وهذا التعبير يدل بوضوح على هذه الحقيقة وهى أنّ الموت لا يعنى الفناء أبداً، بل نوع تام من أنواع القبض، والأخذ أخذ روح الإنسان بصورة تامّة، دليلٌ واضح وملموس على أنّ روح الإنسان لا تفنى بعد «التوفّى» (أى الأخذ الكامل) لها.

ومن الجدير بالذكر أنّ هذه الآية وردت فى الجواب عن تساؤل منكرى المعاد، وقد نُقل عنهم فى الآية السابقة قولهم: «وَقَالُوا ءَاذَا ضَلَلْنَا فِى الْارْضِ ءَإنَّا لَفِى خَلْقٍ جَدِيْدٍ».

فأجابهم تعالى فى هذه الآية: «أنّكم لستم أجساداً فحسب كى تضلوا بعد الموت، بل إنّ الروح هى الأصل فى وجودكم والتى تتوفاها الملائكة، وسوف تُعادُون وتحشرون يوم القيامة (بالجسم والروح معاً) وكما قلنا آنفاً: إنّ هذا التعبير قد تكرر ذكره فى آيات متعددة فى القرآن وقد اكّد عليه كثيراً».

إنّ خطاب الآيات القرآنية فيه ارشاد للاثبات بعدم النظر إلى الموت من منظارٍ مادّى أبداً، فالمادّيّون يعتقدون بأنّ الموت نهاية الطريق بالنسبة للإنسان وينادون دائماً بهذا الشِعار: «انْ هِىَ الّا حَيَاتُنَا الدُّنيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا» بينما لا يكون الموت إلّاعبارة عن الانتقال من «الحياة الدنيئة» إلى «الحياة الراقية» ويتم ذلك الانتقال بواسطة ملائكة اللّه.

وفى بعض الموارد نسب اللّه التوفّى إلى نفسه: قال تعالى «اللَّهُ يَتَوَفَّى الْانْفُسَ حِينَ مَوْتِهَا». (الزمر/ ۴۲)

وقال من موضع آخر: «وَلكِنْ اعْبُدُ اللَّهَ الَّذِى يَتَوفَّاكُمْ». (يونس/ ۱۰۴)

ومن البديهى أن لا- يوجد هناك تناقض بين تعبيرات القرآن الثلاثة المذكورة (التوفى من قبل اللّه والتوفى بواسطه ملك الموت والتوفّى بواسطة الملائكة)، لأنّ هؤلاء- جميعهم يطيعون أمر اللّه، واللّه عزّ وجلّ هو الفاعل الحقيقى، كما أنّ الملائكة التى تتوفّى الأرواح لهم رئيس أيضاً الذى يسمى بملك الموت وسائر الملائكة الموكلين بقبض الأرواح يعتبرون مسيّرين من قبل هذا المَلك.

نفحات القرآن، ج۵، ص: ۲۲۳

وفى الآية الخامسة والاخيرة ورد هذا المعنى نفسه مع مقارنة وضع الإنسان عند النوم مع وضعه عند الموت، وقد عبّر ب «التوفّى» عن كلتا الحالتين، قال تعالى «اللَّهُ يَتَوَفَّى الانْفُسَ حينَ مَوْتِهَا وَالَّتِى لَمْ تَمُتْ فى مَنَامِهَا فَيُمْسِكُ الَّتى قَضَى عَلَيْهَا الْمَوْتَ وَيُرْسِلُ الْاخْرَى الَى اجَلٍ مُسَمَّىً انَّ فِى ذلِكَ لَايَاتٍ لِقَومٍ يَتَفَكَّرُونَ».

و «انفس»: جمع «نفس» بمعنى الروح، والمراد من الروح هنا الروح الإنسانية ويستفاد من الآية المذكورة إنّ روح الإنسان تقبض فى كلتا الحالتين، حالة الموت وحالة النوم، مع فارق واحد أنّ التوفى فى حالة النوم غير تام حيث تعود الروح ثانية إلى الجسد، أمّا فى حالة الموت فلا- عودة لها، (وهناك طبعاً من ينتقل من حالة النوم إلى الموت مباشرة ولا يستيقظ من نومه أبداً، وقد أشارت الآية المذكورة لهذه الحالة أيضاً).

وعلى حد تعبير بعض المفسرين: «إنّ للروح ثلاث حالات، فتارةً يشع نورها على ظاهر البدن وباطنه، واخرى على الظاهر فقط، وثالثة، ينقطع اشعاعها عن الظاهر والباطن معاً.

فالحالة الاولى حالة اليقظه، والثانية حالة النوم، والثالثة حالة الموت» «۱».

ولمزيد من الايضاح يجب الالتفات إلى هذه الحقيقة وهى أنّ الإنسان له ثلاثة أنواع من الحياة.

«الحياة النباتية» وهذا يعنى أنّ خلايا البدن تتغذى وتنمو وتتكاثر (كما هو الحال فى النباتات).

«الحياة الحيوانية» التى تشتمل على الحس والحركة، والحركة هنا تشمل الحركة الارادية كالمشى وحركة اليد والرجل أو الحركات غير الارادية كضربات القلب وغيرها من الحركات.

«الحياة الإنسانية» التى تختص بالإدراكات الرفيعة التى يمتلكها الإنسان والتى تتعلق بالإرادة وتحليل المسائل المختلفة والابداع والابتكار والشعور بالمسؤولية.

وممّا لا شك فيه أنّ النوعين الأول والثانى من أنواع الحياة لا يُسلب من الإنسان فى

---

(۱) التفسير الكبير، ج ۲۶، ص ۲۸۴.

نفحات القرآن، ج۵، ص: ۲۲۴

حالة النوم، والنوع الثالث الوحيد الذى يخرج عن اختيار الإنسان فى تلك الحالة.

وممّـا يجـدر ذكره أنّ هـذه الآيـة تفيـد بأنّ النوم «موت مخفف» أو بتعبير آخر إنّ الموت «نموذج كامل من النوم» كما يُفهم أيضاً بأنّ الإنسان مركب من الروح والجسد وأنّ الجسد مادّى والروح جوهر لا يخضع للقوانين المادّية:

ومن خلال ماتقـدم يمكن التوصل إلى معرفـة نبـذة من أسـرار الأحلام والرؤيا وما يـدركه الإنسان من حقائق جديدة فى تلك الحالة، لأنّ روح الإنسان فى حالة النوم تنفصل عن الجسد وتنجز فعّالياتها بحريّة أكثر، إذن فهى تَحوم فى عوالم جديدة.

جاء فى الحـديث عن أمير المؤمنين على عليه السـلام: «إنّ الروح يخرجُ عنـد النوم، ويبقى شـعاعه فى الجسد، فلذلك يرى الرؤيا، فإذا انتبه عادَ روحُهُ إلى جسده بأسرع من لحظة!» «١».

وعلى أيّة حال فإنّ هذه الآيات لا تفسر إلّابمسألة بقاء الروح، وذلك لأنّ توفّى الشىء أى أخذه بصورة تامة عند الموت لايصدق على التوفّى الجسـدى، فالحياة النباتية والحيوانية تفْنى بواسـطة الموت ولا يبقى منها شـىء فلايمكن أن تكون مصداقاً لعنوان «التوفّى»، فبناءً على هذا تكون النتيجة أنّ المراد من التوفى توفى الروح الإنسانية التى تعتبر العامل الرئيسى فى حياة الإنسان.

### توضيحات

#### ١- خلود الروح

إنّ مسألة خلود الروح لها علاقة وثيقة بمسألة استقلالها وأصالتها، لأنّ الروح إن كانت مستقلة فيحتمل أن تبقى على حالها بعد الموت، لكنّهـا لو كـانت تابعـة لقوانين المـادة وكـانت تشـبه فى خواصـها المـادة فإنهـا سوف تفنى تبعاً لفناء الجسم (كما هو الحال فى حركة عقارب

---

(١) تفسير روح البيان، ج ٨، ص ١١٥.

نفحات القرآن، ج۵، ص: ٢٢٥

الساعة التى تتبع فى وجودها وعدمها نفس الساعة).

لـذا علينا وقبل كل شـىء أن نبحث فى هـذه القاعدة هل أنّ روح الإنسان جوهر مسـتقل أم شـىء مشابه للخواص الفيزيائية والكيميائية التى تمتلكهـا خلايـا المـخ التى تفنى تبعـاً لفنـاء المـخ، كمـا هو الحال فى الروح الحيوانيـة والنباتيـة التى هى عبارة عن التغذيـة والنمو والتكاثر والحس والحركة؟

إنّ ممّا لا شك فيه أنّ التغذية والنمو والتكاثر لا تبقى بعد فناء الجسم وكذلك تنعدم فيه الحركة والحس (فتأمل).

ولكن لدينا أدلة كثيرة تثبت أنّ الروح الإنسانية لا تشـبه الروح النباتية والحيوانية، بل هى حقيقة مسـتقلة تتعلق بالبدن تارة وتنفصل عنه اخرى

من هنا ننطلق لبحث الأدلـة العقلية التى أتى بها الفلاسـفة لإثبات أصالة الروح واسـتقلالها أولًا، وبعد ذلك نشـرع بذكر أدلة المنكرين أى الماديين ثم نشرعُ بنقد تلك الأدلة.

ومع أنّ مجرد إثبـات خلود الروح لا يُثبت جميع ما نريـد إثباته فى مباحث المعاد- كما أشـرنا إلى ذلك سابقاً- (لوجود قسم كبير من مسائل المعاد يرتبط بجانب المعاد الجسمانى) إلّا أنّه يُمهّد امامنا نصف الطريق على الأقل ويكبح جماح المنكرين.

#### ٢- هل الروح مستقلة عن البدن؟

يشهد تاريخ العلم والحضارة البشرية على أنّ الروح وهيئتها وخواصّها الغريبة كانت موضع اهتمام العلماء دائماً.

وقد ساهم واحد منهم بجهوده ليكشف بُعداً من أبعاد دائرة الروح التى تعتبر لغز الالغاز وسر الخفايا ولهذا السبب كانت آراء العلماء فى مجال الروح متنوعة وكثيرة جدّاً.

ورغم أنّ أرواحنا أقرب الينا من كل شىء فى هذا العالم، إلّاأنّه قد لا تتمكن جميع علومنا المعاصرة- بل حتى علوم اللاحقين لعصرنا- أن تكتشف جيمع أسرار الروح، وليس

نفحات القرآن، ج۵، ص: ۲۲۶

هذا من الامور الغريبة لأنّ جوهر الروح يختلف كثيراً عمّا أنسناه من عالم المادّة، ولاعجب فى إخفاقنا فى الاطلاع على أسرار وكنه هذا المخلوق العجيب الذى لا يخضع لقوانين المادّة.

ولكن هذا- على أيّة حال- لايمنعنا من مشاهدة ظل الروح بواسطة منظار العقل الثاقب ولا يمنعنا من التعرف على مجمل القوانين المهيمنة عليها.

وأهم ما ينبغى لنا معرفته هنا مسألة أصالة واستقلال الروح، وعلينا أن نثبت ذلك فى مقابل رأى الماديين الذين يرون أنّ الروح أمرٌ مادىّ وأنّها من افرازات خلايا المخ والخلايا العصبية ولا شىء وراء ذلك!

ونحن نتعرض بدورنا لهذا البحث هنا ونمعن النظر فيه، لأنّ بحث «خلود الروح» و «مسألة التجرد الكامل أو التجرد البرزخى» تعتمد على هذا الأمر.

إلّا أنّه قبل الولوج فى هذا البحث نرى من الضرورى ذكر هذه الملاحظة وهى أن تعلق الروح ببدن الإنسان ليس من قبيل حلول الهواء فى المنطاد مثلًا- كما يعتقد البعض- بل هو نوع من الارتباط القائم على اساس هيمنة الروح على البدن فى التصرف والتدبير، وقد شبّه بعضهم هذه الرابطة بالعلاقة الموجودة بين «اللفظ» و «المعنى وسوف تتضح هذه المسألة بجلاء خلال بحث مسألة استقلال الروح فلنعُد إلى صلب البحث.

ممّا لا شك فيه أنّ الإنسان يختلف عن الجمادات كالحجر والخشب، لأنّنا نشعر فى قرارة أنفسنا بأنّنا نختلف عن سائر الموجودات غير الحيئ، بل حتى عن النباتات، فنحن بإمكاننا أن نفهم شيئاً أو نتصور شيئاً أو نريد شيئاً ونمتلك إرادة ونحب ونبغض و ...، أمّا بالنسبة للجمادات والنباتات فهى لا تمتلك شيئاً من هذه الأحاسيس، إذن هناك شىء أساسى نتميز به عن هذه الموجودات، ذلك الشىء هو ما نسمّيه الروح.

لا أحد ينكر أصل وجود «الروح» و «النفس» أبداً، لا الماديون ولا غيرهم ولهذا فالجميع يعتقد بأنّ علم النفس (السيكولوجى) وعلم التحليل النفسى (البيسكاناليزى) من العلوم الثابتة، وهذان العلمان على الرغم من كونهما فى مرحلة النشوء وفى المراحل

نفحات القرآن، ج۵، ص: ۲۲۷

البدائية إلّاأنّهما من العلوم التى تُدرس فى الجامعات الكبيرة فى العالم ويتابع تطورهما الاساتذة والمحققون، وكما سنلاحظ فإنّ «الروح» و «النفس» هما حقيقتان غير منفصلتين عن بعضهما بل تمثلان حقيقة واحدة لمراحل مختلفة.

وسوف نطلق اسم «النفس» فى المجالات التى تتعلق بارتباط الروح بالجسم والتأثيرات المتبادلة كما نطلق اسم «الروح» عند الحديث عن الروح المستقلة عن الجسم.

وقصارى الكلام هو عدم وجود من ينكر امتلاكنا روحاً ونفساً، فمن هنا علينا أن نحدد دائرة النزاع المحتدم بين «الماديين» و «الميتافيزيقيين».

ولتحديد دائرة النزاع نقول: إنّ العلماء الالهيين والفلاسفة الميتافيزيقيين يرون أنَّ الإنسان بالإضافة إلى امتلاكه لجسم مادى يمتلك جوهراً آخر غير مادّى، والجسم يتلقى أوامره من ذلك الجوهر بصورة مباشرة.

وبعبارة اخرى إنّ الروح من الحقائق المتعلقة بعالم ما وراء الطبيعة وتختلف عن عالم المادة من ناحية وجودها ونشاطها معاً ورغم

ارتباطها الدائم بعالم المادة إلّاأنّها ليست مادة ولا تملك صفات المادة!

والرأى المقابل لهذا هو رأى الماديين حيث يقولون: إنّ كياننا خالٍ من وجود شىء مستقل عن المادّة يسمى ب «الروح» أو اىّ اسم آخر وما كياننا إلّاهذا الجسم المادّى والآثار الفيزيائية والكيميائية المختصة به فنحن لدينا جهاز نسميه «المخ والأعصاب» وهو ينجز لنا قسماً كبيراً من أعمالنا الحياتية وهذا الجهاز مادّى كسائر أجهزة البدن الاخرى ويخضع فى نشاطاته لقوانين المادة.

فالإنسان لديه مثلًا غدد تحت اللسان تسمى «الغدد اللعابية» وهذه الغدد تمارس أفعالًا فيزيائية وكيميائية فى آن واحد، فعندما يدخل الطعام الفم تمارس هذه الغدد نشاطاتها بصورة ذاتية لا إرادية، وتضخ من الماء الكميّة اللازمة لمضغ الطعام بصورة دقيقة، فالغذاء الجاف يحصل على ما يكفيه من الماء من هذه الغدد وكذلك الغذاء الرطب، فكل واحد منهما

نفحات القرآن، ج۵، ص: ۲۲۸

يحصل على ما يناسبه من كميّة الماء لا أكثر ولا أقل!.

والأغذية الحامضة بالخصوص تثير هذه الغدد لفرز كميّات أكبر من الماء إذا كان تركيز الحموضة كبيراً فيها، وذلك من أجل خفض نسبة الحموضة كى لا تؤثر على جدار المعدة والجهاز الهضمى.

وبعد بلع الطعام تتعطل هذه الغدد عن العمل وإذا اختلّ نظام هذه الغدد لساعة من الزمان فإمّا أن يجف الفم فلا يتمكن الإنسان من بلع الطعام، أو يسيل اللعاب بصورة مستمرة من الفم!.

وهذه هى المهمّةُ «الفيزيائية» لهذه الغدد، لكننا نعلم أنّ المهمّة الأكثر أهميّة لهذه الغدد هى الافرازات الكيميائية، فاللعاب يحتوى على مواد مختلفة تتفاعل مع الغذاء لهضمه ولتسهيل عمل المعدة فى هضمه.

فالماديون يقولون: إنّ الجهاز الهضمى والمخ يشبهان فى عملهما النشاطات الفيزيائية والكيميائية للغدد اللعابية، (التى تسمّى النشاطات (الفيزياكيميائية) التى نسميها «مظاهر الروح» أو «الروح».

فهولاء يقولون: عندما يمارس الإنسان عملية التفكير تشع من المخ مجموعة خاصة من الأمواج الالكترونية، وهذه الأمواج فى عصرنا الحاضر تُسجل على شريط من الورق بواسطة أجهزة معيَّنة متوفرة فى المستشفيات وبالأخص فى المصحات المعدّة لعلاج الأمراض النفسية، ويواكب الأطباء مطالعة هذه الأمواج المسجلة على الشريط لتشخيص الأمراض النفسية التى يعانى منها المرضى لغرض علاجها، وهذه هى النشاطات الفيزيائية للمخ.

وبالإضافة إلى هذه النشاطات تحدث فى خلايا المخ تفاعلات كيميائية عند ممارسة التفكير أو عند حدوث الانفعالات النفسية.

وبناءً على هذا ليست الروح والمظاهر الروحية إلّاتلك النشاطات الفيزيائية أو تلك التغييرات الكيميائية لا غير.

نفحات القرآن، ج۵، ص: ۲۲۹

وتوصل هؤلاء من خلال هذا البحث إلى النتائج الآتية:

۱- كما أنّ أفعال الغدد اللعابية وآثارها المختلفة لا توجد قبل وجود البدن وتفنى بفنائه، فكذلك الحال فى الروح التى توجد مع وجود المخ والجهاز العصبى وتفنى بفنائهما!.

۲- إنّ الروح من مختصات الجسم، فهى مادّية وليس لها بعدٌ ميتافيزيقى.

۳- إنّ الروح تخضع لجميع القوانين التى تتحكم بالجسم.

۴- لا يمكن وجود الروح بصورة مستقله عن الجسم أو أن تستقل عنه.

### ۳- أدلة الماديين على عدم استقلالية الروح

### اشارة

وقد ذكر الماديون عدّة أدلة لإثبات زعمهم بأنّ الروح والفكر وسائر الظواهر الروحية الاخرى إنّما هى امور مادّية: أى أنّها من الخواص الفيزيائية والكيميائية للخلايا العصبية وخلايا المخ، وهى كما يلى:

۱- «نحن نرى بوضوح أنّ مجموعة من الآثار الروحية تعطّل بمجرّد أصابه قسم من المخ أو مجموعة من الخلايا العصبية» «۱».

فمثلًا شوهد عند قطع قسم معين من مخ الطير- كما أثبتت التجربة- أنّ هذا الحيوان لا يموت بل يفقد قسماً كبيراً من معلوماته، فعندما يوضع الغذاء فى فمه فإنّه يبلع الغذاء ويهضمه ولكن عندما توضع الحبوب أمامه فإنّه لا يتناولها ولا يهتم لها ويظل على هذا الحال حتى يموت جوعاً!.

وكذلك الحال عند عطب قسمٍ من خلايا المخ عقب اصابتة بضربة أو مرض معين، والإنسان يفقد قسماً من ذاكرته بفعل هذه الأسباب.

فقد ذكرت احدى الصحف أنّ شاباً معلماً فقد ذاكرته إثر ضربة شديدة اصابت دماغه فى حادثة اصطدام، وأصبح لا يعرف أحداً من أقربائه حتى أنّه لم يعرف امّه واخته! وعندما

---

(۱) البيسكولوجيا، الدكتور أرانى، ص ۲۳.

نفحات القرآن، ج۵، ص: ۲۳۰

أخذوه إلى الدار التى ولد وترعرع فيها لم يُبد أى انفعال وأنكر أن يكون قد رأى أو دخل هذه الدار سابقاً!

فهذه الامور ونظائرها تدل على أنّ هناك علاقة وثيقة بين «عمل خلايا المخ» وبين «الظواهر الروحيّة».

۲- «عندما يفكّر الإنسان تحدث تغييرات مادّية على سطح الدماغ، حيث يفرز فسفوراً أكثر ممّا يفرزه فى حالة عدم التفكير، ويحتاج بذلك إلى غذاء أكثر، وعندما ينام الإنسان ولا يمارس الذهن عملية التفكير فإنّه يحتاج إلى غذاء أقل، وهذا دليل واضح على أنّ آثار الفكر مادّية» «۱».

۳- أثبتت التجارب أنّ وزن المخ عند المفكرين غالباً ما يكون أكثر من الحدّ المتوسط لوزن المخ عند الآخرين (الحد المتوسط لوزن المخ عند الرجال ۱۴۰۰ غرام تقريباً، والحدّ المتوسط عند النساء أقل من ذلك) وهذا دليل آخر على كون الروح مادّية.

۴- إذا كان التفكير والظواهر الروحية دليلًا على وجود روح مستقلة فهذا يعنى أنّ الحيوانات لها روح مستقلة كذلك، لأنّ الحيوانات لها إدراك محدود أيضاً!.

وخلاصة القول فى رأى هؤلاء إنّنا لا نشعر بوجود روح مستقلة لدينا، بالإضافة إلى أنّ علم النفس الحديث قد أكّد على صحة هذهِ النظرية أيضاً.

ومن خلال هذه الأدلة يخرجون بالنتيجة الآتية: إنّ تطور علم الفسلجة المستمر توصل إلى وجود علاقة وثيقة وجليّة بين الظواهر الروحيّة وخلايا المخ.

### النقاط المبهمة فى هذا الاستدلال:

إنّ الخطأ الفضيع الذى ابتلىَ به الماديون كان نتيجة لاستنادهم على هذا النمط من الأدلة وخلطهم بين «آلة الفعل» وبين «فاعل الفعل».

---

(۱) بشر از نظر مادّى، الدكتور أرانى، ص ۲.

نفحات القرآن، ج۵، ص: ۲۳۱

ولبيان كيفية خلطهم بين الآلة والفاعل والتباس الأمر عليهم نضرب مثالًا لتقريب هذا الموضوع إلى الأذهان.

لقد طرأ تطور كبير على علم الفلك منذ عصر «غاليلو» فقد تمكن العالم الايطالى غاليلو بمساعدة رجل يمتهن صناعة النظارات من صنع تلسكوب صغير وقد غمر الفرح كيانه إثر هذا الانجاز، وعند المساء كان غاليلو يشاهد النجوم بواسطة ذلك التلسكوب الصغير فظهرت أمامه أعاجيب لم يرها أحدٌ من قبل، وعندما علم غاليلو بأنّه توصل إلى كشف سر عظيم، اعتبرَ أنّ فى ذلك اليوم حصل الإنسان على مفتاح كشف أسرار العالم العلوى!.

فالإنسان قبل اكتشاف التلسكوب كان كالفراشة العاجزة عن رؤية ما حولها باستثناء أغصان معدودة من أغصان الأشجار المحيطة بها، ولكنّه عندما أمسك بالتلسكوب بيده صار بإمكانه مشاهدة عالم كبير من الأشجار الموجودة حوله فى غابة الكون العظيم.

ثم استمرَّ هذا الاكتشاف والتكامل حتى صنعت التلسكوبات الفلكية العظيمة التى بلغ قطر عدساتها عدّة أمتار، وقد نصبت هذه التلسكوبات على مناطق مرتفعة بعيداً عن الهواء الملوث.

واستطاعت هذه التلسكوبات التى تبلغ من الضخامة أحياناً بحجم بناء متعدد الطوابق أن تيسّر للإنسان مشاهدة حقائق كثيرة فى العالم العلوى لم يسبق له أنّ شاهد منها بعينه المجردة بنسبة واحد من الألف.

هذا ما توصل إليه الإنسان حتى عصرنا الحاضر، فإذا تطورت التقنية وتمكن الإنسان من صنع تلسكوبات يبلغ قطر عدساتها مائة متر واصبحت ملحقاتها تملأ رقعة من الأرض بسعة مدينة كاملة فإلى أى مدى سيصل الإنسان فى اكتشافاته فى مثل هذه الحالة؟!

وهنا يتبادر هذا السؤال إلى الاذهان: إذا ما فقدنا هذه التلسكوبات فإننا سوف نفقد قسماً كبيراً من معلوماتنا ومشاهداتنا الفلكية قطعاً، ولكن يا ترى من المشاهد الحقيقى؟

فهل هو التلسكوب أم الإنسان؟! وهل يعتبر التلسكوب هو الناظر الحقيقى أم هو آلة ننظر نحن من خلالها؟!

نفحات القرآن، ج۵، ص: ۲۳۲

فأمّا بالنسبة للمخ فإنّه لا أحد ينكر أنّ التفكر والامور الاخرى لا تحصل من دون توفّر الخلايا العصبية، ولكن السؤال هو: هل المخ آلة تستخدمها الروح لانجاز فعاليتها أم هو نفس الروح؟!

وخلاصة الكلام: إنّ جميع الأدلة التى جاء بها الماديون هنا لا تثبت إلّاشيئاً واحداً وهو وجود علاقة بين خلايا المخ وإدراكات الإنسان لا غير، ولكنّها لا تثبت لنا بأنّ المخ هو الفاعل الرئيسى للإدراك، (فتأمّل).

ومن هنا يتضح أنّ السبب فى عدم إدراك الجسد الميت هو انقطاع اتصاله بالروح، وليس السبب فناء الروح، كما هو الحال بالضبط بالنسبة للباخرة أو الطائرة التى تفقد اتصالها اللاسلكى بالقاعدة، فالباخرة لم تفن ولم يفن الرّبان والطاقم أيضاً ولكنهم مع ذلك غير قادرين على الاتصال بالساحل وكل مافى الأمر أنّهم فقدوا وسيلة الاتصال بالقاعدة.

### ۴- أدلة أنصار نظرية استقلال الروح

### أ) خصوصية كشف الواقع (اى الاطلاع على العالم الخارجى)

#### اشارة

إنّ أوّل سؤال يمكن أن يطرح على الماديين هو: إذا كانت خواص المخ «الفيزياكيميائية» نفس الأفكار والظواهر الروحية فينبغى أن لا يكون هناك «فرق مهم» بين عمل المخ وبين عمل المعدة أو الكلية أو الكبد مثلًا، لأنّ عمل المعدة «مثلًا» يتمثل فى مجموعة من

النشاطات الفيزيائية والكيميائية، فالمعدة بواسطة حركاتها الخاصة وضخ الافرازات الحامضية تهضم الغذاء وتعدّه لعملية الامتصاص، وهكذا الحال فى واجبات اللعاب الذى تقدم ذكره فهى مركزٌ من أعمال فيزيائية واخرى كيميائية، لكننا نرى بالوجدان بأنّ أعمال الروح تختلف عن جميع هذه الأعمال.

فجميع أعمال أجهزة الجسم لها شبه ببعضها البعض إلّا «المخ» فهو لا يشبه فى أفعاله أىّ واحدة من تلك الأجهزة لأنّ أجهزة الجسم ترتبط بالامور الداخلية للجسم بينما ترتبط الظواهر الروحية بالخارج أى أنّها تخبرنا عمّا هو خارج وجودنا.

نفحات القرآن، ج۵، ص: ۲۳۳

**ولتوضيح ذلک يجب الالتفات إلى النقاط الآتية:**

اولًا: هل يوجد هناك عالمٌ وواقعٌ خارج وجودنا أم لا؟

بالطبع إنّ وجود العالم الخارجى يُعد من الامور البديهية، أمّا المثاليون فقد انكروا وجود عالمٍ خارجٍ عن وجودنا وقالوا إنّ كل ما نراه إنّما هو «نحن» و «تصوراتنا»، ولا يوجد هناک عالم خارجى، والعالم الخارجى ماهو إلّاصور خاليةٍ من المحتوى تشبه الصور التى نراها فى المنام عند الرؤيا فليس وجود العالم الخارجى إلّاكوجود تلک الصور لا غير، وقد اخطأ هؤلاء فى اعتقادهم هذا، وافضل دليل على ذلک إيمانهم بالواقع أثناء عملهم، فكل ما يحملونه من نظريات مثالية ينسونها بمجرّد أن يخرجوا من مكتبة أفكارهم ويضعوا اقدامهم فى شوارع وأزقّة محيطهم الاجتماعى المعتاد، ويتعاملون مع كل شيء على أساس الواقعية!.

ثانياً: هل للإنسان علمٌ بالعالم الخارجى أم لا؟

والجواب عن هذا السؤال بالإيجاب أيضاً، وذلک لأنّنا نمتلک تصوّراتٍ كثيرة عن عالم الخارج ولدينا معلومات جمّة عن الموجودات المحيطة بنا أو عن المناطق النائية.

وهنا نواجه هذا السؤال وهو: هل تحضر الموجودات الخارجية بأعيانها فى ذواتنا؟

وبالطبع فإنّ الجواب بالنفى، فالذى يحضر فى ذواتنا صور تلک الموجودات، ونصل إلى إدراک الحقائق الخارجية بالاستفادة من خصوصية «معادلات كشف الواقع» الموجودة لدى الإنسان.

إنّ معادلات كشف الواقع، لايمكن أن تكون مجرد خواص فيزياكيميائية بالنسبة للمخ، وحتى لوكانت هذه الخواص نابعة حقاً من تأثرنا بالعالم الخارجى وناتجة عنه، إلّاأنّ تأثيرها يشبه تأثير الغذاء على معدة الإنسان، فهل تتمكن المعدة من الحصول على معلومات عن الغذاء بواسطة ممارستها الأفعال الفيزيائية والكيميائية عليه؟ إذن كيف يتمكن ذهننا من إدراک العالمِ الخارجى؟!

وبتعبير آخر: إنّ العلم بالموجوداتِ الخارجية والعينية لا يحصل إلّابواسطة حلول هذه

نفحات القرآن، ج۵، ص: ۲۳۴

الموجودات فى وعاءٍ خاص، مع أنّ خلايا المخ لا يمكنها أن تكون وعاءً ملائماً لهذه الموجودات بل تتأثر بها خلايا المخ فقط، والتأثر هذا يشبه تأثر سائر أجهزة الجسم بالمؤثرات الخارجية، ونحن ندرک ذلک بوضوح.

فإذا كان علمنا بالموجودات الخارجية يحصل بمجرد التأثّر بأىّ نحوٍ كان فهذا يستلزم حصول الإنسان على العلم عن طريق معدته أو لسانه أيضاً، وهذا غير ممكنٍ بالبداهة.

فالخلاصة: إنّ الوضع الاستثنائى لإدراكاتنا يدل على أنّ هناک حقيقة خفيّة لا تخضع مطلقاً للقوانين الفيزيائية والكيميائية أى يجب علينا أن نرضخ أمام هذه الحقيقة وهى إنّ هناک جوهراً آخر فى ذواتنا وهو ما نطلق عليه اسم الروح يكون السبب فى إدراک الحقائق (فتأمل).

## ب) وحدة شخصية الإنسان

### اشارة

الدليل الآخر الذى يمكن التعويل عليه فى مسألة استقلال الروح مسألة اتحاد شخصية الإنسان طوال عمره.
وتوضيح ذلك: إنّنا لو شككنا فى أىّ شىء فإننا لا نشك فى أننا «موجودون».
و «أنا موجود» ولا أشك أبداً فى وجودى، كما أنّ علمى بوجودى من نوع «العلم الحضورى» لا «العلم الحصولى» أى أننى حاضر لدى نفسى ولم أنفصل عنها.
على أيّة حال فإنّ علمنا بأنفسنا من أوضح المعلومات لدينا، وهذا الأمر لا يحتاج إلى إقامة البرهان، أمّا بالنسبة للاستدلال المعروف الذى أتى به الفيلسوف الفرنسى الشهير ديكارت لإثبات وجوده وهو: «أنا افكر إذن أنا موجود» فهو استدلال غير صحيح وغير مجدى، لأنّه اعترف بوجود نفسه مرّتين قبل أن يثبت وجودها! فمرّة عندما قال «أنا» واخرى عندما قال «افكر»، هذا من ناحية.
ومن ناحية اخرى فإنّ ال «أنا» لها وحدة واحدة لا تتبدل من بداية العمر حتى نهايته، ف «أنا
نفحات القرآن، ج۵، ص: ۲۳۵
اليوم» عين «أنا الأمس» ونفس «أنا قبل عشرين عاماً»، «فأنا منذ الطفولة حتى اليوم لم أتغير» فأنا كنتُ ذلك الشخص وسأبقى ذلك الشخص حتى نهاية المطاف، ومن البديهى أننى تعلمت واصبحت مثقفاً وتكاملت وسوف أتكامل لكننى لم أتحول إلى شخص آخر، لذا فإنّ جميع الناس يعتبروننى شخصاً واحداً من البداية حتى النهاية فأنا لا أحمل إلّااسماً واحداً وهوية شخصية واحدة.
فلنرى الآن ما هذا الموجود الواحد الذى يرافقنا طيلة حياتنا، فهل هو خلايا جسمنا أم مجموع خلايا المخ وفعالياتها؟ لا شىء من هذا طبعاً، لأنّ هذه الأشياء تتبدّل عدّة مرات خلال فترة حياتنا ففى كل سبعِ سنين تقريباً تتبدّل جميع خلايا البدن، لأنّنا نعلم بأنّ الملايين من الخلايا تموت فى كل يوم وليلة وتحلّ محلها ملايين اخرى كما هو الحال فى البناء الذى يستبدل حجراً بالتدريج ويوضع مكانه حجر جديد، فهذا البناء سوف يتبدّل كليّاً بعد فترة من الزمن حتى لوكان ذلك التغيير خافياً على الناس أو كالمسبح الكبير الذى يدخله الماء من أحد جهاته بصورة بطيئة ويخرج من الجهة الاخرى بمقدار مايدخل فيه من ماء جديد، فمن البديهى أن يتبدّل جميع ماء المسبح بعد مدّة من الزمان، حتى لو غفل الناس عن ذلك التغيير ولم يدركوه.
وبصورة عامة فإنّ كل موجود لا يحافظ على بقائه إلّابواسطة الطعام ويستهلك ذلك الطعام بصورة تدريجية فهو يحتاج إلى «الترميم» و «التبديل».
بناءً على هذا فالإنسان البالغ من العمر سبعين عاماً تكون جميع خلايا جسمه قد تبدّلت مايقارب العشر مرات، لذا فإننا لو اعتبرنا الإنسان ذلك الجسم والمخ والجهاز العصبى والخواص الفيزياكيميائية فإنّ «أنا» ذلك الشخص البالغ من العمر سبعين عاماً قد تبدلت عشر مرات وأنّنى غير ذلك الشخص السابق، مع أنّ هذا الكلام مرفوض بالوجدان.
ومن هنا يتضح أنّ هناك حقيقة واحدة ثابتة فى جميع مراحل حياة الإنسان، وهذه الحقيقة غير تلك الأجزاء الماديّة وليست متغيرة وهى التى تمثّل أساس وجودنا وتعتبر العامل الرئيسى فى إيجاد وحدة الشخصية.
نفحات القرآن، ج۵، ص: ۲۳۶

### خطأ ينبغى اجتنابه:

يتصور البعض أنّ خلايا المخ لا تتبدّل أبداً، ويقولون: إننا قرأنا فى كتب الفسلجة أنّ عدد خلايا المخ لا يتبدّل من بداية العمر وحتى نهايته، أى أنّ عددها لا يزيد ولا ينقص أبداً، وكل مافى الأمر أنّها تنمو ويكبر حجمها لكنّها لا تتكاثر، لذا فإنّها لو اصيبت بعطب فلن

ترمم. بناءً على هذا فنحن نمتلك شيئاً ثابتاً هو مجموع خلايا المخ، وهذه الخلايا هي التي تحفظ لنا وحدة الشخصية.
إلّا أنّ هذا التصور يُعتبر خطأً فادحاً، لأنّ هؤلاء خلطوا بين أمرين، فما توصل إليه العلم الحديث هو إنّ عدد خلايا المخ، ثابت من بداية الحياة حتى نهايتها فهو لا يزيد ولا ينقص، لا أنّ أجزاء هذه الخلايا لا تتبدّل، لأننا قلنا إنّ خلايا البدن تتغذى باستمرار وتفقد الأجزاء القديمة وتحل محلها أجزاء جديدة دائماً، كما هو الحال في المسبح الذي يدخله الماء من أحد جهاته بالتدريج ويخرج من الجهة الاخرى وتتبدّل بعد فترة من الزمان جميع محتوياته على الرغم من ثبات مقدار كميّة الماء في المسبح، بناءً على هذا فإنّ خلايا المخ تتبدّل أيضاً «۱».

## ج) عدم مطابقة الكبير للصغير

### اشارة

تصوروا أننا نجلس بالقرب من بحرٍ جميل تطفو على أمواجه عدد من القوارب الصغيرة وتعوم فيه باخرة عظيمة والشمس تغرب من أحد جوانبه والقمر يطلع من الجانب الآخر وبعض الطيور المائية في حالة ذهاب وإياب إلى ماء هذا البحر، وبالقرب من البحر جبل شامخ ذو قمةٍ سامقة.
وهنا نغلق أعيننا لعدّة لحظات ونتخيّل كل ما رأيناه في أذهاننا من الجبل العظيم والبحر

---

(۱) أتى في كتب علم وظائف الأعضاء هذه المسألة أيضاً، يُراجَع على سبيل المثال كتاب الهورمونات، ص ۱۱، وكتاب علم وظائف اعضاء الحيوان، ص ۳۲ تأليف الدكتور محمود بهزاد وزملاؤه.

نفحات القرآن، ج‌۵، ص: ۲۳۷

الوسيع والباخرة الكبيرة، فكل هذه الصور تتجسد في أذهاننا وكأنّ هناك لوحة كبيرة رُسمت في أذهاننا أو في أعماق أرواحنا.
وهناك سؤال يطرح نفسه وهو: أين تستقر هذه الصور الكبيرة؟ فهل تتمكن خلايا الدماغ البالغة في الصغر أن تحتوي هذه الصور العملاقة؟ كلا- طبعاً، اذن يجب أن يكون هناك قسم آخر من وجودنا لا يخضع لقوانين المادّة يبلغ من السعة مبلغاً يجعله يتمكّن من احتواء جميع هذه الصور.
هل يتمكن الإنسان من تشييد بناءٍ تبلغ مساحته ۵۰۰ متر في أرض مساحتها عدّة أمتار؟! كلّا طبعاً، لأنّ الموجود الكبير لايمكنه أن ينطبق على الموجود الصغير مع حفظ حجمه الكبير، لأنّ من مستلزمات المطابقة إمّا أن يكون الظرف والمظروف متساويين في الحجم وإمّا أن ينطبق الموجود الكبير على الصغير في حالة صنع نموذجٍ مصغرٍ منه.
ومهما يكن من شيء يبقى هذا السؤال بلا جواب وهو كيف نتمكن من استيعاب صور كبيرة جدّاً في خلايا أدمغتنا الصغيرة؟
فنحن نتمكن من تصور محيط الكرة الأرضية الذي يبلغ طوله أربعين مليون متر ونتمكن من تصور الشمس التي تعادل حجم الأرض بمليون وثلاثمائة ألف مرّة، وهكذا يمكننا أن نتصور المجرّات التي تعادل حجم الشمس بملايين المرات، فمثل هذه الصور لا يمكنها أن تستقر في خلايا الدماغ الصغيرة طبقاً لقانون «عدم مطابقة الجسم الكبير للجسم الصغير»، إذن يجب أن نعترف بوجود شيء غير هذا الجسم يحتوي هذه الصورة الكبيرة.

### تساؤل:

من الممكن أن يقال: إنّ الصور الذهنية تشبه «الميكروفلم» أو «الخرائط الجغرافية» التي يدّون في إحدى زواياها مقياس الرسم الذي

هو عبارة عن أعداد كسرية مثل: ١١٠٠٠٠٠٠ أو ١١٠٠٠٠٠٠٠٠٠ والتى تدل على مقياس نسبة التصغير، فإذا أردنا الحصول على المساحة الواقعية علينا أن نكبر تلك الخارطة بذلك المقياس، وقد شاهدنا أيضاً الكثير من

نفحات القرآن، ج٥، ص: ٢٣٨

صور البواخر العظيمة التى لا يمكن من خلال تلك الصورة أن ندرك حجمها الحقيقى فهم من أجل اظهار حجمها الحقيقى يضعون على متنها إنساناً ثم يلتقطون لها صورة كى نتمكن من خلال مقارنة حجم الإنسان فى الصورة من معرفة حجمها الحقيقى.

فالصور التى نحملها فى أذهاننا صغيرة جدّاً أيضاً وقد صغرت طبقاً لمقاييس معيّنة، فإذا ماكبرنا تلك الصور وفقاً لتلك المقاييس فسنحصل على تلك الصور بحجمها الحقيقى ومن البديهى إنّ هذه الصور الصغيرة تستقر بنحوٍ ما فى خلايا الدماغ، (فتأمل).

الجواب:

نحن نواجه هنا مسألة مهمة هى إنّ الميكروفلم يُكبّر عادةً بواسطة المكبرات ثم يعرض على العارضات، ويمكننا أنْ نتصور الحجم الواقعى فى أذهاننا للخارطة الجغرافية بواسطة إجراء عملية الضرب، وهنا يطرح هذا السؤال: أين تقع هذه العارضة الكبيرة التى يُعرض عليها الميكروفلم الذهنى الذى كُبّر عدّة أضعاف؟ فهل العارضة الكبيرة هى نفس خلايا المخ؟

وبعبارة أوضح: إنّ الموجود الخارجى فى مثال الميكروفلم والخارطة الجغرافية هو الأفلام والخرائط الصغيرة، أمّا الموجود الذهنى منها فهو الصور التى تطابق حجم الموجودات الخارجية لتلك الصور، ومن الطبيعى أن تحتاج تلك الصور المطابقة للواقع إلى مكان مطابق لحجمها، ونحن نعلم بأنّ خلايا الدماغ لا تتمكن من احتواء تلك الصور العظيمة.

وخلاصة الكلام: إننا نتصور تلك الصور فى أذهاننا بحجمها الخارجى وإنّ هذه الصور الكبيرة لايمكنها أن تستقر فى خلايا المخ الصغيرة، إذن فنحن نحتاج إلى مكان مناسب لها لذا فإننا نُدرك أنّ هناك وجوداً حقيقياً غير هذه الخلايا نسمّيه (الروح).

نفحات القرآن، ج٥، ص: ٢٣٩

### د) الظواهر الروحية لا تتلائم مع الكيفيات المادّيّة

الدليل الآخر الذى يمكن أن نثبت من خلاله استقلال الروح وكونها غير مادّية هو: إنّنا نشعر بالوجدان بأنّ الظواهر الروحية وخواص الروح وكيفياتها لا تشبه بأىّ نحو خواص وكيفيات الموجودات المادّية، وذلك لما يلى:

اولًا: إنّ الموجودات المادّية تخضع لقيد «الزمان» وتمتاز بالتدرج.

ثانياً: تتلاشى بمرور الزمان.

ثالثاً: قابلة للتحلل إلى أجزاء متعددة.

أمّا الظواهر الذهنية فلا تتصف بهذه الخصوصيات والآثار، فالمناظر التى انطبعت فى ذهننا فى مرحلة الطفولة مثلًا لا تتلاشى ولا تبلى بمرور الزمان وتحافظ على كيفيتها طول هذه المدّة، على الرغم من تلاشى خلايا المخ إلّاأنّ صورة البيت الذى انطبع فى الذهن قبل عشرين سنة لا تفنى وتبقى تحافظ على نوعٍ من الثبات الذى هو من خصوصيات عالم ما وراء الطبيعة.

إنّ روح الإنسان تملك قوّة ابداع عجيبةً فى مجال خلق الصور، ومن دون أى تأمّل يمكنها أن تخلق أىّ صورة شاءت، كخلق صور الكواكب السيّارة والمجّرات أو صور الموجودات الأرضية كالبحار والجبال وأمثالها، ولا تتصف الموجودات المادّيّة بشىء من هذا القبيل، بل يعتبر هذا دليلًا على أنّها موجود غير مادى.

وبالإضافة إلى هذا فإننا نعلم مثلًا بأنّ ٢+ ٢/ ٤ وهذا بديهى، ونتمكن أيضاً من تحليل طرفى المعادلة أى أن نحلل العدد اثنين أو العدد أربعة، ولكن لا يمكننا أن نحلل هذه «المساواة» أى أن نقول: إنّ المساواة تنقسم إلى قسمين يختلف أحدهما عن الآخر، لأنّ التساوى

عبارة عن مفهوم وهو غير قابل للتحليل والتجزئة، فهو إمّا أن يكون موجوداً وإمّا أن لا يكون موجوداً ولكن لا يمكن تقسيمه أبداً.
فالمفهوم لا- يقبل القسمة ومن أجل هذا لايمكن أن يكون مادياً، لأنّه لو كان مادياً لقبل الانقسام، ولهذا السبب أيضاً لا يمكن أن تكون الروح مادية لأنّها تعتبر الظرف الذى يحوى هذه المفاهيم غير المادية، إذن فالروح اسمى من المادة، (فتأمل) «۱».

(۱) راجع تفسير الأمثل، الآية ۸۵ من سورة الاسراء.

نفحات القرآن، ج۵، ص: ۲۴۰

### ۵- هل النفس مجرّدة؟

هل الروح مستقلة ولا غير؟ وهل يمكنها البقاء بعد موت الجسم وفنائه؟ أم لها حالة التجرّد عن المادة والاستقلال معاً؟ أى أنّها تفتقد خصوصيات المادة التى هى عبارة عن تقيدها بالزمان والمكان والتركيب.

لقد ذهب جمع من الفلاسفة إلى أنّ الروح مجرّدة ولا معنى لاحتوائها على كيفيات مادية، واستدلوا على ذلك ببعض الأدلة السابقة التى اقيمت على فرضية استقلال الروح.

والبعض الآخر يرى أنّ الروح مادّية لكنها مكوّنه من مادة شفافة وبتعبير آخر إنّهم يرون أنّ الروح «نصف مجرّدة» أى مجرّدة عن المادة الكثيفة والعناصر المادية.

فنحن نعلم مثلًا بأنّ النور جسم، ولا- فرق فى ذلك فى كونه على شكل أمواج أو ذرات «فوتونية»، ولكن ممّا لا شك فيه هو عدم خضوعه للقوانين التى تخضع لها الأجسام العادية، لذا فهو يخترق الأجسام الشفافة ولا فرق بالنسبة له بين الفراغ وغيره.

فهل أنّ روح الإنسان شبيهة بهذا حقاً؟ أم هى مجرّدة تماماً وأرقى من المادة بشقيها الكثيف والشفاف.

وبما أنّ إثبات مسألة تجرّد الروح أو إثبات كونها مادة شفافة هى من الأبواب غير المجدية فى بحوث المعاد وبما أنّ المهم بالنسبة لنا هو استقلال الروح وبقاؤها بعد فناء الجسم، فإننا نعرض عن ذكر مزيد من التفاصيل فى هذا المجال ونوكل ذلك لعلم الفلسفة، وكل ما يمكن أن نقوله هنا هو: إنّ الروح مستقلة سواء كانت مجرّدة أم كانت جسماً مادياً شفافاً وهى تبقى بعد فناء الجسم المؤلف من عناصر مادّية وتحافظ على حيويتها، وهذه هى الخطوة الاولى نحو عالم ما بعد الموت، (فتأمّل).

نفحات القرآن، ج۵، ص: ۲۴۱

## المعاد الجسمانى

### اشارة

نفحات القرآن، ج۵، ص: ۲۴۳

المعاد الجسمانى

### تمهيد:

هل يختص المعاد بالجانب الروحى فقط؟ أى هل ينفصل الإنسان بعد موته عن جسمه إلى الابد فيتفسخ جسمه ويفنى ولا يتعلق خلوده فى الدار الآخرة إلّابالروح؟ أم تتحقق مسألة المعاد بكلا الجانبين فيعاد الجسم والروح معاً ويتحدان مرة اخرى هناك؟ أم لا يعاد إلّا الجسم لوحده لأنّ الروح ماهى إلّاآثار الجسم ومتعلقاته؟

أم يعاد الجسم والروح معاً، ولكن الجسم الذى يُعاد هناك هو غير الجسم المادّى المؤلف من العناصر المادية بل هو جسم شفاف أرقى من الجسم الموجود فى الدنيا فيكون المعاد ذا حيثية «روحية» وحيثية «نصف جسمية»؟

إنّ لكل واحدة من هذه النظريات الأربع المذكورة أنصاراً كثيرين، لكنّ ما يستفاد من القرآن والذى دلت عليه مئاتُ الآيات هو أنّ المعاد يتمّ بالروح والجسم معاً (وبهذا الجسم المادى) وبما أنّ اعادة الروح من الامور البديهية لدى العلماء والفلاسفه فقد عبّروا عن المعاد ب «المعاد الجسمانى» مع أنّ مرادهم من ذلك هو «المعاد الجسمانى والروحى».

بعد هذه الإشارة المختصرة نعود إلى القرآن المجيد لنمعن خاشعين فى الآيات التى تحدثت عن المعاد الجسمانى:

ونظراً لكثرة هذه الآيات فقد قسمناها إلى «تسع مجموعات» واخترنا من كل مجموعة عدّة نماذج وهى كما يلى:

نفحات القرآن، ج۵، ص: ۲۴۴

## المجموعة الاولى

### اشارة

وهى الآيات التى تجيب على اعتراضات منكرى المعاد الذين كانوا كثيراً ما يسألون النبى الأكرم صلى الله عليه و آله: كيف نحيى ثانيةً بعد أن نصبح تراباً وعظاماً رميمة؟ فتقول لهم هذه الآيات إنّ اللَّه قادرٌ على أن يحيى العظام المتفسخة وأن يُلبسها ثوب الحياة (أجل إنّه يحيى هذه الأجسام المؤلفة من العناصر المادية)، ومن هذه الآيات مايلى:

۱- «وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِىَ خَلْقَهُ قَالَ مَنْ يُحْىِ العِظَامَ وَهِىَ رَمِيمٌ* قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِى انْشَأَهَا اوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ». (يس/ ۷۸- ۷۹)

۲- «ايَحْسَبُ الْانْسَانُ الَّنْ نَّجْمَعَ عِظَامَهُ* بَلَى قَادِرِينَ عَلَى انْ نُّسَوِّىَ بَنَانَهُ».

(القيامة/ ۳- ۴)

۳- «ايَعِدُكُمْ انَّكُمْ اذَا مِتُّمْ وَكُنْتُمْ تُرَاباً وَعِظَاماً انَّكُمْ مُّخْرَجُوْنَ* هَيْهَاتَ هَيْهَاتَ لِمَا تُوْعَدُونَ». (المؤمنون/ ۳۵- ۳۶)

۴- «وَكَانُوا يَقولُونَ ءَاذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَاباً وَعِظَاماً ءَانَّا لَمَبْعُوثُونَ* اوَ آبَاؤُنَا الأَوَّلُونَ* قُلْ إنَّ الْاوَّلِينَ وَالأَخِرِينَ* لَمَجْمُوعُونَ الَى مِيقَاتِ يَومٍ مَّعْلُومٍ». (الواقعة/ ۴۷- ۵۰)

۵- «ذَلِكَ جَزَاؤُهُمْ بِانَّهُمْ كَفَرُوا بِآيَاتِنَا وَقَالُوا ءَاذَا كُنَّا عِظَاماً وَرُفَاتاً ءَانَّا لَمَبعُوثُونَ خَلْقاً جَدِيْداً» «۱». (الاسراء/ ۹۸)

### جمع الآيات وتفسيرها

#### كيف تحيى العظام البالية؟

بما أننا تعرضنا لتفسير الآيات المذكورة وبحثناها فى المواضيع السابقة فسوف نكتفى بالتركيز على بحث أجزاء منها تتعلق ببحثنا هذا:

---

(۱) وهناك آيات متعددة اخرى أيضاً وردت فى القرآن المجيد ولكن بسبب مشاكلتها فى المضمون مع الآيات المذكورة اكتفينا بذكر الآيات أعلاه.

نفحات القرآن، ج۵، ص: ۲۴۵

فالآية الاولى تجيب بصراحة عن هذا السؤال وتقول: «يُحْيِيهَا الَّذِى انْشَأَهَا اوَّلَ مَرَّةٍ».

وجملة «يُحيِيها» تدل على احياء الأجسام بكل وضوح، ولو لم يكن فى القرآن الكريم إلّا هذا التعبير لكان وافياً فى إثبات هذه المسألة،

مع أنّنا ذكرنا آنفاً بأنّ هناك مئآت الآيات التى وردت للدلالة على إعادة الأجسام.

وممّا تجدر الإشارة إليه هو أنّ الآية المذكورة تؤكّد على احياء نفس هذا «الجسم المؤلف من العناصر المادية»، لا جسم آخر مشابه له أو جسم برزخى ونصف مادى.

والآية الثانية ابطلت ادّعاء اولئك الذين يرون أنّ اللَّه لا- يعيد عظام الإنسان فقالت بكل وضوح: إننا لا نعجز عن إعادة الإنسان مرّة اخرى «بَلَى قَادِرِينَ عَلَى انْ نُّسَوِّىَ بَنَانَهُ».

ووضوح هذه الآية فى الدلالة على المعاد الجسمانى ممّا لا يشوبُهُ أىّ ريب.

وأشارت الآية الثالثة إلى مجادلة قوم «۱» ثمود لنبيهم صالح، إذ قالوا فى محاورتهم وهم يقرّعون نبيّهم: «ايَعِدُكُمْ أَنَّكُمْ اذَا مِتُّمْ وَكُنْتُمْ تُرَاباً وَعِظَاماً انَّكُمْ مُّخْرَجُوْنَ* هَيْهَاتَ هَيْهَاتَ لِمَا تُوْعَدُونَ».

فهذه التعبيرات تشير إلى أنّ نبى هؤلاء القوم وهو صالح أو هود عليه السلام كان يعدهم بأنّ أجسامهم سوف تعاد يوم القيامة، إلّاأنّهم عارضوه بشدّة وأخيراً ابتلاهم اللَّه بعذاب شديد واهلكهم عن آخرهم بسبب تكذيبهم (كما دل على ذلك ما ورد فى هذه الآيات من سورة الحج).

وفى الآية الرابعة كان الحديث عن «أصحاب الشمال» وقد كرر القرآن ذكر هذا المعنى فقال: «وَكَانُوا يَقُولُونَ ءَاذَا مِتْنا وَكُنَّا تُرَاباً وَعِظَاماً ءَانَّا لَمَبعُوثُونَ».

وهذا الذم العنيف فى الواقع جاء دفاعاً عن هذه الحقيقة وهى أنّ العظام التى أصبحت تراباً سوف تلبس ثوب الحياة ثانية.

والآية الخامسة والاخيرة تحدثت عن جميع الكفار أيضاً، قال تعالى: «ذَلِكَ جَزَاؤُهُمْ

---

(۱) لم يصرّح فى الآية المذكورة باسم القوم أو اسم نبيهم، فالبعض يرى أنّ هؤلاء هم قوم ثمود (قوم صالح) والبعض الآخر يرى أنّهم قوم عاد (قوم هود)، ولكن بالالتفات إلى نوع العذاب (وهو الصيحة) الذى ذكرت فى ذيل الآية فإنّه من المناسب أن يكونوا هم قوم ثمود.

نفحات القرآن، ج‏۵، ص: ۲۴۶

بِانَّهُمْ كَفَرُوا بِآيَاتِنَا وَقَالُوا ءَاذَا كُنَّا عِظَاماً وَرُفَاتاً ءَانَّا لَمَبعُوثُونَ خَلْقاً جَدِيداً».

ويستفاد من هذه الآية بالإضافة إلى ماتقدم بأنّ منكرى المعاد الجسمانى هم من أصحاب النار، وهذا دليل آخر لإثبات المدّعى ومن خلال الآيات المذكورة نصل بسهولة إلى هذه النتيجة وهى إن الجسم بعد فنائه يعود إلى الحياة مرّة اخرى

## المجموعة الثانية:

### اشارة

وهذه المجموعة هى عبارة عن الآيات التى صرّحت بخروج البشر من القبور يوم القيامة، فالقبور هى محل رقود الأجسام وهذا واضح من دون الحاجة إلى دليل، وهذا التعبير دليل واضح آخر على المعاد الجسمانى.

وقد ورد هذا النوع من الآيات فى القرآن بكثرة أيضاً إلّاأننا نكتفى بذكر نماذج منها:

۱- «وَانَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ لَارَيْبَ فِيهَا وَانَّ اللَّهَ يَبْعَثُ مَنْ فِى القُبُورِ» «۱». (الحج/ ۷)

۲- «وَنُفِخَ فِى الصُّورِ فَاذَا هُمْ مِّنَ الْأَجْدَاثِ إِلَى رَبِّهِمْ يَنْسِلُونَ» «۲». (يس/ ۵۱)

۳- «قَالُوا يَا وَيْلَنَا مَنْ بَعَثَنَا مِنْ مَّرْقَدِنَا هذَا مَا وَعَدَ الرَّحْمنُ وَصَدَقَ الْمُرْسَلُونَ».

(يس/ ۵۲)

## جمع الآيات وتفسيرها

### كيف يُبعث من فى القبور؟

طُرحت الآيات المذكورة أعلاه تحت ثلاثة عناوين (الخروج من القبور والأجداث

---

(۱) جاء نفس المضمون فى سورة الانفطار الآية ۴ والعاديات الآية ۹.

(۲) ورد هذا المعنى فى آيتين أُخريين من القرآن الكريم (المعارج ۴۳؛ والقمر ۷).

نفحات القرآن، ج۵، ص: ۲۴۷

والمرقد) وإذا شفعناها بالآيات المشابهة لأصبح عددها سبع آيات، وكل هذه الآيات تبحث بوضوح فى مسألة المعاد الجسمانى.

ففى الآية الاولى قال تعالى «وَانَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ لَارَيْبَ فِيهَا وَانَّ اللَّهَ يَبْعَثُ مَنْ فِي الْقُبُورِ».

وممّا لا شك فيه هو أنّ ما يَرْقُد فى القبور هى أجسام البشر، وهذا التعبير يشير إلى أنّ ما يُحيى هو ذلك الجسم المادى.

وورد التعبير ب «الأجداث» فى الآية الثانية بدلًا من القبور، و «الأجداث» جمع «جَدَث» (على وزن قَفَصْ) بمعنى القبر، قال بعض اللغويين إن «جدث» لغة «أهل تهامة» أمّا «أهل نجد» فإنّهم يستعملون كلمة «جدف» بدلًا عن «جدث».

على أيّة حال فإنّ هذا التعبير لا- يدلّ إلّاعلى المعاد الجسمانى، وذلك لأنّ القبور تضم فى باطنها أجساد البشر أو عظامهم البالية وترابهم، وخروج الناس من القبور يوم القيامة هو دليلٌ حيّ على احياء تلك الأجساد.

وفى الآية الثالثة نواجه تعبيراً ثالثاً هو مسألة بعث الأموات من «مرقدهم»، ويتمّ ذلك بهذا النحو وهو إنّ مجموعة من الكفار عندما يبعثون من مرقدهم ويرون أنّهم عادوا للحياة وقامت القيامة يضجون بالصياح والعويل ويقولون: «يَا وَيْلَنَا مَنْ بَعَثَنَا مِنْ مَّرْقَدِنَا هذَا». و «مرقد» من مادّة «رقود» و «رقاد» بمعنى النوم ليلًا أو نهاراً، ويرى بعض اللغويين أنّه يختص بالنوم ليلًا، وقيل أيضاً إنّه فى الأصل بمعنى الاستقرار والنوم عند نزول البلايا المعضلات (أى النوم المُسكِّن) لذا استُخدم فى المكث عند معالجة المعضلات أيضاً.

نفحات القرآن، ج۵، ص: ۲۴۸

بناءً على هذا ف «المرقد» بمعنى المقر ومحل الاستراحة ومحل النوم، واطلق على القبر من أجل أنّ الميت يتحرر من الابتلاءات النازلة فى هذه الدنيا وكأنّه يغرق فى القبر فى نومٍ مُسكّن ومُهدىء «۱».

واستعمال هذا التعبير بشأن القبور لوجود شبه كبير بين النوم والموت، من أجل هذا قالوا النوم أخُ الموت.

وقال البعض: إنّ هدف المنكرين من استعمال هذا التعبير هو أنّهم أرادوا بذلك أن يظهروا شكهم مرّة اخرى ولسان حالهم يقول هل كنّا نياماً فاستيقظنا أم كُنّا أمواتاً فعدنا للحياة؟! ولكن لا يلبثون حتى يجيبوا عن سؤالهم هذا ويعترفوا بالحق قائلين: «هَذا مَا وَعَدَ الرَّحْمنُ وَصَدَقَ الْمُرْسَلُونَ».

فهؤلاء ومن خلال وصفهم اللَّه ب «الرحمن» كأنّهم يريدون التمسك بالرحمة الإلهيّة بالإضافة إلى اعترافهم بخطئهم لعلهم يصلحون ماضيهم الأسود بسلوكهم هذا الطريق.

ومهما يكن من شىء فإنّ هذا التعبير دليل آخر على صحّة المعاد الجسمانى، وذلك لأنّ المعاد إن كان بالروح فإنّ ذكر «المرقد» لا يكون له أىّ معنى

### المجموعة الثالثة:

### اشارة

وهى الآيات التى تتحدث عن خلق الإنسان من التراب وعودته إلى التراب ثانياً وحشره مرّة اخرى منه، مثل:

۱- «مِنْهَا خَلَقْنَاكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً اخْرَى . (طه/ ۵۵)

۲- «وَاللَّهُ انْبَتَكُمْ مِّنَ الْأَرْضِ نَبَاتاً* ثُمَّ يُعِيدُكُمْ فِيهَا وَيُخْرِجُكُمْ اخْراجاً».

(نوح/ ۱۷- ۱۸)

۳- «قَالَ فِيهَا تَحْيَوْنَ وَفِيهَا تَمُوتُونَ وَمِنْهَا تُخْرَجُونَ». (الاعراف/ ۲۵)

---

(۱) مقاييس اللغة؛ وصحاح اللغة؛ والتحقيق فى كلمات القرآن مادة (رقد).

نفحات القرآن، ج۵، ص: ۲۴۹

### جمع الآيات وتفسيرها

### من التراب نخرجكم تارة اخرى

تخللت الآيـة الاولى قصة موسـى وفرعون، لكن الخطاب كان من قبل اللَّه تعالى عندما أشار إلى الأرض فى الآيات السابقة، قال تعالى «مِنْهَا خَلَقْنَاكُمْ وَفِيهَا نُعيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً اخْرَى .

فنحن جميعاً خُلقنا من التراب، إمّا لأننا خلقنا من آدم وآدم من تراب، وإمّا من أجل أنّ جميع الأغذيـة (من نباتات أو حيوانات تتغـذى على النباتـات) التى ينشـأ منها لحمنا وجلـدنا وعظامنا، قـد خُلقت من التراب فمن البـديهى أن نعودَ جميعاً إلى التراب ونُبعث ثانيـةً من التراب، وهـذا دليل واضـح على إثبات المعاد الجسـمانى، وهـذا التعبير، بالإضافـة إلى كونه جواباً لمن يقول بعدم إمكان تحقق المعاد بعـد تحلـل الأجسـام وتحولهـا إلى تراب، وجوابـاً لمن غفلـوا عن كـونهم خلقـوا من الـتراب، فهـو انـذارٌ لجميع الطغـاة والمسـتكبرين المتغطرسـين أمثـال فرعون وأعوانه لاعلامهم بـأنّهم كـانوا فى بدايـة الأمر تراباً وسوف يعودون إلى التراب ويخرجون تارةً اخرى من التراب ويُحضرون فى محكمة العدل الإلهيّة.

إن أدنى تأمّل فى مراحل وجود الإنسان يكفى لتحطيم غروره واحياء روح التواضع والتسليم أمام الحق فى أعماقه.

والآيـة الثانيـة جـاءت على لسـان النبى نوح عليه السـلام حيث شـبّه الإنسان بالنبات الـذى ينبت فى التراب، قال تعالى «وَاللَّهُ انْبَتَكُمْ مِّنَ الأَرْضِ نَبَاتاً* ثُمَّ يُعِيدُكُمْ فِيهَا ويُخْرِجُكُمْ اخْراجاً» «۱».

إنّ استعمال «الإنبات» فى‌مورد الإنسان تعبير لطيف جدّاً، والمراد منه هو لفت الأنظار

---

(۱) تقتضـى القاعدة فى هذه الآيات بوجوب استخدام كلمة «انباتاً» التى‌هى مصدر لفعل «أنبتكم» لكن بعض المفسرين يرى أنّ هناك تقديراً فى الآية على النحو التالى: «أنبتكم من الأرض فنبتكم نباتاً- أو- أنبتكم من الأرض انبات النبات» (تفاسير الكبير؛ وروح الجنان؛ والميزان).

نفحات القرآن، ج۵، ص: ۲۵۰

إلى التشـابه الكبير بين القوانين السائـدة على الحيـاة النباتيـة وعلى الحيـاة الإنسانيـة، بالإضافة إلى أنّ اللَّه تعـالى لا يُعتبر معلماً للإنسان فحسب، بل هو كالفلاح الذى يزرع البذور فى الجوّ الملائم ويستمر فى سقيها ومداراتها حتى تُخرجُ ثمرها وهو الاستعداد الذى يكمن

فيها!

إننا نعلم بأنّ النباتات التى تستحق الحياة هى النباتات التى تنبت وتنمو كى تعطى ثمراً وظلًا وتساهم فى تنقية الهواء، فإن لم تكن كذلك فهى لا تنفع إلّافى استعمالها حطباً، وهكذا الحال فى الإنسان، قال الشاعر الفارسى:

لتُحرق الأشجار غير المثمرة هذا جزاء لِلذى لا ينفع! وعلى أيّة حال فإنّ هذه الآية تدل بوضوح على تحقق المعاد الجسمانى، وذلك لأنّها تقول: سوف تعودون إلى التراب وتبعثون منه، فأنتم فى بداية الأمر كنتم تراباً وسوف تُبعثون مرّة اخرى من التراب.

وتحدثت الآية الثالثة عن آدم وحواء ونسلهم، قال تعالى «قَال فِيهَا تَحْيَوْنَ وَفِيهَا تَمُوْتُوْنَ وَمِنْهَا تُخْرَجُوْنَ».

وجملة: «وَمِنْهَا تُخْرَجُوْنَ» دليل واضح على تحقق المعاد الجسمانى من وجهة نظر القرآن المجيد، ولا يمكن بأىّ وجه أن تدل على معاد الروح فقط أو على المعاد النصف جسمانى (أى بالجسم البرزخى).

كما أنّ هذا التعبير يشير أيضاً إلى أنّ مسألة المعاد الجسمانى كانت مطروحة على طاولة البحث منذ بداية خلق آدم عليه السلام ولا يختصُّ طرح هذه المسألة بعصر ظهور الإسلام ونزول القرآن المجيد.

## المجموعة الرابعة:

### اشارة

وهى الآيات التى تُشبّه بعث الإنسان مرّة اخرى بحياة الأرضِ بعد موتها، مثل:

نفحات القرآن، ج۵، ص: ۲۵۱

۱- «وَاللَّهُ الَّذى أَرْسَلَ الرِّيَاحَ فَتُثِيرُ سَحَاباً فَسُقْنَاهُ الَى بَلَدٍ مَّيِّتٍ فَاحْيَيْنَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا كَذلِكَ النُّشُورُ». (فاطر/ ۹)

۲- «وَاحْيَيْنَا بِهِ بَلْدَةً مَيْتاً كَذلِكَ الْخُرُوجُ». (ق/ ۱۱)

### جمع الآيات وتفسيرها

### المعاد يشبه إحياء الأرض بعد موتها

لقد تعرضنا فى هذه الآيات فى البحوث السابقة لمناسبات اخرى وهنا نتعرض لبحثها من زاوية اخرى وهى أنّ القرآن المجيد شبّه نشور الناس بحياة الأرض عند نزول المطر فقال: «كَذلِكَ النُّشُوْرُ». وقال فى موردٍ آخر: «كَذلِكَ الْخُرُوجُ».

فهذه التعبيرات والتعبيرات المشابهة لها تتطرق للمعاد الجسمانى، وذلك لأنّ الجسم المادى إذا لم يتلبس بالحياة مرّة اخرى فإنّه سوف لن يكون له اىّ شبه بالأرض التى تحيى بعد موتها، لأنّ معاد الروح بمعنى بقاءها بعد موت الجسم، فما هو العامل المشترك بين احيائها واحياء الأرض ليكون التشبيه صحيحاً؟!

وكما أشرنا آنفاً فإنّ القرآن يحتوى على آيات اخرى تحمل نفس هذه المضمون أيضاً وردت بعبارات وصورٍ مختلفة تدل جميعها على تحقق المعاد الجسمانى.

## المجموعة الخامسة:

### اشارة

وهى الآيات التى تشير إلى شدّة مخالفة اعداء نبى الإسلام صلى الله عليه و آله أو سائر الأنبياء فى مسألة المعاد، اولئك الذين كانوا

یرون أنّ الاعتقاد بمسألة الاحیاء بعد الموت ضربٌ من الجنون (والعیاذ باللَّه) وکانوا یعدّونه من الامور العجیبة غیر المألوفة.
فلو کان النبی الأکرم صلی الله علیه و آله یدعو الناس للتصدیق بمسألة تحقق المعاد بالروح فقط لما کان هذا من العجائب طبعاً، وذلک لأنّ عرب الجاهلیة کانوا یعتقدون ببقاء الروح ولم یکن بقاء الروح آنذاک أمراً عجیباً.
نفحات القرآن، ج۵، ص: ۲۵۲
وبالإضافة إلی ذلک تشیر هذه الآیات إلی أن تعجب هؤلاء نابع من عدم تصدیقهم بإمکانیّة جمع أجزاء الإنسان التی تحللت فی التراب.
فلنتأمل الآن بهذه الآیات:
۱- «وَقَالَ الَّذِینَ کَفَرُوا هَلْ نَدُلُّکُمْ عَلَی رَجُلٍ یُنَبِّئُکُمْ اذَا مُزِّقْتُمْ کُلَّ مُمَزَّقٍ إِنَّکُمْ لَفِی خَلْقٍ جَدِیدٍ* افْتَرَی عَلَی اللَّهِ کَذِباً امْ بِهِ جِنَّةٌ». (سبأ/ ۷- ۸)
۲- «إِنْ هُوَ إِلَّا رَجُلٌ افْتَرَی عَلَی اللَّهِ کَذِباً ومَا نَحْنُ لَهُ بِمُؤمِنِینَ». (المؤمنون/ ۳۸)

## جمع الآیات وتفسیرها

### هل یمکن أن نُخلقَ من التراب ثانیة؟

قد تعرضنا سابقاً لتفسیر هذه الآیات أیضاً، لکننا هنا ننظرإلیها من زاویة اخری جدیدة، وکل مافی الأمر أنّ المشرکین الذین عاصروا النبی صلی الله علیه و آله والذین هبّوا لمعارضته قالوا: لقد ظهر رجلٌ یدّعی بأنّکم سوف تُبعثون مرّة اخری بعد أن تتحولوا إلی تراب وینتشر ترابکم فی کلِّ صوب، ثم یصفون هذا الادّعاء بالافتراء علی اللَّه وأن قائله أصابه مسٌّ من الجنون، أی أنّه إنْ لم یکن مجنوناً فقد افتری علی اللَّه کذباً کی یخدع الناس بذلک، وإلّا فإنّه تحدّث بهذا بسبب ما أصابه من الجنون!
وفی الآیة الثانیة نواجه نفس هذا المعنی أیضاً، فهذه الآیة تتحدّث عمّا جاءَ علی لسان قوم ثمود عند مقابلتهم لنبیّهم صالح، فعندما تحدّث لهم النبی صالح علیه السلام عن المعاد غضبوا علیه وعدّوا ذلک نوعاً من الافتراء والکذب علی اللَّه!.
لقد کانت جمیع هذه الاعتراضات التی جُوبه بها نبی الإسلام صلی الله علیه و آله أو النبی صالح علیه السلام أو سائر الأنبیاء منبثقة من دعوة الأنبیاء الناس للتصدیق بتحقق المعاد الجسمانی، فإنْ لم یکن الأمر کذلک فما معنی هذه الاعتراضات الشدیدة، فهذه الامور تعتبر أدلة اخری ممّا ورد فی القرآن المجید لإثبات تحقق المعاد الجسمانی.
نفحات القرآن، ج۵، ص: ۲۵۳

## المجموعة السادسة:

### اشارة

وهی الآیات التی تحدثت عن أنواع النعم المادیّة فی الجنّة کالفواکه والأنهار والأرائک وأنواع الشراب وأنواع الملابس الفاخرة والظل وأنواع الأشجار وعن جمیع الملاذ الجسمیة الاخری وعدد ما ورد فی القرآن من هذه الآیات ممّا لا یحصی
ومن البدیهی عدم إمکانیة حمل جمیع معانیها علی المجاز فنصرف الألفاظ عن معناها الحقیقی من دون ایّ قرینة، فرغم اختلاف هذه الفواکه والأشربة والملابس والأطعمة الموجودة فی الجنّة عن أمثالها فی الدنیا وبالرغم من أننا اساری هذه الدنیا المحدودة وأننا لا نتمکن من درک تلک الآفاق بصورة مُثلی إلّاأنّ هذه النعم مهما کانت کیفیاتها فهی نعم مادیة ولا یکون ذکرها مناسباً إلّامن أجل تحقق المعاد الجسمانی.

بالإضافة إلى عدم انحصار نعم الجنّة بالنعم المادية وأنّ هناك نعماً ومواهب معنوية وروحية لا مثيل لها أيضاً إلّاأنّ هذه النعم لا تتنافى مع وجود النعم المادية.

وبتعبير آخر: بما أنّ المعاد يتحقق بالجسم والروح معاً فإنّ نعم الجنّة لها حيثية مادية وروحية معاً، بناءً على هذا لايصح أن نحصرها فی البعد الروحی ونغض النظر عن جميع هذه الآيات الواضحة.

أمّا بالنسبة لعدد هذه الآيات فإنّه قد يبلغ المئات، وما نذكره من نماذج فيما يلی هو من سورة واحدة من القرآنالمجيد وهی سورة الرحمن فمن أراد تفصيلًا أكثر عليه تتّبع باقی الآيات فی مواضع اخرى من القرآن:

۱- «وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّتَانِ». (الرحمن/ ۴۶)

۲- «ذَوَاتَا افْنانٍ». (الرحمن/ ۴۸)

۳- «فِيهِمَا عَيْنَانِ تَجْرِيَانِ». (الرحمن/ ۵۰)

۴- «فِيهِمَا مِنْ كُلِّ فَاكِهَةٍ زَوْجَانِ». (الرحمن/ ۵۲)

۵- «مُتَّكِئِينَ عَلَى فُرُشٍ بَطَائِنُهَا مِنْ اسْتَبْرَقٍ». (الرحمن/ ۵۴)

۶- «وَجَنَى الجَنَّتَيْنِ دَانٍ». (الرحمن/ ۵۴)

نفحات القرآن، ج۵، ص: ۲۵۴

۷- «ومِنْ دُونِهِمَا جَنَّتَانِ». (الرحمن/ ۶۲)

۸- «فِيهِمَا عَيْنَانِ نَضَّاخَتَانِ». (الرحمن/ ۶۶)

۹- «فِيهِمَا فَاكِهَةٌ وَنَخْلٌ وَرُمَّانٌ». (الرحمن/ ۶۸)

۱۰- «فِيهِنَّ خَيْرَاتٌ حِسَانٌ». (الرحمن/ ۷۰)

۱۱- «حُوْرٌ مَقْصُورَاتٌ فِی الخِيَامِ». (الرحمن/ ۷۲)

۱۲- «لَمْ يَطْمِثْهُنَّ انْسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَانٌّ». (الرحمن/ ۷۴)

۱۳- «متَّكِئيْنَ عَلَى رَفْرَفٍ خُضْرٍ وَعَبْقَرِیٍّ حِسانٍ». (الرحمن/ ۷۶)

## جمع الآيات وتفسيرها

### نِعَم الجنّة المادية دليلٌ على تحقق المعاد الجسمانی

كما لاحَظْتمُ فإنّ سورة الرحمن لوحدها والتی تعتبر من قصار السور تقريباً قد احتوت على اثنی عشر نوعاً من نعم الجنّة المادية على الأقل، وهذه الأنواع هی: بساتين الجنّة والأشجار المثمرة المتنوعة والفواكة المختلفة التی تدنو من أهل الجنّة ليسهل قطفها، وفرش الجنّة المصنوعة من قماش ناعم وجميل والزوجات الباكرات اللواتی يشبهن الياقوت والمرجان لشدّة جمالهن والعيون الجارية والحور المستورات فی خيام الجنّة والأرائك المزينّة بأنواع الأقمشة الجميلة التی يتكئ عليها أهل الجنّة وما شابه هذه النعم.

وقد ورد فی القرآن ذكر نماذج اخرى أيضاً فی سور اخرى كثيرة جدّاً كأنّهار الجنّة التی تحتوی على أشربة مختلفة والأوانی المختلفة التی يستخدمها أهل الجنّة وغرف الجنّة وأرائكها التی يتكئون عليها متقابلين يتسامرون.

فقد ورد ذكر هذه النعم الماديّة فی الآيات بصورة متتالية أحياناً وهذا النحو من ذكر الآيات لا يُبقی أی مجال للشك والتردد فی أنّها نعم ماديّة فلنتأمل بالإضافة إلى ماسبق فی عدّة آيات قصيرة وجميلة من سورة «الغاشية»:

نفحات القرآن، ج۵، ص: ۲۵۵

«وُجُوهٌ يَوْمِئِذٍ نَّاعِمَةٌ». (الغاشية/ ۸)

«فِى جَنَّةٍ عَالِيَةٍ». (الغاشية/ ۱۰)

«فِيْهَا عَيْنٌ جَارِيَةٌ». (الغاشية/ ۱۲)

«فِيْهَا سُرُرٌ مَّرْفُوْعَةٌ». (الغاشية/ ۱۳)

«وَاكْوَابٌ مَّوْضُوعَةٌ». (الغاشية/ ۱۴)

«وَنَمَارِقُ مَصْفُوفَةٌ». (الغاشية/ ۱۵)

«وَزَرابِىُّ مَبْثُوثَةٌ». (الغاشية/ ۱۶)

ففى هذه السورة التى بلغ عدد آياتها ستاً وعشرين آية قد اختصت سبع آيات منها بالمعاد الجسمانى ونعم الجنّة المختلفة، فإذا أردنا احصاء جميع آيات القرآن التىاختصت بهذا المبحث فإننا بهذا تحصل على عدد كبير من هذه الآيات.

ومن الضرورى هنا أيضاً أنْ نوضّح أمرين:

۱- إنّ نِعَم الجنّة لا تقتصر على النعم الماديّة فحسب، بل تحتوىعلى نعم روحية ومعنوية كثيرة أيضاً- سوف نتطرق لبحثها باذن اللَّه فى محلها المناسب-، ولكن هل من الممكن أساساً أن يوفِّر اللَّه تعالى جميع هذه النعم المادية لتنعّم الجسم بها من دون أن يوفّر النعم والمواهب الملائمة للروح التى تعتبر الجزء الرئيسى فى وجود الإنسان والتى هى أرقى وافضل من الجسم من جميع النواحى؟ كلّا طبعاً، لكنّ عدم ذكر هذه النعم هو لسبب قصور الألفاظ عن بيانها وشرحها ولعدم امكان دركها إلّاعن طريق الوصول إليها، من أجل هذا لم يأت شرحها فى القرآن المجيد، ولكن رغم ذلك فقد وردت عدّة تعابير غامضة ومختصرة وجذّابة فى هذا المجال لبيان عمق وعظمة هذه النعم، وسوف نتحدث عنها بالتفصيل فى بحثٍ مستقل.

۲- إنّ البعض تجرأ فى تاويل جميع هذه الآيات بجسارة وحملها على مفاهيم خارجة عن دلالة ظاهر ألفاظها وعدّها كناية عن النعم المعنوية، لكنّ القواعد المعروفة فى باب الألفاظ لا تسمح لنا أبداً بأن نرتكب مثل هذا العمل، فإذا ما سمحنا لأنفسنا باستخدام هذه

نفحات القرآن، ج۵، ص: ۲۵۶

التأويلات فإنّه سوف لن يبقى هناك أىّ معنىً لحجيَّةِ الظواهر وسوف تخرج الألفاظ عن كونها وسيلة لنقل المفاهيم وتفقد أصالتها وأهميّتها بالمرّة، وهذا العمل نوع من التجرّى على اللَّه والقرآن المجيد.

## المجموعة السابعة:

### اشارة

وهى الآيات التى تحدّثت عن جزاء المجرمين وعقابهم يوم القيامة، وهذه العقوبات لها حيثية مادّية، فإذا كان المعاد بالروح فقط فإنّه يجب أن نحمل جميع هذه التعبيرات على معانيها المجازية، وهو عملٌ غير مسموح به أبداً.

وهنايجب أن نذكّر ثانية بأنّ عقوبات يوم القيامة على نوعين: عقوبات معنوية وعقوبات مادية، وقد ورد ذكر كلا النوعين فى آيات القرآن رغم تركيز القرآن على ذكر العقوبات المادية، وذلك لما أشرنا إليه فى البحث السابق.

أمّا بالنسبة لعدد هذه الآيات فهو كثير جدّاً، ولنمعن فيما يلى بنماذج منها:

۱- «وَاصْحَابُ الشِّمَالِ مَا اصْحَابُ الشِّمَالِ* فِى سَمُوم وَحَمِيم* وَظِلٍّ مِّنْ يَحْمُومٍ* لَا بَارِدٍ وَلَاكَرِيمٍ». (الواقعة/ ۴۱- ۴۴)

۲- «يَوْمَ يُحْمَى عَلَيْهَا فِى نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكْوَى بِهَا جِباهُهُمْ وَجُنُوْبُهُم وَظُهُورُهُم».

(التوبة/ ۳۵)

۳- «... وَقَالُوا لَاتَنْفِرُوا فى الْحَرِّ قُلْ نَارُ جَهَنَّم اشَدُّ حرّاً لَّوْ كَانُوا يَفْقَهُونَ».

(التوبة/ ۸۱)

۴- «... كَمَنْ هُوَ خَالِدٌ فِى النَّارِ وَسُقُوا مَاءً حَمِيماً فَقَطَّعَ امَعَاءَهُمْ». (محمد/ ۱۵)

۵- «يَوْمَ يُسْحَبُونَ فِى النَّارِ عَلَى وُجُوهِهِمْ ذُوقُوا مَسَّ سَقَرَ». (القمر/ ۴۸)

۶- «تَصْلَى نَاراً حَامِيَةً* تُسْقَى مِنْ عَيْنٍ آنِيَةٍ* لَّيسَ لَهُمْ طَعَامٌ الَّا مِنْ ضَرِيعٍ* لَّايُسْمِنُ وَلَا يُغْنِى مِنْ جُوعٍ». (الغاشية/ ۴- ۷)

نفحات القرآن، ج۵، ص: ۲۵۷

۷- «انَّ شَجَرَتَ الزَّقُّومِ* طَعَامُ الْاثِيمِ* كَالمُهْلِ يَغْلِى فِى البُطُونِ* كَغَلْىِ الْحَمِيْمِ». (الدخان/ ۴۳- ۴۶)

## جمع الآيات وتفسيرها

## دليل آخر على كون العذاب المادى فى جهنم

يتضح الجانب الذى يخص بحثنا فى تفسير هذه الآيات بشكل كامل، بدون حاجة للاطالة فيه لأنّ الآيات تحدثت عن نار جهنم التى يسحب المجرمون فيها على وجوههم.

وفيها نار وقودها كنوز الدراهم والدنانير التى لم تدفع الحقوق الإلهيّة منها فتحمى وتكوى بها جباه أصحابها وجنوبهم وظهورهم.

وكذلك ورد فيها الحديث عن الرياح ذات السموم القاتلة، وماء الحميم، وظلل من النار التى تنتظر المجرمين.

وكذلك جاء الحديث فيها عن الوجوه التى ترد جهنم وعن العيون الآنية التى يسقون منها ولا طعام لهم فيها إلّاالضريع.

وتحدثت عن شجرة الزقوم التى هى طعام المذنبين وكذلك عن الشراب الحميم الذى هو كالمهل يغلى فى البطون.

هذه الشواهد كلها وما شابهها دلائل واضحه على المعاد الجسمانى.

## المجموعة الثامنة:

## اشارة

وهى الآيات التى تتحدث عن اعضاء جسم الإنسان مثل اليد، والرجل، والعين، والاذن، واللسان، والوجه والجلد، وجميعها تدل على المعاد الجسمانى.

ومثل هذه الآيات كثيرة فى القرآن الكريم وسنلقى النظر على النماذج التالية.

نفحات القرآن، ج۵، ص: ۲۵۸

۱- «الْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَى افْوَاهِهِمْ وَتُكَلِّمُنَا ايْدِيْهِمْ وَتَشْهَدُ ارْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ». (يس/ ۶۵)

۲- «حَتّى اذَا مَا جَاؤُهَا شَهِدَ عَلَيْهِمْ سَمْعُهُمْ وَأَبْصَارُهُمْ وَجُلُوْدُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ».

(فصلت/ ۲۰)

۳- «وَقَالُوا لِجُلُودِهِمْ لِمَ شَهِدْتُّمْ عَلَيْنا قَالُوا انْطَقَنَا اللَّهُ الَّذِى انْطَقَ كُلَّ شَىْءٍ».

(فصلت/ ۲۱)

۴- «فَامَّا مَنْ اوتِىَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ فَيَقُولُ هَاؤُمُ اقْرَءُوا كِتَابِيَه ... وَامَّا مَنْ اوتِىَ كِتَابَهُ بِشِمَالِهِ فَيَقُوْلُ يَالَيْتَنى لَمْ اوْتَ كِتَابِيَه». (الحاقّة/ ۱۹- ۲۵)

۵- «وُجُوْهٌ يَوْمَئِذٍ مُّسْفِرةٌ* ضَاحِكَةٌ مُّسْتَبْشِرَةٌ* وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ عَلَيْهَا غَبَرَةٌ* تَرْهَقُهَا قَتَرَةٌ». (عبس/ ۳۸- ۴۱)

## جمع الآيات وتفسيرها

### تكلُّم اعضاء الجسم دليل ملموس آخر

بما أنّنا سنتعرّض لتفسير هذه الآيات في مباحث اخرى مثل بحث شهود يوم القيامة وبحث كُتب الأعمال فإننا هنا نتعرض لتفسيرها بصورة إجمالية ولا نبحثها إلّامن بُعدٍ واحد وهو (كيفية دلالتها على المعاد الجسماني).

فالآية الاولى تحدثت عن ختم الأفواه وتوقف اللسان عن النطق بصورة مؤقتة وتكلّم الأيدي والأرجل للادلاء بالشهادة على الأعمال التي ارتكبها الإنسان في الدنيا.

ومن البديهي أنّ هذه المسألة لا تنسجم سوى مع المعاد الجسماني، لأنّ المعاد إنْ كان ذا بعد روحي فقط لما كان هناك أيدٍ وأرجُل ولما كان هناك لسان وفم ولا أيّ نوع من التكلم.

وتحدثت الآيتان الثانية والثالثة عن شهادة الأذن والعين والجلد في يوم القيامة على الأعمال التي ارتكبها الإنسان.

نفحات القرآن، ج۵، ص: ۲۵۹

وإدلاء تلك الأعضاء بالشهادة قد يكون بواسطة اعطائها القدرة على النطق أو بلسان الحال، وذلك لأنّ الاذن والعين واليد والرجل والجلد تُسجِّلُ الأعمال في داخلها وتحتفظ بها وتظهر آثارها في يوم القيامة الذي هو «يوم البروز» (سوف يأتي شرح هذه المطالب- باذن اللَّه- في بحث أشهاد يوم القيامة).

وتحدثت الآية الرابعة عن الذّين يأتون يوم القيامة وهم يحملون كتاب أعمالهم بيدهم اليمنى (للدلالة على موفقيتهم وطهارتهم وفوزهم) فيدعون الناس في المحشر بكل فخر واعتزاز لمطالعة كتب أعمالهم! وأمّا الذين يحملون كتب أعمالهم بيدهم اليسرى للدلالة على سوء أعمالهم فإنّهم ينادون بأعلى أصواتهم: ليتنا لم نؤت هذه الكتب!

والحديث هنا لم يقتصر على أعضاء البدن المختلفة فحسب بل قد أشير إلى اليد اليسرى واليمنى أيضاً.

وفي الآية الخامسة كان الحديث عن وجوه الصالحين المشرقة ووجوه الطالحين والمذنبين المغبرة المظلمة، وهذه الامور تدلّ أيضاً على أنّ المعاد يتحقق بإعادة الجسم.

وبالإضافة إلى ماتقدّم من نماذج هناك آيات كثيرة اخرى في القرآن تحدثت عن الأغلال والسلاسل التي تثقل اعنان المذنبين كما جاء في (سورة إبراهيم/ ۴۳) و (الإنسان/ ۴).

وهناك آيات اخرى تحدثت عن ظواهر تعرض على الجسم كضحك المؤمنين: «فَالْيَومَ الَّذِينَ آمَنُوا مِنَ الكُفَّارِ يضْحَكُونَ». (المطففين/ ۳۴)

كما أشير في بعض الآيات إلى يوم القيامة بأنّه يوم رهيب تشخص فيه الأبصار من شدّة الخوف وتقف الاعناق عن الحركة وتبقى الوجوه مرتفعة نحو الأعلى ولا يرتد طرفهم وتبقى عيونهم مفتوحة من شدّة الخوف والرعب: «انَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَومٍ تَشْخَصُ فِيهِ الابْصَارُ* مُهْطِعِينَ مُقْنِعِي رُؤُسِهِمْ لَايَرتَدُّ إِلَيْهِمْ طَرْفُهُمْ». (إبراهيم/ ۴۲- ۴۳)

وتحدثت بعضها عن عضّ الظالمين ايديهم حسرةً على مافاتهم: «وَيَوْمَ يَعَضُّ الظَّالِمُ عَلَى يَدَيْهِ». (الفرقان/ ۲۷)

وأمثال هذه الآيات.

نفحات القرآن، ج۵، ص: ۲۶۰

فهل يمكن أن تُحمل جميع هذه الآيات على الكناية والمجاز من دون أيّ دليلٍ واضح، وأن نضرب القواعد المسلّمة في استعمال الألفاظ عرض الحائط؟!

## المجموعة التاسعة:

### اشارة

وهى الآيات التى أشارت إلى نماذج عينية من تحقق المعاد على مرّ التاريخ كقصة إبراهيم مع الطيور وقصة عزير أو أرمينيا عليه السلام وكقصة أصحاب الكهف وأحداث قتيل بنى اسرائيل التى مرّ شرحها بالتفصيل تحت عنوان «النماذج العينية والتاريخية لتحقق المعاد» «۱».

فجميع هذه النماذج تدلّ بوضوح على أنّ المعاد لاـ يختص بالجانب الروحى فحسب، بل تهتم بالجانب المادىّ أيضاً، وإنّ استفسار الناس والأنبياء عن مسألة المعاد يدور حول محور الحيثية المادية للمعاد وإراءة تلك النماذج لم يتمّ إلّامن أجل إثبات الجانب المادّى للمعاد.

وبما أننا تعرضنا بالتفصيل لبيان هذه الآيات فإننا لا نرى ضرورة فى إعادة شرحها هنا.

### ثمرة البحث:

بالاعتماد على المجموعات التسع من آيات القرآن المجيد التى تحدثت عن المعاد الجسمانى بكل وضوح وطرحت تلك المسألة بطرق مختلفة وبيانات متنوعة لن يبقى أى مجال للشك فى أنّ مسألة تحقق المعاد الجسمانى (بمحاذاة المعاد الروحى) هى من الامور القطعية الحدوث من وجهة نظر القرآن المجيد وهذه المجموعات هى:

۱- الآيات التى تحدثت عن إعادة العظام الرميم إلى الحياة مرّة اخرى

---

(۱) راجع الصفحة ۱۵۷ من هذا الكتاب.

نفحات القرآن، ج۵، ص: ۲۶۱

۲- الآيات التى تحدثت عن بعث من فى القبور.

۳- الآيات التى تحدثت عن خلق الإنسان من التراب وإنّه سوف يعود إليه ثم يبعث منه مرّة اخرى

۴- الآيات التى شبّهت احياء الموتى باحياء الأرض الميتة.

۵- الآيات التى تحدثت عن مواقف اعداء الإسلام الصارمة ازاء مسألة تحقق المعاد (على الرغم من أنّ أكثر هؤلاء كانوا يؤمنون بمعاد الروح إلّاأنّهم كانوا يتعجبون من تحقق المعاد الجسمانى).

۶- الآيات التى تحدثت عن أنواع النعم المادية فى الجنّة.

۷- الآيات التى تحدثت عن أنواع العقوبات المادية فى نار جهنم.

۸- الآيات التى تحدثت عن اعضاء جسم الإنسان وما يطرأ عليها يوم القيامة كالعين والاذن واليد والرجل والوجه والعنق، وأخيراً الآيات التى أشارتْ إلى نماذج عينية من تَحقّق المعاد.

ونظراً لصراحة وكثرة تلك الآيات يجب الاعتراف بأنّ المعاد الجسمانى هو من الضروريات من وجهة نظر القرآن المجيد، أمّا اولئك الذين يبحثون عن طريق آخر فإنّهم غرباء عن القرآن وتعاليمه.

من هنا نّتجه لذكر توضيحات هذا البحث، لنذكر الأدلة التى اقيمت على إثبات المعاد الجسمانى ثم نذكر ما أورده المخالفون بقالب منطقى ونتعرض لنقد تلك الايرادات.

## توضيح

### المعاد الجسمانى فى مقياس العقل:

هل يمكن إثبات المعاد بهذا الجسم المادّى المؤلف من العناصر المادية عن طريق العقل أم لا؟

يرى البعض عدم وجود دليل عقلى مقنع لاثبات هذه المسألة كما أنّه لا يوجد دليل على

نفحات القرآن، ج۵، ص: ۲۶۲

نفيها أيضاً، وبما أننا لانمتلك دليلًا على استحالة ذلك فإننا نكتفى فى هـذا المجال بأدلـة كتاب اللّه والسـنّة من دون تأويل ظواهرهما «۱» وبتعبير آخر إنّ دليـل العقل يعجز عن إثبات هـذه المسألـة فعنـدما يتمكن الـدليل العقلى من إثبات ذلك فإنّه لا يبقى أمامنا سوى التسليم للدليل النقلى.

هـذا بالإضافة إلى مـايراه البعض من أنّ المعـاد الجسـمانى مطـابق للـدليل العقلى ويقولون بـأنّ روح الإنسـان تنمو بموازاة نمو البـدن وترتقى معه إلى الكمال. لـذا فإنّه توجـد هناك رابطة وثيقة بين «الروح» و «البدن» فتؤثّر حالات كلٍّ منهما فى الآخر، فالآلام الجسـمية تؤثّر على الروح كما أنّ الآلام الروحيـة تؤثّر على الجسم أيضاً، فالسـكينة وراحـة البال فى كلٍّ منهما له تأثير إيجابى على الآخر بصورة تامة.

على هذا فإنّ الروح والجسم رفيقان حميمان ينشآن وينموان معاً.

ولاـ شـك فى أنّ الموت يقطع هـذا الارتباط بصورة مؤقتـة، ولكن من أجل إقامـة العدالـة الإلهيّـة والوصول إلى العقاب والثواب التام يجب أن تعاد تلك الرابطة على مستوى ارقى كى يتم لقاء الروح برفيقها الحميم ليتمكن من التحرك ونيل المواهب المعنوية والمادية التى اعدت لها فى الآخرة أو تحمّل العذاب إن كانت تستحق العقاب.

وقصـارى القول إنّ إعادة كل واحـد من هـذين الاثنين بمفرده يعنى وجود نقص فى المعاد وكمال المعاد لا يتمّ إلّاعن طريق إعادتهما معاً.

ورغم أنّ الروح هى التى تتلقى العقاب أو الثواب واللـذة أو الألم لكننا نعلم جيـداً بأنّ الكثير من هـذه الآلام والملاذ تتلقاها الروح عن طريق الجسم، فإذا عُدِم الجسم فإنّ قسماً كبيراً من هذه الملاذ أو الآلام لن يبقى لها أىّ تأثير.

بناءً على هـذا فالعقل يقول: يجب أن يقترن هـذان ببعضـهما فى الآخرة كما كانا مقترنين فى الـدنيا، وذلك لأنّ كل واحد منهما يعتبر ناقصاً لوحده (فتأمل).

---

(۱) قال المرحوم العلّامة المجلسـى فى بحار الأنوار: إنّ المعاد الجسـمانى هو من المسائل المتفق عليها بين الأديانويعدُّ من ضـروريات الـدين، ومن أنكر ذلك فقـد خرج عن الإسـلام. فالآيات صـريحة الدلالـة على ذلك ولا تقبل التأويل كما أنّ الأخبار متواترة فى هذا المجال ولا تقبل الانكار (بحار الأنوار، ج ۷، ص ۴۷).

نفحات القرآن، ج۵، ص: ۲۶۳

## شبهات جاحدى المعاد الجسمانى

### اشارة

لنرى هنا ما هو السبب الـذى دعا عدداً من الفلاسـفة وغيرهم لانكار مسألة المعاد الجسـمانى؟ وما هى العوامل التى دفعتهم لقبول هذا

الاعتقاد؟

ومن خلال تتبع كلماتهم يُلاحظُ بأنّ «العوامل الثمانية» التالية هى السبب فى مخالفتهم لهذا الاعتقاد:

۱- استحالة إعادة المعدوم.

۲- شبهة الآكل والمأكول.

۳- معضلة تبدّل خلايا الجسم طيلة عمر الإنسان.

۴- شّحة العناصر الترابية على قشرة الأرض.

۵- إذا ما تحقق المعاد الجسمانى على الكرة الأرضية فسوف تظهر معضلة اخرى وهى شحّه المكان.

۶- كيف يحصل الجسم الذى من صفاته الفناء على حياة خالدة؟

۷- لا يمكن الجمع بين عودة الأرواح والأجسام.

۸- نحن نعلم بأنّ جسم الإنسان يتبدّل عدّة مرّات طول فترة حياته، فهل تعود إليه جميع تلك المكونات عند المعاد أم لا- يعود إلّابعضها؟

ولنبدأ ببحث كل واحد من هذه الإشكالات المذكورة:

### ۱- استحالة «اعادة المعدوم»

إنّ عدداً من علماء العقائد نقلوا البحث فى مسألة المعادِ إلى بحث إعادة المعدوم وقالوا:

نفحات القرآن، ج۵، ص: ۲۶۴

بما أنّ جسم الإنسان يفنى عن آخره فإنّ إعادته يوم القيامة من قبيل إعادة المعدوم، ونحن نعلم باستحالة إعادة المعدوم، فمن هنا تصبح مسألة المعاد الجسمانى أمراً معضلًا.

ولكننا لو أمعنّا النظر فى هذه المسألة لتبيّن بأنّ إعادة المعدوم بتلك الصورة ليس بمحال، ويتضح أيضاً بأنّ المعاد ليس من قبيل إعادة المعدوم.

توضيح ذلك: لقد استدل الفلاسفة بأدلة متعددة على استحالة إعادة المعدوم، حتى أنّهم يرون بأنّ استحالة إعادة المعدوم إلى الوجود من الامور البديهية، وذلك لأنّ إعادة الشىء يجب أن تكون إعادة من جميع الجهات، ومن البديهى أنّ الشىء الذى كان موجوداً بالأمس يستحيل أن يعاد اليوم بجميع خصوصياته، وذلك لأنّ «وجوده بالأمس» هو من أحد خصوصياته فكيف يمكن أن نجمع بين اليوم والأمس فى آن واحد؟ هذا عين التناقض.

ولكن إذا ما صرفنا «النظر عن هذه الخصوصية بالذات فإنّه لا يبقى أى مانع من إعادة عين الموجود الأول بجميع خصوصياته باستثناء خصوصية الزمان. ومن البديهى أنّ الموجود الجديد لا يكون عين الموجود السابق بالدقّة التامّة بل هو مثله، بهذا يعود النزاع فى مسألة استحالة أو عدم استحالة المعدوم إلى نزاع لفظى، فالمنكرون يقولون باستحالة إعادة جميع الحيثيات، بينما يقول المؤيدون بإمكان الإعادة بجميع الحيثيات «باستثناء الزمان».

وممّا لا شك فيه أنّ أنصار تحقق المعاد الجسمانى لا يعتقدون بإعادة نفس الموجود المقيد بالزمان الماضى، بل بإعادة الشى فى زمانٍ آخر فهو عين الموجود السابق من جهة ومثله من جهة اخرى (فتأمل).

وإذا ما تجاوزنا ذلك لا- يُعتبر المعاد من مصاديق إعادة المعدوم، وذلك لأنّ الروح لا تفنى وتبقى بعينها، وبالرغم من اضمحلال الجسم وتفرّقه فهو «لا يفنى أيضاً، بل يتحوّل إلى تراب، وكل ما فى الأمر أنّه يفقد شكله الظاهرى فيعاد إليه يوم القيامة شكله السابق. فإذا كان المراد من إعادة المعدوم إعادة الصورة فحسب فإنّ ما يعاد يوم القيامة هو صورة مشابهة للصورة السابقة، لكنّ بقاء الروح مع

وحدة مادة الجسم هما العامل الرئيسى لحفظ وحدة

نفحات القرآن، ج۵، ص: ۲۶۵

شخصية الإنسان، لذا يمكننا القول: إنّ الإنسان هو نفس الإنسان السابق، لأنّ روحه عين تلك الروح ومادة جسمه عين تلك المادّة والفارق الوحيد هو إنّ صورة الجسم تشبه الصورة السابقة لا عينها، ومن المحتمل أن يكون التعبير ب «مثل» كما فى قوله تعالى: «اوَ لَيْسَ الَّذِى خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْارْضَ بِقَادِرٍ عَلَى انْ يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ»؟! يشير إلى هذا المعنى (يس/ ۸۱)

والطريف هو ما روى عن الإمام الصادق عليه السلام فى تفسير هذه الآية: «كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُمْ بَدَّلْنَاهُمْ جُلُوداً غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا الْعَذَابَ». (النساء/ ۵۶)

فى جوابه عليه السلام عن سؤال «ابن أبى العوجاء» عندما سأل الإمام عليه السلام: ماذنبُ الغير؟ (أى الجلود الاخرى ، فأجابه الإمام عليه السلام: «هى وهى غيرها». فطلب ابن أبى العوجاء توضيحاً أكثر وقال: اضرب لى مثلًا فى هذا المجال ممّا اعتدناه فى هذه الدنيا! قال الإمام عليه السلام:

«أرأيت لو أنّ رجُلًا أخذ لبنةً فكسّرها ثم ردّها فى ملبنها، فهى هى وهى غيرها!» (۱).

## ۲- شبهة الآكل والمأكول

### اشارة

إنّ شبهة «الاكل والمأكول» هى مسألة اخرى من المسائل التى طرحت على طاولة البحث وهى فى الحقيقة من أكثر معضلات مباحث المعاد الجسمانى من ناحية التعقيد.

و توضيح ذلك: يتفق فى بعض الأحيان أن تحل بعض أجزاء بدنِ أحد الناس فى بدن شخص آخر، إمّا بصورة مباشرة كما يحصل ذلك عند حصول المجاعات حيث يتغذى بعض الناس على لحوم البشر، وإمّا بصورة غير مباشرة كما لو تحللت اجزاء الإنسان وتحولت إلى تراب فتتغذى النباتات من ذلك الجسم فيأتى إنسان آخر ويتغذى من تلك النباتات (كالخضر والحبوب والفواكه)، أو أن يتغذى أحد الحيوانات على تلك النباتات فيأكل الإنسان الآخر لحم تلك الحيوانات، كما أنّه من الممكن أن تتحلل بعض أجزاء جسم

(۱) بحار الأنوار، ج ۷، ص ۳۸، ح ۶، وقد جاء نفس هذا المعنى فى حديث آخر بصورة مختصرة (المصدر السابق، ص ۳۹، ح ۷) وقد ورد ذكر الحديث المذكور فى نور الثقلين أيضاً فى التعليق على الآية ۵۶ من سورة النساء.

نفحات القرآن، ج۵، ص: ۲۶۶

الإنسان وتتحوّل إلى بخار وغازات فيستنشقها إنسان آخر فتحلُّ فى جسمه.

ومن الممكن أيضاً أن تحل جميع أجزاء بدنِ الإنسان فى بدن إنسان آخر بالتدريج.

من هنا يُطرح هذا السؤال وهو: بأىِّ جسم تختص هذه الأجزاء عندما تعود الروح إلى البدن؟ فإن كانت مختصة بالجسم الأول فالأجسام الاخرى تكون حينئذٍ ناقصة وإذا مااختصت بالأجسام الاخرى فسوف لن يبقى للجسم الأول شىء، وبالإضافة إلى هذا من المحتمل، أن يكون أحد الشخصين صالحاً والآخر مذنباً فما مصير هذه الأجزاء فى هذه الحالة؟

كما يستفاد أيضاً من سبب نزول الآية ۲۶ من سورة البقرة فى قصة إبراهيم عليه السلام والطيور الأربعة أنّ سؤال إبراهيم عليه السلام كان منحصراً فى مجال المعاد الجسمانى وشبهة الآكل والمأكول، وذلك لأنّ الحيوان الميت الذى شاهده إبراهيم عليه السلام على

ساحل البحر كان قسم منه فى ماء البحر وكانت تتغذى عليه حيوانات البحر وكان القسم الآخر على اليابسة وكانت تأكُلُ منه الحيوانات البرية، وهذا المشهد هو الذى جعل إبراهيم عليه السلام يغرق فى التفكير ثم عرض طلبه على اللَّه لمشاهدة كيفية إعادة الحياة للموتى

الجواب:

قد اجيب عن هذا الإشكال القديم بأجوبة مختلفة، وأشهر هذه الأجوبة هو التمسك بعدم فناء «الأجزاء الأصلية».

قال أنصار هذه النظرية: إنّ جسم الإنسان مركب من أجزاء أصلية وغير أصلية، فالأجزاءُ الأصلية هى التى لا تعرض عليها الزيادة ولا النقصان، وغير الأصلية ما تعرض عليها الزيادة والنقصان باستمرار.

فالأجزاء الأصلية تحافظ على بقائها بعد موت الإنسان وإذا ما تحولت إلى تراب فإنّ ذلك التراب لن يحل فى جسم موجودٍ آخر، وفى يوم القيامة تنمو هذه الأجزاء فيتكون منها

نفحات القرآن، ج۵، ص: ۲۶۷

جسم الإنسان ثم تحلّ فيها الروح.

وقد دعموا هذه النظرية بذكر عدّة روايات والتى منها: ما رواه مصدق بن صدقة عن عمار بن موسى عن الإمام الصادق حيث سئل عليه السلام عن الميت يبلى جسده، قال: «نعم حتى لا يبقى لحم ولا عظم إلّاطينته التى خلق منها فانّها لا تبلى، تبقى فى القبر مستديرة حتى يخلق منها كما خلق أول مرّة» «۱».

وجاء فى رواية اخرى مرسلة عن الإمام الصادق عليه السلام أيضاً فى قصة ذبح بقرة بنى اسرائيل أنّه قال: «فأخذوا قطعةً وهى عَجْبُ الذنوب الذى منهُ خلِقَ ابنُ آدم، وعليه يُركبُ إذا اريدَ خلقاً جديداً فَضربوه بها» «۲».

الجدير بالذكر أنّ الرواية الثانية ضعيفة السند لأنّها مرسلة، أمّا الرواية الاولى فهى ضعيفة أيضاً لحصول الاختلاف بين علماء الرجال فى «عمرو بن سعيد» بالإضافة إلى أنّ هذه الروايات مخالفة لظاهر القرآن- كما سيأتى شرحه-، لذا فلا يمكن التعويل عليها.

ومهما يكن من شىء فإنّ العلوم التجريبية الحديثة أبطلت هذا الرأى من الأساس فهى لا- ترى أى فرقٍ بين أجزاء الجسم وترى أنّ جميع أجزاء جسم الإنسان تتحول إلى تراب ومن الممكن أن تحلّ جميعها فى أجسام أفرادٍ آخرين.

وقد أثبتت التجارب خلاف ما يعتقده أنصار نظرية الأجزاء الأصلية من أنّ الحلقة الأخيرة من العمود الفقرى التى تسمى «عجبُ الذنب» هى الجزء الأصلى من أجزاء البدن وأنّها لا تفنى بمرور الزمان وكثيراً ما شاهدنا تبدّل جميع أجزاء البدن إلى رماد عند نشوب الحرائق كما أننا لم نشاهد أىّ فرق بين أجزاء الرماد المتخلف منها أيضاً.

وحتى لو تجاوزنا ذلك فإنّ النظرية المذكورة لا توافق ظاهر القرآن، لأنّ القرآن عندما أجاب عن إشكال الأعرابى الذى كان يحمل بيده عظماً رميماً قال: «قَالَ مَنْ يُحْيِ الْعِظَامَ وَهِىَ رَمِيمٌ* قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِى انْشَأَهَا اوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ». (يس/ ۷۸- ۷۹)

---

(۱) بحار الأنوار، ج ۷، ص ۴۳، ح ۲۱.

(۲) المصدر السابق، ح ۱۹.

نفحات القرآن، ج۵، ص: ۲۶۸

فإنّه من المستبعد جدّاً أنّ الأعرابى كان يحمل الحلقة الأخيرة من العمود الفقرى عندما سأل عن ذلك.

كما يستفاد أيضاً من ظاهر قصة إبراهيم عليه السلام مع الطيور الأربعة أنّ الأجزاء المتفرّقة تعود جميعها إلى ما كانت عليه سابقاً.

وعلى أيّة حال لا يمكن الاعتماد على جواب هذه النظرية نظراً لما توصل إليه العلم الحديث، ونظراً للاستناد إلى آيات القرآن الواردة فى هذا المجال، كما أنّه لا يمكن الاعتماد على خبر الواحد لإثبات هذه النظرية.

وقد سلك آخرون للردّ على «شبهة الآكل والمأكول» طريقاً آخرَ فقالوا: ليس من الضرورى أن تعاد نفس الأجزاء السابقة لجسم

الإنسـان، لأنّ شخصـية الإنسـان تكمن فى الروح، وإذا مـا حلّت الروح فى جسم مـا فسوف يكون ذلك المركب عين الإنسان السابق، على هذا سوف لن يمس وحدة شخصـية الإنسان أىّ ضـرر بسـبب التحولات التى طرأت على الجسم بسبب طول المدّة وتبدّل الأجزاء بأجزاء اخرى

بنـاءً على هـذا فلاـ يوجـد هنـاك مـانع من أن يخلق اللَّه جسـماً آخر لتحل فيه الروح، فتتنعم الروح بواسـطة هـذا الجسم بنعم الجنّة أو تتعذب بواسطته بعقوبات النار، فنحن نعلم بأنّ اللذة والألم يتعلقان بالروح وما الجسم إلّاواسطة لا أكثر!

لكنّ هذا الجواب غير صحيح أيضاً، لمعارضته ظاهر كثير من الآيات القرآنية، وقد مرّ علينا فى البحوث السابقة تصريح القرآن بأنّ عين تلـك العظام المتفسـخة تخرج يوم القيامـة من عين تلك القبور التى دُفِنت فيها، لا أنّ اللَّه يخلق جسـماً آخر لتحلّ فيه الروح. بناءً على هذا فالجواب المذكور يفتقد القيمة العلمية أيضاً.

### الجواب النهائى لشبهة الآكل والمأكول:

إنّ الجواب المتين الذى أُجيب به عن هذه الشبهة يحتاج إلى ذكر عدّة مقدمات:

نفحات القرآن، ج۵، ص: ۲۶۹

۱- نحن نعلم بأنّ أجزاء بـدن الإنسان منـذ مراحل الطفولـة وحتى نهايـة العمر تتبدّل عدّة مرات، وهذا التبدّل يشـمل خلايا المخ أيضـاً على الرغم من أنّ البعض يرى أنّ عددها ثابت إلّا أنّ محتواها متغير، وذلك لأنها تحتاج إلى «التغذية» من جهة و «تتحلل» وتتفسخ من جهة اخرى وهذان الأمران هما السبب فى تبدّل محتوياتها بأكملها على مرّ الزمان.

والخلاصة: إنّه بمرور سبع سنين تقريباً لا يبقى أىّ أثر لخلايا الجسم السابقة وتحلّ محلّها خلايا جديدة.

ولكن يجب الالتفات إلى أنّ الخلايا السابقـة عندما تموت تعطى جميع ما تحمله من صـفات وخواص وآثار للخلايا الجديدة، لذا فإنّ خصوصـيات جسم الإنسان من لون وشـكل ومواصـفات جسمية اخرى تبقى ثابتة على مرّ الزمان، وهذا لا يتمّ إلّابانتقال صفات الخلايا القديمة إلى الخلايا الجديدة، (فتأمّل).

بناءً على هذا سوف تحمل أجزاء جسم الإنسان الأخيرة- عند الموت والتى سوف تتحول إلى تراب- جميع الصـفات التى كان يتصف بها الإنسان طوال عمره وفى طياتها تاريخ ناطق بجميع فعاليات جسم الإنسان التى أدّاها خلال فترة حياته!

۲- رغم كون الروح هى الأسـاس فى تحقق شخصـية الإنسـان ولكن يجب الالتفـات إلى أنّ الروح تنمو وتتكامل بموازاة نمو وتكامل الجسم، وإن كلًا منهما له تأثير متبادل على الآخر، وبما أنّ الجسـمين المستقلين عن بعضهما لا يوجد بينهما شبه من جميع الجهات فإنّ الروحين المسـتقلّتين لاـ تتشابهـان أيضاً بصورة تامّـة، لـذا لا يمكن لأىّ روح ممارسـة نشاطاتها بصورة تامـة بـدون الجسم الـذى نمت وتكاملت بموازاته، على هذا يجب أن يعاد يوم القيامة عين ذلك الجسم الذى كانت تحلّ فيه تلك الروح لتمارس نشاطها بعد حلولها بذلك الجسم على مستوى أرقى لتتمتع بنتائج الأعمال التى ارتكبها.

۳- كل خليّـة من خلايا الجسم تحمل جميع خصوصـيات ذلك الجسم، فلو تمكنّا من تربية اىّ خلية من خلايا الجسم وتنميتها لتتحوّل إلى إنسان كامل فإنّ ذلك الإنسان الجديد سوف يحمل جميع الخصوصيات التى كانت تحملها تلك الخلية والتى ورثتها من الإنسان السابق، (فتأمّل).

نفحات القرآن، ج۵، ص: ۲۷۰

أوَلَم يكن الإنسان فى يومه الأول خليـة واحـدة؟ فتلك النطفـة كانت عبارة عن خلية واحدة كانت تحمل جميع صـفات ذلك الإنسان ونمت بالتدريج عن طريق الانشـطار إلى خليتين ثم إلى اربع وهكذا حتى تكوّنت منها جميع خلايا بدن الإنسان. بناءً على هذا فإنّ كل خليـة من خلايـا الإنسـان هى فرعٌ من تلـك الخليـة الاـولى ولو أنّها نمت وتكاملت مثل سابقتها لأصـبحت إنساناً يشبـه الإنسان السابق

ويحمل صفاته من جميع الجهات.

۴- يُستفاد من آيات القرآن فى مجال المعاد الجسمانى أنّ جسم الإنسان الاخير الـذى تحول إلى تراب فى القبر يحيى بأمر اللَّه ويُعدّ للجزاء.

ويؤيد هذا المعنى الآيات العديدة التى أشرنا إليها سابقاً فى مجال المعاد الجسمانى.

۵- لا يمكن لجسم ما أن يحلّ بجسم آخر بصورة تامّة، وبتعبير آخر لا يمكن أن يصبح الجسم الثانى عين الجسم الأول، بل قد يشكل الجسم الأول قسماً من الجسم الثانى، وذلك لأنّ هـذا الأمر لا يتمّ إلّابوجود الجسم الثانى أولًا كى يتحول الجسم الأول- أو قسم منه- إلى جزءٍ من الجسم الثانى عن طريق التجزئة.

بناءً على هـذا لا يوجـد أيّ مانع من حلول جسم بصورة كاملـة فى جسم ثانٍ ويصـبح «جزءاً» منه، ولكن المستحيل أن يصـبح «جميع» أجزاء الجسم الثانى، كما يُحتمل حلول أجسام متعددة فى جسم آخر لكنها لا يمكن أن تصبح جميع أجزائه، (فتأمل).

وبعد طرح هذه المقدّمات الخمس نتجه للجواب الرئيسى فى الرد على شبهة الآكل والمأكول:

يقول القرآن بكل وضوح: إنّ مكونات جسم الإنسان التى يمتلكها عنـد الموت هى التى تبعث يوم القيامة، بناءً على هذا فلو حلّت هذه الأجزاء بعـد تحولها إلى تراب فى جسم إنسان آخر فإنّها سوف تعاد إلى صاحبها الأول يوم القيامـة، لكن قد تقولون إنّ جسم الإنسان الثانى سيصبح ناقصاً لأنّه فقد قسماً من مكوناته. إلّاأنّهُ من الأفضل أن يقال إنّ جسم

نفحات القرآن، ج۵، ص: ۲۷۱

الإنسان الثانى سوف يضمر (لا أن يكون ناقصاً) لأنّ أجزاء جسم الإنسان الأول بعد أن تغذّى عليها الإنسان الثانى قد انتشرت فى جميع أعضاء بـدنه لا أنّها حلت فى مكانٍ معينٍ من بـدنه (لأنّ الغـذاء الذى يتناوله الإنسان يوزّع على جميع أعضاء البدن)، بناءً على هذا فإنّه من الممكن أن يفقد الإنسان الذى وزنه سـبعون كيلو غرام مثلًا نصف وزنه أو أن يفقد جميع مكوناته باستثناء كيلو غرام واحد منها أو حتى أقل من ذلك ولا يبقى منه إلّاجسم صغير بحجم جسمه الذى ولد به أو بحجم جسمه عندما كان جنيناً!.

ومع ذلـك فإننـا لا نواجه أيّـة مشـكلة، وذلك لأنّ الجسم الصـغير يحمل فى طياته جميع خصوصـيات ذلك الجسم الكبير، فإذا ما نما فسوف يعود عين ذلك الجسم الكبير.

فالمولود فى يومه الأول لا يمتلك إلّاجسـماً صـغيراً وقبل ذلك أى عندما كان جنيناً كان جسمه أصغر من ذلك فنما وكبُر حتى اصبح يحمل صفات الإنسان الكامل من دون أن تتبدّل شخصيته ويتحول إلى شخص آخر.

والسؤال الوحيـد الذى ظل من دون اجابة هو: ما هو مصـير الأجزاء التى أصـبحت جزءً لجسـمين أو عدّة أجسام إذا كان أحد صاحبيها مطيعاً والآخر مذنباً؟

والجواب عن هذا السؤال أمرٌ يسـيرٌ أيضاً، لأنّه كما أشرنا سابقاً فإنّ الثواب والعقاب فى الحقيقة يتعلقان بالروح، والدليل على ذلك هو عنـدما ينقطع الارتباط الموجود بين الروح والجسم بسـبب فقـدان الوعى بعـد ممارسـة عمليـة التخـدير فإننا نرى أنّ الروح لا تتأثّر عند استخدام المَشرط الحاد حتى لو قطّع الجسم إرباً.

وبتعبير آخر: إنّ الثواب والعقـاب واللـذة والألـم لا- يختصـان بـالجسم بل ليس الجسم إلّا واسـطة لإيصال آثار الثواب والعقاب واللـذة والألم إلى روح الإنسان.

بهذا يتضح أنّ المعاد الجسـمانى- طبقاً لظاهر الآيات- يتحقق بعين هذا الجسم المؤلف من العناصـر المادية، وحتى لو فرضـنا أنّ شبهة الآكل والمأكول ترد على هذا الاستدلال فإنها سوف لن تخدش فيه أيضاً.

ومن الجدير بالذكر أنّ بعض منكرى المعاد الجسمانى سعوا إلى تغطية حقيقة آرائهم فى

نفحات القرآن، ج۵، ص: ۲۷۲

الأوساط الإسلامية لتبرير جحودهم الواضح مخالفة للآيات القرانية وجاءوا بتعبيرات فى مجال المعاد الجسمانى تدل فى الواقع على أنّ المعاد يتحقق بالروح فقط أو بالروح مع جسم مادى غير هذا الجسم.

فتمسكوا أحياناً بالجسم النوعى وقالوا: إنّ شخصية الإنسان تتمثل بروحه وهذه الروح إذا ما تعلقت بجسمٍ ما فسوف تشكل نفس ذلك الشخص.

وقالوا أحياناً بإعادة الجسم البرزخى أى الجسم النورانى اللطيف.

وتارةً قالوا: إنّ شيئية الشى ووجوده يكمنان فى صورته لا فى مادته، فحيثُما وُجِدَتْ الصورة وُجِدَ ذلك الشى، وإنّ روح الإنسان هى قوام هذه الصورة، بناءً على هذا فأينما وُجِدَتْ روح الإنسان فسوف تتحقق شيئيته ووجوده.

لكن هذه التعبيرات جميعها لا تتلائم مع تعبيرات القرآن الواردة فى مجال المعاد الجسمانى، والسبب فى سلوك هؤلاء هذا الطريق هو ولعهم بكلام بعض الفلاسفة وعجزهم عن حلّ معضلة شبهة الآكل والمأكول، وهذا ممّا لا يليق بالعالم المسلم الذى يتمسك بتعاليم القرآن.

## ۳- شحّة العناصر الترابية على سطح الأرض

هناك مسألة اخرى شغلت أذهان البعض واصبحت تمثّل معضلة من معضلات المعاد الجسمانى هى مسألة شحّة العناصر الترابية على سطح الأرض.

توضيح ذلك: إننا إذا ما أخذنا بنظر الاعتبار عدد البشر الذين وضعوا أقدامهم على الكرة الأرضية على مرّ التاريخ وكذلك البشر الذين يلونهم إلى يوم القيامة مع علمنا بأنّ هؤلاء جميعاً سوف يتحولون إلى كميّة هائلة من التراب فإنّه من الصعب جدّاً أن يكفى تراب الكرة الأرضية لإعادة هؤلاء جميعاً يوم القيامة إلّاأن نقول: إنّ البشر يبعثون يوم القيامة بحجم الدُّمى لكنّ هذا غير معقول أيضاً، وعلى أيّة حال فإنّ إعادة هؤلاء البشر بهذه المواصفات تشبه عملية صنع ملايين السيارات مثلًا من كمّية من الحديد لا تزيد على الألف طن.

نفحات القرآن، ج۵، ص: ۲۷۳

الجواب:

ألم يكن من الأفضل لهؤلاء الذين يطرحون مثل هذه الإشكالات أن يُتعبوا أنفسهم قليلًا قبل طرحها وأن يأتوا بقلم وورق لإجراء احصاء بسيط فى هذا المجال ليجدوا أنّ هذه الإشكالات لا أساس لها من الصحة؟

إنّ الماء يشكّل ۶۵ خ إلى ۷۰ خ من جسم كل إنسان. على هذا لا يشكل التراب إلّا مايقارب ۳۰ خ من وزن الإنسان، فلو فرضنا أنّ التراب يشكّل كلّ وزن الجسم فيا ترى كم هو وزن كميّة من التراب مقدار حجمها متر مكعب واحد؟ إنّه لا يزيد على طنين أو ثلاثة اطنان!، فلو كان الوزن المتوسط لكل إنسان يبلغ ستين كيلو غرام فسوف يكفى كل متر مكعب واحد من التراب لخلق أربعين إنساناً تقريباً.

وطبقاً لهذه الاحصائية فإنّ الكيلومتر المكعب الواحد من التراب الذى هو عبارة عن «مليار متر مكعب» يكفى لخلق ما يقارب ثمانية اضعاف سكّان الأرض الحاليين، وبما أنّ عدد سكان الكرة الأرضية كان قليلًا جدّاً بالنسبة لسكان الأرض الحاليين فإنّه من المحتمل أن لا يزيد عدد جميع البشر الذين وطأوا الأرض على أربعين مليار نسمة.

وكل هذه الحسابات تدور حول كيلومتر مكعب واحد من التراب الذى هو كقطرة فى بحر بالنسبة لحجم الكرة الأرضية، فإذا ما أجرينا هذه الحسابات على مائة كيلومتر مكعب أو ألف كيلومتر مكعب من التراب وهى نسبة ضئيلة جدّاً من حجم كل الكرة الارضية فإننا سوف نحصل على أرقام هائلة جدّاً وسوف تتضح لنا حقيقة الأمر بكل سهولة.

فبعد أن أجرينا هذه الاحصائيات على التراب تعالوا لنجرى الاحصاءات فى هذا المجال من زاوية الزمان.

فنقول: كم هو العمر المتوسط لحياة الإنسان؟ أو بتعبير آخر: كم عمر الجيل الواحد من البشر؟

من المحتمل أن يكون عمر الجيل الواحد ما يقارب الخمسين سنة أو أقل أو أكثر من ذلك بقليل.

نفحات القرآن، ج۵، ص: ۲۷۴

بناءً على هذا يكفى الكيلومتر المكعب الواحد من التراب لخلق ثمانية أجيال أى يكفى لخلقهم لمدّة أربعة قرون تقريباً (هذا لو فرضنا أنّ عدد نفوس الأجيال السابقة بعدد نفوس الجيل الحالى، ومن البديهى أنّهٔ لم يكن كذلك).

على هذا فكل ألفين وخمسمائة كيلومتر مكعب من التراب تكفى لخلق هذا العدد من البشر لمدّة مقدارها مليون سنة، ولخلقهم لمدّة أربعة ملايين سنة نحتاج لعشرة الآف كيلومتر مكعّب من التراب فقط.

ونحن على يقين بعدم وجود أيّة نظرية تُقدِّرُ عمر البشر على الكرة الأرضية بأكثر من أربعة ملايين سنة، لكننا لا نعلم كم هى مدّة الفترة الزمانية الفاصلة بين وقتنا الحاضر وبين نهاية الحياة على الأرض.

لذا فإننا لو أجرينا هذا الاحصاء بأى نحو كان فلن يمثّل التراب المتخلّف من جميع البشر على مرّ التاريخ إلّاكمية ضئيلة جدّاً لا تقدّر بأكثر من رقعة صغيرة من الأرض تبلغ مساحتها الف كيلومتر مكعب لا أكثر فى بلد صغير.

هذا بالإضافة إلى أنّ احصاءاتنا كانت جميعها بحسابات الحد الأعلى لأننا لم نتقيّد بقيد، فلم نعر أيّة أهميّة للماء الموجود فى جسم الإنسان ولم نخفِّض من عدد سكّان الأرض فى الأجيال السابقة وهو قليل جدّاً بالنسبة لعدد نفوس الجيل الحالى، كما أنّنا اطلقنا العنان فى حساب السنين الباقية من عمر الحياة على الأرض.

وقصارى القول: إنّ الادّعاء بعدم كفاية تراب الأرض لإعادة الأجسام يوم القيامة لا يصدر إلّاممن لا يعرفون العمليات الحسابية الأربع! أى الذين يتكلمون بغير حساب ويرجمون بالغيب!

### ۴- هل تسع مساحة الأرض لحشر جميع البشر؟

لقد شغلت هذه المعضلة أذهان الكثيرين أيضاً وهى إذا كان المعاد يتحقق بالجسم

نفحات القرآن، ج۵، ص: ۲۷۵

ويشمل جميع البشر الذين وطأوا الأرض منذ ظهور الحياة عليها حتى نهايتها فلن تسعهم مساحة سطح الأرض، وخلاصة مايمكن أن يقال: إنّنا إذا تمكنا من حل جميع المعضلات فى مجال المعاد الجسمانى فسوف تبقى معضلة شحة المكان على قوتها، وذلك لأنّ بعض المناطق من الكرة الأرضية تضيق حالياً من تحمل سكانها الذين يعيشون عليها، وقد حذّر الخبراء المتخصصون من مغبّة استمرار النمو السكانى على هذا السياق وقالوا: إنّ تزايد السكان إذا مااستمر على هذا المنوال فسوف تضيق الأرض بسكانها خلال فترة وجيزة.

وهنا يُطرح هذا السؤال: ماذا سيحدث إذا بُعث جميع البشر السابقين واللاحقين على هذه الكرة الأرضية؟!

فلو كان المعاد يتحقق بالروح فقط فإننا لن نواجه مثل هذه المعضلة من ناحية المكان، لأنّ الأرواح غير متميزة فهى لا تحتاج إلى مكان ولا تتميز بمكان.

الجواب:

لقد فات الذين طرحوا هذا الإشكال أنّ القرآن قد صرّح فى آياته المختصة بالمعاد بأنّ المعاد لا يتحقق على الكرة الأرضية بصورتها الحالية، بل سوف تتبدّل بغيرها، قال تعالى «يَوْمَ تُبَدَّلُ الْارْضُ غَيْرَ الارضِ وَالسَّموَاتُ». (إبراهيم/ ۴۸)

وجاء فى القرآن أيضاً أنّ عَرض الجنّة يسع السماوات والأرض، قال تعالى «سَابِقُوا الَى مَغْفِرَةٍ مِّنْ رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرضِ السَمَاءِ وَالارضِ». (الحديد/ ۲۱)

يستفاد من هذه الآيات وعدد من الآيات الاخرى أنَّ هنالك احتمالين:

وهما: إمّا أن تتسع الأرض ويصبح حجمها بحجم السماوات والأرض فتضم فيها الجّنة والنار وجميع البشر، وإمّا أن ينتقل الناس يوم القيامة من الكرة الأرضية إلى مكان آخر.

وفى كلتا الحالتين ترتفع مشكلة شحة المكان فى مجال المعاد الجسمانى لجميع البشر ولا تبقى هناك مشكلة فى اسكان أهل الجنّة وأهل النار ... هذه المشكلة التى شغلت اذهان «ذوى اللجاج والعناد»!.

نفحات القرآن، ج۵، ص: ۲۷۶

## ۵- كيف يتلائم الجسم الذى من صفاته الفناء مع الخلود؟

الإشكال الآخر الذى طرح فى مسألة المعاد الجسمانى هو أنّ الآخرة هى دار الخلد، والآيات التى صرحت بهذا الخلود دليل واضح على الخلود يوم القيامة، بينما نرى بالوجدان أنّ الجسم المادى- على أيّة حال- يبلى ويندرس، وفى نهاية المطاف يصل إلى الفناء.

فإذا ما تحقق المعاد بالجسم فسوف يحصل التضاد وهو نفوذ «الفناء»، فى عالم «البقاء»، وسوف يخلد الجسم الذى من طبعه الفناء.

وقد طرح هذا الإشكال المرحوم العلّامة الطباطبائى فى شرح تجريد الاعتقاد بالنحو التالى: إن التناهى والمحدودية هى من ملازمات الجسم، والقول بخلود نعم أهل الجنّة يستلزم عدم المحدودية وعدم التناهى «۱».

الجواب:

ليس من الصعب أيضاً الإجابة عن هذا السؤال، لأنّه لا خلاف فى كون الفناء والاستحالة والتفسخ من طبيعة الأجسام، لكن هذا يتمّ فى حالة عدم وجود الدعم المستمر من الخارج، فإذا ما شمل الدعم الالهى حال الجسم فإنّه من الممكن أن يحافظ على طراوته على الدوام وأن يبقى فى حالة تجدد دائم.

وهذا يشبه حال الشجرة التى ترمم خلاياها المتفسخة وتبدّلها بخلايا جديدة لتبقى طرية وجديدة على الدوام وذلك عن طريق تغذيتها المستمرّة على نوع خاص من الغذاء، وهذا غير مستحيل.

وبتعبير آخر: إنّ مقتضى الذات شيء ومقتضى العوامل الخارجة عن الذات شيء آخر، والحديث يدور هنا عن خلايا الجسم التى من طبيعتها أن لا تعمِّر طويلًا أو التى تحصل على

---

(۱) شرح التجريد، ص ۳۲۲.

نفحات القرآن، ج۵، ص: ۲۷۷

عمر غير محدود بواسطة الترميم الحاصل من الخارج وعن طريق المدد الإلهى، تخلد وتحافظ على بقائها. و هناك مثال من القرآن المجيد يمكن أن يكون دليلًا على ما قلناه، وهو طول عمر النبيّ (نوح) عليه السلام حيثُ لبثَ فى قومه ألفَ سنة إلّاخمسين فيما عدا عمره قبل تكليفه بالنبوّة، و معنى ذلك أنّ اللّه تعالى قد جعلَ خلايا جسمه عليه السلام تتجدّد بالحياة دون أن تتفسّخ وينالها الموت بينما جميع خلايا أجسام الناس تتفسّخ وتموت بعدَ عُمرٍ يناهز المائة سنة أو أقلّ أو أكثر وذلك لعدم تدخّل المدد الإلهى فى تجديد حياة خلايا أجسامهم.

وخلاصةُ القول: إنّ القادر على خلق الإنسان ولم يكن شيئاً مذكوراً، والقادر على إحياء الموتى أليسَ بقادرٍ على جعل خلايا جسم الانسان فى حيوية متجدّدة ونشاطٍ دائم وحياةٍ خالدةٍ أبداً فى دار الخُلد؟!

وعندما طرح المرحوم العلّامة الحلّى إشكال هؤلاء، بالنحو المذكور لم يكترث به وقال:

إنّ هذه ليست بأدلة بل استبعادات لا غير «۱»! أى ماهى إلّاظنون غير مبرهنة منطقياً.

### ۶- هل يمكن الجمع بين (معاد) الأجسام والأرواح؟

يُتصور أحياناً بأنّ الجمع بين إعادة الأجسام والأرواح- وهو رأى القائلين بالمعاد الجسمانى- أمرٌ عسير، وذلك للزوم وجود الثواب المعنوى والمادى ووجود اللذات بنوعيها لمكافأة الروح والجسم معاً، مع أننا نعلم بأنّ الإنسان إذا ما غرق فى عظمة أنوار العالم القدسى فإنّه لا يمكن أن يعير أيّة أهميّة للملاذ الماديةٔ، وكذلك الحال إذا ما غرق فى الملاذ الماديّة فإنّه لا يمكنه التفرغ لنيل الملاذ المعنوية، وقصارى القول إنّ مقتضى المَعادَين متضاديّن فيما بينهما ولا يمكن الجمع بينهما!

---

(۱) شرح التجريد، ص ۳۲۲.

نفحات القرآن، ج۵، ص: ۲۷۸

الجواب:

إنّ هذا الإشكال ضعيف جدّاً، لأنّ الروح إذا ماكانت تمتلك القدرة الكافية فسيُتاح لها التنعم بالملاذ المادية فى نفس الوقت الذى هى مستغرقة فى الأنوار الإلهيّة كما كان الأنبياء والأولياء عليهم السلام.

قال المرحوم العلّامة المجلسى فى بحار الأنوار: «إن السبب فى انصراف الإنسان عن المادّيات عندما يشتغل بالمعنويات وبالعكس هو ضعف روح الإنسان فى الدنيا لكنه بعد الموت وبعد أن يصله المدد من العالم القدسى ويطهر من الدنس فإنّ روحه تشتد وتقوى فيتمكن آنذاك من الجمع بين الاشتغال بالماديات والمعنويات معاً» «۱».

و على أيّة حال فهذا الإشكال أيضاً غير مستند إلى دليل منطقى وهو شبه دليل وما هو إلّا استبعادٌ لا غير.

### ۷- اىّ جسمٍ يُعادُ يوم القيامة؟

والإشكال الأخير الذى يمكن طرحه هنا هو ما أشرنا إليه سابقاً من أنّ العلم الحديث أثبت أنّ جسم الإنسان فى حالة تبدّل وتغيّر دائم، فالخلايا تندرس بالتدريج ويحل محلها خلايا اخرى وبعد مرور سبع سنين تقريباً تتبدّل جميع خلايا الإنسان وتحل محلها خلايا جديدة، كما هو الحال فى الحوض الكبير الذى يدخله الماء من أحد جوانبه ويخرج من جانب آخر، ومن الطبيعى أن يتبدل جميع مائهِ بعد فترة.

بناءً على هذا فإذا ما عمّر جسم الإنسان سبعين سنة فإنّه يتبدل عشر مرات، فهل تعاد جميع هذه الأجسام العشرة يوم القيامة ويعاد الإنسان بحجم العمالقة؟! أم لا يعاد إلّابحجم جسم واحد منها؟ وإن قيل: إنّ أحد هذه الأجسام يعاد يوم القيامة فأيّها سوف يعاد؟ وما هو النصاب فى هذا الترجيح؟

---

(۱) بحار الأنوار، ج ۷، ص ۵۰.

نفحات القرآن، ج۵، ص: ۲۷۹

الجواب:

إنّ هذا السؤال استبعاد أيضاً، فما المانع من أن تعاد جميع هذه الأجسام؟ لكن الحق هو إعادة الجسم الأخير فقط، لأنّ القرآن يقول: «يبعث من فى القبور» وتحيى العظام الرميمة والتراب، وهذا لا يعنى إلّاإعادة الجسم الأخير.

أمّا ما هو المناطُ فى ترجيح هذا الجسم على الأجسام الاخرى فالمناط أنّ هذا الجسم يحمل جميع صفات وخصوصيات تلك الأجسام، وذلك لأنّ الخلايا التى تتخلّى عن محلها تعطى بالإضافة إلى ذلك جميع صفاتها للخلايا الجديدة التى تحل محلها، بناءً

على هـذا فالجسم الأخير يحمل فى طياته عصارة جميع الأعمال والأوصاف السابقـة، وإذا ما توفر المنظار الثاقب الذى يكشف الحقائق لأمكن مطالعة جميع سوابق الإنسان من خلال بصمات خاصيّة جسمه الأخير.
ومن البديهى أن لا يتنافى هذا أبداً مع حشـر المؤمنين والصالحين على هيئة شباب يمتلئُون بالحيوية، وهذا يشبه عملية جمع تراب اللبنة البالية ووضعها فى قالب جديد لتصبح لبنة جديدة.

### ثمرة البحث:

توصـلنا من خلال ما مّر من البحوث إلى هذه النتيجة، وهى أننا لا نواجه فى بحث المعاد مشـكلة عصيبة، وما عَدَّهُ البعض من المشاكل فى الغالب ناتجٌ عن عدم إعمال الدقّة الكافية خصوصاً فى هذه المسألة، ولا يسـتحق أى من هذه الإشـكالات السـبعة الذكر إلّاإشـكال الآكل والمأكول، أمّا بقية الإشكالات فهى جزئية تتضح الإجابة عنها بمجرّد إعمال شىء من الدقّة.
نفحات القرآن، ج۵، ص: ۲۸۱

## المعاد فى الحضارات السالفة

### تمهيد:

كان لعقيـدة المعاد صـدىً واسع لـدى الأمم السابقة ويلاحظ تجسّد آثار هذه العقيدة بكل وضوح فى نفوس الشـعوب التى عاشت فى العصور الغابرة أى فى قرون ماقبل التاريخ ممّا لايبقى أى شك فى أنّ أولئك كانوا يحملون اعتقاداً راسخاً بوجود العالم الآخر.
وعنـدما نـدخل فى مرحلة ما بعد التاريخ نلاحظ أيضاً أنّ جميع الشـعوب والأقوام تقريباً يؤمنون بمسألة المعاد على الرغم من اختلاف ثقافاتهم.
وقبل الخوض فى مطالعة هذا الأمر عن طريق مشاهدة أسانيد ووثائق المؤرخين نعود إلى القرآن لنرى مايقوله فى هذا المجال:
أشـار القرآن الكريم إلى هـذه الحقيقـة أيضـاً وهى أنّ الاعتقاد بمسألـة المعاد والحياة بعـد الموت كانت مطروحـة منـذ خلق آدم عليه السـلام، حتّى أنّ ابليس كان يعترف بـذلك، وبعد آدم عليه السـلام كان الأنبياء أيضاً- الذين كانت مهمتهم هداية الشـعوب- يدعون النـاس إلى الإيمـان بهـذه المسألـة (مسألـة الحياة بعـد الموت وحياة الآخرة)، وقـد أدّت دعوة الأنبياء إلى أن تصـبح هـذه المسألـة من المسائل المألوفة لدى الناس.
كما أنّنا نُقِرُّ بأنّ هذه المسألة وما يتعلق بها من المعارف التى نزلت عن طريق الوحى قد وردت على لسان النبى الأكرم صلى الله عليه و آله أيضاً وبصورة أوسع ممّا كانت عليه سابقاً، لذا فإنّ قسـماً مهماً من آيات القرآن المجيد تصدت لشـرح مسألة المعاد بجميع فروعها وتفاصيلها.
بعد هذا التمهيد نعود إلى القرآن لنتأمل خاشعين فى نماذج من الآيات المختصة بهذا المجال:
نفحات القرآن، ج۵، ص: ۲۸۲
۱- «قَالَ انْظِرْنِى الَى يَوم يُبْعَثُونَ». (الاعراف/ ۱۴)
۲- «قَالَ فِيهَا تَحْيَوْنَ وَفِيهَا تَمُوتُونَ وَمِنْهَا تُخْرَجُونَ». (الاعراف/ ۲۵)
۳- «إنّى اريدُ أَنْ تَبُوأَ بِإثْمِى وَاثْمِكَ فَتَكُونَ مِنْ اصْحَابِ النَّارِ». (المائدة/ ۲۹)
۴- «ايَعِدُكُمْ انَّكُمْ اذَا مِتُّمْ وَكُنْتُمْ تُرَاباً وَعِظَاماً انَّكُم مُّخْرَجُونَ». (المؤمنون/ ۳۵)
۵- «وَلَا تُخزِنِى يَوْمَ يُبْعَثُونَ* يومَ لَايَنْفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ». (الشعراء/ ۸۷- ۸۸)

۶- «وَقالُوا لَنْ یَدْخُلَ الجَنَّةَ الّا مَنْ کَانَ هُوداً أوْ نَصارى . (البقرة/ ۱۱۱)

۷- «وَالسَّلَامُ عَلَیَّ یَوْمَ وُلِدْتُّ وَیَوْمَ أَمُوتُ وَیَوْمَ ابْعَثُ حَیّاً». (مریم/ ۳۳)

۸- «وَ الَى مَدیَنَ اخَاهُمْ شُعَیباً فَقَالَ یَاقومِ اعبُدُوا اللَّهَ وَارْجُوا الیَوْمَ الآخِرَ».

(العنکبوت/ ۳۶)

۹- «... انّی تَرَکْتُ مِلَّةَ قَومٍ لَّایُؤمِنُونَ بِاللَّهِ وَهُمْ بِالآخِرَةِ هُمْ کَافِرُونَ* وَاتَّبَعْتُ مِلَّةَ آبَائِی ابْرَاهِیمَ وَإِسْحَاقَ وَیَعْقُوبَ». (یوسف/ ۳۷- ۳۸)

۱۰- «لَقَدْ وُعِدْنَا هَذَا نَحْنُ وَآبَاؤُنَا مِنْ قَبْلُ انْ هَذَا الّا اسَاطِیْرُ الْأَوَّلِینَ». (النمل/ ۶۸)

## جمع الآیات وتفسیرها

### الاعتقاد بالمعاد خلال العصور المختلفة:

الآیات المذکورة أعلاه یرتبط کل منها بأحد العصور.

فالآیة الاولى تشیر إلى قصة «ابلیس» بعد طرده من الجنّة، فبدلًا من التوبة إلى اللَّه من فعله الشنیع تمادى فی العناد بسبب وقوعه فی شراک الغرور والأنانیة، وکان هذا طلبه من اللَّه تعالى «قَالَ انْظِرْنی الَى یَوم یُبْعثُونَ».

وطلبه هذا لم یکن من أجل التوبة أو أن یعمل صالحاً، بل من أجل أن یکمن لآدم وذریّته لیصدهم عن الصراط القویم لکی یطفئ نار غضبه الجهنمیة وحسده.

ویتّضح من خلال هذه الآیة أنّ مسأله القیامة کانت موضع الاهتمام منذ البدایة،

نفحات القرآن، ج۵، ص: ۲۸۳

فالشیطان کان یعلم علم الیقین بحتمیة وقوع مثل هذا الیوم.

أمّا طلب الشیطان فإنّه لم یتلق الجواب بالصورة التی أرادها، قال تعالى «فَإِنَّکَ مِنَ المُنْظَرِینَ* الَى یَوْمِ الْوَقْتِ المَعْلُومِ». (الحجر/ ۳۷- ۳۸)

وفسّر البعض هذا الیوم بالیوم الذی تنتهی فیه الحیاة الدنیا والذی یرفع فیه التکلیف، وفسره آخرون بالیوم الذی یظهر فیه المهدی الموعود (عج).

وهناک احتمال أیضاً جاء فی کلمات بعض المفسرین وهو أنّ المراد من الیوم المعلوم یوم القیامة، لکن هذا الاحتمال بعید جدّاً، وذلک لأنّه لا یوافق ظاهر آیات القرآن ولاینسجم مع الروایات الواردة فی تفسیر هذه الآیة «۱».

وقد طرحت عدّة أسئلة فی هذا المجال وبالصورة التالیة:

۱- لماذا أمهل اللَّهُ إبلیس لینفذ خطته المشؤومة لإغواء الناس؟!

الجواب: إنّ إمهال إبلیس کأصل وجوده وهو زاویة من زوایا الامتحانات الإلهیّة التی أعدّها للبشر، ففی ظل تلک الامتحانات یصل أولیاء اللَّه إلى الکمال ویفترق عنهم اولئک الذین لم یخلص إیمانهم.

۲- ألا یعنی إعطاء الوعد لإبلیس باستمرار الحیاة حتى انتهاء العالم یشجعه على الاستمرار فی ارتکاب أعماله وعدم الکف عنها إلّاعندما یشعر بانتهاء عمره فیتوب إلى اللَّه تعالى

الجواب: إنّ الطریق الذی سلکه إبلیس لا یسمح له بالعودة، وتحت تأثیر حالة الطغیان الشدیدة تصبح هذه الصفه من طبائعه الثانویة، ولایمکن العودة فی مثل هذه الحالة.

۳- لماذا یطلب الشیطان البقاء إلى یوم القیامة مع أنّ أهدافه تتحقق ببقائه إلى الفترة التی تنتهی بها حیاة البشر؟

الجواب: جاء فی تفسیر المیزان: إنّ إبلیس کان یتمنی أن یستمر بإغوائه للبشر فی عالم

(۱) تفسیر نور الثقلین، ج ۳، ص ۱۳.

نفحات القرآن، ج۵، ص: ۲۸۴

البرزخ أیضاً، أی المدّة الفاصلة بین انتهاء الدنیا وقیام یوم القیامة «۱»!.

۴- کیف یتوقع إبلیس أن تستجاب دعوته مع أنّه یعلم بأنّه طرد من ساحة الرحمة الإلهیّة؟

الجواب: قال المرحوم الطبرسی فی مجمع البیان: «إنّ ابلیس کان متیقناً بأنّ فضل اللّه وکرمه یتسع لشمول المذنبین والمطرودین أیضاً» «۲».

وجاء فی احدی الروایات أیضاً إنّ استجابة دعاء إبلیس کانت بإزاء العبادات التی أدّاها قبل ذلک.

وفی الآیـة الثانیة التی تتعلق بقصة هبوط آدم علیه السـلام وزوجه حواء من الجنّة إلی الأرض وطرد إبلیس من مقام القرب الإلهی، قال تعالی «قَالَ فِیهَا تَحْیَوْنَ وَفِیهَا تَمُوتُونَ وَمِنْهَا تُخْرَجُونَ».

وهذه التعبیرات تشیر إلی أنّ المقصود من الاخراج لا یختص بحشر البشر فحسب، بل یشمل حشر الجن أیضاً والذین کان الشیطان من زمرتهم، وتـدلّ علی أنّ هـذا الأمر کان یعتبر من الامور البدیهیـة منذ الیوم الأول، أمّا ما احتمله البعض فی تفاسیرهم أنّ المخاطب فی هذه الآیة هم آدم وحواء علیهما السلام وذرّیتهما فحسب فلا یؤیده دلیل واضح.

ویدل هذا التعبیر بوضوح علی أنّ الأرض هی مبدأ حیاة الإنسان ومحل موته ومحل بعثه معاً «۳».

(۱) تفسیر المیزان، ج ۸، ص ۲۸.

(۲) تفسیر مجمع البیان، ج ۴، ص ۴۰۳.

(۳) جاء شبیه هذا المعنی فی مسألة هبوط آدم والإشارة إلی مسألة الحشر فی سورة طه، الآیة ۱۲۳ و ۱۲۴.

نفحات القرآن، ج۵، ص: ۲۸۵

وتحـدثت الآیة الثالثة عن ابناء آدم «هابیل» و «قابیل» عندما تقبّل اللَّه قربان هابیل بسـبب إخلاصه ولم یتقبّل قربان قابیل لعدم اخلاصـه فیه، فتـأججت نـار الحسـد فی قلب قابیـل وهـدد أخـاه بالقتـل، فقال هابیل إن قصـدت قتلی فإننی لن أفعل ذلک لأننی أخاف اللَّه، ثم أضاف: «انِّی ارِیدُ انْ تَبُوأَ بِاثْمی وَاثْمِکَ فَتَکُونَ مِنْ اصْحَابِ النَّارِ».

وهـذا یـدل علی أنّ مسألة المعاد کانت من الامور البدیهیة لدی أولاد آدم منذ ذلک الزمان، لذا هدد هابیل أخاه قابیل بعذاب اللَّه فی الدار الآخرة.

و «بَوَأَ، تبوءَ» من مادة «بواء»، قال الراغب فی المفردات: هی فی الأصل بمعنی السـطح الصـقیل، وتقابلها «نبوة» التی بمعنی السـطح غیر الصقیل، لذا عندما یقال بوّأتُ مکاناً فهذا یعنی ساویت له سطح المکان.

وتأتی هـذه الکلمة أحیاناً بمعنی الإقامة وملازمة المکان أیضاً، لأنّ الإنسان إذا ما أراد أن یقیم فی مکانٍ ما فإنّه ینظم سـطحه ویساویه، وقد فسروا هذه الآیة بهذا المعنی أیضاً.

لکن صـاحب «المصباح المنیر» فسّرها بمعنی الاـعتراف وحمـل العبء الکبیر، أمّـا صاحب المقاییس فقـد ذکر لها معنیین هما: عودة الشیئین، وتساوی الشیئین.

وقـال صـاحب کتـاب «التحقیق»، إنّ الأصـل فیها هو (السـفول) والانحطاط، وعـدّ جمیع المعانی الاخری من المجاز واعتبرها من لوازم المعنی الحقیقی، وطبقاً لهذا المعنی یصبح مفهوم الآیة المعنیة بالبحث: إنّی ارید أن تسقط من ساحة الرحمة الإلهیّة بإثمک وإثمی.

وتتبع موارد استعمال هذه الكلمة فى القرآن المجيد والمصادر الاخرى يؤيد ماذكره صاحب المقاييس من أنّ هذه الكلمة لها مفهومان وكلا المفهومين ينطبقان على الآية المعنية، فطبقاً للمعنى الأول تصبح الآية بهذا المعنى «إنّى اريد أن تعود (إلى اللَّه) وأنت تحمل إثمك وإثمى»، وطبقاً للمعنى الثانى تصبح بهذا المعنى «إنّك تعدّ مكاناً لنفسك بارتكابك هذا الإثم وحملك إثمى».

وهنا يطرح هذا السؤال المهم: ما هو المراد من ذنب هابيل الذى قُتِلَ على يد أخيه حتى يثقل كاهل أخيه؟ وكيف يمكن قبول هذا الحديث أساساً مع أنّ الآية تقول: «الَّا تَزِرُ وَازِرَةٌ

نفحات القرآن، ج۵، ص: ۲۸۶

وِزْرَ اخْرَى . (النجم/ ۳۸)

سلك مشاهير المفسرين عدّة طرق تحتاج أغلبها إلى التقدير فى الآية وقالوا: إنّ المراد من إثمى هو إثم قتلى.

لكن المناسب عدم التقدير، والمراد فى الآية هو: إنّك إن عملت بتهديدك هذا وقتلتنى فإنّك سوف تحمل ثقل جميع ما ارتكبته أنا من إثم، وذلك لأنّك يجب أن تدفع غرامة قتلى يوم القيامة وبما أنّك لم تعمل صالحاً فى الدنيا فعليك أن تحمل عبءَ ذنوبى غرامة فعلك!

وقد روى عن الإمام الباقر عليه السلام فى تفسير هذه الآية ما يؤيد هذا المعنى قال عليه السلام: «من قتل مؤمناً متعمداً أثبت اللَّه على قاتله جميع الذنوب وبرئ المقتول منها، وذلك قول اللَّه عزوجل: «انِّى اريدُ أنْ تَبُوأَ بِإِثْمى وَإِثمِكَ فَتَكُونَ مِنْ اصْحَابِ النَّارِ»» «۱».

وروى عن النبى الأكرم صلى الله عليه و آله ما يعزز هذا المعنى (وإن لم تكن الرواية واردة فى تفسير هذه الآية)، قال صلى الله عليه و آله: «يؤتى يوم القيامة بالظالم والمظلوم فيؤخذ من حساب الظالم فتراهُ فى حسنات المظلوم، حتى يُنتصف، فإن لم تكن له حسنات اخذ من سيئات المظلوم فتطرح عليه» «۲».

والآية الرابعة تشير إلى عصر نوح عليه السلام، فقد نقل القرآن دعوته على لسان الكافرين والجاحدين، قال تعالى: «ايَعِدُكُمْ انَّكُمْ اذَا مِتُّمْ وَكُنْتُمْ تُرَاباً وَعِظَاماً انَّكُمْ مُّخْرَجُونَ».

ويدل هذا التعبير بوضوح على أنّ نوح عليه السلام قد طرح على هؤلاء مسألة المعاد وبالأخص المعاد الجسمانى- وقد ملأت دعوته آذان جميع المخالفين، وبسبب انحطاطهم الفكرى بهتوا لماجاءهم وقالوا محدثين بعضهم البعض: «هَيهَاتَ هَيهَاتَ لِمَا تُوعَدُونَ».

ويستفاد بوضوح من الآيات الواردة فى سورة نوحٍ أيضاً أنّ نوحاً عليه السلام حاول رفع

---

(۱) تفسير نور الثقلين، ج ۱، ص ۶۱۳، ح ۱۳۳.

(۲) تفسير القرطبى، ج ۳، ص ۲۱۳۴.

نفحات القرآن، ج۵، ص: ۲۸۷

الشبهات والخوف وعدم الاطمئنان الذى جثم على أذهانهم بسبب طرح مسألة المعاد فعمد إلى تشبيه حياة البشر بحياة النباتات ليوضح لهم الأمر، قال تعالى عن لسان نوح: «وَاللَّهُ انبَتَكُمْ مِنَ الْارْضِ نَبَاتاً* ثُمَّ يُعِيدُكُمْ فِيهَا وَيُخْرِجُكُمْ اخْرَاجاً». (نوح/ ۱۷- ۱۸)

ويتّضح ممّا تقدم أنّ المعاد كان معروفاً لدى قوم نوح عليه السلام بالاسلوب المشابه لُاسلوب نبى الإسلام صلى الله عليه و آله الذى استخدمه مع مشركى مكة أيضاً، ونوح صلى الله عليه و آله كان أول الأنبياء من اولى العزم وكان صاحب شريعة.

وتحدثت الآية الخامسة عن «إبراهيم عليه السلام» وإيمانه بمسألة المعاد، فقد بينت هذه الآية جانباً من ادعية إبراهيم عليه السلام عندما عاش الآلام بسب المعارضة الشديدة التى تلقّاها من كفّار عصره، قال تعالى عن لسان إبراهيم عليه السلام: «وَلَا تُخْزِنِى يَوْمَ يُبْعَثُونَ* يَوْمَ لَايَنْفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ».

وقال فى الآية التى سبقت هذه الآية بآيتين: «وَاجْعَلْنِى مِنْ وَرَثَةِ جَنَّةِ النَّعِيمِ».

فالادعيـة المـذكورة أعلاه تشـير بوضوح إلى أنّ إبراهيم عليه السـلام يخاف الخزى يوم القيامـة مع مالديه من مقام عظيم لأنّه كان من أعظم الأنبياء من اولى العزم.

ومن الممكن أن يعتبر البعض هـذا التعبير عن أنّه رشـاد للاخـرين وتعليم لغير المعصومين، وذلك لأنّ المعصوم لا يخزى يوم القيامـة، لكن البعض لهم تعبير لطيف فى هذا المجال وهو أنّهم قالوا: «حسـنات الابرار سيئات المقربين» فالأعمال الصالحة العادية لا تلائم مقام الأنبياء والمعصومين، وكـذلك الحال بالنسـبة للمقربين فإنّهم إن حشـروا يوم القيامة مع «الابرار» وهو مقام أدنى من مقام المقربين فهو خزى بالنسبة لهم، وذلك لأنّه يتوقع من كل شخص عمل يتناسب معه، كما أنّ لكل شخص مقامه المناسب!.

وتحدثت الآية السادسة عن عقيدة «اليهود والنصارى» فى المعاد، قال تعالى «وَقَالُوا لَنْ يَدْخُلَ الجَنَّةَ الَّا مَنْ كَانَ هُوداً أَو نَصَارى .

نفحات القرآن، ج۵، ص: ۲۸۸

أجل إنّهم كانوا يعتقدون بأنّهم أرقى الأمم وأنّ الجنّة خصصت لهم ولم يعبهوا بغيرهم حتى لوكانوا مؤمنين.

فأجابهم القرآن اولًا فقال: «تِلكَ أَمَانِيُّهُمْ» أى آمال بعيدة عن الواقع ولن تتحقق أبداً.

ثم وجّه الخطاب إلى النبى الأكرم صلى الله عليه و آله فقال: «قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ انْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ».

(البقرة/ ۱۱۱)

أى أعطونى دليلًا عقلياً يـدعم هـذا التخصـيص وبأى دليل خصـص اللطف الإلهى بكم وحرم الآخرين منه؟ فهل من الممكن أساساً أن يتسق هذا التمييز مع العدالة الإلهيّة وأن يحرم المؤمنون المحسنون كما تزعمون؟

إن كانوا يدّعون بأنّ دينهم لن يمسخ إلى الأبد فلماذا حكموا على الامم السابقة التى كانت تتبع أنبياء السـلف ويعملون بتكاليفهم بهذا الحكم؟ إنّ كل هذا يدل على أنّ هؤلاء فى تخصيصهم الجنّة بهم لم يتبعوا إلّاأوهامهم النابعة من أنانيتهم.

والجـدير بالـذكر إنّ «أمانى» جمع «امنيـة» وهى بمعنى الأمل (وقـد صـرح عـدد من المفسـرين بأنّ الأمانى بمعنى الآمال التى يسـتحيل تحققها).

بناءً على هـذا ف «أمانى» بمعنى الآمال وتحمل معنى الجمع، بينما لا يشـكل تخصـص الجنّة إلّا «أمل واحد». وللاجابة على ذلك قال بعض المفسـرين: إنّ الأمـل الواحـد هـذا تتبعه آمـال اخرى أيضـاً وهى الخلاص من العـذاب الإلهى وخوف المحشـر وعُسـر الحساب ومسائل اخرى من هذا القبيل.

وقال آخرون: إنّ الأمل كلما كبُر يصبح بحكم «الآمال»، وهذا تعبير لطيف يشير إلى مدى بعد هؤلاء عن الواقع!.

وهنـاك احتمـال آخر أيضاً وهو إنّ السـبب فى عـدّها آمالًا هو وجود هـذا الأمل فى قلب كل واحـد منهم، أو أن يكون الواحـد منهم تمنى ذلك كثيراً، لـذا جىء بصـيغة الجمع للدلالـة على أنّ هذا التوهم لا ينحصـر بفرد معيّن منهم أو بمرحلة معينة، بل هو أمرٌ له طابع العموم والدوام.

نفحات القرآن، ج۵، ص: ۲۸۹

ومهما يكن من شىء فإنّ هذه الآية تدل بوضوح على وجود الاعتقاد بالمعاد لدى اليهود والنصارى

وفى‌الآيـة السابعـة نلاحـظ تعرّض «المسيـح» عليه السـلام لـذكر المعـاد عنـدما تكلم فى المهـد بـإذن اللَّه تعالى فقال فى بعض كلامه: «وَالسَّلَامُ عَلَيَّ يَوْمَ وُلِدْتُّ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ ابْعَثُ حَيّاً».

والسبب فى اختيار هذه الأيّام الثلاثة (يوم الولادة ويوم الموت ويوم البعث) هو خطورتها ودورها المهم فى تقرير المصير، وبتعبير آخر أنّ كل يوم من هذه الأيّام الثلاثة يشـكل بداية لفصل جديد فى مسار الإنسان وتعتبر السـلامة امرٌ مهم فيها ولا تتيسـر إلّابلطف من اللَّه، فطلب المسيح عليه السلام أن يمن اللَّه بلطفه عليه فى هذه الأيّام الثلاثة.

بالإضافة إلى ذلك فقد وجّه نداءه بنفى الوهيته ومذ كان فى المهد وصرّح بأنّه كسائِر عباد اللَّه بعثه اللَّه للناس جميعاً.

وجاء فى الآية ۱۵ من نفس هذه السورة ذِكر هذا الموضوع عند الحديث عن النبى يحيى عليه السلام، لكن الفرق بينهما هو كون الخطاب هنا صدر عن المسيح عليه السلام والخطاب هناك عن اللّه تعالى

جاء فى الحديث عن الإمام على بن موسى الرضا عليه السلام: «إنّ أوحش ما يكون هذا الخلق فى ثلاثة مواطن: يوم ولد من بطن امه فيرى الدنيا ويوم يموت فيعاين الآخرة وأهلها ويوم يبعث حياً فيرى أحكاماً لم يرها فى دار الدنيا».

ثم تعرّض الإمام لذكر الآيات المتعلقة بالنبى يحيى والمسيح عليهما السلام الواردة فى هذا المجال «۱».

وعلى أيّة حال فقد أشارت الآية المذكورة بوضوح إلى أنّ مسألة المعاد كانت من الامور البديهية لدى الأقوام السالفة ممّا جعل المسيح يتحدّث عنها وهو فى المهد.

إلى هنا تحدثنا بصورة موجزة عن موضوع المعاد فى شريعة أربعة أنبياء من «اولى العزم»، وإذا ما أضفنا الآيات الكثيرة الواردة فى موضوع المعاد فى شريعة نبى الإسلام صلى الله عليه و آله فسوف يختتم الحديث عن المعاد فى خمس شرائع.

---

(۱) تفسير نور الثقلين، ج ۳، ص ۳۳۵، ح ۷۵.



كما لاحظنا هذا الموضوع أيضاً لدى الأنبياء «غير أولى العزم» فى الأحداث التى مرت على آدم عليه السلام وماتعلق بها مثل قصة أولاد آدم وقصة إبليس.

ولا بأس هنا من الاطلاع على هذا الموضوع من خلال ما جاء على لسان سائر الأنبياء عليهم السلام:

عندما بُعث شعيب عليه السلام الذى كان يعيش فى فترة حياة موسى عليه السلام إلى مدينة (مدين) (مدينة تقع جنوب غرب الاردن اسمها الحالى (معان) وتقع شرق خليج العقبة) قال لقومه:

«فَقَالَ يَا قَومِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَارْجُوا الْيَوْمَ الْآخِرَ وَلَاتَعْثَوا فِى الْاَرَضِ مُفسِدِينَ». (العنكبوت/ ۳۶)

لقد أكّد شعيب عليه السلام فى بداية دعوته على مبدأين أساسيين تعتمد عليهما جميع الأديان هما «المبدأ» و «المعاد» ودعا الناس للإيمان بهما.

والمراد من رجاء اليوم الآخر هو رجاء نيل الثواب الإلهى فى ذلك اليوم، أو أن يكون معنى الرجاء هنا بمعنى الإيمان والاعتقاد بذلك اليوم.

والآية التاسعة تتحدث عن حوار «يوسف عليه السلام» مع صاحبيه فى السجن، قال تعالى عن لسان يوسف: «... انِّى تَرَكْتُ مِلَّةَ قَومٍ لَايُؤمِنُونَ بِاللَّهِ وَهُمْ بِالآخرَةِ هُمْ كَافِرُونَ».

والسبب فى استعماله لهذا التعبير هو أنّ مشركى ذلك الزمان عبدة الأصنام كانوا يعتقدون باللّه إلّاأنّهم كانوا يعتقدون بأنّ المعاد والجزاء يحصلان بواسطة التناسخ، فهؤلاء كانوا يعتقدون بأنّ روح الإنسان بعد الموت تحل فى جسم إنسان آخر فى هذه الدنيا وتتلقى ثوابها وعقابها خلال الحياة الجديدة، لكنّ دين التوحيد يرفض عقيدة التناسخ وعودة الأرواح فى هذه الدنيا كما أنّه يرفض عقيدة الشرك أيضاً، لذا عدّهم يوسف مشركين وجاحدين للمعاد «۱».

و «الملّة»: فى الأصل بمعنى (الدين) والفرق بين الملّة والدين هو أنّ الدين يضاف إلى اللّه وإلى الأشخاص معاً، فيقال دين اللّه أو دين محمد صلى الله عليه و آله بينما تضاف الملّة عادة إلى الأنبياء

---

(۱) تفسير الميزان ج ۱۱، ص ۱۸۹.

(أو إلى الأقوام الذين بُعث فيهم النبيون أو مدّعو النبوة) فيقال ملّة إبراهيم وأمثال ذلک «١» ولا يقال «ملّة اللَّه».

والمراد من القوم الذين ذكرهم يوسف عليه السلام هم عزيز مصر وزوجته زليخا وتابعوهم وهم شعب مصر بصورة عامّة، فهؤلاء لم يكن لديهم اعتقاد صائب لا بالمبدأ ولا بالمعاد.

وعلى أيّة حال فإن دلّ هذا على شيء فإنّه يدل على أنّ المعاد كان يشكل أحد الركنين الأساسيين في دين يوسف عليه السلام أيضاً، وقد أشار إلى هذين الركنين معاً في السجن عند محاورته للسجناء.

ومن الجدير بالذكر أنّ يوسف عليه السلام قال بعد هذا الحديث: «وَاتَّبَعْتُ مِلَّةَ آبَائِي ابْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ»، وهذا يدلّ على أنّ المبدأ والمعاد كانا ركنين ثابتين في جميع الاديان الإلهيّة السابقة.

وتحدثت الآية العاشرة والأخيرة من آيات بحثنا عن خطاب «مشركي مكة» عند معارضتهم دعوة النبي الأكرم صلى الله عليه و آله حين دعاهم للإيمان بالمعاد، فبعد اظهارهم التعجب من عودة الإنسان إلى الحياة بعد تحوله إلى تراب قالوا: «لَقَدْ وُعِدْنَا هَذَا نَحْنُ وَآبَاؤُنَا مِن قَبْلُ انْ هَذَا الَّا اسَاطِيْرُ الْاوَّلينَ».

ويشير هذا التعبير بوضوح إلى أنّ الدعوة إلى الإيمان بالمعاد كانت حاصلة من قبل الإنسان منذ القدم إلى الحد الذي عدّها المشركون من (أساطير الأولين)!.

و «اساطير»: جمع «اسطار». واسطار جمع «سطر» بمعنى الصف من الأشجار أو الكلمات وغيرها، ف «أساطير» جمع الجمع وتستعمل بمعنى الروايات المنقولة عن الأقوام السالفة، وبما أنّ روايات السالفين كانت تضج بالخرافات فقد استعملوا هذا التعبير عادةً في مجال «الخرافات».

---

(١) مفردات الراغب، مادة (ملّة).

نفحات القرآن، ج‏٥، ص: ٢٩٢

وقال البعض: إنّ «أساطير» جمع «اسطورة» و «اسطارة» و «اسطير» ووجود الزيادة على المصدر الثلاثي دليلٌ على الإضافة في المعنى فيكون المعنى الأصلي هو السطر الطبيعي والمعنى الاضافي هو الأسطر المزيّفة والكاذبة «١».

### ثمرة البحث:

يستفاد من خلال الآيات المذكورة وكذلك الآيات الكثيرة المشابهة لها في القرآن المجيد أنّ مسألة المعاد قد طرحت منذ وطأ آدم عليه السلام الأرض وأنّ جميع الأنبياء دعوا الناس للإيمان بها، خلافاً لزعم المغفلين الذين يرون أنّ الحديث عن الإيمان بيوم القيامة طرح مؤخراً من قبل المؤمنين.

بل يستفاد من آيات متعددة من القرآن أنّ اللَّه أيضاً يحاجج المجرمين بمسألة المعاد يوم القيامة، قال تعالى «يَا مَعْشَرَ الجِنِّ وَالْانْسِ الَمْ يَأتِكُمْ رُسُلٌ مِّنْكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ ايَاتِي وَيُنْذِرُونَكُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا». (الانعام/ ١٣٠)

فهذه الآية تدل بوضوح على أنّ انبياء اللَّه دعوا جميع الجن والانس للإيمان بالمعاد.

وجاء هذا المعنى في آية اخرى نقلًا عن لسان خزنة جهنم عند محاورتهم أصحاب النار: «وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا الَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنْكُمْ يَتْلُونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِ رَبِّكُمْ وَيُنْذِرُونَكُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا». (الزمر/ ٧١)

واللطيف أنّ أصحاب النار يعترفون جميعاً بهذا المعنى أيضاً، كما يدل على ذلك ماجاء في تتمة هذه الآية: «قَالُوا بَلَى .

بناءً على هذا فالقرآن يرى أنّ مسألة المعاد تشكل العمود الفقري في دعوة الأنبياء، وان الدعوة للإيمان بالمعاد بدأت منذ خلق آدم عليه السلام واستمرت على مرّ العصور بواسطة دعوة الأنبياء وأنّ جميع الشعوب قد تعرّفت على هذا الموضوع.

والآن ننتقل إلى بحث الأسانيد التاريخية وتقارير العلماء الواردة فى هذا المجال.

(۱) التحقيق فى كلمات القرآن الكريم.

نفحات القرآن، ج۵، ص: ۲۹۳

## توضيحات

### ۱- المعاد لدى شعوب ما قبل التاريخ

نحن نعلم بأنّ حياة البشرية تقسّم إلى مرحلتين: مرحلة ما بعد اختراع الكتابة عندما تمكن الإنسان من تدوين شىء من نفسه وسمّيت هذه المرحلة بمرحلة التاريخ، ومرحلة ماقبل اختراع الكتابة، فمن الطبيعى أنّ الإنسان لم يكن فى هذه المرحلة قادراً على تدوين شىءٍ ممّا كان يدور حوله كى يصبح له تاريخ مدوّن، وأطلق على هذه المرحلة اسم مرحلة ما قبل التاريخ.

لكن عدم اختراع الكتابة فى تلك العصور لم يكن حائلًا أبداً أمام معرفتنا لأوضاع تلك الشعوب، وذلك لأنّ ما خلّفوه من آثار تحت التراب وفى المغارات وغيرها كثير جدّاً ممّا يسهّل الكشف عن مجهولات كثيرة فى اسلوب معيشتهم.

فالعلماء ما زالوا مستمرين فى التنقيب فى مختلف أنحاء العالم عن الآلات المختلفه التى كان الإنسان يستخدمها فى تلك الفترة وما زالوا ينقّبون عن بيوتهم وقراهم التى كانوا يسكنونها، كى يطالعوها بدقّة بعد العثور عليها ليدوّنوا ما يكتشفونه من عاداتهم وتقاليدهم وثقافتهم فيتوصلوا عن هذا الطريق إلى معرفة طقوسهم وعقائدهم الدينية أيضاً.

يقول عالم الاجتماع الشهير «صاموئيل كينغ» فى كتابه: «إنّ أسلاف الإنسان الحالى (الذين عُثر على آثارهم خلال التنقيب) أى «النياندرتال» كانوا يمارسون طقوساً دينية، والدليل على ذلك هو دفنهم أمواتهم بطريقة خاصة ودفنهم آلاتِ عملهم معهم وهذا ما يكشف عن عقيدتهم بوجود عالم آخر» «۱».

ونحن نعلم بأنّ نسل النياندرتال يتعلق بعصورمضت عليها عشرات الآلاف من السنين فى زمانٍ لم تخترع فيه الكتابة ولم تدخل مرحلة التاريخ البشرى.

إنّ عملهم هذا كان خرافياً وهذا ممّا لا شك فيه، لأننا نعلم بأنّ آلات العمل لا تنفع الإنسان فى الآخرة، لكنّ المحفّز لعملهم هذا هو الإيمان بالحياة بعد الموت كان واقعاً متجسداً بينهم.

(۱) علم الاجتماع، ساموئيل كينغ، ج ۱، ص ۲۹۱.

نفحات القرآن، ج۵، ص: ۲۹۴

وجاء فى كتاب دائرة معارف القرن العشرين نقلًا عن كتاب «اصول علم الاجتماع» لمؤلفه «هربرت اسبينسر»: «إنّ الإنسان القديم وبسبب عدم قدرتهم على التفكير العميق كانوا يتصورون وضع الحياة فى الآخرة على قدر عقولهم، لذا كانوا يحملون اعتقادات عجيبة وغريبة عن جزئيات تلك الحياة تشوبها الخرافات أحياناً، فالكثير منهم وعلى الرغم من اعترافهم بالحياة الآخرة كانوا يعتقدون بأنّ تلك الحياة تختص بمن مات موتاً طبيعياً، وكان البعض منهم يعتقد بأنّ تلك الحياة خاصة بالابطال والأقوياء. فقسم من هؤلاء كان يدفن مع الميت سلاحه، كما كانوا يدفنون الأدوات المنزلية مع النساء ووسائل اللعب مع الأطفال (كى ينتفعوا بها عندما يبعثون ثانياً!).

كما كانوا يدفنون أحياناً جميع ما يمتلك الميت من حيوانات معه، ويدفنون معه أحياناً شيئاً من حبوب الذرة والحبوب الاخرى لكى يستفيد منها فى زراعته فى الآخرة!.

كما كانوا يتجاوزون ذلك أحياناً فيدفنون مع الميت نساءه وغلمانه وبعض أعوانه المقربين كي يتسامر معهم في الآخرة! حتى وصل الحد في بعض مناطق المكسيك وأمريكا إلى قتل كاهنٍ (ودفنه) مع أصحاب النفوذ ليشاوروه في الامور الدينية والمعنوية في الآخرة!!.

كما كانوا يقتلون مهرّجه ويدفنونه معه أيضاً ليلهي سيده في الآخرة بحركاته وما يقصّه عليه من الطرائف.

فعدد الذين يقتلون ليدفنوا مع الشخصيات يتناسب مع حجم شخصية ومكانة ذلك الرجل، وقد ذكر أحد المؤرخين: أنّ عدد ضحايا بعض هؤلاء الأموات يصل إلى مائتي شخص!

وفي بعض الأحيان عندما كان يتوفى أحد الأبناء الأعزاء كانوا يقتلون امّه وعمّته وجدّته فيدفنونهن معه كي يكنَّ إلى جواره في الآخرة» «۱».

ممّا لا شك فيه هو أنّ هذه الخرافات المرعبة كانت وليدة أفكار تلك الشعوب المنحطة

---

(۱) دائرة المعارف قرن بيستم، ج ۱، ص ۹۰- ۹۴ (باختصار).



فكرياً، لكن كل تلك الأحداث تتحد في دلالتها على شيء واحد وهو أنّ الاعتقاد بعالم ماوراء الموت كان ذا جذور عميقة لدى الإنسان القديم.

وجاء أيضاً في كتاب «تاريخ الحضارات العام» أنّ أجساد الموتى كانت تدفن باهتمام خاص ومراسم خاصة منذ مراحل ما قبل التاريخ وحتى نهاية التاريخ القديم، وكثيراً ما كانوا يدفنون مع الأموات الأدوات المنزلية أو اشكال غريبة اخرى وكان ذووهم يهدونهم الهدايا، وهذه العادات والتقاليد إن دلت على شيء فإنها تدل على إيمانهم بالحياة الآخرة «۱».

### ۲- المعاد في ضمير شعوب ما بعد التاريخ

#### اشارة

تدلّ الوثائق التاريخية على أنّ الشعوب التي كانت تعيش فيمناطق مختلفة من العالم كانت تشترك مع الشعوب الأُخرى في هذه العقيدة، وغالباً ما كانت المجتمعات تؤمنُ بعقيدة راسخة في مسألة الحياة بعد الموت، وَتُولي اهتماماً كبيراً بإقامة تلك الشعائر بالرغم من إدخالهم عليها بعض الخرافات، ونحاولُ أنْ نلقي نظرةً على بعض المعتقدات لدى المجتمعات القديمة.

#### أ) المعاد لدى المصريين القُد ماء

جاء في كتاب تاريخ «آلبر ماله» في هذا المجال: «كان المصريون يعتقدون بأنّ أرواح الموتى تخرج من القبور، وتمثل بين يدي الربِّ العظيم «آزيريس».

وعندما تُقاد الروح لتمثل أمام أحكم الحاكمين فانَّ «آزيريس» يأخذ قلب الشخص ويضعُهُ في ميزان الحقيقة ليزنه، فُترسل الروح الطاهرة إلى بستان لا يسع تصور الإنسانِ خيراتهِ ...

---

(۱) تاريخ الحضارات العام، ج ۱، ص ۹۹.

وكانوا يضعون إلى جوار كلٍ من الأموات سِفراً يُعينه ويَهديه في سَفرهِ إلى ذلك العالم، وذلك السِفر العجيب يحتوي على جُمل ينبغي على الميّت أن يقولها أمام الإله العظيم «آزيريس» كي تبرأ ذمّته، وهذه الجُمل هي:

إنّ العظمة تليق بك أيّها المتعال! إله الحقيقة والعدالة!

إنني لم اراوغ مع الناس الذين كنت أعيش معهم، ولم اضجّر امرأة عجوزاً ولم أكذب في محكمة، ولم أدنّس نفسي بالحيل وتلفيق الحقائق.

إنني لم احمّل العامل أكثر ممّا يطيق من عمل في يوم واحد، ولم أتماهل في انجاز وظائفي، ولم اتّخذ من التواني موضعاً، ولم أرضَ بهتك المقدسات ولم أنمَّ على عبدٍ لدى سيده، ولم أُلقِ برزق احدٍ إلى القطط! ولم أقتل، ولم أسرق لفائف وأمتعة الموتى «۱».

إنني لم اغتصب أرض أحد ولم أصد عن رضع الأطفال، ولم أُوقِفْ جريان نهرٍ، إنني طاهر طاهر! ...

أيّها القضاة! افسحوا المجال أمام هذا المرحوم فاليوم يوم الحساب، وهذا لم يقترف ذنباً ولم يكذب ولم يُسْ، إنّه نصر الحق والانصاف في حياته، فكان الناس يحمدون أفعاله وقد أرضى الإله، إنّه أطعم الجياع وقدّم القرابين في سبيل الإله ومدّ الموتى بالغذاء، أنّ فمه طاهر ويديه طاهرتان أيضاً.

قال المؤرخ المذكور (آلبر ماله) في‌نقد هذا الكلام: يلاحظ بوضوح من خلال هذه العبارات كيفية تصنيف المصريين للذنوب الكبيرة والحسنات والمستحبّات «۲».

ويجب أن نضيف إلى هذا الكلام أن هذه العبارات تدل أيضاً على أنّ هؤلاء كانوا يؤمنون بالحساب الإلهي بالإضافة إلى إيمانهم بتمحيص الأعمال وإيمانهم بوجود الجنان، كما يجب أن نضيف إلى هذا أنّ هذه الأعمال أشبه ما تكون بتلقين الميّت لدى المسلمين، وتشير إلى تطهير السلوك من دنس جميع الذنوب، هذا بالإضافة إلى قياس حجم الذنوب بالنسبة إلى بعضها البعض.

---

(۱) المراد من لفائف الموتى ظاهراً هو القماش الذي يلف على أجسام الموتى لتحنيطهم، وكان ذا قيمة عالية، أمّا الأمتعة فهي الغذاء الذي كانوا يدفنونه مع الموتى على أمل أن ينفعهم في حياتهم بعد الموت.

(۲) «آلبر ماله» تاريخ ملل شرق ويونان، ج ۱، ص ۷۴.

نفحات القرآن، ج۵، ص: ۲۹۷

وعلى أيّ حال فالمصريون بناءً على ما جاء في تاريخهم، كان لهم اعتقاد راسخ بمسألة الحياة بعد الموت على الرغم من نفوذ خرافات كثيرة فيها، ومن جملة معتقداتهم هو وضعهم الأدوات التي كانوا يستخدمونها في حياتهم والأمتعة، ووضعهم صور وتماثيل ورسوم الموتى في القبور، لاعتقادهم بأنّ هذه الصور والرسوم يمكنها أن تحل محل الموتى

ففي بعض المقابر عثر على صورة مزرعة وفي بعضها عثر على صورة تُصوّر كيفية عمل الرغيف، وفي بعضها عثر على صورة تحتوي على منظر ذبح بقرة، واخرى تحتوي على منظر تقديم اللحم المشوي الموضوع في الآنية للضيوف «۱»، كما أنّ تحنيط الموتى وبناء القبور الرصينة مثل الأهرام، كلها تصب في هذا الميدان، والهدف منها هو حفظ أجساد الموتى من التفسخ إلى يوم القيامة، كي تتمكن مِن الحصول بسهولة على وسائل العيش بعد أن تحل فيها الروح (لذا) كانوا يضعون أنواع المأكولات وتماثيل الطبّاخين والخبّازين، وأنواع الأسلحة والجواهر في القبور إلى جوار الأجساد، ولمّا كانت هذه القبور عادةً عرضة لعبث الحيوانات الوحشية، أو عرضة لحملات اللصوص لما يوجد فيها من جواهر فقد بادر أصحاب النفوذ والأثرياء إلى بناء الأهرام، أو بناء الأبنية الرفيعة على القبور واطلقوا عليها اسم «پيرموس» أي «مرتفع» «۲».

**ب) «البابليون»**

إنَّ البابليين أيضاً كانوا مِن أصحاب الحضارات القديمة، وتدل الآثار الباقية من حضارتهم على أنّهم كانوا يدفنون أجساد الموتى فى قبور على شكل غرف مُسقّفة تحت الأرض، وبالرغم من عدم تحنيطهم الموتى إلّاأنّهم كانوا يُلبسونهم الملابس الفاخرة بعد غسلهم، وكانوا يصبغون وجنات الموتى بالألوان ويكحّلون أجفانهم باللون الأسود! وكانوا

---

(۱) قصة الحضارة، ول ديورانت، ج ۲، ص ۷۱.

(۲) المصدر السابق، ص ۷۱.



يضعون الخواتم فى أصابعهم، أمّا بالنسبة للنساء فإنّهم كانوا يدفنون معهنَّ حِقاق الطيب والمشط ودقيق وزيوت التجميل، كى يحتفظن بطيب الرائحة وطراوتهنَّ وجمالهنَّ فى العالم الآخر «۱»!

### ج) «السومريون»

يعتبر السومريون من أصحاب الحضارات السالفة، الذين كانوا يقطنون جنوب العراق، قال المؤرخ «ول ديورانت»: كان السومريون يدفنون الأمتعة والآلات مع الأموات.

وقال فى هذا المجال أيضاً: إنّ السومريين كانوا يدفنون الأمتعة وآلات العمل مع الموتى فإنّ من الممكن أن نفترض بأنّهم كانوا يعتقدون بالدار الآخرة «۲».

### د) «الزرادشت»

إنَّ الزرادشت الذين كانوا يقطنون ايران، كالشعوب الاخرى يعتقدون بعودة الحياة بعد الموت، بل قد ذكروا لهذه المسألة جزئيات أكثر ممّا ذكرتهُ الشعوب الاخرى فهؤلاء لديهم عبارات حول الجنّة والنار والصراط، حتّى أنّهم كانوا يصنفون أهل النار على دَرَكات تشبه إلى حد كبير المعتقدات المعاصرة.

وعلى حدّ قول «ول ديورانت» إنّهم كانوا يعتقدون بالآخرة و «جهنم» و «محلّ التطهير» (الاعراف) ويعتقدون بوجود الجنّة، كما انّهم يعتقدون بأنّ الأرواح عليها أن تجتاز الصراط، لتمييز الأرواح الخبيثة عن الأرواح الطيّبة فتهبط الأرواح المنزّهة بعد عبور الصراط إلى أرض «السرور»، ليخلدوا إلى جوار «اهورامازدا» فى النعيم والسعادة، بينما لا

---

(۱) قصة الحضارة، ول ديورانت، ج ۲، ص ۲۲۲.

(۲) المصدر السابق، ص ۳۰.



تتمكّن الأرواح الخبيثة من عبور الصراط فتهوى فى حفر النار، فالأرواح التى ارتكبت ذنوباً أكثر خلال حياتها تسقط فى حفرٍ أعمق من حفر جهنم! «۱».

وكما لاحظتم أنّ هؤلاء كانت لديهم تفصيلات أكثر من غيرهم فى مسألة الحياة بعد الموت.

### ه) «الصينيون»

والصينيون أيضاً كانوا يؤمنون بوجود الحياة الاخرى في طيّات معتقداتهم، قال «ول ديورانت» في هذا المجال: إنّ عقائد هؤلاء الدينية كانت مليئة بتمني الوصول إلى الآلهة والجنّة، وكانوا يعتبرون الإله «أميتبها» حاكم الجنّة (من المحتمل أن يكون الإله هنا هو المَلَك) «۲».

وجاء في مصدر آخر: إنَّ الصينيين كانوا يعتقدون بأنّ الذين يموتون موتاً طبيعياً إذا ما كانوا صالحين، فسوف تسمو أرواحهم وتصل إلى مراحل راقية بالتدريج من خلال تقديم الهدايا والقرابين، وأخيراً يتحولون إلى آلِهة (ملائكة) «۳».

### و) «اليابانيون»

واليابانيون أيضاً كانوا يشتركون في هذه العقيدة مع الشعوب الاخرى فعندما وصلت الديانة البوذية إلى اليابان كانت مُلَبَّدةً بغيوم من التشاؤم، ولكن سرعان ما تغيرَّتْ تحت السماء اليابانية وأصبحت لها آلِهة حفظة (ملائكة حفظة)، وطقوس جذّابة وجنّة آمنة، ولا يخفى أن هذه الديانة كانت تؤمن بوجود جهنم والوحوش الخرافية أيضاً «۴».

---

(۱) قصة الحضارة، ول ديورانت، ج ۲، ص ۴۳۰.

(۲) المصدر السابق، ج ۴، ص ۲۶۱.

(۳) اسلام وعقائد وآراء بشرى، ص ۱۵۸.

(۴) قصة الحضارة، ول ديورانت، ج ۵، ص ۳۵.

نفحات القرآن، ج۵، ص: ۳۰۰

### ز) «اليونانيُّون»

أظهَرَ اليونانيُّون (الاغريق) اعتقادهم بالحياة بعد الموت بصور مختلفة، فمن جملتها إنّهم كانوا يدفنون مع الموتى بعضاً من الامتعة ووسائل التنظيف ليكونوا سعداء تحت التراب، كما كانوا يدفنون معهم تماثيل فخارية صغيرة بهيئة النساء كي تحافظ عليهم وتسلِّيهم في الدار الآخرة «۱».

### ح) «الرومان»

وللرومان أيضاً تعابير مختلفة في هذا المجال. ف «الاتروريون» الذين هم احدى الفرق القديمة والذين حكموا روما، كان من أهم اعتقاداتهم هو أنّ الميّت يحشر في المحكمة الإلهيّة تحت الأرض طبقاً للصورة التي تنقش على قبره، ويمهل في آخر لحظات المحاكمة للدفاع عن أعماله التي ارتكبها فيحياته، فإن لم يتمكن من الدفاع عن نفسه فسوف يبتلي بأنواع العذاب ... وهؤلاء أيضاً كانوا يدفنون الموتى أحياناً في قبور تشبه البيوت يحفرونها في الصخور، وكانوا يضعون مع الميت جميع ما يتعلق به من أدوات كالملابس والمزهريات والأسلحة والمجوهرات والمرآة وأدوات التجميل «۲».

وكان المؤرخ اليوناني «بلوتارخُس» الذي كان يعيش في الفترة مابين (۵۰- ۱۲۰) ميلادي، الذي الّف كتبه في العقائد وسير مشاهير اليونان كان يعتقد بوجوب الإيمان بخلود الإنسان وبأنّ الجنّة محل الثواب، وأنّ البرزخ محل التطهير، وجهنم محل العقاب «۳».

---

(۱) يونان القديم، ج ۲، ص ۱۸.

(۲) تاريخ تمدّن، ول ديورانت، ج ۳، ص ۹ (قيصر ومسيح).

(۳) المصدر السابق، ج ۳، ص ۵۷۱.

نفحات القرآن، ج۵، ص: ۳۰۱

## ۳- الاعتقاد بالمعاد فى كتب اليهود «۱»

إنّ ممّا لا شك فيه هو أنّ النصارى واليهود كانوا يؤمنون بعالم ما بعد الموت، وقد اشير إلى هذه المسألة كثيراً فى كتب «العهد الجديد» والأناجيل الكثيرة، بالرغم من قلّة الإشارة إليها فى كتب «العهد القديم» أى كتب اليهود.

ومن «المحتمل» أن يكون السبب فى وجود هذا الفرق، هو حب اليهود المفرط للحياة الماديّة، والذى أشار إليه تاريخهم بوضوح ممّا يجعل الاعتقاد بالمعاد يزاحم برامجهم، لذلك عندما كانوا يحرفون كتبهم المأثورة كانوا يثبتون كلّ ما شاهدوه يتحدّث عن الامور الماديّة فى الحياة بنحو أفضل وأبرز ممّا ذكر، لكنهم كانوا يحذفون كلّ ما كانوا يواجهونه من حديث حول القيامة وعقوبة عبدة الدنيا والظلمة!

وقد وصفهم القرآن المجيد بهذا الوصف أيضاً، قال تعالى «وَلَتَجِدَنَّهُمْ أَحْرَصَ النَّاسِ عَلى حَيَاةٍ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا يَوَدُّ أَحَدُهُمْ لَوْ يُعَمَّرُ أَلْفَ سَنَةٍ». (البقرة/ ۹۶)

ولكن بالرغم من جميع هذه الاحتمالات التى نشاهدها فى كتب العهد القديم بالنسبة لمسألة المعاد، فإننا نواجه عبارات واضحة الدلالة على الاعتقاد بمثل هذا العالم والتى منها:

۱- جاء فى كتاب «النبى أشعيا»: «سوف تحيا أمواتك وسوف تبعث أجسادى» «۲».

۲- وجاء فى الكتاب الأول ل «صومائيل» مايلى: «إنّ اللَّه يميتُ ويحيي ويُدخِلُ القبور ويبعث» «۳».

---

(۱) تشتمل كتب اليهود المقدسة والتى تسمى بالعهد القديم على ۳۹ كتاباً، خمسة منها اسفار التوراة الخمسة، وسبعة عشر كتاباً منها تسمى بمدوّنات المؤرخين وكما هو ظاهر من اسمها فهى تحمل فى طياتها ما دوّنه المؤرخون حول سِيَر الملوك والحكّام وغيرهم، أمّا الكتب السبعة عشر الاخرى والتى، تسمى بمدوّنات الأنبياء فهى تتألف من شرح سِيَر الأنبياء وكلماتهم القصار ونصائحهم ومناجاتهم، وأمّا بالنسبة لكتب المسيح المقدسة (العهد الجديد) فمجموعها سبعة وعشرون كتاباً لا غير، فالاناجيل الاربعة دوّنت على يد تلاميذ المسيح أو تلاميذ تلاميذه وأثنان وعشرون كتاباً منها هى رسائل (بولص) وسائر رموز الدين المسيحى الذين بعثوا للتبشير إلى مناطق مختلفة، وآخرها كتاب الرؤيا (ليوحنا) الذى شرح فيه مشافهاته الغيبية.

(۲) كتاب أشعيا، باب ۲۶، جملة ۱۹.

(۳) كتاب صاموئيل الأول، باب ۲، ج ۶.

نفحات القرآن، ج۵، ص: ۳۰۲

۳- وجاء فى سفر المزامير ل «داود»: «بما أننى أسير تحت ظل الموت دائماً فإني سوف لن أخاف السوء، لأنّك معى، وسوف تتبعنى الرحمة والاحسان فى كل لحظات عمرى، وسوف أسكن بيت اللَّه إلى الأبد «۱».

بهذا أشار كل من الأنبياء «صاموئيل» و «اشعيا» و «داود» إلى القيامة بإشارات بارزة، بالرغم من أنّ هذه الأحاديث وأمثالها لم يتلقّها اليهود بقناعة، ومن المحتمل أن يكون هذا هو السبب فى حذفهم لعبارات كثيرة اخرى فى هذا المجال.

قال بعض المؤرخين فى معرض ذكره لنبذة من عقائد اليهود: «إنّ هؤلاء كانوا يعتقدون بأنّ الأموات سوف يبعثون أخيراً (وتحل فيهم الروح من جديد) ... فيأتى المنقذ على الفور، وبعد انتصاره يجتمع المحسنون جميعاً ويلتحق بهم (حتى من كان فى القبور فيحشرون

فى الجنّة التى هى مقرّه الأبدى» «۲».

وقد أشار هذا الكاتب فى محل آخر إلى العقيدة الزرادشتية فقال: «سوف يبعث الأموات؛ وتحل الروح فى أجسادهم، ويعود التنفس إلى صدورهم فيتخلّص العالم المادى من الكهولة والموت والتفسخ والانقراض، ويبقى على هذه الحالة إلى الأبد».

### ۴- القيامة من وجهة نظر الأناجيل

وكما أشرنا سابقاً إلى أنَّ مسألة الحياة بعد الموت قد ذكرت بوضوح أكثر فى أناجيل النصارى فمن جملة ذلك:

جاء فى انجيل «مَتّى الذى هو من أقدم الأناجيل: «عندما يَمْتَثِلُ ابن آدم بين يدى الأب مع ملائكته، حينئذٍ يجازى كل على قدر عمله» «۳».

---

(۱) مزامير داود، مزبور ۲۳، جملة ۴ إلى ۶.

(۲) تاريخ تمدن، ول ديورانت، ج ۳، ص ۶۳۷ (باختصار).

(۳) انجيل متّى باب ۱۶، جملة ۲۷.

نفحات القرآن، ج۵، ص: ۳۰۳

وجاء فى انجيل «يوحنا» مايلى:

«... تأتى تلك الساعة فيستمع جميع من فى القبور نداءها فيخرجون جميعاً، فمن عمل صالحاً يذهب إلى قيامة الحياة، ومن عمل سيئاً يذهب إلى قيامة الجزاء» (المراد من قيامة الحياة ظاهراً هى الحياة فى النعيم الإلهى التى هى ثواب الصالحين، والمراد من قيامة الجزاء هو مجازاة المذنبين طبقاً لمقتضى قضاء العدل الإلهى) «۱».

### ثمرة البحث:

من خلال البحوث المذكورة يمكننا بكل وضوح الوصول إلى هذه النتيجة وهى: إنّ الاعتقاد بالحياة بعد الموت فى نظر مؤَرِّخى الأديان وغيرها هو من أقدم المعتقدات لدى الأقوام المختلفة للبشر بل هو أقدم من اختراع الخط وتدوين التاريخ أيضاً، وإنَّ جميع الأقوام والشعوب كان لديهم نوعٌ من هذه الاعتقادات التى لم تؤثّر فيها لا القومية ولا الجنس ولا اللغة ولا الخصوصية الجغرافية، بل هى عقيدة شمولية حملها البشر على مرّ التاريخ وقبل تدوينه.

وطبقاً لما جاء مفصلًا فى بحث كون المعاد فطرياً، فإنّ شمولية هذه العقيدة نابعة من كونها ذات جذور فطرية، فهى ذاتية وليست من الامور الطارئة على البشر من الخارج، كى تتطوّر بمرور الزمان أو بتطور الشعوب.

---

(۱) انجيل يوحناً، الباب ۵، جملة ۲۸ و ۲۹ (اقتباس من ترجمة «وليام غلن» طبع المجتمع البريطانى للترجمة الاجنبية للكتب المقدسة سنة ۱۸۷۸).

نفحات القرآن، ج۵، ص: ۳۰۵

## الإيمان بالمعاد وعلاقته بالتربية

### تمهيد:

إنّ ممّا لا شك فيه هو أنّ الإيمان بالمعاد له تأثير بالغ على أعمال البشر، فأعمال الإنسان أساساً، ما هى إلّاانعكاسات لعقائده، أو بتعبير آخر إنّ سلوك كل إنسان له علاقة وثيقة بنظرته الكونية.

فمن يعتقد بأنّ جميع أعماله بلا استثناء، سوف تناقش قريباً فى محكمة يتّسم قضاؤها بالعلم بجميع الامور، وأنّه لا تنفع فى تبديل حكمهم شفاعة الآخرين أو الرشوة، وأنّه لا مجال لدخول التعديلات على احكامها الصادرة، التى سوف يثاب أو يعاقب وفق مفادها، بل من ناحية اخرى إنَّ من يعتقد بأنّ أعماله محفوظة على الدوام وتتسم بصبغة الخلود، وأنّها سوف تحشر معه فى الآخرة لتعيين مصيره من ناحية الفخر أو الذّلة، والطمأنينة أو العذاب، وبأنّها تجرّه إلى السعادة الخالدة أو العذاب الأبدى، فإنّه من البديهى أن لا يسعى مثل هذا لإصلاح نفسه فحسب، بل يصبح حذراً جدّاً فى ممارسة سلوكه وأعماله المختلفة ويتمعن فيها كثيراً، كما هو الحال فى العالم المطّلع على خواص العقاقير الطبيّة النافعة والسموم القاتلة، فإنّ هذا يسعى لتجنيد جميع طاقاته للحصول على العقاقير النافعة، كما أنّه يحذر كل الحذر من السموم القاتلة، فهذه المسألة تصدق على موارد الاعتقاد بالحياة بعد الموت ومحكمة القيامة.

بعد هذه الإشارة نعود إلى القرآن لنتأمل خاشعين فى الآيات التالية الواردة فى هذا المجال:

نفحات القرآن، ج۵، ص: ۳۰۶

۱- «فَمَنْ كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحاً وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحداً».

(الكهف/ ۱۱۰)

۲- «وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ مِسْكِيناً وَيَتِيماً وَأَسِيراً* إِنَّمَا نُطعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنْكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكُوراً* إِنَّا نَخَافُ مِنْ رَّبِّنَا يَوْماً عَبُوساً قَمْطَرِيراً».

(الانسان/ ۸- ۱۰)

۳- «وَمَالِيَ لَاأَعبُدُ الَّذِى فَطَرَنِى وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ». (يس/ ۲۲)

۴- «قَالَ الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُمْ مُّلَاقُوا اللَّهِ كَمْ مِّنْ فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثيرةً بِإِذْنِ اللَّهِ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ». (البقرة/ ۲۴۹)

۵- «قَالُوا لَنْ نُّؤْثِرَكَ عَلَى مَا جَاءَنَا مِنَ البَيِّنَاتِ وَالَّذِى فَطَرَنَا فَاقْضِ مَا أَنْتَ قَاضٍ إِنَّمَا تَقْضِى هَذِهِ الحَياةَ الدُّنْيَا* إِنَّا آمَنَّا بِرَبِّنَا لِيَغفِرَلَنَا خَطَايَانَا». (طه/ ۷۲- ۷۳)

۶- «فِى جَنَّاتٍ يَتَسَاءَلُونَ* عَنِ الْمجْرِمِينَ* مَا سَلَكَكُمْ فِى سَقَرَ* قَالُوا لَمْ نَكُ مِنَ المُصَلِّينَ ... وَكُنَّا نُكَذِّبُ بِيَومِ الدِّينِ». (المدثر/ ۴۰- ۴۶)

۷- «وَيَلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ ... الَا يَظُنُّ اولَئِكَ أَنَّهُمْ مَّبْعُوثُونَ* لِيَومٍ عَظِيمٍ».

(المطففين/ ۱- ۴- ۵)

۸- «إِنَّمَا يَسْتَأْذِنُكَ الَّذِينَ لَايُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَومِ الآخِرِ». (التوبة/ ۴۵)

۹- «أَرَأَيتَ الَّذِى يُكَذِّبُ بِالدِّينِ* فَذلِكَ الَّذِى يَدُعُّ اليَتِيمَ». (الماعون/ ۱- ۲)

۱۰- «بَلْ يُرِيدُ الْإِنْسَانُ لِيَفْجُرَ أَمَامَهُ* يَسْئَلُ أَيَّانَ يَومُ القِيَامَةِ». (القيامة/ ۵- ۶)

۱۱- «إِنَّ الَّذِينَ لَايُؤمِنُونَ بِالآخِرَةِ زَيَّنَّا لَهُمْ أَعْمَالَهُمْ فَهُمْ يَعْمَهُونَ». (النمل/ ۴)

۱۲- «وَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرآنَ جَعَلْنَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ الَّذِينَ لَايُؤْمِنُونَ بِالآخِرَةِ حِجَاباً مَّستُوراً* وَجَعَلْنَا عَلَى قُلوبِهِمْ أَكِنَّةً أَنْ يَفْقَهُوهُ وَفِى آذَانِهِمْ وَقْراً». (الاسراء/ ۴۵- ۴۶)

نفحات القرآن، ج۵، ص: ۳۰۷

## جمع الآيات وتفسيرها

### الإيمان بالمعاد هو المحفِّز على عمل الصالحات:

لقد عكست لنا الآيةُ الاولى الرابطةَ الوثيقةَ بين الإيمان بالآخرة والعمل الصالح، قال تعالى «فَمَنْ كَانَ يَرْجُو لَقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحاً وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَداً».

فالايمان بالآخرة طبقاً لمفاد هـذه الآيـة يمكنه فى الواقع أن يؤثّر فى الإنسان من جهتين، الاولى هى حثّه على العمل الصالـح، والاخرى على الإخلاص فى العبوديـة. والظريف هو أنّ هـذه الآيـة اطلقت على يوم القيامـة عنوان «لقاء اللَّه»، ونحن نعلم بأنّ هذا اللقاء المعنوى والشهود الباطنى هو قمّـة التكامل بالنسبة للبشـر، وتذكّر ذلك اليوم بإمكانه أن يوجد دوافعاً للاخلاص الكامل والعمل الصالح. (وقد اصطلحوا على هذا بتعليق الحكم على وصف مشعر بالعلية).

وهـذه الملاحظة أيضاً جديرة بالإهتمام، وهى أنّ التطرّق إلى رجاء المعاد بدل اليقين به، إشارة إلى أنّ مسألة المعاد، بدرجه بحيث إنّه حتى الرجاء بتحقُّقِهِ يكفى لوحده لكى يكون منبعاً لمثل هذه الآثار «۱».

وبالإضافة إلى ذلك فإنّ الإتيان بصيغة المضارع «يَرْجُو» التى تدل على الاستمرارية، ثم الإتيان بعدها بالأمر بالعمل الصالح والإخلاص بصورة مطلقة، كل ذلك من أجل الدلالة على أنّ ذلك الرجاء وهذا العمل مقترنان ويحاذيان بعضهما على الدوام.

كما يمكن الكشف عن هذه المسألة الظريفة من هذه الآية أيضاً وهى أنّ القرآن شبّه العباد بالمسافرين الّذين يعودون ليلاقوا محبوبهم بعد انصـرام مدّة الفراق، ومن البديهى أنّه يجب عليهم بأن يأتوا معهم بهدايا وأن يتصـرّفوا بما يليق بهذا اللقاء كى لا يقفوا خجلين بين يدى الحبيب.

جاء فى بعض التفاسـير فى سـبب نزول هذه الآية: إنّ رجلًا أتى النبى صلى الله عليه و آله وقال: إننى أحب الجهاد فى سبيل اللَّه ولكنّى أحبُّ أن أبرز ما لدىّ من مفاخر أمام الآخرين، فنزلت هذه

---

(۱) تفسير الميزان، ج ۱۳، ص ۴۰۶.

نفحات القرآن، ج۵، ص: ۳۰۸

الآية (وأكّدت على الإخلاص فى العمل).

وجاء فى رواية اخرى فى سبب نزول هذه الآية أنّ رجلًا أتى النبى صلى الله عليه و آله فقال:

يارسول اللَّه إنّى أتصـدق وأصل الرحم ولا أصنـع ذلك إلّاللَّه‌تعالى فيذكر ذلك منى وأحمد عليه فيسّـرنى ذلك وأعجب به، فسكت رسول اللَّه صلى الله عليه و آله ولم يقل شيئاً، فأنزل اللَّه تعالى

«فَمَنْ كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحاً وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَداً» «۱».

إنّ هـذه الروايات الواردة فى سبب نزول الآيـة تـدل بوضوح على أنّ الإخلاص التام يعتبر اساس العبادة والعمل الصالـح ... الإخلاص الذى لا يشوبه شىء من الرياء ولا يحتوى على اىّ نوع من أنواع الشرك.

والآيـة الثانيـة تتحـدّث عن القصة المعروفة وهى نذر اهل بيت النبى الأكرم صـلى الله عليه و آله صـيام ثلاثة أيّام واهداؤه طعام الافطار إلى «المسـكين» و «اليتيم» و «الأسـير»، وهـذه الآية تشـير بوضوح إلى هذه الحقيقة وهى أنّ هذا الايثار الذى لا مثيل له ينبع من الإيمان بالمعاد، قال تعالى «وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ مِسْـكِيناً وَيَتِيماً وَأَسِـيراً* إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ لَانُرِيدُ مِنْكُمْ جَزَاءً وَلَاشُكُوراً* إنا نَخَافُ مِنْ رَّبِّنَا يَوْماً عَبُوساً قَمْطَرِيراً» «۲».

أجل إنّ من يخاف اللَّه ويخاف يوم الجزاء، لا ينفق ممّا فَضَل عن حاجته فحسب، بل ينفق ممّا هو بأمسّ الحاجـة إليه وذلك فى سبيل الحبيب الذى لا مثيل له، هذا بالإضافة إلى أنّه ينفقه بإخلاص تام، ولا ينفقه من أجل الحصول على مكافأة أو اظهار الشـكر على لسان من أحسَن إليهم، وهذا انّما يدل على أنّ الإيمان بذلك اليوم العظيم هو محفّز قوى لعمل

(۱) تفسير القرطبى، ج ۶، ص ۴۱۰۹.

(۲) «عبوس» بمعنى متقطّب الوجه و «قمطرير» بمعنى صعب وشديد، وتشبيه يوم القيامة بالإنسان العبوس هو تعبير لطيف يصوّر ما لذلك اليوم من رعب وخوف شديدين، ثم إنّ كلمة «قمطرير» على رأى البعض مشتقة من مادة «قَمْطَر» وعلى رأى البعض الآخر هى من مادة «قُطر» (على وزن قُفل)، ولكن المشهور هو الرأى الأول. الدهر آية ۷- ۹.

نفحات القرآن، ج۵، ص: ۳۰۹

الصالحات والإخلاص فى النيّة.

وممّا يجدر بالذكر هنا هو أنّ الآية السابقة تحدثت عن تأثير الرجاء والأمل بتحقق القيامة، على الإخلاص وعمل الصالحات، وفى الآية الثانية جاء الحديث عن تأثير الخوف من ذلك اليوم، فعند الجمع يتشكَّلُ لدينا ركنان اساسيان للحثّ على العمل الصالح والإخلاص وهما (الرجاء والخوف).

والآية الثالثة تنقل ما جاء على لسان رجلٍ مؤمن نهض فى انطاكيا للدفاع عن مبعوثى المسيح عليه السلام، وليهدى أهل تلك المنطقة للسير على خطى اولئك السفراء، إنّ هذا الرجل كان يقول خلال دعوته للناس وكما قال تعالى «وَمَالِيَ لَاأَعبُدُ الَّذِى فَطَرَنِى وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ».

فهو فى الحقيقة ذكر خلال دعوته دليلين على وجوب العبودية للرب وهما:

أولًا: لأنّه خلقنا وأنّ وجودنا وعلمنا وقدرتنا كلّها منه.

وثانياً: أنّه هناك دنيا اخرى أمامنا سوف يلحق بها الجميع، ويمتثلُ الكل بين يدى اللَّه تعالى ومحكمته العادلة.

والملفتُ للنظر هو أنّه نسب الخلق واعطاء المواهب إلى نفسه، أمّا بالنسبة للمعاد والقيامة فقد نسبها إليهم، وهذا يدلّ على أنّ المورد الأول يتضمّن شكره للنعمة، والمورد الثانى يتضمن تهديد المخالفين من عذاب اللَّه يوم القيامة.

### الإيمان بالمعاد وتأثيره على الثبات:

وفى الآية الرابعة جاء الحديث عن تأثير الإيمان بالمعاد فى الثبات والصمود أمام الأعداء فى سوح الجهاد، وهى تنقل ما جاء على لسان قوم من مؤمنى بنى اسرائيل الذين

نفحات القرآن، ج۵، ص: ۳۱۰

رافقوا «طالوت» (قائد الجند الّذى نُصِّب من قبل البارى تعالى فى حربهم مع «جالوت» الملك الظالم، وبعد خوضهم لامتحان صعب تخلّف فريق منهم ولم يبقَ فى ساحة القتال إلّا عدد ضئيل، ثم إنّ هذا العدد الضئيل انقسم بدوره إلى قسمين، فقسم منهم استحوذَ عليهم الخوف والهلع فقالوا: «قَالُوا لَاطَاقَةَ لَنَا الْيَوْمَ بِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ». (البقرة/ ۲۴۹)

وفى قبال هذا القسم، قسم آخر كانوا يعلمون بأنّهم ملاقو اللَّه حيث قالوا: «قَال الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُمْ مُلَاقُوا اللَّهِ كَمْ مِنْ فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثيرةً بِإِذْنِ اللَّهِ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرينَ».

والتعبير ب «يظنون»- على رأى كثير من المفسرين- وَرَدَ هنا بمعنى «اليقين بقيام يوم القيامة» وهو كذلك؛ لأنّ هذا الحديث صدر عن الذين خاضوا مختلف أنواع الامتحانات، ثم دخلوا ساحة الجهاد بإيمان راسخ.

ولا يخفى أنّ «الظنّ» بمعنى الاعتقاد الناشىء من الأدلة والشواهد، وكلّما كانت الأدلة قوية، فإنّه سوف ينتهى إلى العلم وكلّما ضعفت شواهده فإنّه لايتجاوز حدّ الوهم.

وقال بعض المفسرين أيضاً: إنّ الظن هنا لا يصل حدّ العلم، لكن «لقاء اللَّه» لم يأتِ هنا بمعنى القيامة، بل جاء بمعنى الشهادة فى سبيل

اللَّه، أى أنّ هذا الحديث كان صادراً عن الذين كانوا يظنّون بأنهم سوف ينالون وسام الشهادة الرفيع.

لكنّ هـذا المعنى بعيـد جـدّاً، وذلك لأنّه لا يتناسب مع «غلبة الفئة القليلة على الفئة الكثيرة»، بالإضافة إلى أنّ «لقاء اللَّه» الذى ذُكِر فى آيات القرآن يدل عادةً على القيامة لا على الموت أو الشهادة.

وعلى أيّة حال فمن البـديهى أنّ الذين يؤمنون بالقيامة لا يعتبرون الموت نهاية الحياة أبداً، بل يعتبرونه بداية حياة أرقى فمثل هؤلاء لا يخافون الموت بل يذهبون لاستقباله بكل شجاعة وشهامة.

نفحات القرآن، ج۵، ص: ۳۱۱

والآيـة الخامسـة تتضـمّن مـا جاء على لسان سـحرة فرعون عنـدما آمنوا بموسـى عليه السلام، بعـد أن هـددهم فرعون بالعـذاب الأليم والتقتيل، قال تعالى نقلًا عن لسانهم: «فَاقْضِ مَا أَنْتَ قَاضٍ إِنَّمَا تَقْضِى هَذِهِ الحَيَاةَ الدُّنْيَا* إِنَّا آمَنَّا بِرَبِّنَا لِيَغفِرَ لَنَا خَطَايَانَا وَمَا أَكْرَهْتَنَا عَلَيْهِ مِنَ السِّحْرِ وَاللَّهُ خَيرٌ وَأَبْقَى .

إنّ الإيمان بالقيامة وعدم الإكتراث بقيمة الحياة الدنيا، دفع بالسـحرةِ الفراعنة أن يمارسوا أقوى درجات الإيثار والتضـحية، فقد صـرفوا أنظـارهم عن جميع مـا أعـدّه لهم فرعون من الهـدايا، وصـرفوا أنظـارهم عن جميع الماديّات وذهبوا لاسـتقبال القتل والتنكيل، و وقفوا بكل صلابة أمام استفزازات ذلك الطاغية الجبّار، وشربوا شهد الشهادة بكل شجاعة.

أجل عنـدما يبرق الإيمان بالمعاد فى القلوب، فإنّه يؤجج النّار فيها بنحوٍ لا ينفع معه أىّ تهديد، فيفقد كل شـيٍ أهميته فى نظر الإنسان إلّااللَّه ولقاء الآخرة ونعيمها الخالد.

إنّ هـذا الإيمان القوى المتقد بدّلَ السـحرة الذين كانوا بالأمس عبيد الدنيا وكانوا أذلة متملقين بدّلهم اليوم وحولهم إلى رجال أقوياء وشجعان صامدين «۱».

والتعبير ب «الحَيَاةَ الـدُّنْيَا» هو دليل على إيمانهم بالحياة الآخرة الخالـدة الساميهْ، والآيات التى تتلو هذه الآية أيضاً قد صـرحت بوضوح أكثر على إيمان هؤلاء بالدار الآخرة ومحكمة العدل الإلهى، والجنّة والسـعير والدرجات المختلفة لأصحاب الجنّة وأنواع النعم الخالدة فى الجنّة.

### إنكار المعاد هو السبب الرئيسى لاقتحام الفجور:

اشير فى الآيات الخمس السابقة إلى الآثار الإيجابية للإيمان بالمعاد والحياة بعد الموت

---

(۱) ذُكِرَ فى تفسـير جمله «والذى فطرنا» احتمالان الأول أنّ الجملة تدل على القسم- كما ذكرنا فى تفسيرها أعلاه- والثانى أنّ الجملة معطوفة على جملة سابقة، ففى هذه الحالة يصبح المعنى بهذا النحو: «قالوا لن نؤثرك على ما جاءنا من البينات وعلى الذى فطرنا» لكنّ المعنى الأول أقرب على الأخص إذا أخـذنا بنظر الاعتبار أنّ السـحرة فى عـدّة آيات كانوا يقسـمون بعزّة فرعون، وهنا أقسـموا بخالق جميع البشر!.

نفحات القرآن، ج۵، ص: ۳۱۲

فى أبعاد مختلفة وحيثيات متعددة، وابتداءً من الآية السادسة فما بَعدها اشير إلى الآثار السلبية لعدم الإيمان بالمعاد.

ففى الآية السادسة قال تعالى «فِى جَنَّاتٍ يَتَسَاءَلُونَ* عَنِ الُمجْرِمِينَ* مَا سَلَكَكُمْ فِى سَقَرَ» «۱».

فينادى أصحاب السعير ليبّينوا أسباب دخولهم النار ويلخصونها فى أربعة عوامل هى:

ترك الصلاة، وترك اطعام المساكين، ومعاشرة أهل الباطل، وأخيراً التكـذيب بيوم الجزاء على الدوام، قال تعالى بلسان حالهم «قَالُوا لَمْ نَكُ مِنَ الُمصَلِّينَ* وَلَمْ نَكُ نُطْعِمُ المِسْكِينَ وَكُنَّا نَخُوضُ مَعَ الخَائِضِينَ* وَكُنَّا نُكَذِّبُ بِيَومِ الدِّينِ».

إنَّ هذه الآيات تدلَّ بوضوح على أنّ أحد عوامل السقوط فى احضان جهنّم، وَالعامل الأساس المؤدّى إليها هو إنكار يوم الجزاء، الذى يجعل من الإنسان موجوداً غير مكترثٍ ولا مسؤول وفاقد للتقوى والإيمان.

والجدير بالذكر هو أنّ المتسائلين لم يسألوهم: لماذا ألقاكم اللَّه فى النار؟ بل كان سؤالهم: ما هو السبب الذى أدّى إلى دخولكم النار؟، وذلك لتوضيح القانون الطبيعى الذى يربط «المنكرات والعقائد السيئة» ب «دخول جهنّم».

وممّا يجدر الإشارة إليه أيضاً هو أنّ العامل الأول من هذه العوامل الأربعة، هو ترك الارتباط باللَّه (الصلاة)، والثانى هو ترك الارتباط بالضعفاء (اطعام المساكين)، والثالث هو معاشرة أهل الباطل (الخوض مع الخائضين)، والرابع هو عدم الإيمان بالقيامة.

والتأكيد على «يَومِ الدِّينِ» (يوم الإدانة) من بين أسماء القيامة هو للدلالة على هذه الحقيقة وهى أنّ المحرّك الرئيسى نحو الإيمان والعمل الصالح هو الاعتقاد بأنّ يومَ القيامة هو يوم الإدانة والجزاء.

---

(۱) «سَقَر» على وزن «سَفَر» فى الأصل من مادة «سَقْر» على وزن «فَقْر» وهى بمعنى التبدّل والذوبان إثر حرارة الشمس، وعدّ البعض (مثل صاحب مقاييس اللغة) من معانيها الاحراق والاحتراق أيضاً، وفى «صحاح اللغة» عدّها من أسماء النار، وعلى أيّة حال فإنّ انتخاب هذا الاسم لجهنم هو من أجل أنّ جميع المعانى مجموعة فيها، وجاء فى كتاب «التحقيق» أنّ سقر هى نفس النار لا محلّها كما هو الحال فى جهنم.

نفحات القرآن، ج۵، ص: ۳۱۳

وتحدثت الآية السابعة عن «المطففين» (الذين ينقصون الكيل)، قال تعالى «وَيَلٌ لِّلْمُطَفِّفينَ ... الا يَظُنُّ اولَئِكَ أَنَّهُمْ مَّبْعُوثُونَ* لِيَومٍ عَظِيم* يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ العَالَمينَ».

ومن المحتمل هنا أن يكون الظن بمعنى اليقين، أو بمعنى الظن بالمعنى الثانى، والهدف هو التأكيد على هذا الواقع وهو أنّ يوم الجزاء يبلغ من الأهميّة والعظمة، ممّا يجعل من يظن وقوعه يحرص على عدم ارتكاب المعصية فضلًا عن أن يكون متيقناً.

لكن الكثير من المفسرين انتخبوا المعنى الأول أيضاً، كما جاء فى بعض الآيات السابقة مثل الآية ۲۴۹ من سورة البقرة، وقد أكّدت الروايات على هذا المعنى أيضاً «۱».

على أيِّ حال فإنّنا إن فسّرنا الظنّ باليقين أو بالظن الذى هو أقل درجةً من اليقين، ففى كلا الحالتين تعتبر الآية دليلًا على أنّ الإيمان بالقيامة له أثر احترازى مهم، فى ترك الظلم والكف عن غصب حقوق الناس وأمثال ذلك.

فكلما قطع أحدٌ، أو حتّى لو احتمل أنّ هناك محكمة عظيمة، يُحاسَبُ فيها على الأعمال الصالحة أو الطالحة حتى لو كان مقدارها «مثقال ذرة»، وينالُ جزاءه على كل عمل، وأنّه لا مفر له من الامتثال أمام تلك المحكمة، فمن البديهى أن يراقب الشخص أعماله فى هذه الدنيا، وإيمانه هذا واعتقاده سوف يؤثّر فى تربيته.

ومن الطبيعى أنّه ليس المراد هنا بأنّ كل من ينقص الكيل، أو يرتكب ذنباً آخر لا يؤمن بالمعاد وهو كافر، بل المراد هو أنّ هؤلاء إمّا أن يكون إيمانهم ضعيفاً جدّاً أو أن يكونوا غافلين، وإلّا فكيف يؤمن الإنسان إيماناً راسخاً بمثل هذا اليوم ويبتلى بالغفلة أيضاً ويغرق بمثل هذه الذنوب.

### لو آمنوا بالمعاد لما ارتكبوا الذنوب:

تحدثت الآية الثامنة عن الذين تقاعسوا عن الاشتراك فى الجهاد عندما صدر الأمر بهذه

---

(۱) ورد فى احدى الأحاديث المروية عن أمير المؤمنين على عليه السلام أنّه قال: «الظنّ ظنان: ظنُّ شكٍّ وظنُّ يقين، فما كان من أمرِ

المعـاد من الظنّ فهو ظنٌّ يقين وما كان من أمرِ الـدنيا فهو على الشك». (تفسير نور الثقلين، ج ۵، ص ۵۲۸، ح ۶) كما جاء فى عبارة الراغب أيضاً إنّ (ظنّ) فى اللغة تستعمل فى كلا الموردين.

نفحات القرآن، ج۵، ص: ۳۱۴

الفريضـة الإلهيّة، فهؤلاء كانوا يذهبون إلى النبى الأكرم صـلى الله عليه و آله ويتحجّجون بحجج واهية، ليحرجوا النبى صـلى الله عليه و آله حتّى يأذن لهم بعـدم الذهاب إلى سوح القتال، وبهذا كانوا يريدون أن يتخلَّصوا من ثقل هذه الفريضة المهمّة، من دون أن يكونوا فى الظاهر قد ارتكبوا معصية!

قال تعالى «لَايَسْتَأْذِنُکَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ أَنْ يُجَاهِدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَانْفُسِهِمْ». (التوبة/ ۴۴)

بل عندما يأتى الأمر بالجهاد يذهبون نحو ميادين القتال بكل اشتياق ورغبة، فهل يحتاج القيام بالواجب إلى الاذن؟

ثم يضيف: «إِنَّمَا يَسْتَأْذِنُکَ الَّذِينَ لَايُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالَيومِ الآخِرِ».

وهـذا لا ينحصـر طبعاً بفريضـة الجهاد، فالمؤمنون الـذين لـديهم اعتقاد بالمعاد، يتسـلحون بعزم راسـخ وإرادة قوية لا تتزلزل فى جميع المجالات، عنـد انجازهم للتكاليف الإلهيّـة الموكلـة إليهم، لكن عديمى الإيمان والذين ضـعف إيمانهم وتزلزل، وبالأخص المنافقون يسعون دائماً للتخلص من عبء التكاليف، مع أنّهم فى نفس الوقت يحاولون أن يظهروا بمظهر من يلتزم بالموازين الشرعية وأنّ الشرع قد استثناهم من هذا المجال، ويالها من علامة حسنة للتميز بين المؤمنين والمنافقين الذين يضمرون الكفر!.

وتحـدّثت الآيـة التاسـعة عن الذين يتعاملون بعنف مع الأيتام بسـبب عدم إيمانهم بيوم الدين، والذين لا يشـجعون الآخرين على اطعام المساكين، قال تعالى «أَرَأَيتَ الَّذِى يُكَذِّبُ بِالدِّينِ* فَذلِکَ الَّذِى يَدُعُّ اليَتِيمَ* وَلَا يَحُضُّ عَلَى طَعَامِ الْمِسْكِينِ».

وكلمـةُ «يـدّع» مشـتقة من مادة «دعّ» (على وزن سـدّ) وهى فى الأصل بمعنى الطرد المقرون بالغلظـة، وكلمـة «يحُضُّ» مشـتقة من مادة «حضّ» وهى بمعنى تشـجيع الآـخرين على القيـام بعمـلٍ مـا، وبمـا أنّهمـا جاءتا فى الآيـة المـذكورة بصـيغة المضارع فهما تـدلان على الاستمرار، و «طعام» بمعنى «إطعام».

وبما أنّ «الفاء» فى «فذلک» فى الآية المذكورة «للسببية» فهذا يدل بوضوح على أنّ

نفحات القرآن، ج۵، ص: ۳۱۵

إنكار يوم الجزاء هو المنبع الرئيسـى لهـذه الأعمال السـيئة والمشؤومـة، فهو لا يحرم الأيتام فحسب، بل يمنعهم بغلظة وشدّة، ولا يكف نفسه عن اطعام المساكين فحسب، بل يـدفع الآخرين أيضاً على الكف عن اطعامهم، ويقف حائلًا دون تصدّق الآخرين عَليهم، وذلک لأنّه لا يخاف عاقبة سوء أعماله.

إنّه لا يؤمن بمحكمـة العـدل الإلهيّـة ولا يؤمن بالحساب والثواب والعقاب، فهو لا يعتقـد إلّا بالحياة الدنيوية المحدودة والامور المادية فقط، لذا فهو مشغوف بحبها ولا يفكّر بسواها.

وجملة «أَرأيتَ» مأخوذة من مادة «الرؤية»، ويحتمل دلالتها على الشهود العينى أو على الشهود اللّبى، وهى بمعنى العلم والمعرفة، وعلى أيّة حال فالآية تفيد هذا المعنى وهو:

إنّـک إنْ لم تعرف من ينكر يوم الجزاء فهم يحملون علاـئم واضـحة، إحـداها أنّهم قساة القلوب ولا يرحمون اليتيم، والاخرى أنّهم لا يَعبأون بحال المعدمين، فبهذه الصفات السّيئة يمكنک تمييزهم بوضوح، وتلمسُ حقيقةَ غيابِ الإيمان بالمعاد فى وجودهم.

وقـد ذكر المفسـرون أسـباباً عديـدة فى نزول هـذه الآيات، منها: إنّ هـذه الآيات نزلت فى شأن (أبو سـفيان)، فإنّه كان يذبـح فى كل اسبوع إثنين من الابـل (لكنّه كـان يحتفـظ بها لنفسه وذويه)، فجاءه فى أحـد الأيّام فقير يطلب منه شـيئاً، فـدفعه أبوسـفيان بعصاه إلى الخلف (فنزلت هذه الآية إثر تلک الحادثة).

ونقل الفخر الرازى عن «الماوردى» أنّ هـذه الآيـة نزلت فى شأن (أبوجهل)، فأبو جهل كانت له وصايـة على أحـد الأيتام، فجاءه اليتيم

وهو عريان، وطلب من أبى جهل أن يمدّه بشى من أمواله، لكن أبا جهل طرد اليتيم بعنف، فقال وجهاء قريش لليتيم اليائس: اطلب من محمد أن يذهبَ إلى أبى جهل فيشفع لك عنده، وكانوا يريدون بذلك الاستهزاء والسخرية، فتوجَّهَ الطفل إلى النبى الأكرم صلى الله عليه و آله وهو لا- يعلم الهدف من كلام وجهاء قريش، وطلب من النبى صلى الله عليه و آله أن يشفع له عند أبى جهل، وكان من عادة النبى صلى الله عليه و آله أن لا يردّ طلب محتاج أبداً، فقام صلى الله عليه و آله فاصطحب الطفل وذهب إلى أبى جهل، وعندما وقع نظر أبى جهل على النبى صلى الله عليه و آله رحّب به (وقد ملأ وجوده العجب)، ثم أعطى اليتيم مالًا كثيراً، بعد ذلك وجَّهَ

نفحات القرآن، ج۵، ص: ۳۱۶

وجهاء قريش اللوم لأبى جهل على فعله، وقالوا له أملكك حبُ محمدٍ يا أبا جهل؟ فقال كلّا واللَّه إنّ حبّه لم يدخل قلبى، لكننى شاهدتُ حراباً على يمينه وشماله فخفت إنْ لم البِّ دعوته أن تمزقنى تلك الحراب «۱»!.

وعلى أيّة حال فإنّ دلالة الآية على تأثير الإيمان بالمعاد على سلوك الإنسان ظاهر بكل وضوح.

وفى الآية العاشرة طُرِحت نفس هذه المسألة أى العلاقة بين «الإيمان بالحياة بعد الموت والحساب والجزاء والقيامة» وبين «أعمال الإنسان فى هذه الدنيا والمسائل المتعلّقة بالتربية» ولكن بنحوٍ آخر، قال تعالى «بَلْ يُرِيدُ الْإِنسَانُ لِيَفْجُرَ أَمَامَهُ* يَسْئَلُ أَيَّانَ يَومُ القِيَامَةِ».

وَهل يمكن للإنسان الذى يؤمن بعظمة اللَّه، وقدرته على خلق جميع هذه الأجرام السماوية والمجرّات والعوالم العجيبة، أن ينكر قدرته على احياء الموتى !

بناءً على هذا لا يكون الهدف من انكار هذا الإنسان إلّاالتحرر من القيود من أجل اشباع جميع غرائزه، وليبسط يديه فى الظلم وهتك حدود العدالة وارتكاب الذنوب، أنّه يريد أن يخدع نَفسهُ بهذا الاسلوب حتى تصل به القناعة المزيّفة بأُسلوبه هذا حدّاً يجعله يخلق الاعذار والتبريرات لإخفاء قباحة أعماله عن أنظار الناس، إنّه يريد أن يحطّم السدّ العظيم الذى أوجده الإيمان بالمعاد للمنع من ارتكاب أى نوع من المعصية، وهذا الأمر لا يختص بالزمان الماضى، فاليوم كالأمس أيضاً.

لهذا ذُكِر فى البحوث المتعلّقة بالدوافع نحو التمايل إلى الماديّة وإنكار المبدأ والمعاد، أنّ إحدى تلك الدوافع هو الهروب من عِبءِ المسؤوليات وتجاوز السنن الإلهيّة وخداع الوجدان الإنسانى.

---

(۱) تفسير الكبير، ج ۳۲، ص ۱۱۱؛ وتفسير روح البيان، ج ۱۰، ص ۵۲۲.

نفحات القرآن، ج۵، ص: ۳۱۷

والمراد من «الإنسان» فى هذه الآية هو نفس ذلك الإنسان الذى جاء الحديث عنه فى بداية سورة الدهر، ذلك الإنسان الذى انكر القيامة، وكان يظن بانّ اللَّه لا- يقدر على جمع العظام الرميم واحيائها مرةً أخرى والفرق هنا- كما ورد فى تفسير «الميزان»- عدم استخدام الضمير واستبداله بالاسم الظاهر (كلمة الإنسان)، وهذا فى الواقع هو من أحد أشكال اللوم والتحقير وكأنّه قال: كيف لمن حصل على مقام الإنسانية أن يسلك هذا الطريق الخاطىء «۱».

أمّا استعمال صيغة المضارع فى (يُريدُ- يفجُرَ) التى تستعمل عادة للدلالة على الاستمرارية، فقد جاء هنا للدلالة على هذه الحقيقة وهى أنّ الإنسان انانىٌّ ويحبّ الذات على الدوام ويريد الاستمرار على المضىّ فى فجوره.

و «فجور»: من مادة «فجر» بمعنى تمزُّق الشىء بشدّة، وبما أنّ الذنب يسبب خرق حُجب التديّن لذا استخدمت هذه الكلمة فى هذا المورد «۲».

وأمّا كلمة «أمام» (على وزن مقام) فهى فى الأصل بمعنى الجهة الإمامية وهى تقابل «الخلف» وبتعبير آخر إنّ «أمام» بمعنى ما يقابل وجه الإنسان، وبما أنّ الجهة المقابلة لوجه الإنسان ذات أهميّة بالغة بالنسبة له، لذا استخدمت هذه الكلمة هنا (لأنّ مادة «أمّ» بمعنى «قصدَ»).

لكنّه من الواضح أنّ استخدام هذا التعبير هنا هو من أجل الدلالة على مستقبل العمر، وهى ظرف مكان- على حدّ تعبير بعض المفسرين- وقد استخدمت للدلالة على ظرف الزمان من باب الكناية «۳»، والمراد هنا فى الحقيقة هو أنّ الإنسان المتصف ذاتاً بحبّ الذات، يتّخذ من إنكار المعاد ذريعة لكسب الحرية فى ارتكاب الذنوب خلال فترة حياته.

أمّا ما احتمله البعض أنّ «أمام» للدلالة على القيامة فإنّه بعيد جدّاً؛ وذلك لأنّها لا تتلاءم مع مادة الفجور، بالإضافة إلى أنّ هذا المعنى يقطع صلة الترابط الموجود بين الآيات.

---

(۱) تفسير الميزان، ج ۲۰، ص ۱۹۰.

(۲) مفردات الراغب مادة (فجر).

(۳) تفسير روح البيان، ج ۱۰، ص ۲۴۵، وقد أخذ أيضاً بهذا المعنى صاحب الميزان، ج ۲۰، ص ۱۹۰.

نفحات القرآن، ج۵، ص: ۳۱۸

### الإيمان بالمعاد وعلاقته بالرؤية الواقعية:

طرحت هذه المسألة بشكل جديد فى الآية الحادية عشرة، حيث قال تعالى «إِنَّ الَّذِينَ لَايُؤْمِنُونَ بِالآخِرَةِ زَيَّنَا لَهُمْ أَعْمَالَهُمْ فَهُمْ يَعْمَهُونَ».

وكما اشتهر لدى علماء الأدب وعلماء علم اصول الفقه أنّ هذا هو من باب تعليق الحكم على الوصف، وهوَ يُشعِرُ بعلّية الوصف للحكم، بناء على هذا إنْ كانت الآية تنسب تزيين الأعمال إلى عدم الإيمان بالآخرة فيكون مفهومها هو: عندما يفقد الإنسان الإيمان بالآخرة فإنّه سوف يبتلى بهذه العاقبة، (فتأمّل).

كما يمكننا الحصول على هذه النتيجة أيضاً بإعمال شىء من التحليل وهى: إنّ الإيمان بالآخرة بمعنى الإيمان بوجود محكمة عادلة يباشر البارى تعالى فيها القضاء، وإنّ الشهود هم الملائكة، وإنّ الكذب والاحتيال والشفاعة والرشوة لا تنفع هناك، فالايمان بوجود هذه المحكمة يبعث الإنسان على التدقيق فى أعماله، ويجعله ينظر إليها من منظار الواقع.

أمّا بالنسبة لمن يبتعد عن هذه الحقيقة ويشعر بأنّه حرّ أمام الفوارق الموجودة بين المفاهيم من حسنها وسيئها، فإنّ ذلك يؤدّى بالإنسان الأنانى إلى الإتيان بالاعذار والتبريرات لخداع نفسه وخداع الآخرين فى اضفاء صبغة التقوى والصلاح على شهواته الجموحة، واظهار السيئات بمظهر جميل ممّا يؤدّى به فى النهاية إلى الوقوع فى أحضان الحيرة والضياع، (وهذا يستفاد من فاء التفريع التى تدلّ على السببية) وهذا من أخطر النتائج المترتبة على إنكار المحكمة الإلهيّة العظمى

ومن الجدير بالالتفات هنا هو أنّ تزيين الأعمال نُسبَ إلى اللَّه، بينما اسند ذلك إلى الشيطان وحب الهوى فى آيات اخرى من القرآن المجيد (فى ثمانية موارد)، كما ورد بصيغة المبنى للمجهول «زُيّن» فى آيات عديدة اخرى (فى عشرة موارد)، وإذا ما تأمّلنا فى ذلك لوجدنا أنها تشير إلى حقيقة واحدة هى:

إذا اسند التزيين إلى اللَّه فذلك لأنّ اللَّه هو مسبب الأسباب، لأنّ كل ما للمخلوقات من أفعال تنتهى أخيراً إلى اللَّه، أو بتعبير آخر إنّ اللَّه جعل هذا الأثر مترتباً على إنكار يوم القيامة

نفحات القرآن، ج۵، ص: ۳۱۹

أو على تكرار أعمال السوء، كى تظهر هذه الأعمال بمظهر حسن فى نظر الإنسان وتُسْلَبُ منه قوّة التمييز بين الحسن والقبيح.

أمّا إذا اسند التزيين إلى حب الهوى أو إلى الشيطان فذلك لأنّ هذين هما العلّة القريبة والمباشرة فى تزيين الأعمال السيئة.

وأمّا لو اسند التزيين إلى الفاعل المجهول فذلك للدلالة على أنّ طبيعة إنكار القيامة أو الاصرار على ارتكاب السيئات، تقتضى اعتياد

الإنسان على تلك الأعمال أولًا، ثم تصبح تلك الأعمال محبوبة لديه وتلبس ثوب الحسن فى نظره.

ومن البديهى أنّ تزيين الأعمال يجّر وراءه الضياع الدائم والحيرة المستمرّة فى وادى الضلالة والانحراف؛ وذلك لأنّ الإنسان لا يكف عن ممارسةِ عمل ما إلّاإذا ما وجده سيئاً وَيُلحق به الأذى

ويتضح ممّا قلناه أعلاه أنّ من فسّر الآية بأنّ اللَّه يُزيّن أعمال هؤلاء فى نظرهم، فيصيبهم الغرور فيبتلون بالضياع، أنّ تفسيره غير مناسب، ومن المحتمل إنّ هؤلاء اتجهوا إلى هذا التفسير بسبب عدم تمكنهم من حل مغزى ما جاء فى الآية من نسبة التزيين إلى اللَّه، ففسروها بهذا التفسير المخالف للظاهر.

وفى الآية الثانية عشرة والأخيرة من الآيات المعنية بالبحث توجّه تعالى بالخطاب إلى النبى صلى الله عليه و آله فقال: «وَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ جَعَلْنا بَيْنَكَ وَبَيْنَ الَّذِينَ لَايُؤْمِنُونَ بِالآخِرَةِ حِجَاباً مَّستُوراً»، ثم اضاف تعالى «وَجَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَنْ يَفْقَهُوهُ وَفِى آذَانِهِمْ وَقْراً».

وهنا أيضاً نواجه مسألة «تعليق الحكم على الوصف» أى أننا نرى أنّ مسألة وجود الحجب المعنوية بين النبى صلى الله عليه و آله والمشركين وإسدال الحجب على القلوب وانسداد آذانهم تَرَتّبتَ على وصفهم بعدم الإيمان بالآخرة، وهذا يدل بوضوح على أنّ عدم الإيمان بالمحكمة الكبرى يؤدّى إلى ظهور هذه الحجب والابتعاد عن إدراك الواقع، ودليل ذلك

نفحات القرآن، ج۵، ص: ۳۲۰

واضح وهو: إنّ عدم الاكتراث بالحساب وجزاء الأعمال يؤدّى بالإنسان إلى ركوب مركب الغرور والأنانية والعناد والتعصّب وعبادة الهوى ففى مثل هذه الحالة كيف يتمكّن من أن يرى الحقائق كما هى ويؤمن بها.

فهل يوجد حجاب أسوأُ من حجاب الهوى وهل يوجد مركب أسوأُ من مركب الأنانية والغرور؟

قال بعض المفسّرين: إنّ المراد من «الحجاب المستور» هو حجاب وجدار غير مرئى كان يحجب النبى الأكرم صلى الله عليه و آله عن أنظار المشركين، حين تلاوته للقرآن كى لا يرونه ليكف عنه أذاهم، وقد روى فى سبب نزول الآية ما يشابه ذلك أيضاً.

لكنّ ظاهر الآية ينافى هذا التفسير؛ وذلك لأنّ ظاهرها يدل على أنّ هذا الحجاب يمنع من فهم وإدراك الحقائق واللطائف القرآنية، بناءً على هذا يجب القبول بأنّ المراد من هذا «الحجاب المستور» هو تلك الحجب المعنوية، التى تمنع عيون وآذان وقلوب المشركين عبّاد الهوى الأنانيين المتعصبين من إدراك وفهم المعارف القرآنية السامية.

وهذا هو ما أشارت إليه الآيات المتعددة، والذى بحثناه مفصلًا فى الجزء الأول من هذا الكتاب تحت عنوان «حُجُب المعرفة» «۱».

وجاء فى ما يقارب هذا المعنى أيضاً فى قوله تعالى «فَالَّذِينَ لَايُؤْمِنُونَ بِالآخِرَةِ قُلُوبُهُمْ مُّنكِرَةٌ وَهُمْ مُّستَكْبِرُونَ». (النحل/ ۲۲)

فهنا اشير أيضاً إلى أنّ «عدم الإيمان بالآخرة» هو من عوامل «إنكار الحق والمكابرة».

### ثمرة البحث:

اتّضح من خلال ما جاء فى الآيات الإثنتى عشرة الآنفة الذكر (والآيات المشابهة) أنّ

---

(۱) وصف «الحجاب» ب «مستور» يستخدم أحياناً فى معناه الظاهرى، أى «الحجاب اللامرئى» وأحياناً قيل: إنّ اسم المفعول هنا جاء بمعنى اسم الفاعل فمستور هنا جاء بمعنى ساتر.

نفحات القرآن، ج۵، ص: ۳۲۱

الإيمان بالآخرة (محكمة العدل الإلهى فى الدار الآخرة)، تارةً يبعث على الصحوة والانتباه والتقوى وتهذيب النفس والخوف من ارتكاب الذنوب أو ممارسة الظلم والاستبداد، وتارةً يكون عدم الإيمان بها سبباً فى ابتعاد الإنسان عن الحقائق، وسبباً فى استكباره

على الحق وانغماسِهِ فى بحر المفاسد والذنوب.

وبهذا يتضح بكل جلاء تأثير الإيمان الراسخ بالمعاد على تربية البشر من وجهة نظر القرآن المجيد.

## توضيحات

### ١- الآثار الإيجابية العميقة للإيمان بالقيامة

إنّ «المراقبة والمحاسبة» هما عاملان مهمّان فى التربية. ومن أحد معانى المراقبة هو أن يعلم الإنسان بأنّ هناك من يراقبه وهو يخضع لرقابته فى جميع الأحوال، بل يعلم بأنّ جميع أسراره الخفية أيضاً تخضع لرقابته.

فالالتفات إلى هذا الحقيقة يجعل الإنسان فى حالة انذار دائم، كما أنّ الالتفات إلى «المحاسبة» وإلى أنّ جميع أعماله الصغير منها والكبير والحسن منها والسيء، سوف يخضع للحساب وسوف تجازى الأعمال بعدالة على قدرها، ممّا يؤدّى إلى أن لا يرى الإنسان نفسه مطلق العنان فى إنجاز أعماله وإلى أن لا يهملها ويعدّها صغيرة، وكلّما كانت قوّة الرقابة والحساب دقيقة كلّما دقق الإنسان أكثر فى إنجاز أعماله.

ففى زماننا الحاضر تخضع بعض الطرق الخارجية فى بعض البلدان للمراقبة بواسطة الكاميرات الخفية، ويراقب شرطة المرور تلك الطرق وهم جالسون فى مراكز المراقبة بكلّ دقّة، وتتمُّ ملاحقة سائقى السيارات المخالفين لقوانين المرور بواسطة اعلام مراكز المراقبة (بواسطة المرسلات اللاسلكية) النقاط المستقرّة فى بوابات تلك الطرق أو الدوريات المتجوّلة لايقاف تلك السيارات وتغريم سائقيها.

نفحات القرآن، ج۵، ص: ٣٢٢

فهذه المراقبة وتلك الغرامات تؤدّى إلى استقرار نظام المرور حتّى فى الطرق الخارجية.

فإذا كانت المراقبة والمحاسبة من قبل الإنسان غير المعصوم من الوقوع فى الخطأ لها هذا الأثر، فإنّ أثر الإيمانِ بمراقبة اللّه الدائمة، الذى يعلم أسرار ما يكن الإنسان وما يعلن، والإيمان بمحكمة العدل التى تحاسب على ما مقداره «مثقال ذرّة» والتى لا تنفع معها الشفاعة، فإنّ عمق تأثير هذا الإيمان واضح من دون الحاجة إلى البرهان.

ومن الواضح أنّ هذا الأمر يتبدّل من صورة أفعال متفرّقة إلى عادة دائمة ومن عادة إلى ملكة، وتتحوّل الحقيقة التى يطلق عليها اسم «الوجدان الاخلاقى» و «التقوى الإلهيّة» فى قلب الإنسان إلى إيمانٍ راسخ.

إنّ الغاية الاساسية من وجود المحاكم والعقوبات المطبقة وكذلك المكافآت والمدح السائد هى إيجاد الاستقرار وهيمنة القانون وتربية الإنسان، والفرق بين المحاكم الموجودة فى هذه الدنيا وبين المحكمة الإلهيّة هو أنّ هذه المحاكم يمكن استئناف الأحكام الصادرة عنها، وغالباً ما تخضع أحكامها لتأثير الوساطة والرشوة، بالإضافة إلى نقص القوانين المتّبعة فيها والاستثناءات والأحكام الفرعية، وإمكان الإتيان بأدلّة كاذبة تؤدّى فى أكثر الموارد إلى خلاص المجرمين من مخالب العدالة، أو أحياناً إلى تأخير صدور الحكم إلى سنين عديدة بسبب الاستفادة من الروتين، لكنّ محكمة القيامة لا تحتوى على أيّ شيء من هذه النواقص، بل كما سنشير لاحقاً فإنّ المكافآت والعقوبات هناك تشبه إلى حدٍّ كبير الآثار والخواص الطبيعية للأشياء، فهل يمكن تبديل آثار الدواء النافع إلى آثار سم قاتل عن طريق الإتيان بأدلّة كاذبة واستخدام الوساطة والرشوة؟!

إنّ ممّا لا شك فيه هو أنّ الإيمان بمثل هذه المحكمة له أثر فى تربية وتطهير الإنسان يفوق كثيراً آثار المحاكم الدنيوية.

ومن ناحية اخرى فإنّ الإيمان بهذه المحكمة يؤجج روح الايثار والتضحية فى قلب الإنسان، وذلك لقاعدة: «مَا عِندَكُمْ يَنْفَدُ وَمَا عِندَ اللَّهِ بَاقٍ». (النحل/ ٩۶)

فهذه الدنيا ممرٌّ ودنيا فانية، بينما سوف يبقى ما ذُخِر لذلك العالم مستقراً وخالداً، فأىّ

نفحات القرآن، ج۵، ص: ۳۲۳

عاقل يتردد فى شراء «المواهب الجمّة»، بل المواهب التى لا تنضب ب «المتاع القليل»؟ من أجل هذا يمكن للإيمان بالمعاد أن يصبح منبعاً لجميع أنواع الإنفاق والإيثار والتضحية.

و من ناحية ثالثة فإنّ هذا الإيمان يعطى الإنسان روح الشجاعة والشهامة والصبر والاستقامة، فمن يخاف الموت يقول: «إِنْ هِىَ إِلّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا». (الانعام/ ۲۱)

أمّا من لا يخاف من الموت يعتقد بأنّ «الدَّارَ الْآخِرَةَ لَهِىَ الْحَيَوانُ». (العنكبوت/ ۶۴)

وكيف يبخل فى بذل روحه وماله، أو أن يخاف كثرة صفوف الاعداء مَنْ يعتقد بأنّ الشهادة فى سبيل اللّه هى بوّابة للدخول فى رحمة الحق تعالى والوصول إلى مقام القرب منه وَنيْل هبات الجنّة التى لا يسعها الوصف؟!

وما شاهدناه فى حروب صدر الإسلام والحرب المفروضة الأخيرة من صمود المقاتلين الشجعان الذى لم يسبق له مثيل، ومن شجاعة خارقة وانتصارهم على الأعداء بالرغم من كثرة عددهم وعدّتهم فإنّ السرّ فى ذلك يكمن فى أنّ الإيمان بالمعاد هو الّذى صنع منهم اناساً آخرين ... اناساً لا يخافون الموت أبداً، ويعتبرون الشهادة فى سبيل اللّه مِن أرقى المفاخر.

وقصارى القول: إنّنا كلّما أمعنّا النظر أكثر فى هذه الرابطة (علاقة الإيمان بالمعاد بتربية الإنسان)، فإننا سوف نكتشف أهميّتها بصورة أوضح، وكما كررنا القول كثيراً فإنّ تأكيد القرآن على هذه المسألة فى آيات عديدة لا تحصى هو فى الأساس من أجل هذا الأمر.

ومن المحتمل أن يقال: إنّ ما قلتموه هو بيان للعلاقة الموجودة بين «العمل» و «الإيمان» لا العلاقة الموجودة بين «الأخلاق» والإيمان.

لكننا قد أشرنا آنفاً أيضاً إلى أنّ «العمل» إثْرَ التكرار يتحوّل بالتدريج إلى «حالة» ثم تتحوّل الحالة إلى «عادة» وأخيراً تتحوّل العادة إلى «ملكة اخلاقية»!.

### ۲- الآثار التربوية للمعاد من وجهة نظر الروايات

إنّ هذا الموضوع لم يذكر فى آيات القرآن فحسب، بل له صدىً واسعٌ فى الروايات

نفحات القرآن، ج۵، ص: ۳۲۴

أيضاً، وقد وضَّحت الروايات العلاقة الوثيقة والجذرية والدائمة الموجودة بين هذين الموضوعين، ونذكر فيما يلى نموذجاً من هذه الروايات:

۱- قال على عليه السلام فى نهج البلاغة: «واللّهِ لأَنْ أَبيتَ على حَسَكِ السَّعْدان مُسَهَّداً، أو اجَرَّ فى الأَغلالِ مُصفداً، أَحَبُّ الىَّ من أنْ القى اللّه ورسوله يوم القيامة ظالماً لبعض العباد وغاصباً لشىءٍ من الحطام» «۱».

وذكر عليه السلام بعد هذه الجُمَل قصة أخيه «عقيل» المعروفة، إذْ لجأ إليه أخوه من شدّة ما أصابه من الفقر والفاقة فطلب منه أن يعطيه أكثر ممّا يستحقّه من بيت المال خلافاً لما تقتضيه العدالة الإسلامية.

لكنّ الإمام عليه السلام وضع قطعة من الحديد فى النار وبعد أن احمرّ لونها قرّبها من يد أخيه فضجّ أخوه بالعويل، فقال له الإمام عليه السلام: «كيف تصرخ من ألم هذه النار التى هى العوبة يُلهى بها؟ وتجرّنى إلى نارٍ أججها الجبار لغضبه وانتقامه» «۲»!

يلاحظ من خلال هذه الكلمات قوّة الإيمان بالمعاد وتأثيرها فى الحثّ على إقامة العدالة والوقوف أمام جميع الانحرافات، وهى نموذج حىّ عن تجلّى الإيمان بالقيامة ومحكمة العدل الإلهى فى أعمال الإنسان.

۲- وَرُوِى عن أمير المؤمنين عليه السلام أنّه قال: «من أَيقنَ بالخلف جاد بالعطية» «۳».

وهذه الرواية تدل بوضوح على أنّ الإيمان بالمعاد يجعل الإنسان متصفاً بالجود والسخاء.

۳- وجاء فى غرر الحكم نقلًا عن الإمام على عليه السلام فى عبارة صريحة أنّه قال: «اجعل هَمّك لمعادك تصلُح» «۴».

۴- وجاء فی ملحمهٔ کربلاء وعاشوراء أنّ الحسین علیه السلام جمع أصحابه یوم عاشوراء وقام

(۱) نهج البلاغهٔ، الخطبهٔ ۲۲۴.

(۲) نهج البلاغهٔ، الخطبهٔ ۲۲۴. (باختصار).

(۳) بحار الأنوار، ج ۷۴، ص ۳۸۵؛ نهج البلاغهٔ، الکلمات القصار، الکلمهٔ ۱۳۸.

(۴) غرر الحکم؛ میزان الحکمهٔ، ج ۱، ص ۳۷، ح ۱۳۳.

نفحات القرآن، ج۵، ص: ۳۲۵

خطیباً فیهم فقال: «صبراً بنی الکرام فما الموت إلّاقنطرةٌ تعبُرُ بکُمْ عن البؤس والضَّراء إلی الجنان الواسعهٔ والنعیم الدائمهٔ، فأیّکُم یکرهُ أن ینتقل مِنْ سجنٍ إلی قصرٍ»؟

والّذی دعا الإمام لإلقاء خطابه هذا هو أنّه کان کلّما اشتدّ حصار الأعداء علیه وعلی أصحابه وکلّما حَمِیَ الوطیس کان وجهه أکثر اشراقاً ونفسهُ أکثر اطمئناناً، هنا قال أصحابه لبعضهم الآخر: «انظروا إلیه إنّه لا یبالی بالموت»!

فسمع الإمام هذا منهم فالقی علیهم الخطاب المذکور، ثم أضاف إلیه قوله: روی أبی عن جدی رسول اللَّه صلی الله علیه و آله أنّه قال: «إنّ الدُّنیا سجنُ المؤمن وجنّةُ الکافر، والموت جسرُ هؤلاء إلی جنانهم وجسر هؤلاء إلی جحیمهم ما کَذِبتُ ولا کُذِّبت» «۱».

فالسِّر فی ملحمهٔ عاشوراء وشجاعهٔ الإمام الحسین علیه السلام وأصحابه، التی لم یکن لها مثیل والتی سُجِّلت فی التاریخ بأحرفٍ من ذهب لامعه، یجب أن نبحث عنه فی هذا المیدان أیْ الإیمان الراسخ لهؤلاء بالمعاد والحیاهٔ الآخرهٔ الخالدهٔ.

۵- إنّ تأثیر الإیمان بالمعاد فی إصلاح الأعمال بلغ من الوضوح حداً جعل أمیر المؤمنین علیاً علیه السلام یتعجّب ممن یؤمن بالآخرهٔ ولا یسعی فی إصلاح أعماله، قال علیه السلام:

«عجبتُ لِمَنْ یَعلمُ أنّ للأعمال جزاءً کیف لا یُحسنُ عَملَهُ» «۲».

۶- ونختتم کلامنا هذا بحدیثٍ عمیق المغزی عن مؤسس الإسلام النبی الأکرم صلی الله علیه و آله:

عند حدیثه صلی الله علیه و آله عن علامات أهل الیقین قال صلی الله علیه و آله: «ومن علائمه أنّه: أیقن بأنّ الجنّهٔ حقٌ فاشتاق إلیها، وأیقن بأنّ النار حقٌ فظَهَر سعیهُ للنجاهٔ منها، وأیقن بأنّ الحسابَ حقٌ فحاسَبَ نفسهُ» «۳».

إنّ الروایات المَرویّهٔ فی هذا المجال کثیرهٔ جدّاً وما ذکرناه هنا ما هو إلّاقلیل منها، وتتفق جمیعها علی أنّ الإیمان بالدار الآخرهٔ له أثر عمیق فی تربیهٔ الإنسان.

(۱) بحار الأنوار، ج ۴۴، ص ۲۹۷ (باب فضل الشهداء معه وعلّهٔ عدم مبالاتهم بالقتل)، ونقل المرحوم الصدوق هذا الحدیث فی کتاب «معانی الإخبار» عن علی بن الحسین علیه السلام فی باب «معنی الموت» ص ۲۸۸.

(۲) غرر الحکم، ج ۲، ص ۴۹۵.

(۳) تحف العقول، ص ۲۳.

نفحات القرآن، ج۵، ص: ۳۲۶

### ۳- الإیمان بالمعاد وعلاقته باطمئنان النفس

إنّ الاعتقاد بالحیاهٔ بعد الموت یؤثّر فی تهذیب النفس وإخلاص القلوب وسموّ الأخلاق وطهارهٔ الأعمال وله أثر کبیر فی إصلاح حال الإنسان فی هذه الدنیا أیضاً.

كلنا يعلم أنّ القلق هو خطر يهـدد حياة الإنسان، فيُحوِّل حلاوة العيش إلى مرارة لا تطاق، ويصاب الإنسان بالانهيار العصبى جراء القلق الذى يسيطر عليه.

القلق الناشىء من ماضى الإنسان واضاعة الفرص والآلام التى حلّت فى ساحته، والقلق بشأن المستقبل ونهاية الحياة وفقدان الأصدقاء والأقارب والاولاد والمال والثروات والقوى الجسميّة والروحيّة ... والقلق الناشىء من الأحداث التى لم تكن بالحسبان والتى تعصف بالإنسان فتحطّم استقراره.

لذا قال العلماء أصحاب الخبرة: إنّ البشر فى زماننا الحاضر وَبالرغم مِن تطوّر الطّب والجراحة وفى نفس الوقت الذى قُضىَ فيه على الكثير من الأمراض، حتّى أنّ قسماً منها قد تلاشت واجتثت من جذورها، إلّاأنّ الإنسان مازال يعانى من الأمراض النفسية أكثر ممّا كان عليه فى السابق، لذا فإننا نرى أنّ الاحصاءات تدل على أنّ هذه الأمراض فى تزايد مستمر يوماً بعد يوم.

حتّى قال أحد أساتذة علم الاجتماع فى جامعة برينستون الاستاذ «دونالد لايت»:

«يعيش فى أميركا لوحدها حالياً ما يقارب خمسة وعشرين مليون فرداً! أقْدَمُوا على الانتحار خلال حياتهم مرّة واحدة على الأقل، ولم يكن لجميع المساعى التى بذلت فى هذا المجال من قبل لجان مكافحة الانتحار أثر يعتد به، وهؤلاء يقدمون على هذه الأعمال بسبب اليأس وشعورهم بتفاهة الحياة، وبسبب الوحدة وعدم ثقتهم بالدنيا والاضطراب والتشويش الناشىء من تدهور المجتمع، وهذا الأمر لا يمكن معالجته بالسبل المذكورة أعلاه» «۱».

بالرغم من أنّ عصرنا الحاضر فى أحد أبعاده هو عصر راحة الإنسان فقد انخفض مقدار

(۱) غربت غرب، ص ۱۸ (باختصار).

نفحات القرآن، ج۵، ص: ۳۲۷

ساعات العمل عمّا كان عليه سابقاً، وازيحت الاعباء التى كانت تثقل كاهل الإنسان وأُلقى ثقلها على كاهل عجلات المصانع العظيمة، وفى المنازل أيضاً تحملت الآلات الكهربائية أعباء القيام بالأعمال الصعبة فأصبحت المنازل أكثر تطوراً وعدّة، والوسائط النقلية أكثر فائدة، فالسفر الذى كان فى الماضى يعتبر قطعة من الجحيم أصبح اليوم من أسباب الرّاحة واللهو، وأخيراً أدْخَلَت وسائل اللهو الحديثة والجيّدة على حياته لوناً جديداً.

فعلى غرار هذا التطوّر فإنّه يُتوقّع أن يعيش الإنسان فى عصرنا الحاضر وهو يتمتع بهدوءٍ تام، وصحّة تامة من الناحية البدنية والروحية معاً، لكننا نرى بوضوح أنّ الاضطراب والقلق ينتابانه أكثر ممّا كان عليه سابقاً.

والأسباب الرئيسية فى هذا الأمر هى الشعور بتفاهة الحياة وعدم كونها هادفة، والشعور بعدم وجود ملجأ عند حلول المعضلات المدمّرة ورسم صورة مرعبة للموت والتشاؤم القاتل، والخوف من المستقبل المجهول للعالم وللحياة الشخصية، وممّا لا شك فيه هو أنّ الإيمان بالآخرة، والحياة الخالدة فيها التى تكتنفها العدالة والطمأنينة بإمكانه أن يُنهى كل هذا القلق.

قال البروفسور المعروف «يونغ»: إنّ ثلثى المرضى الذين قدموا الىّ من جميع انحاء العالم للعلاج هم أفراد مثقفون وموفقون فى حياتهم لكنّهم يعانون من مرضٍ خطير وهو الشعور بتفاهة الحياة، والسبب فى ذلك هو أنّ إنسان القرن العشرين بسبب التقدّم التقنى وقصور الرؤية والتعصّب، فقد الدين فعاد يبحث عن هويته ومالم يعثر على دين فإنّه سوف لن يهدأ، «وذلك لأنّ فقدان الدين يؤدّى إلى تفاهة الحياة وفقدانها لمفهومها» «۱»!

وهنا نلجأ إلى القرآن ونطلب منه العون: ففى سورة يونس نلاحظ إشارة لطيفة فى هذا المجال فى قوله تعالى «الَا إنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَاخَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَاهُمْ يَحْزَنُونَ ...* لَهُمُ البُشْرَى فِى الحَيَاةِ الدُّنيَا وَفى الاخِرَةِ». (يونس/ ۶۲- ۶۴)

أجل إنّ هؤلاء تعلّقت قلوبهم باللّه والتحقوا بركب الأولياء فى هذا الوجود، واعتبروا

(۱) معاد از نظر روح وجسم، ج ۱، ص ۴۴.

نفحات القرآن، ج۵، ص: ۳۲۸

الدنيا قنطرة للوصول إلى حياة الآخرة الخالدة، لذا فهم لا يشعرون بالوحدة ولا بتفاهة الحياة.

وإلى هنا ننهى الحديث عن الآثار المختلفة الماديّه والمعنوية للإيمان بالقيامة، على حياة الأفراد والمجتمعات بالرغم من وجود بحوث كثيرة لم نَتَحَدَّثْ عنها هنا.

نفحات القرآن، ج۵، ص: ۳۲۹

## المدخل إلى عالم البقاء

### اشارة

۱- الموت

۲- البرزخ

نفحات القرآن، ج۵، ص: ۳۳۱

### ۱- الموت

#### تمهيد:

بالرغم من أنّ اسم الموت مرعب جدّاً ومهيب فى نظر الكثيرين، إلّاأنّه لا يتّصف بذلك فى نظرية المعرفة الإسلامية، وذلك لأنّ الموت جسر عبور نحو العالم الآخر، بل ويعدّ الموت فى الحقيقة ولادة جديدة.

ويحتمل أن يكون بكاء المولودِ الشديد عند الولادة وذلك لأنّه يحتمل الفناء، بالرغم من كونه قد خرج إلى عالمٍ أوسع بكثير من بطن الام.

وفى نفس الوقت لا يكون العبور من هذه البوّابة محبوباً لدى الجميع، بل لا يستحسنه إلّا الذين يصطحبون الزاد والعدّة الكافية لهذا السفر الصعب، لذا فليس من العجيب أن يسيطر الخوف والهلع من الموت على قلوب المسيئين والمجرمين- حتّى لو كانوا يؤمنون بالحياة بعد الموت-.

فهذه النظرة للموت تمنح الإنسان القدرة على الجهاد والإيثار والتضحية، ولا يصبح ذليلًا وحقيراً بسبب الخوف من الموت من جهة، ومن جهة اخرى يكون تحذيراً للبشر من الابتلاء بارتكاب الذنوب، ومن العوامل المؤثّرة فى تربيتهم.

إنّ القرآن المجيد أكّد على هذه المسألة كثيراً وشرح هذا الحديث المهم الذى يبتلى به جميع البشر من دون استثناء من خلال تعابير مختلفة وقال كُلّ ما يمكن أن يقال حوله.

بعد هذه الإشارة نعود إلى القرآن لنمعن فى الآيات الواردةِ فى هذا المجال خاشعين.

(يجب الالتفات إلى أنّ كل آية من هذه الآيات تسلّط الأضواء على أحد أبعاد هذا الموضوع):

نفحات القرآن، ج۵، ص: ۳۳۲

۱- «كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ المَوتِ وَإِنَّمَا تُوَفَّونَ أُجُوْرَكُم يَوْمَ القِيَامَةِ». (آل عمران/ ۱۸۵)

۲- «اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنْفُسَ حِيْنَ مَوْتِهَا وَالَّتِى لَمْ تَمُتْ فِى مَنَامِهَا فَيُمْسِكُ الَّتِى قَضَى عَلَيْهَا المَوْتَ وَيُرسِلُ الْاخْرى إِلَى أَجَلٍ مُّسَمّىً». (الزمر/

۴۲)

۳- «قُلْ يَتَوَفَّاكُم مَّلَكُ المَوْتِ الَّذِى وُكِّلَ بِكُمْ ثُمَّ إِلَى رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ». (السجدة/ ۱۱)

۴- «الَّذِينَ تَتوفَّاهُمُ المَلَائِكَةُ ظَالِمِى أَنْفُسِهِمْ فَأَلْقَوُا السَّلَمَ مَاكُنَّا نَعْمَلُ مِنْ سُوءٍ بَلَى إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ». (النحل/ ۲۸)

۵- «الَّذِينَ تَتوفَّاهُمُ المَلَائِكَةُ طَيِّبِينَ يَقُولُونَ سَلَامٌ عَلَيْكُمُ ادْخُلُوا الجَنَّةَ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ». (النحل/ ۳۲)

۶- «قُلْ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ هَادُوا إِنْ زَعَمْتُمْ أَنَّكُمْ أَوْلِيَاءُ لِلَّهِ مِن دُونِ النَّاسِ فَتَمَنَّوُا المَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ* وَلَا يَتَمَنَّونَهُ أَبَداً بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ».

(الجمعة/ ۶- ۷)

۷- «تَبَارَكَ الَّذِى بِيَدِهِ الْمُلْكُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَىءٍ قَدِيرٌ* الَّذِى خلَقَ المَوْتَ والحَيَاتَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُم أَحْسَنُ عَمَلًا وَهُوَ العَزِيزُ الغَفُورُ».

(المُلك/ ۱- ۲)

۸- «وَجَاءَتْ سَكَرَةُ المَوْتِ بِالحَقِّ ذَلِكَ مَا كُنْتَ مِنْهُ تَحِيدُ». (ق/ ۱۹)

۹- «كَلَّا إِذَا بَلَغَتِ التَّرَاقِىَ* وَقِيلَ مَنْ رَاقٍ* وَظَنَّ أَنَّهُ الفِرَاقُ* وَالتَفَّتِ السَّاقُ بِالسَّاقِ* إِلَى رَبِّكَ يومَئِذٍ الْمَسَاقُ». (القيامة/ ۲۶- ۳۰)

۱۰- «حَتَّى إِذَا جَاءَ أَحَدَهُمُ المَوْتُ قَالَ رَبِّ ارْجِعُونِ* لَعَلِّى أَعْمَلُ صَالِحاً فِيما تَرَكْتُ كَلَّا إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَائِلُهَا». (المؤمنون/ ۹۹- ۱۰۰)

## جمع الآيات وتفسيرها

### ۱- الموت قانون شمولى

تحدثت الآية الاولى عن شمولية قانون الموت، الذى هو نهاية جميع البشر وجميع

نفحات القرآن، ج۵، ص: ۳۳۳

الموجودات الحيّة، بل هو أمرٌ حتّى بالنسبة للموجودات غير الحيّة، قال تعالى «كُلُّ نَفسٍ ذَائقَةُ المَوتِ».

وقد ورد هذا التعبير فى ثلاث آيات فى القرآن المجيد «۱»، والسبب فى تكرار هذا الأمر هو التأكيد على حتمية الموت، هذا بالإضافة إلى تحذير جميع البشر كى لا يغفلوا عن حتميّة هذه العاقبة.

ولمّا كان الموت هو نافذة نحو عالم البقاء، فقد اضاف تعالى على الفور: «وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ اجُوْرَكُمْ يَوْمَ القِيَامَةِ»، وذلك للدلالة على أنّ الدنيا دار عملٍ ولا حساب ولا جزاء وإنّ الآخرة دار حساب وجزاء ولا عمل.

وعلى الرغم من وجود إثابة محدودة فى عالم الدنيا وعالم البرزخ، لكنْ من البديهى هو أنّ لا يتمّ الحصول على الأجر والثواب الكامل إلّافى الدار الآخرة.

وهناك احتمال آخر أيضاً وهو أنّ التعبير المذكور أعلاه يدلّ على أنّ المنقذ الوحيد للإنسان يوم القيامة هو أعماله الصالحة فقط، لأنّ المال والجاه والمنصب والأولاد والعشيرة لا تعالج حتّى معضله واحدة من معضلات الإنسان، وهذا التعبير يشبه ما جاء فى سورة الشعراء: «يَومَ لَايَنْفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلبٍ سَلِيمٍ». (الشعراء/ ۸۹)

لكنّ التفسير الأوّل أقرب للصحة، وقد انتخبه الكثير من المفسرين.

إنّ الإنسان يمكنه أساساً أن يشك فى كل شىء، إلّاأنّه لايمكنه أن يشك فى تحقق الموت، إنّ جميع أهل السماء والأرض سوف يموتون وسوف يبتلع الموت جميع الموجودات الحيّة، فالجميع من دون أىّ استثناء لهم اجلٌ ونهاية معينة لا تتأخّر عن موعدها لحظة واحدة، أمّا بالنسبة لدعاء الناس لبعضهم أو لحكّامهم بالخلود فما هو إلّا مجاملة خالية من أىّ محتوى فأىّ خلودٍ هذا؟ وأَىُّ بقاء؟ إنّ الأنبياء جميعاً مرّوا بهذه المرحلة، والجميع من دون استثناء عبروا هذا الممر.

ويستفاد من هذه الآية بالإضافة إلى ذلك، أولًا: أنّ روح الإنسان لا تموت بموته، وذلك

(۱) آل عمران، ۱۸۵؛ الأنبياء، ۳۵؛ العنكبوت، ۵۷.

نفحات القرآن، ج۵، ص: ۳۳۴

لأنّ الآيـة تقول: «كُلُّ نَفْسٍ ذَائَقَةُ المَوتِ»، ومعنى الذوق هو أنّ الروح باقية فتدرك الموت وتتذوّقه، ويستفاد منها ثانياً: أنّ الروح هى غير الجسد، وذلك لأنّها تبقى بعد موت الجسد.

جاء فى إحدى الروايات لمّا نزلت الآية الشريفة «كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ». (الرحمن/ ۲۶) قالت الملائكة: «مات أهلُ الأرض» وعندما نزلت الآية الشريفة «كُلُّ نَفْسٍ ذَائَقَةُ المَوتِ» قالت الملائكة: «متنا نحن أيضاً» «۱».

بالرغم من أنّ كلمة «النفس» اطلقت أحياناً على اللَّه كما جاء فى حديث عيسى عليه السلام عندما كان بين يدى اللَّه حيث قال: «وَلَاأعْلَمُ مَا فِى نَفْسِكَ». (المائدة/ ۱۱۶)

لكنّ التعبير ب «كل نفس» فى الآية المذكورة يراد منه المخلوقات لا الخالق.

### ۲- حقيقة الموت

يعتبر كثير من الناس الموت فناءً وعدماً ونهاية كلّ شىء، لذا فهم يخافون الموت ويهابونه بشدّة، بينما يفسّر القرآن المجيد حقيقة الموت ب «التوفّى» (أى قبض واستلام روح الإنسان من قِبَلِ الخالق) أو بتعبير آخر هو انتقال من عالم حقيرٍ إلى عالم كبير وَسامٍ)، قال تعالى فى الآية الثانية: «اللَّهُ يَتَوَفَّى الأَنْفُسَ حينَ مَوْتِهَا» «۲».

ثم من أجل أن يذكر نموذجاً للموت فى هذه الدنيا أضاف تعالى «وَالَّتِى لَمْ تَمُتْ فى مَنَامِهَا»، «فَيُمْسِكُ الَّتِى قَضَى عَلَيْهَا المَوتَ» أى التى لن تصحو من نومها بعد ذلك أبداً «وُيُرسِلُ الاخْرَى أى التى يجب أن تستمرّ فى حياتها «إِلَى أَجَلٍ مُسَمّىً».

إنّ هدف القرآن هو بيان هذه الحقيقة وهى: كما أنّ روحَ الإنسان لا تفنى فى عالم النوم، بل يضعف ارتباطها بالبدن بصورة مؤقتة، ومن أجل هذا يمكنها التجوّل فى عوالم مختلفة، فإنّها لا تفنى أيضاً بالموت، بل تتحرر وتتجوّل فى عوالم كبيرة اخرى

(۱) التفسير الكبير، ج ۹، ص ۱۲۵.

(۲) الضمير فى «موتها» وإن كان يعود للانفس فى الظاهر لكنّه فى الواقع يدلّ على موت الابدان، وذلك لأنّ البدن هو الذى يموت لا الروح، وكذلك الحال فى ضمير «منامها».

نفحات القرآن، ج۵، ص: ۳۳۵

و «يتوفّى : من مادة «وفى وهى فى الأصل بمعنى الكمال، لذا اطلقوا على الدّرهم الكامل «درهماً وافياً» (أى الكامل من حيث الوزن ومقدار الفضة) على هذا يكون التوفّى بمعنى القبض التام، وبما أنّ القابض هو اللَّه فإنّ هذه الجملة تدل على أنّ الإنسان سوف يضع قدمه فى عالم أعلى وأرقى

إنّ هذه النظرة إلى الموت تغيّرُ كثيراً من المعادلات والمفاهيم، ومن أجل هذا عرّفوه ببوّابة العبور إلى عالم البقاء.

ومن الجدير بالذكر هو أنّ الآية المذكورة تحذّر الناس لأنّها تعتبر «النوم» مساوياً «للموت» وكأنّها تقول: كيف تغفلون عن الموت وهو يأتيكم فى كل يومٍ وليلة وأنتم تلمسونه بأيديكم؟! إنّكم فى حالة النوم تنفصلون عن هذا العالم وتفارقون حياتكم ومنصبكم ووجودكم بصورة مؤقتة، فالموت أيضاً هو عبارة عن نوم خالد كما أنّ النوم هو عبارة عن موت مؤقت، ومن المحتمل أن تكون الجملة الاخيرة فى هذه الآية: «إِنَّ فِى ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَومٍ يَتَفَكَّرُونَ» ناظرة إلى جميع هذه الحيثيات.

### ۳- ملائکة الموت

بالرغم من أنّ الآیـة السابقـة أسـندت قبض الأرواح إلی اللَّه، لکنّه یسـتفاد من آیات اخری من القرآن إسـناد هذا العمل إلی الملائکة، ففی الآیـة الثالثـة من آیـات البحث وُجّه الخطـاب إلی النبی الأـکرم صـلی الله علیه و آله وامِر بأن یجیب علی إنکار المشـرکین للمعاد بقوله تعالی «قُلْ یَتَوَفَّاکُمْ مَّلَکُ المَوْتِ الَّذی وُکِّلَ بِکُمْ ثُمَّ إِلَی رَبِّکُمْ تُرْجَعُونَ».

ومن الجـدیر بالـذّکر هو أنّ الآیـة هنا تحـدّثت عن ملک الموت، الملک الـذی اوکِلت إلیه هذه المهمّة، بینما لاحظنا فی الآیة السابقة إسناد القبض إلی اللَّه، وفی الآیة اسند القبض إلی مجموعة من الملائکة: «الَّذِیَنَ تَتوفَّاهُمُ المَلَائِکَةُ». (الزمر/ ۴۲)

کما أسند القبض إلی الرّسُل: «تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا». (الانعام/ ۶۱)

نفحات القرآن، ج۵، ص: ۳۳۶

إنّنا إذا ما تمعّنا بشیٍ من الدقّة فی الآیات المذکورة لا تّضح لنا عدم وجود أیّ تضاد فی هذه المسألة، وذلک لأنّ المتوفّی الرئیسی هو اللَّه تعالی ثمَّ تناط مهمّة قبض الأرواح ب «ملک الموت الکبیر» (عزرائیل علیه السـلام) الذی اوکلت إلیه هذه المهمّة وهو بدوره ینجز هذا العمل أیضاً بواسطة «مجموعة من الملائکة» والرُسل الذین هم نفس أولئک الملائکة.

إنّ الأحـداث المهمّـة فی هـذا العالم تنجز أساساً بواسـطة الملائکـة الَّذین لا هدف لهم إلّا الطاعة للَّهوالعمل بأوامره، والموت الذّی هو أحد هذه الأحداث المهمّة فی هذا العالم لایستثنی من هذا القانون.

وجملـة: «ثُمَّ إِلَی رَبِّکُمْ تُرْجَعُونَ» تـدلّ علی أنّ الموت مقدّمـة العودة نحو الحق فی مرحلـة السیر الصـعودی، کما أنّ الولادة هی نافذة نحو عالم الفناء والسیر النزولی لروح الإنسان، والتعبیر ب «ثمّ» من المحتمل أن یکون إشارة لوجود البرزخ.

### ۴ و ۵- حال المؤمنین والظالمین عند سکرات الموت

إنّ حـال المؤمنین والمحسـنین لاـ یشـبه حـال الظـالمین والمـذنبین عنـد حلول الموت فی سـاحتهم، أو بتعـبیر آخر إنّ نتائـج أعمـالهم وعقائدهم تظهر بالتدریج فی تلک اللحظة، و «الآیة الرابعة والخامسة» لهما دلالة عمیقة علی هذه الحقیقة.

قـال تعـالی «الَّذِینَ تَتوفَّاهُمُ المَلَائِکَـةُ ظَـالِمِی أَنْفُسِـهِمْ فَأَلْقَوُا السَّلَمَ مَا کُنَّا نَعْمَلُ مِنْ سُوءٍ»، وتـدلّ هـذه الکلمات علی أنّهم لم یخضـعوا بالکامل، فهم لا یعلمون بأنّ هـذا الانکار لا معنی له أمام اللَّه الّـذی یعلم الغیب وأمام الشـهود من الملائکـة، لذا أضاف تعالی فی ذیل الآیة: «بَلَی إِنَّ اللَّهَ عَلِیمٌ بِمَا کُنْتُمْ تَعْمَلُونَ». ثمّ وجّه الأمر إلیهم فقال: «فَادْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ خَالِدِینَ فِیهَا».

ومّما تقدّم یظهر أنّ اعلان التسـلیم بالنسـبة لهؤلاء هنا هو بمعنی اظهار التوحید والتسلیم للحق (کما یری عدد من المفسرین) ولکن بما أنّ جوّ الدنیا لم یفارقهم بعد ولم یَتعرَّفوا علی

نفحات القرآن، ج۵، ص: ۳۳۷

القوانین المهیمنـة علی مراحـل مـا بعـد الموت فإنّهم ینکرون ما عملوا من سوءٍ ویتوسّـلون بالکـذب، لکنّهم سـرعان ما یتضـح لهم أنّ الکذب لا ینفع هناک!

وهناک احتمالان فی هل أنّ المراد من «جهنم» هنا هو جهنم عالم البرزخ أم جهنم یوم القیامـة؟ والـذّی یتلاءم مع سـکرات الموت هو الـدخول فی جهنم البرزخ، لکنّ التعبیر بـالخلود یصـلح لأـنّ یکون قرینـة علی أنّ المراد هو جهنّم القیامـة، إلّاإذا قیل: إنّ المراد هنا هو دخول أبواب جهنّم فی عالم البرزخ لا دخول نفس جهنّم، والخلود هنا هو صـفة للکافرین عنـد دخولهم البرزخ لا عند دخولهم أبواب البرزخ.

وتعبير: «بَلَى إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ»، يحتمل أن يكون صادراً عن ملائكة الموت لتحذير الكافرين فكأنهم يقولون: لا تسعوا عبثاً في الانكار فإنّه غير نافع لأنّ علم اللّه الواسع سوف يرفع الستار عن أعمالكم.

وعلى أيّة حال فإنّ هذه الآية تشبه ما جاء في سورة محمد: «فَكَيْفَ إِذَا تَوَفَّتْهُمُ المَلَائِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَارَهُمْ». (محمّد/ ۲۷) بلى سوف تستقبلهم الملائكة بالضرب على وجوههم وأدبارهم، ومن المحتمل أن يكون إقرارهم بالتوحيد والحقّ هو من أجل مشاهدة هذه المشاهد لا من أجل الإخلاص.

وفي قبال هذا المشهد هناك ملائكة الرّحمة التي تأتي لقبض أرواح المؤمنين، قال تعالى في الآية الثانية: «الَّذِينَ تَتَوفَّاهُمُ المَلَائِكَةُ طَيِّبِينَ يَقُولُونَ سَلامٌ عَلَيْكُمُ ادْخُلُوا الجَنَّةَ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ».

وفي الواقع لا يمكن أن تكون مكافأة الطهارة والتقوى إلّابمثل هذا وهو أن تستقبلهم ملائكة اللّه بالسلام والترحاب، وتدعوهم لدخول الجنّة ... تلك الدعوة التي يغمرها اللطف والمحبّة والاحترام!

وهنا أيضاً قد يراد من الجنّة جنّه البرزخ كما يحتمل أن يكون المراد جنّة القيامة وجنّة البرزخ تعتبر من أبوابها.

على أيّة حال فإنّ هذا من أحد أبعاد الموت الذي هو بالنسبة للصالحين يختلف تماماً عمّا هو عليه بالنسبة للمذنبين.

نفحات القرآن، ج۵، ص: ۳۳۸

### ۶- علّة الخوف من الموت

إنّ صورة الموت مرعبة لدى الناس عادةً، والسبب في ذلك يكمن في أمرين، فهو إمّا أن يكون باعتبار الموت نهاية كلّ شيء أي يساوي معنى الفناء، وإمّا أن يكون بسبب التلوّث بارتكاب الذنوب وحب الدنيا الشديد، فلماذا يخاف الموت من يعتبره ولادة جديدة وبداية انتقال إلى عالم اوسع وحياة أرقى ومن يحمل في جعبته كمّية هائلة من الأعمال الصالحة إعداداً لسفره والذي ليس للدنيا في قلبه موضعٌ يعتني به؟ وقد أشار تعالى في الآية السادسة إشارة لطيفة لهذا الأمر، قال تعالى «قُلْ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ هَادوا إِنْ زَعَمْتُمْ أَنَّكُمْ أَولِيَاءُ لِلَّهِ مِن دُونِ النَّاسِ فَتَمَنَّوُا المَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ» ثم يضيف «وَلَا يَتَمَنَّونَهُ أَبَداً بِمَا قَدَّمَتْ أَيْديْهِمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمينَ».

وممّا يجدر بالالتفات هنا هو أنّ المخاطب في هذه الآية هم اليهود، والسبب في ذلك على مايبدو أمران:

الأول: هو أنّ اليهود يعتبرون أنفسهم شعب اللّه المختار دائماً- حتّى في يومنا هذا- ويتصورون أنّهم يمتازون عن الآخرين بصفات خيالية، فهم يعتبرون أنفسهم أبناء اللّه المختار تارةً! وأحياناً إنّهم أولياؤه وأحبّاؤه: «وَقَالَتِ اليَهُودُ وَالنَّصَارَى نَحْنُ أَبْنَاءُ اللَّهِ وَأَحِبَّاؤُهُ». (المائدة/ ۱۸)

واخرى، يقولون: لن تمسنا النار أبداً مهما ارتكبنا من الذنوب إلّاأيّاماً معدودة: «وَقَالُوا لَنْ تَمَسَّنَا النَّارُ إِلَّاأَيَّاماً مَّعْدُودَةً». (البقرة/ ۸۰)

فيجيبهم القرآن: إنْ كنتم صادقين في عقيدتكم هذه فلِمَ تخافون الموت بهذه الشدّة إذن؟

فهل يخاف الخليل من لقاء خليله؟ وهل يكون الانتقال من السجن إلى جنّة عامرة خضراء أمراً مخيفاً؟!

و جاء ما يشبه هذا المعنى في قوله تعالى «قُلْ إِنْ كَانَتْ لَكُمُ الدَّارُ الآخِرَةُ عِندَ اللَّهِ خَالِصَةً مِّنْ دُونِ النَّاسِ فَتَمَنَّوُا المَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ»! (البقرة/ ۹۴)

والثاني: هو أنّهم كانوا يعبدون الدنيا وتعلّقت قلوبهم بعالم المادّة، هذا بالإضافة إلى

نفحات القرآن، ج۵، ص: ۳۳۹

ارتكابهم الذنوب الكثيرة وتلوث أيديهم بدماء الابرياء، لذا فهم يخافون الموت بشدّة.

لذا قال تعالى «وَلَتَجِدَنَّهُمْ أَحْرَصَ النَّاسِ عَلَى حَيَاةٍ». (البقرة/ ۹۶)

وقال أيضاً: «وَلَنْ يَتَمَنَّوْهُ أَبَداً بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ». (البقرة/ ۹۵)

وَعلى هـذا الأساس فقـد بيّن القرآن المجيـد علل الخوف من الموت بوضوح كما أنّه هدى إلى طرق الخلاص من هذا الخوف والهلع الّذى يعمُّ الجميع، ويرى بعض المفسِّرين أنّ الآيـة المـذكورة أعلاه والتى نزلت فى شأن اليهود هى نوع مباهلة والتى هى إحدى طرق مقارعة الكذّابين، وهى تستخدم فى إثبات صدق الدّعوة، وهى أن يَطلبَ المدّعى من اللَّه أن يُخْزِيَهُ إنْ كان كاذباً (فإذا كانت شـروط المباهلة متوفّرة فإنها تكون مؤثّرة).

والدليل على هذا التفسير هو ما جاء فى الروايات أنّ الكذابين أى (اليهود) لو كانوا تمنّوا الموت أمام النبى صـلى الله عليه و آله لَغَصّوا بريقهم وماتوا!

جاء فى الحديث الشريف: «والذّى نفسى بيده لا يقولها احَدٌ منكم إلّاغُصَّ بريقه» «۱».

## ۷- الغاية من الموت والحياة

إنّ حياة الإنسان محدودة على أيّة حال، والموت يرافق كل حياة، وأوّل سؤال يُطرح هنا هو: ما هى الغاية من الحياة والموت؟

وقد تحدّث القرآن المجيد فى الآية «السابعة» من آيات البحث عن هذا الأمر فقال:

«تَبَارَكَ الَّذى بِيَدِهِ الْمُلْكُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَىءٍ قَدِيرٌ* الَّذِى خلَقَ المَوْتَ والحَيَاتَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا وَهُوَ العَزِيزُ الغَفُورُ».

فالقرآن هنا يبيّن أولًا أنّ خلق الموت والحياة هما من دلائل قدرته الواسعة، ثم يضيف إلى ذلك: إنّ الهدف من هذا الخلق هو امتحان لأحسنِ الأعمال .. امتحان يهدف إلى تربية البشر وهدايتهم إلى منزلة القرب الإلهى.

---

(۱) تفسير روح المعانى، ج ۲۸، ص ۸۵؛ وتفسير المراغى، ج ۲۸، ص ۱۰۰.

نفحات القرآن، ج‏۵، ص: ۳۴۰

ويستفاد من هذه الآية عدّة امور:

أولًا: إنّ الموت والحيـاة كلاهمـا مخلوقـان، فـإذا كـان الموت بمعنى الفنـاء والعـدم المطلق فإنّ كونه مخلوقاً سوف لا يكون ذا معنىً، والسبب فى ذلك هو أنّ الموت عبارة عن الانتقال من عالم إلى عالم آخر، لذا فهو أمرٌ وجوديٌ وبالامكان خلقه.

ثانياً: إنّ ذِكْرَ الموت قبل الحياة إمّا أن يكون للدلالة على موت الدنيا وحياة عالم الآخرة، وإمّا أن يكون للدلالة على المرحلة التى كان فيها الإنسان تراباً، فتعتبر الحياة بمعنى الخلق من التراب، وإمّا أن يدلّ على كليهما معاً.

ثالثـاً: قـد عُرِّفت الـدنيا بأنّها ساحـة اختبار .. ساحـةٌ لانتخاب «أفضل الأفراد من حيث العمل»، ومن البـديهى أنَّ شـهادة النجاح فى هـذا الامتحان تُمنَح فى الدار الآخرة.

رابعاً: إنّ المقياس الـذى يعيّن قيمـة الإنسان لدى اللَّه تعالى هو العمل الصالح، ومن البديهى أيضاً أنّ الأعمال الصالحة تنبع من العقائد المخلصة والقلب المؤمن والنّية الخالصة، وذلك لأنّ العمل يكون دائماً انعكاساً لهذه الامور.

ومن المحتمل أن يكون هذا هو دليل النبى الأكرم صـلى الله عليه و آله عند تفسير جملة «أَحْسَنُ عَمَلًا» فى أحد الأحاديث المروية عنه، قال صلى الله عليه و آله فى تفسيرها: «أتَمُّكُمْ عَقْلًا وَأشَدُّكُمْ للَّهِ خَوْفاً وَأَحْسَنُكُمْ فيما أمَرَ اللَّهُ بِهِ وَنَهى عَنْهُ نَظَراً، وَإنْ كَانَ أَقَلُّكُمْ تَطَوُّعاً» «۱».

فمن هنا يتضح أنّ التفسيرات المختلفة التى فُسِّرت بها «أحْسَنُ عَمَلًا» مثل: تفسيرها بالأعمال الخالصة أو الأكثر عقلًا أو الأكثر زهداً أو الأكثر ذِكراً للموت أو الأكثر تأهّباً لسـفر الآخرة، يتضـح أنّها مترابطـة مع بعضـها البعض، ولا تعتبر تفسـيرات مختلفـة، وذلك لأنّ هذه التفسيرات كالسيقان والأوراق والجذور والجذع والفواكه للشجرة الواحدة.

خامساً: إنّ القيمـة الواقعيـة تختصّ ب «جوهر الأعمال» لا ب «كمِّها وحجمها»، فرُبَّ عملٍ صـغيرٍ ذى كيفيـة عاليـة من جهـة الإخلاص

والإيمان والمعرفة فاقَ أعمالًا كثيرة، لذا جاء في احدى الروايات عن الإمام الصادق عليه السلام في تفسير أنّه «أحْسَنُ عَمَلًا» قال: «لَيْس يَعْنى أكثَرُ

(۱) تفسير مجمع البيان، ج ۱۰، ص ۳۲۲.

نفحات القرآن، ج۵، ص: ۳۴۱

عَمَلًا وَلكِنْ أصْوَبُكُمْ عَمَلًا» «۱».

سادساً: إنّ الأفعال الإلهيّة هادفة ويصطلح عليها بأنّها «معللة بالاغراض»، على خلاف مايراه المغفّلون من أنّ أفعال اللَّه غير هادفة.

سابعاً: ومن أجل احتمال أن يشعر الإنسان بالوحدة والعجز في ساحة الاختبار العظيمة، أو أن يُهيمن عليه اليأس بسبب العثرات وصف اللَّه نفسه في ذيل الآيـة بالعزيز الغفور وذلك للقضاء على هذه المخاوف، فالآية تقول للإنسان: إنّك لست وحيداً، فلا تخف من رهبة الاختبار، وليكن قلبك مع اللَّه، فإنّ عثرت فالجأْ إلى عفو اللَّه وغفرانه.

### ۸ و ۹- مقدمات الموت وسكراته

يستفاد من مضامين آيات القرآن أنّ الموت تصاحبُهُ شدائد ومخاوف محيّرة، لذا قال تعالى في الآية الثامنة من آيات البحث: «وَجَاءَتْ سَكْرَةُ المَوْتِ بِالحَقِّ» فيقال للإنسان في هذه الاثناء: «ذلِكَ مَا كُنْتَ مِنْهُ تَحِيدُ».

وكلمـة «سَكْرَة» مأخوذة من مادة «سُكر» وهي- على حـدّ قول اللغويين- حالـة تَحُولُ بين الإنسان وعقله، وغالباً ما تستخدم في موارد شرب الخمر، وقد استخدمت تارةً في الحالات الناجمة عن شدّة الغضب أو الحالات الناجمة عن شدّة الحبّ الملتهب.

ولكن جـاء في «مقاييس اللغـة» إنّ الأصل في هـذه المادة بمعنى «الحيرة». كما فسّرها آخرون ب «الشـدّة»، والظاهر هو أنّ جميع هـذه المعاني تعود إلى معنىً واحد وإن كانت التعبيرات مختلفة.

إنّ ظهور حالة تشبه حالة السُكر عند الإحتضار إمّا أن تكون بسبب طبيعة الانتقال من عالم إلى عالم آخر مجهول من جهات مختلفة، كما هو الحال في حالة الاضطراب عند المولود عندما ينتقل من عالم الجنين إلى عالم الدنيا، وإمّا أنْ يكون بسبب أجواء ما بعد

(۱) اصول الكافي، ج ۲، ص ۱۶، (باب الإخلاص) ح ۴.

نفحات القرآن، ج۵، ص: ۳۴۲

الموت ومواجهة تتائج الأعمال والخوف من العاقبة، وإمّا أن يكون بسبب فراق الدنيا والأقارب والامور التي تعلق قلبه بها.

ويستفاد من الروايات أنّ الأنبياء والالهيين الذين لم تتعلق قلوبهم بحب الدنيا ولم يخافوا العاقبة، والذين يمتازون بطمأنينة متميّزة بسبب ذلـك، إنّ هؤلاء أيضاً لهم نصيب من هـذه المعضـلات والشدائـد التي تنزل في هـذه اللحظـة، كما جاء في ذكر حالات النبي الأكرم صلى الله عليه و آله أنّه عنـد آخر لحظات عمره المبارك، كان يضع يده في إناءٍ فيه ماء ويمسح بيده على وجهه ويقول «لا اله إلّااللّه»، ثم يقول: «إنّ للموتِ سكرات» «۱».

وَرُوِى عن علي عليه السلام أيضاً أنّه قال: «إنّ للموت غَمَراتٍ هي أفظع من أن تستغرق بصفةٍ أو تعتدل على عقول أهل الدنيا» «۲».

ولو وضعنا كل هذا في جهة، فمن جهة اخرى يستفاد من الآيات أمرٌ آخر أيضاً وهو أنّ انفصال الروح عن الجسد يتّم بصورة تدريجية، وهذا «بنفسه يزيد من الهلع»، فإنْ كان الانفصال فورياً ويتم خلال لحظة واحدة لكان تحمّله أسهل.

وقد جاء في الآية التاسعة من آيات البحث قوله تعالى «كَلَّا إِذَا بَلَغَتِ التَّرَاقِيَ* وَقِيلَ مَنْ رَاقٍ* وَظَنَّ أَنَّهُ الفِرَاقُ* وَالتَفَّتِ السَّاقُ بِالسَّاقِ* إِلَى رَبِّكَ يَومَئِذٍ الْمَسَاقُ».

وجاء نفس هذا المعنى فى قوله تعالى «فَلَوْلَا إِذَا بَلَغَتِ الحُلْقُومَ* وَأَنْتُمْ حِينَئِذٍ تَنْظُرُونَ». (الواقعة/ ۸۳- ۸۴)

و «تراقى»: جمع «ترقوة» وهى العظام التى تحيط بأطراف الرقبة، ووصول الروح إلى الحلقوم هو كناية عن اللحظات الأخيرة من العمر، ويحتمل توقف الأعضاء البعيدة عن القلب والمخ عند انفصال الروح قبل الأعضاء الاخرى

وجملة «التفت الساق بالساق» من المحتمل أن تكون للدلالة على ما ذُكر (ففى تفسير مجمع البيان جعل توقف السيقان عن العمل من أحد تفاسير هذه الجملة).

---

(۱) تفسير روح البيان، ج ۹، ص ۱۱۸.

(۲) غرر الحكم.

نفحات القرآن، ج۵، ص: ۳۴۳

هذا بالإضافة إلى أنّ وصول الروح الحلقوم هو تعبير آخر عن هذا المعنى ومن البديهى أنَّ جهاز التنفس يقف عن العمل عندما تصل الروح الحلقوم، وعندما يقف جهاز التنفس عن العمل يسبب فقدان الاوكسجين والاختناق ووقوف المخ عن العمل.

ففى هذه اللحظات يضطرب الحاضرون عند المحتضر ويصيبهم الجزع والفزع، ويبذلون قصارى جهدهم لإعادة الروح، إلّاأنّ مساعيهم تذهب هباءً، وبعد لحظات ينقطع المحتضر عن هذه الدنيا إلى الأبد، فيستقرّ جسده جانباً وكأنّه لم يكن واحداً من أهل هذه الدنيا.

والعجيب هو أنّ العبور من هذه المراحل التى تطول مدّتها تارةً وتمرّ بسرعة تارةً اخرى هو امرٌ حتمىّ يعمّ الجميع، فالملوك والجبابرة الظلمة سوف يموتون، كما سوف يموت المستضعفون والمظلومون كذلك، بل تكون لحظات الموت بالنسبة للجبابرة والظلمة أشدّ ألماً، وذلك لأنّ فراق الاموال والمناصب التى بذلوا أعمارهم للحصول عليها يكون صعبا وغضّ النظر عنها بالنسبة للذين تعلقت قلوبهم بالدنيا المادية أمرٌ عسير.

### ۱۰- تمنّى العودة والإصلاح

بعد اجتياز لحظات الموت، وبعد فراق الدنيا عندما تفتح العيون فى البرزخ ويشاهد الإنسان بعض الأسرار التى كانت محتجبة خلف ستار الغيب، ويرى نتائج أعماله بأمّ عينيه ويرى خُلُوَّ يديهِ من الحسنات وتراكُمَ الذنوبِ الثقيلةِ يُثقِلُ كاهِلهُ، فإنّه يندم بشدّه على ما فعل فى الماضى ويفكّر فى إصلاح ما اقترفه، هنا يلتفت إلى الملائكة الذين قبضوا روحه ويتوسّل إلى اللَّه- كما جاء فى الآية العاشرة من آيات البحث- ويضج بالعويل ويطلب من اللَّه العودة إلى دار الدنيا، قال تعالى: «حَتّى اذَا جَاءَ احَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ارْجِعُونِ* لَعَلِّى اعْمَلُ صَالِحاً فِيما تَرَكْتُ».

لكن السنن الإلهيّة لا تسمح لأحدٍ بهذا، فلا الصالحون يتمكنون من العودة لإضافة

نفحات القرآن، ج۵، ص: ۳۴۴

الصالحات إلى أعمالهم، ولا المسيئون يمكنهم العودة للتوبة والإصلاح، لذا يجاب عن هذا الطلب بحزم ويقال له: «كَلَّا إِنَّها كَلِمَةٌ هُوَ قَائِلُهَا».

إنّ جميع المجرمين عندما يقعون بقبضة المُقتَصِّ يتوسلون بمثل هذه الأساليب، ولكن غالباً ما يعودون إلى تكرار أعمالهم فور ارتفاع أمواج البلاء عنهم.

وممّا يجلب الإنتباه هنا هو أنّ المخاطب فى كلمة «ربِّ»، هو الذات المقدّسة الإلهيّة، لكن المخاطب فى «ارجعون» جاء بصيغة الجمع.

يرى المفسرون: أنّ هذا إمّا من أجل التعظيم لمقام الحق تعالى وإمّا أن يكون المخاطب فى الواقع هم الملائكة الذين يأتون أفواجاً لقبض الأرواح.

كما أنّ هذا المعنى محتمل أيضاً وهو أنّهم يتوسلون بساحة اللطف الإلهى أولًا، ثم يلتفتون إلى الملائكة يطلبون منهم العودة «۱».
وجاء ما يشابه هذا المعنى أيضاً فى قوله تعالى: «وَأَنفِقُوا مِن مَّا رَزَقْنَاكُمْ مِّنْ قَبْلِ انْ يَأْتِيَ احَدَكُمُ الْمَوْتُ فَيَقُولُ رَبِّ لَوْلَا اخَّرتَنِى الَى اجَلٍ قَرِيبٍ فَاصَّدَّقَ وَاكُنْ مِنَ الصَّالِحِينَ».
(المنافقون/ ۱۰)
وقد اجيبوا هنا بجواب سلبى أيضاً فى ذيل الآية، وبصورة اخرى قال تعالى: «وَلَنْ يُؤَخِّرَ اللَّهُ نَفْساً اذَا جَاءَ اجَلُهَا وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ».
(المنافقون/ ۱۱)
كما يستفاد من الآية ۲۸ من سورة الأنعام أيضاً أنّ المجرمين يتحدّثون بهذا الحديث عندما يعرضون على جهنّم، وبما أنّ ذلك خارج عن موضوع البحث فإننا نعرض عن ذكره هنا.

### ثمرة البحث:

### اشارة

إتضحت بجلاء وجهة نظر القرآن الكريم فى مسألة الموت من أبعادها المختلفة، من

---

(۱) واحتمل صاحب تفسير الميزان هذا الاحتمال أيضاً وهو أنّ ضمير الجمع يدل على الجمع فى الفعل لا على الجمع فى الفاعل، فكانّ المحتضر يريد أن يقول «إرجع، ارجع» عدّة مرات فيأتى بكلمة ارجعوا بدلًا عن التكرار. (تفسير الميزان ج ۱۵، ص ۷۱) ولكن من البديهى لو جاز هذا فى اللغة لكان قليلًا جدّاً.

نفحات القرآن، ج۵، ص: ۳۴۵

مجموع ما جاء فى الآيات والعناوين العشرة المذكورة.
وممّا يجدر بالالتفات هو أنّ القرآن سلّط الاضواء فى جميع هذه الموارد على الآثار التربوية منها، وذلك لأنّ القرآن كتابٌ تربوى كامل، فهو يعنى بالجانب التربوى عند ذكر اصول وفروع الدين، والمسائل الاجتماعية والتاريخية وغيرها، أى أنّه يطرح الواقع بكلّ وضوح ويستخدمه للسيطرة على النفس الجموح، فى الدعوة نحو التقوى والورع وسلوك الطريق المؤدى إلى مرضاة اللَّه بظرافة ودّقة، فما أجمل وألطف ظرافة ودقّة القرآن فى جميع هذه المجالات!

### ۱- الموت هو مدخل عالم البقاء

إنّ ما جاء فى البحوث المذكورة آنفاً مُعَزَّزاً بالآيات القرآنية، غالباً ما يستدلّ عليه بالطرق المنطقية الصالحة للاستدلال (باستثناء ما يرتبط بالعوالم الغيبية التى لا نمتلك طريقاً للوصول إليها، فقد رفع القرآن الستار عنها).
إنّ ممّا لا شك فيه هو أنّ نظرة الإلهيين والمؤمنين إلى المعاد والموت تختلف عن نظرة الماديين والمنكرين للمعاد اختلاف السماء عن الأرض، وهذان المنظاران هما اللذان يؤثران فى حياة الأفراد والمجتمعات البشرية، ويميزان هذين الفريقين عن بعضهما.
فالماديون يعتبرون الموت عالماً مظلماً ومعتماً جدّاً .. عالماً ينتهى معه كل شىء، وتختتم به جميع آمال ومساعى وجهود البشر، وَعلى هذا الأساس فإنّه ليس من العجب أن يخاف الإنسان المادى من الموت وينتابه الوهن، وتتبدل لديه حلاوة تلك التصورات عن الحياة إلى ما هو أكثر مرارةً من السم.
وليس من العجيب أن لا يقدموا على الإيثار والتضحية وإذا أقدموا على عملٍ كهذا فبتأثير ضغوط من قبل الآخرين أو بتأثير الضغوط

الاجتماعية، وذلك لأنّه لا يوجد بعد الإيثار شيء يحل محلّه، أو بتعبير آخر إنّ الإيثار سوف لا يكون الهدف الأساسى لهؤلاء.
وليس من العجيب أن يعدّ هؤلاء الحياة أمراً تافهاً خالياً من المحتوى وذلك لأنّ الموت
نفحات القرآن، ج۵، ص: ۳۴۶
إنْ كان نهاية لكل شيء فإنّ الحياة الدنيا والتى هى عبارة عن تكرار مجموعة من الأعمال الدنيئة، كالأكل والنوم والكسب والاستهلاك لا- يمكن أن تعتبر «هدفاً سامياً» لإرواء الروح الإنسانية، لذا فإنّ أفراداً يقدمون على الانتحار ويعتبرون ذلك اختياراً صحيحاً لانهاء هذا «التكرار والمكررات التافهة»! فهم يعتبرون ذلك عين العقل والمنطق، ويعتبرون استمرار حياتهم حماقة وذلّة وبلادة!
بينما يرى الإلهيون الذين يؤمنون بالمعاد، الموت أشبه ما يكون بتولّد الجنين من بطن امّه.
فالجنين يموت فى الواقع، أى فقد الحياة فى بطن الأم، لكنّه بعد الولادة يضع قدمه فى عالم أوسع وأفسح، وإذا ما قيس بالمحيط الضيق والمظلم فى بطن الأم، الذى يعدُ عالماً مملوءً بالنعم والجمال.
فالموت هو ولادة اخرى أيضاً، والإنسان بواسطة الموت يخرج من محيط هذه الحياة الضيق إلى عالم أكثر اتساعاً.
ومن البديهى هو أنّ الجنين لو كان يعلم اين سيضع قدمه بعد الولادة لظل يعدّ اللحظات للخروج، ولما خاف أبداً من ذلك اليوم، ولما عد حياةَ الأجنّةِ حياةً تافهة، ولما عزّ عليه الإيثار فى سبيل الخروج.
وقصارى القول إنّ نظرة الإنسان للموت باعتباره «باباً ينفذ منه إلى عالم البقاء» تغيّر لون حياته وتمنحها لوناً جديداً وتعطيها مفهوماً يسكن إليه القلب وتخرجه من الحيرة والكآبة والشعور بالتفاهة واللاهدفية التى تقصم آلامها الظهر.

### ۲- لماذا نخاف الموت؟

اتّضح ممّا قلناه آنفاً: أنّ الخوف من الموت لا معنى له بالنسبة لمن يؤمن بالمعاد، ويستثنى من ذلك من كانت صحيفة أعماله سوداء ومظلمة، الذين يخافون العقوبات الإلهيّة
نفحات القرآن، ج۵، ص: ۳۴۷
التى سوف يُبْتَلَوْنَ بها فى الدار الآخرة، وبتعبير آخر: إنّ من يخاف الموت هم ثلاث فرق:
الفرقة الاولى: وهم من يعتبرون الموت أمراً يساوى الفناء والعدم، فالعدم مرعب، والفقر والمرض والضعف والعجز هى من عوامل الرعب،؟ لأنّها بمعنى عدم الثروة وعدم السلامة وعدم التمكّن وعدم القدرة، فالإنسان هو من سنخ الوجود، والوجود يأنس بالوجود كما يأنس الحديد بالمغناطيس، لكنّه لا يسانخ العدم ولا يأنس به، فما عليه إلّاأن يهرب منه.
لكننا إذا اعتبرنا الموت سُلّماً للصعود إلى «وجودٍ أرقى وكنّا نعتبر العالم الذى يلى الموت لا يقاس بهذا العالم من جهة السّعة والنعيم، وكنّا نعدّ الدنيا سجناً والموت بمثابة التحرر من هذا السجن، وإذا شبّهنا الحياة بالقفص بالنسبة إلى طائر والموت بانفتاح هذا القفص وتحليق الطائر، فسوف لن يصبح الموت أمراً مرعباً، بل سوف يكون فى بعض الموارد محبوباً ومستساغاً، قال أحد الحكماء:
مُتْ أيها الحكيمُ واقلع عن مثل هذه الحياة فإنّك إن مُتَّ فسوف تخلد فيسافر طائر روحك إلى العُلا عندما تحررها من أسرِ الطمع
وقال شاعر آخر:
اننى طائر جنّة الملكوت، ولستُ من عالم التراب لقد صنعوا من جسمى قفصاً قصير الامد إنّ أسعد الأيّام هو ذلك اليوم الذى أطير به نحو الحبيب فترفّ جناحاىَ بأمل الوصول إلى دياره وأخيراً يستقبل شاعر آخر الموت بصدرٍ رحب، فيدعوه إليه قائلًا:
إن كان الموت إنساناً لقلت له أقبل إليّ لأضّمه إلى صدرى بشوق شديد كما أحصل منه على روحٍ خالدة ويحصل منّى على جنَّةٍ خلقة ومن الواضح هو أنّ تصوراً كهذا عن مسألة الموت يطرد الخوف والهلع عن الإنسان، كما أننا لا نقول إنّه ينتحر، لأنّ هذه الحياة هى وسيلة لجمع رأسمال أكثر ولكسب الزاد وتهيئة الراحلة للإعداد للسفر نحو ذلك العالم، بل نقول: إنّه يبسط جناحيه عندما ينفصل

منها، ويذهب إلى استقبال شيٍ يمدّه بحياة جديدة بكل شهامة وشجاعة.

الفرقة الثانية: وهم الذين يؤمنون بالحياة بعد الموت لا يعتبرون الموت فناءً وعدماً أبداً، لكنهم بسبب اسوداد صحائفهم يهربون من الموت، لخوفهم من العقوبات التى ستحل بهم بعده، والتى اعدّت لهم فى المحشر، فهم يهربون منها كما يهرب المجرمون الذين يتمنون دائماً تأجيل يوم المحاكمة، والبقاء فى السجن من دون محاكمة!

ومن حق هؤلاء أيضاً أن يخافوا من الموت، فالخلاص من السجن بنفسه أمرٌ حسن، ولكنّه ليس كذلك بالنسبة لمن يخرجُ من السجن إلى خشبة الاعدام.

الفرقة الثالثة: وما يجدر بالالتفات أيضاً هو أنّ حبّ الدنيا والتعلّق بها والحبّ الشديد للمال والمنصب والمظاهر الاخرى تجعل الإنسان يخاف الموت .. الموت الذى يُخرج جميع هذه الامور من قبضته.

أمّا بالنسبة لِمنْ لا يعتبرون الموت فناءً ولم تسودّ صحائف أعمالهم، ولم تربطهم بالدنيا المادية جميع العلائق، فلا داعى لأن يخاف هؤلاء الموت حتّى لو كان بأقّل درجات الخوف.

### ۳- أسباب الخوف من الموت فى نظر الروايات

ذكرت الروايات فى مجال الخوف من الموت والفزع منه مسائل لطيفة أيضاً وهذه المسائل تتّسم بالاسلوب التربوى، وهى كما يلى:

۱- سأل رجلٌ الإمام الحسن المجتبى عليه السلام فقال: يا ابن رسول اللَّه! ما بالُنا نكره الموت ولا نحبُّهُ؟ فقال عليه السلام: «إِنّكُم أخربتُم آخرتكم وعمرّتم دنياكم، وأنتم تكرهون النَّقلة من

نفحات القرآن، ج۵، ص: ۳۴۹

العمران إلى الخراب» «۱».

۲- قال الإمام الصادق عليه السلام: جاء رجلٌ إلى النبى صلى الله عليه و آله وسأل: مالى لا احبُّ الموت؟ فقال له رسول اللَّه صلى الله عليه و آله: «أَلَكَ مالٌ؟» فقال الرجل: بلى فقال صلى الله عليه و آله: «فقدّمته؟» فقال الرجل كلّا، فقال صلى الله عليه و آله: «فمن ثَمَّ لا تحبُّ الموت» «۲».

۳- وجاء فى رواية اخرى عن الإمام الهادى عليه السلام (على بن محمد) أنّه ذهب لعيادة أحد أصحابه فوجده يطيل البكاء ويتضجّر من الموت، فقال له الإمام عليه السلام: «يا عبد اللَّه تخافُ مِنَ الموت لأنّك لا تعرفه، ثمّ شبّه الإمام عليه السلام الموت بحمّامٍ نظيف يدخله الإنسان الوسخ فيغتسل، ويلقى جميع همومه وآلامه فيعمّه السرور والفرح» «۳».

۴- قال الإمام على بن الحسين زين العابدين عليه السلام: «لمّا اشتدَّ الأمرُ بالحسين بن على بن أبى طالب ... كان الحسين وبعضُ من معه تُشْرِقُ ألوانهم وتهدأ جوارحهم وتسكن نفوسُهُم، فقال بعضهم لبعضٍ: انظروا إليه أنّ لا يبالى بالموت» «۴»!

إنّ هذه الأحاديث التى وردت فى بيان أسباب الخوف من الموت، بدرجة من الوضوح بقدر الكفاية ولا نرى هناك ضرورة لشرحها.

---

(۱) بحارالأنوار، ج ۶، ص ۱۲۰، ح ۱۸.

(۲) المصدر السابق ۹.

(۳) معانى الإخبار، ص ۲۹۰، ح ۹ (باب فى معنى الموت).

(۴) المصدر السابق، ح ۳.

نفحات القرآن، ج۵، ص: ۳۵۱

## ۲- البرزخ

### تمهيد:

«البرزخ»: هو الشيء الحائل بين شيئين، ثم توسّع هذا المعنى واطلق على كلّ ما يحول بين الشيئين أو بين المرحلتين «۱».

والمراد من «البرزخ» هنا هو العالم الذى يتوسط بين الدنيا وعالم الآخرة، أى أنّ الروح بعد انفصالها عن الجسم وقبل عودتها إليه ثانيةً يوم القيامة سوف تبقى فى عالم يتوسط العالمين ويطلق عليه اسم البرزخ.

والأدلة الرئيسية التى يمكن بواسطتها إثبات وجود عالم البرزخ هى الأدلة النقلية (الآيات والروايات) وإنْ كان بالإمكان إثبات هذه المسألة بالسبل العقلية أو الحسيّة (عن طريق احضار الروح) أيضاً.

وبالرغم من عدم تعرّض القرآن بكثرة لذكر مسألة البرزخ ومروره عليها مرّ الكرام، إلّا أنّه فى نفس الوقت له تصريحات وتعابير واضحة فى هذا المجال وردت خلال آيات متعددة، والتى يمكنها أن تبيّن لنا القوانين العامّة المتعلقة بعالم البرزخ.

بعد هذه الإشارة نعود إلى القرآن لنمعن خاشعين فى الآيات الواردة فى هذا المجال:

۱- «حَتَّى إِذَا جَاءَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ارْجِعُونِ* لَعَلِّى اعْمَلُ صَالِحاً فِيما تَرَكْتُ كَلَّا إِنَّها كَلِمَةٌ هُوَ قَائِلُهَا وَمِنْ وَرَائِهِمْ بَرْزَخٌ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ». (المؤمنون/ ۹۹- ۱۰۰)

---

(۱) جاء فى الآية ۲۰ من سورة الرحمن حول البحر الذى يضم ماءً عذباً وماءً أجاجاً فى آن واحد: بينهما برزخٌ لا يبغيان.

نفحات القرآن، ج۵، ص: ۳۵۲

۲- «وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوْا فِى سَبِيلَ اللَّهِ امْوَاتاً بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ* فَرِحِينَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا بِهِمْ مِّنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ». (آل عمران/ ۱۶۹- ۱۷۰)

۳- «وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ يُقْتَلُ فِى سَبِيلِ اللَّهِ امْوَاتٌ بَلْ أَحْيَاءٌ وَلكِنْ لَاتَشْعُرُونَ».

(البقرة/ ۱۵۴)

۴- «النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوّاً وَعَشِيّاً وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ ادْخِلُوْا آلَ فِرْعَوْنَ اشَدَّ الْعَذَابِ* وَإِذْ يَتَحَاجُّونَ فِى النَّارِ فَيَقُولُ الضُّعَفَاءُ لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعاً فَهَلْ أَنْتُمْ مُّغْنُونَ عَنَّا نَصِيباً مِّنَ النَّارِ». (المؤمن/ ۴۶- ۴۷)

۵- «مِمَّا خَطِيئَاتِهِمْ اغْرِقُوْا فَأُدْخِلُوا نَاراً فَلَمْ يَجِدُوْا لَهُمْ مِّنْ دُونِ اللَّهِ أَنْصَاراً». (نوح/ ۲۵)

۶- «قِيْلَ ادْخُلِ الجَنَّةَ قَالَ يَالَيْتَ قَوْمِى يَعْلَمُونَ* بِمَا غَفَرَ لِى رَبِّى وَجَعَلَنِى مِنَ الْمُكْرَمِينَ». (يس/ ۲۶- ۲۷)

۷- «وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُقْسِمُ الْمجْرِمُونَ مَا لَبِثُوا غَيْرَ سَاعَةٍ كَذلِكَ كَانُوا يُؤْفَكُونَ».

(الروم/ ۵۵)

۸- «قَالُوْا رَبَّنَا أَمَتَّنَا اثْنَتَيْنِ وَأَحْيَيْتَنَا اثْنَتَينِ فَاعْتَرَفْنَا بِذُنُوبِنَا فَهَلْ إِلَى خُرُوجٍ مِّنْ سَبِيلٍ». (المؤمن/ ۱۱)

### جمع الآيات وتفسيرها

### ماهية البرزخ وخصوصياته:

تحدثت الآية الاولى عن وضع الكفّار والظلمة والمجرمين، قال تعالى: «حَتَّى إِذَا جَاءَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ارْجِعُونِ* لَعَلِّى اعْمَلُ صَالِحاً فِيمَا تَرَكْتُ»، ولكنّه سرعان ما يواجه بجواب سلبى مدعوم بالأدلة والبراهين فيقال له: «كَلَّا إِنَّها كَلِمَةٌ هُوَ قَائِلُهَا» ثم

نفحات القرآن، ج۵، ص: ۳۵۳

يضاف إلى الجواب: «وَمِنْ وَرَائِهِمْ بَرْزَخٌ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ».

فبداية الآية تشير إلى المنزل الأول أى «الموت» وذيلها يشير إلى المنزل الثانى أى «البرزخ».

وبالرغم من اصرار البعض على تفسيرهم البرزخ هنا بمعنى الحائل الذى يحول بين الإنسان ودرجات الجنّة العُليا، إلّاأنّ جملة «إلى يوم يبعثون» تعتبر قرينة واضحة، على أنّ عالم البرزخ هو مرحلة تسبق يوم القيامة، وتقع بعد الموت.

كما فسّر البعض البرزخ أنّه بمعنى المانع الذّى يحول بين الإنسان والعودة إلى الدنيا، لكنّ هذا المعنى أيضاً لا يتلاءم مع ذيل الآية وهو التصريح ببقاء هذا البرزخ إلى يوم القيامة، وبهذا أثبتت الآية المذكورة بوضوح وجود عالم يتوسط بين الدنيا والآخرة.

وكلمة «وراء» تأتى أحياناً بمعنى «الخلف» وأحياناً اخرى بمعنى «الأمام»، وذلك لأنّ هذه الكلمة من مادة (ورى على وزن (سعى وهى بمعنى الاخفاء، فمن يقف إلى أحد جانبى الجدار مثلًا يعدّ الطرف الآخر الذى يخفى عليه «وراء» بالنسبة له، بناء على هذا فالإنسان فى أىّ جهة كان من الجدار يعدّ الطرف المقابل له «وراء» بالنسبة له «۱».

جاء فى الحديث عن الإمام الصادق عليه السلام: «اتخوَّف عليكم من البرزخ». «۲» فسأله الراوى: ما البرزخ؟

فقال عليه السلام: «القبرُ منذ حينَ موتهِ إلى يوم القيامة» «۳».

وجاء فى حديث آخر عن الإمام على بن الحسين عليه السلام أنّه قال: «إنّ القبر روضةٌ من رياض الجنّة، أو حفرةٌ من حُفَر النيران» «۴».

---

(۱) مفردات الراغب، مادة (ورى .

(۲) منازل الآخرة، ص ۱۶۱.

(۳) تفسير البرهان، ج ۳، ص ۱۲۰، ح ۲ و ۱.

(۴) المصدر السابق.

نفحات القرآن، ج۵، ص: ۳۵۴

وفى الآية الثالثة توجّه تعالى بالخطاب إلى جميع المؤمنين وقال بوضوح: «وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ يُقْتَلُ فى سَبِيلِ اللَّهِ امْوَاتٌ بَلْ أَحْيَاءٌ وَلكِنْ لَاتَشْعُرُونَ».

فكلا- هاتين الآيتين هما من الأدلة الواضحة على وجود عالم البرزخ (وإن كان الحديث يقتصر على ذكر الشهداء)، وذلك لأنّهما تحدثتا عن حياة الشهداء بل حتى عن رزقهم واستقرارهم عند ربّهم.

والعجيب هو أنّ بعض المفسرين ومن دون أن يلتفتوا إلى العبارات الواردة فى الآيات اللاحقة لها والتى تتحدّث جميعها عن حياة الشهداء (الحياة بالمعنى الواقعى لهذه الكلمة) حملوا الحياة هنا على معناها المجازى، مثل بقاء أسمائهم وآثارهم، أو بقاء هدايتهم وطاعتهم ومذهبهم، أو بعثهم من القبور واحيائهم يوم القيامة!

فهل غفلوا عن وصف القرآن لهم بأنّهم عند ربّهم؟

أم غفلوا عن إرزاقهم؟

أم غفلوا عن وصفهم فرحين بما آتاهم اللَّه من فضله ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون؟

فكيف تتلائم جميع هذه التعابير مع المعنى المجازى؟

هذا بالإضافة إلى قوله تعالى بل احياءٌ ولكن لا تشعرون، فإنْ كان معنى الحياة هو بقاء الاسم والمنصب والهداية والمذهب فإنّ هذه الامور قابلة للإدراك.

والظاهر هو أنّ هؤلاء المفسرين لم يتمكّنوا من إدراك حياة البرزخ بدقّة، فتوسّلوا بالخرافات بعد ما غابت عنهم الحقيقة، لكنّ الرازى

صرّح فى تفسيره بالقول: إنّ أكثر المفسرين على أنّ الحياة هنا هى الحياة الواقعية «۱».

وعلى الرغم من ذكر المرحوم الطبرسى فى مجمع البيان لاربعة تفاسير للآية، إلّاأنّه رجّح التفسير الأول الذّى فسّر الحياة فى هذه الآية بالحياة الحقيقية، واعتبره هو الصحيح من بينها «۲».

---

(۱) تفسير الكبير، ج ۴، ص ۱۳۵.

(۲) تفسير مجمع البيان، ج ۱ و ۲، ص ۲۳۶.

نفحات القرآن، ج۵، ص: ۳۵۵

وهناك روايات كثيرة فى هذا المجال طبعاً سوف نُشير إليها لاحقاً- إن شاءاللَّه-.

ومن العجائب الاخرى هو ما نُقل فى تفسير «الميزان» عن بعض المفسرين الّذين اعتبروا الآية مختصة ب «شهداء بدر» وادّعوا بأنّها لا تشمل جميع الشهداء! (يجب الالتفات إلى أنّ المفسرين صرّحوا بأنّ الآية الاولى نزلت فى شهداء احُد والثانية فى شهداء بدر «۱»، ولكن على أيّة حال فإنّ أسباب النزول لا تحّد من مفهوم الآيات مهما كان المورد، فالآية إذن تشمل جميع الشهداء بصورة مطلقة).

وما يلفت الانتباه هو أنّ المرحوم العلّامة الطباطبائى بعد أن نقل هذا التفسير أضاف: «إنّ بعض المفسرين فسّروا الآية السابقة لهذه الآية (أى الآية ۱۵۳ من سورة البقرة) الّتى تأمر بالاستعانة بالصبر» «۲».

ولكن على أيّة حال فإنّ الآية تحدّثت عن الشهداء فقط، إلّاأنّها لم تنفِ غيرهم، من هنا يطرح هذا السؤال وهو: إن كانت حياة البرزخ تعمّ جميع البشر فما هو فضل الشهداء على الآخرين؟!

والجواب على هذا السؤال واضح، وهو أنّ فضلهم على غيرهم هو فى كيفية حياتهم ..

الحياة فى جوار رحمة اللَّه والتنعّم بأنواع النعم والرزق الإلهى، لكنّ حياة البرزخ للآخرين لا تشتمل على هذه البركات طبعاً.

أمّا الآية الرابعة فهى فى الواقع تمثّل النقطة المقابلة لما جاء فى آيات الشهداء، وذلك لأنها تتحدّث عن عذاب «آل فرعون» فى البرزخ، قال تعالى: «وَحَاقَ بِآلِ فِرْعَوْنَ سُوءُ الْعَذَابِ»، ثم يُبيّن ماهية هذا العذاب بقوله: «النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوّاً وَعَشِّياً وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ ادْخِلُوْا آلَ فِرْعَوْنَ اشَدَّ الْعَذَابِ»، ومِنَ الواضح هو إنَّ النّار التى ذُكرت فى

---

(۱) وقال البعض أيضاً: إنّ الآية المتعلقة بسورة آل عمران نزلت فى شهداء بدر بينما نزلت الآية المتعلقة بسورةالبقرة فى شهداء بدر واحد معاً.

(۲) تفسير الميزان، ج ۱، ص ۳۵۲.

نفحات القرآن، ج۵، ص: ۳۵۶

الآية وَالتى يُعرض عليها آل فرعون صباحاً ومساءً هى نار البرزخ، وذلك لأنّ ذيل الآية تحدّث عن عذابهم يوم القيامة بصورة مستقلة، لذا فقد فسّر أغلب المفسرين هذه الآية بأنّها تشير إلى عالم البرزخ وعذاب القبر.

ومن الجدير بالالتفات هو أنَّ الآية عندما تحدّثت عن عذاب البرزخ لآل فرعون قالت:

«النّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوّاً وَعَشِّياً»، لكنها عندما تحدثت عن عذابهم فى الآخرة قالت:

«ادْخِلُوْا آلَ فِرْعَوْنَ اشَدَّ الْعَذَابِ».

ويستفاد من اختلاف هذين التعبيرين (العرض والادخال) بأنّ المراد من النار هى نفس نار البرزخ، إلّاأنّهم فى البرزخ يشاهدونها عن بُعد فيعمّ القلق والهم وجودهم، لكنهم يشاهدونها يوم القيامة عن قرب بواسطة الدخول فيها، فهذه العقوبات تحلّ بهم فى البرزخ صباحاً ومساءً، بينما تكون مستمرة ومن دون انقطاع فى يوم القيامة.

وقد رُوِیَ عن النبی الأکرم صلى الله علیه و آله فی هذا المجال ما یؤید هذا المعنى بکلّ وضوح، قال صلى الله علیه و آله: «إنَّ أَحَدَکُمْ إذا ماتَ عُرِضَ عَلَیْهِ مَقْعَدُهُ بالْغَداةِ وَالْعَشِیِّ فانْ کانَ مِنْ أهْلِ الْجَنَّةِ، فَمِنْ الجَنَّةِ وَإنْ کانَ مِنْ أَهْلِ النارِ فَمِنَ النّارِ، یُقالُ هذا مَقْعَدُکَ حِیْنَ یَبْعَثُکَ اللّهُ یَوْمَ القِیامَةِ» «۱».

ویستفاد من هذه الروایات أنّ الأمر لا یختصّ بآل فرعون، بل یشمل الجمیع.

وهل یعذب أو ینعّم أهل البرزخ عن طریق المشاهدة لجهنم أو الجنّة فقط؟ أم یکون لهذین تأثیرٌ مادّیٌ علیهم أیضاً؟ کما لو مرّ الإنسان بالقرب من حفرة من النّار فإنّ النار تحرق وجهه، أو إذا مرّ بالقرب من بستان عامرة خضراء فیدبّ النشاط فیه أثر نسیمها المنعش العطر، أم یثاب أو یعاقب بکلا الوجهین؟ (الروحی والجسمی، والمراد هنا هو الجسم المثالی طبعاً).

الاحتمال الثالث أقوى (فتأمّل).

کما یجدر الالتفات إلى هذه المسألة أیضاً وهی أنّ ظاهر الآیة یدل على أنّ آل فرعون

---

(۱) رُوِیَ هذا الحدیث فی مجمع البیان، ج ۷ و ۸، ص ۶ عن صحیح البخاری ومسلم فی تفسیر ذیل الآیة مورد البحث.

نفحات القرآن، ج۵، ص: ۳۵۷

یعرضون على النار، لکن بعض المفسرین قالوا: إنّ هذا کنایة عن عکس ذلک الأمر، أی أنّ النار هی التی تعرض علیهم، کما هو الحال فی «عرضتُ الناقة على الحوض» المراد منه عرض الماء على الناقة. (وما جاء فی الحدیث عن النبی صلى الله علیه و آله یؤیّد هذا المعنى أیضاً، وذلک لأنّه صلى الله علیه و آله قال: «إذا ماتَ عُرِضَ علیه مقعُدهُ من الجنّة أو من النار بالغداة والعشیّ».

وتحدّثت الآیة الخامسة عن «مؤمن إل یس» (الرجل المؤمن الذّی ورد ذکر قصته فی سورة «یس»، فقد نهض هذه الرجل لدعم رُسُل المسیح علیه السلام الذین بعثوا إلى مدینة «انطاکیة» ودعا الناس ونصحهم باتباع هؤلاء الرُسُل، لکن هؤلاء القوم المعاندین الفّجار لم یکتفوا بعدم الاکتراث بنصحه فحسب، بل ثاروا علیه وقتلوه). قال تعالى: «قِیلَ ادْخُلِ الْجَنَّةَ قَالَ یَالَیْتَ قَوْمِی یَعْلَمُونَ* بِمَا غَفَرَ لِی رَبِّی وَجَعَلَنِی مِنَ الْمُکْرَمِینَ».

ومن الواضح هو أنّ هذه الجنّة لیست هی جنّة القیامة، بل هی جنّة البرزخ، لأنّ مؤمن إل یس تمنّى هنا لو کان قومه الذین هم فی هذه الدنیا یعلمون بعاقبته، ویعلمون بما غفر له ربّه وجعله من المکرمین!

قال المرحوم الطبرسی فی «مجمع البیان»: «إنّ هذه الآیة تشیر إلى نَعِم القبر (البرزخ)، لأنّ مؤمن إل یس قال هذا عندما کان قومه احیاءً، فإذا امکننا تصوّر وجود النعیم فی القبر، فإنّ تصوّر العذاب سوف یکون ممکناً أیضاً» «۱».

وجاء فی کثیر من التفاسیر أن هذا الرجل المؤمن یدعى ب «حبیب النّجار» والسبب فی اطلاق «مؤمن إل یس» علیه فی بعض الروایات «۲» فالظاهر هو لأنّهُ کان رجلًا مؤمناً بالإضافة إلى ذکره فی سورة «یس»، لذا قال البعض: إنّ «إل» هنا زائدة والمراد هو «مؤمن یس» «۳».

---

(۱) تفسیر مجمع البیان، ج ۷ و ۸، ص ۴۲۱.

(۲) تفسیر المیزان، ج ۱۷، ص ۷۶ نقلًا عن تفسیر در المنثور.

(۳) تفسیر روح الجنان، ج ۹، ص ۲۷۰ (تعلیقة المرحوم العلّامة الشعرانی).

نفحات القرآن، ج۵، ص: ۳۵۸

والآیة السادسة تصف وضع المجرمین یوم القیامة، قال تعالى: «وَیَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ یُقْسِمُ الْمُجْرِمُونَ مَا لَبِثُوا غَیْرَ سَاعَةٍ»، ثم یضیف: «کَذلِکَ کَانُوا یُؤْفَکُونَ».

وعلى الرغم من أنّ هـذه الآيـة لم تتحـدث عن محل اللبث، إلّاأنّ الآية اللاحقة أشارت إلى أنّ المراد من محل اللبث هو البرزخ، لأنها تقول: «وَقَالَ الَّذِينَ اوتُوا الْعِلْمَ وَالْإِيمَانَ لَقَدْ لَبِثْتُمْ فِي كِتَابِ اللَّهِ إِلَى يَوْمِ البَعْثِ فَهَذَا يَوْمُ البَعْثِ وَلكِنَّكُمْ كُنْتُمْ لَاتَعْلَمُونَ».

وهذا التعبير يشير إلى أنّ مكث هؤلاء يطول أمده إلى يوم القيامة، ولا يصح هذا إلّافى البرزخ.

وقد انتخب هذا التفسير عدد كبير من المفسرين الكبار، وهو أنّ الآية تشير إلى حياة البرزخ، لكنّ البعض الآخر يرون أنّ الآية تشير إلى اللبث الحاصل فى الـدنيا، الـذى يراه المجرم قصـيراً جدّاً كانصـرام ساعة، وادّعى بعضـهم بأنّ هذه الآية تدل على هذا المطلب، وهو ما جاء فى قوله تعالى: «كَانَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَهَا لَمْ يَلْبَثُوا إِلّا عَشِيَّةً اوْ ضُحَاهَا»!

(النازعات/ ۴۶)

لكن لا يوجد فى هذه الآية أىّ دليل واضح على أنّ المراد من اللبث هو اللبث فى الدنيا، بل يحتمل أيضاً دلالتها على أنّ اللبث هو فى عالم البرزخ.

وإذا تجاوزنا ذلك فإنّنا لا يمكننا أن نفسّر الآيـة إلّابـدلالتها على «البرزخ»، وذلك بالاسـتناد إلى ما ذكرته الآيـة من أنّ يوم القيامة هو اليوم الذى ينتهى فيه اللبث.

وهنا يطرح هذا السؤال نفسه وهو: لماذا يُعدّ هؤلاء الزمان الطويل لعالم البرزخ قصيراً وقليلًا؟

ويتضـح الجواب على هـذا السؤال من خلال ذكر مقدمـة، وهى: عنـدما يُوعد الإنسان بوعد جميل وشـيّق، فإنّ نار الشوق للوصول إلى تلك اللحظـة سوف تسـتعر فى قلبه، فتمر الساعات والـدقائق عليه ببطءٍ شديد، فتمرّ عليه الساعة كأنّها أيّام أو سـنين، وعلى العكس من ذلك عندما يتوعّد العقاب الشديد فإنّه يودّ لو تتوقف عجلات الزمان، لكنْ تمرُّ عليه الأيّام والشهور بسرعة فى نظره وكأنّها لحظات أو دقائق لا أكثر، وهذا هو حال المجرمين

نفحات القرآن، ج۵، ص: ۳۵۹

يوم القيامة!

وبالرغم من أنّ العذاب الإلهى لا يتخطّاهم فى عالم البرزخ، لكن اين عذاب البرزخ من عذاب يوم القيامة؟!

ويوجـد احتمال آخر أيضاً وهو أن يعتبر البرزخ كالنوم بالنسـبة للبعض بعـد ابتـداء عـذاب القبر، ومن البـديهى أن لا يعلم هؤلاء مقدار مدّة لبثهم عندما تقوم القيامة، التى هى بمنزلة النهوض من النوم.

وبما أنّ جميع الحقائق لا تنكشف أسـرارها للإنسان فى البرزخ، فلا عجب من خفاء هـذه الامور عليهم، لكنّه مِنَ الطبيعى أن تنكشـف أسرار الحقائق بجلاء يوم القيامة الذى هو «يوم البروز».

وفى الآيـة السابعة من آيات البحث جاء ما يرد على لسان الكفار عند مثولهم بين يدى اللّه يوم القيامة، قال تعالى: «قَالُوْا رَبَّنَا امَتَّنَا اثْنَتَينِ وأَحْيَيْتَنَا اثْنَتَينِ فَاْعتَرَفْنَا بِذُنُوبِنَا فَهَلْ إِلَى خُرُوجٍ مِّنْ سَبِيلٍ».

تدل هذه الآية على وجود عالم البرزخ من جهة أنّ تصوّر إماتَتَينِ وإحياءَيْنِ غيرُ ممكنٍ، إلّا إذا سلّمنا بوجود عالم البرزخ، وهما الموت فى هذه الدنيا ثم حياة البرزخ ثم الحياة فى عالم الآخرة.

وهذا من أجل أنّ جميع البشـر وحتّى الملائكة والجِنّ وأرواح الأموات التى هى على هيئة أجسام مثالية فى عالم البرزخ يموتون جميعاً عند انتهاء هذا العالم، أى عند نفخ الصور بمقتضى قوله تعالى: «فَصَعِقَ مَنْ فى السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فى الأَرْضِ». (الزمر/ ۶۸)

ولا يبقى حيٌّ موجوداً فى ذلك اليوم سوى اللّه تعالى إذن، هناك موت بعد حياة البرزخ أيضاً.

وأمّا حياة عالم الدنيا فهى خارجة عن المراد، وذلك لأنّ الآية الشريفة تحدثت عن

نفحات القرآن، ج۵، ص: ۳۶۰

حياتين بعد الموت، لا عن حياة الدنيا بعد الموت.

لكن البعض احتمل أن يكون المراد من الموت الأول هو ما قبل وجود الإنسان فى الدنيا، أى عندما كان تراباً، بناءً على هذا الاحتمال سوف تكون الحياة الدنيا هى الحياة الاولى أيضاً، والموت الثانى هو الموت الحاصل عند انتهاء هذا العالم، والحياة الثانية هى حياة يوم القيامة، فيكون هذا شبيه ما جاء فى قوله تعالى: «كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَكُنْتُمْ أَمْوَاتاً فَأَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ». (البقرة/ ۲۸)

لكنّه من الواضح هو أنّ التعبير ب «الموت الأول» على هذا التفسير يكون صحيحاً، إلّاأنّ التعبير ب «الإماته» غير صحيح، وبتعبير آخر فإنّ الإنسان عندما كان تراباً فهو ميّت لا أنّ اللَّه اماته، لأنّ الإماتة يجب أن تكون بعد الحياة، بناءً على هذا لا ينطبق تعبير الآية إلّاعلى التفسير الأول (أى على وجود عالم البرزخ)، إلّاإذا اعتبرنا الإماتة جاءت هنا بمعناها المجازى، لكن هذا لا يجوز عند غياب القرينة.

كما استدل بعض المفسرين بهذه الآية على حياة القبر أيضاً .. تلك الحياة التى تنتهى بعد مدّة وجيزة بالموت (وفى الواقع أنّ هذه الحياة هى أيضاً من أنواع الحياة المؤقتة فى البرزخ).

وهناك كلام بين العلماء فى كيفية الحياة فى القبر، فهل هى حياة بالجسم المادّى أم بالجسم المثالى فى عالم البرزخ؟ أم بجسم خليط من المادة والمثال؟ وسوف نتحدّث لاحقاً عن هذا الموضوع بإذن اللَّه.

### ثمرة البحث:

اتّضح إلى حدٍ كبير من خلال الآيات السبع المذكورة وجهة نظر القرآن المجيد حول عالم البرزخ (العالم الذى توسّط بين هذه الدنيا وعالم الآخرة).

ولو فرضنا وجود الخلاف فى بعض هذه الآيات، فإنّ وضوح البعض الآخر منها (كالآيات الاولى سوف لن يبقى أيَّ مجالٍ للشك والترديد.

نفحات القرآن، ج۵، ص: ۳۶۱

هذا بالإضافة إلى أنّ استعمال «التوفّى» (قبض الأرواح) فى الموت فى آيات متعددة من القرآن، يعتبر دليلًا ملموساً وواضحاً على وجود عالم البرزخ. وكل ما هنالك هو عدم ذكر الكثير من جزئيات عالم البرزخ، ولم يُشَرْ إلّاإلى أصل وجود هذا العالم مع شىء من مكافآت المحسنين وعقوبات المسيئين، ولكن الروايات أشارت إلى تفاصيل كثيرة فى هذا المجال وسوف نتعرّض إلى ذكر قسم منها.

### توضيحات

### ۱- البرزخ فى الأحاديث الشريفة

ورد ذكر عالم البرزخ فى الأحاديث الشريفة بصورة واسعة جدّاً، وقد بلغ حجم هذه الروايات من الكثرة ممّا جعل المرحوم الخواجة الطوسى أن يعدّها فى كتابه تجريد الاعتقاد من المتواترات، فى قوله «وعذابُ القبر واقعٌ بالإمكان وتواتر السمع بوقوعه».

ونشير هنا إلى نماذج واضحة من هذه الروايات:

۱- جاء فى الحديث: «القبرُ إمّا روضةٌ من رياض الجنّة أو حفرةٌ من حفر النيران».

رواه «الترمذى» فى «صحيحه» عن النبى الأكرم صلى الله عليه و آله، كما رواه المرحوم «العلامة المجلسى» فى «بحار الأنوار» فى موضعٍ عن أمير المؤمنين على عليه السلام وفى موضع آخر عن الإمام على بن الحسين عليه السلام «۱».

۲- وجاء فى المشهور عن النبى الأكرم صلى الله عليه و آله: أنّه عندما ألقوا بأجساد قتلى مشركى مكّه، الذين قتلوا فى غزوة بدر فى أحد الآبار وقف صلى الله عليه و آله: على البئر وقال: «يا أهل القَليب هل وجدتُم ما وعَدَ ربُّكم حقاً؟ فإنّى وجدتُ ما وعدنى ربّى

حقاً. قالوا، یا رسول اللَّه هل یسمعون؟ قال ما أنتم بأسمعَ لما أقول منهم: ولکنَّ الیوم لا یجیبون» «۲»!

---

(۱) صحیح الترمذی، ج ۴، کتاب صفة القیامة، باب ۲۶، ح ۲۴۶۰؛ بحار الأنوار، ج ۶، ص ۲۱۸، و ص ۲۱۴.

(۲) کنز العمال، ج ۱۰، ص ۳۷۷، ح ۲۹۸۷۶. والقلیب: بمعنی البئر.



ورویَ هذا المضمون بتعابیر اخری فی روایات متعددة، منها ما جاء فی الحدیث: نادی رسول اللَّه صلی الله علیه و آله عدداً من المشرکین بأسمائهم وقال: یا اباجهل یا عتبة یا شیبة یا أُمیّة! هل وجدتُم ما وعد ربُّکم حقاً؟ فإنّی وجدتُ ما وعدنی ربّی حقّاً، فقال عُمَرُ: یا رسول اللَّه أما تُکلِّم من أجسادٍ لا أرواح فیها؟ فقال: «والّذی نفسی بیده ما أنتم باسمع لِما اقولُ منهُم غیر انّهم لا یستطیعون جواباً» «۱»!

إنّ هذه الأحادیث لا تدل علی وجود عالم البرزخ فحسب بل تدل علی وجود نوع من الحیاة بعد موت الجسم، بل وتدلّ علی أنّهم لهم نوع من الارتباط بهذا العالم أیضاً، فهم یسمعون بعض الحدیث علی الأقل.

۳- جاء فی نهج البلاغة عن أمیر المؤمنین علی علیه السلام: أنّه عندما عاد من حرب صفین وقف علی مقبرة تقع خلف باب الکوفة وتحدث إلی الأموات بهذه الکلمات: «أنتم لنا فرطٌ سابقٌ ونحن لکم تبعٌ لاحقٌ، أمّا الدورُ فقد سُکِنَت وأمّا الأزواج فقد نُکِحَت وأمّا الأموالُ فقد قُسِّمَت، هذا خبرُ ما عندنا فما خبرُ ما عندکم»؟

والتفت إلی أصحابه وقال: «أمّا لو اذِن لهم فی الکلام لأخبروکم أنّ خیر الزاد التقوی «۲».

وهذا الحدیث أیضاً یدلّ علی أنّه بالإضافة إلی أنّ عالم البرزخ یتحقق بالنسبة للأموات فإنّ للموتی نوعاً من الارتباط مع هذا العالم أیضاً.

۴- وهناک خطب متعددة فی نهج البلاغه أیضاً تحدثت عن البرزخ بوضوح، فقد جاء فی إحدی خطبه علیه السلام حیث ذکر الإمام عدداً من السابقین وقال: «اولئِکم سلفُ غایتکُم ...

سلکوا فی بطون البرزخ سبیلًا» «۳».

وجاء فی خطبة اخری عنه علیه السلام عندما کان یصف «أهل الذکر»: «فکأنّما قطعوا الدُّنیا إلی الآخرة وهم فیها، فشاهدوا ما وراء ذلک، فکأنّما اطلعوا عیوب أهل البرزخ فی طول الاقامة

---

(۱) کنز العمال، ج ۱۰، ص ۳۷۶، ح ۲۹۸۷۴.

(۲) نهج البلاغة، الکلمات القصار، الکلمة ۱۳۰.

(۳) المصدر السابق، الخطبة رقم ۲۲۱.



فیه» «۱».

۵- وجاء فی الحدیث عن الإمام الصادق علیه السلام أنّه قال: «واللَّه ما أخاف علیکُم إلّا البرزخ». (اراد بهذا أن یشیر إلی أنّ المؤمنین تشملهم شفاعة النبی صلی الله علیه و آله، والأئمّة المعصومین علیهم السلام یوم القیامة، لکنّ محاسبة البرزخ تختلف) «۲».

۶- وَرُوی عن الإمام الصادق علیه السلام أیضاً أنّه قال: «البرزخُ القبرُ، وهو الثواب والعقاب بین الدُّنیا والآخرة» «۳».

۷- وفی الدر المنثور عن رسول اللَّه صلی الله علیه و آله أنّه قال: «حینما تقبض روحُ المؤمن یستقبله عبادُ اللَّه الذین شملتهم رحمتهُ ویقولون: أهلًا بک أیها الضیف الجدید، استرح لأنک تعبت کثیراً، ثم یسألونه عن بعض معارفهم واصدقائهم، وحینما یلتفتون إلی أن

بعضهم قد فارق الحياة قبل هذا الضيف الجديد، يقولون (إنّاللّه وإنا إليه راجعون)، لقد أخذوهُ إلى الجحيم»، (ولذا لا أثر له هنا) «۴».

۸- وهناك روايات كثيرة تشير إلى فرح أرواح المؤمنين إثر أعمال الخلف الصالحة، ومن جملة هذه الروايات ما روى عن الإمام الصادق عليه السلام أنّه قال: «إنّ الميّت ليفرحُ بالترحُّم عليه والاستغفار له كما يفرحُ الحيّ بالهدية» «۵».

وروى هذا المضمون عن النبى الأكرم صلى الله عليه و آله حيث قال: «إنّ هدايا الأحياءِ للأمواتِ الدّعاء والاستغفار» «۶».

۹- وروى فى حديث آخر عن الإمام الصادق عليه السلام أنّه قال: «مَنْ أَنكَرَ ثلاثة أشياء فليس

---

(۱) المصدر السابق، الخطبة رقم ۲۲۲.

(۲) تفسير نور الثقلين، ج ۳، ص ۵۵۳، ح ۱۲۰.

(۳) المصدر السابق، ح ۱۲۲.

(۴) تفسير الميزان، ج ۲۰، ص ۴۹۴ نقلًا عن الدّر المنثور (باختصار).

(۵) المحجّة البيضاء، ج ۸، ص ۲۹۷.

(۶) المصدر السابق، ص ۲۹۱.

نفحات القرآن، ج۵، ص: ۳۶۴

من شيعتنا: المعراج والمساءلة فى القبر والشفاعة» «۱».

ومن الواضح هو أنّ السؤال فى القبر من عالم البرزخ.

۱۰- ونختتم هذه الروايات بحديثٍ روى عن رسول اللّه صلى الله عليه و آله فى كنز العمّال، (بالرغم من كثرة الأحاديث وتواترها فى هذا المجال)، فقد ذكر النبى صلى الله عليه و آله شهداء احد وقال: «أيُّها الناسُ زوروهُم وأتوهم وسلِّموا عليهم، فوالّذى نفسى بيده لا يُسلِّمُ عليهم مُسلمٌ إلى يوم القيامة إلّاردّوا عليه السلام» «۲».

وقد تضمّن هذا الكتاب أحاديث متعددة اخرى فى هذا المجال.

من هنا يتضح أيضاً مدى جهل من ينكر زيارة أهل القبور ويعدّهم جمادات لجهلهم بالاحاديث الشريفة ومدى بعدهم عن تعاليم رسول اللّه صلى الله عليه و آله.

إنّ جميع الروايات التى تحدثت عن سؤال وضغطة القبر، والروايات التى تخبر الإنسان عن نتا ئج أعماله الحسنة منها والسيئة بعد الموت، والروايات التى تتحدّث عن ارتباط الأرواح بذويهم والإطلاع على أوضاعهم، والروايات التى تتحدّث عن ليلة المعراج ولقاء النبى صلى الله عليه و آله بالرسل والأنبياء، إنّ جميع هذه الروايات تدلّ أساساً على وجود عالم البرزخ، فإذا لم نتصّور عالماً كهذا فإنّ جميع هذه الروايات وأمثالها ستصبح مبهمة.

### ۲- البرزخ فى ميزان العقل والحس

بالإضافة إلى وضوح ما دلت عليه الآيات والروايات المذكورة على إثبات وجود عالم يتوسط الدنيا والآخرة، فإنّ هذا الأمر يمكن إثباته عن طريق العقل والحس أيضاً، وذلك لأنّ جميع الأدلة التى دلت على وجود الروح وخلودها مستقلة عن البدن تدلّ على وجود عالم البرزخ، لأنّها دلت على عدم فناء الروح بموت الجسم، وذلك لأنّها ليست من عوارض الجسم حتى تفنى بفنائه، بل هى جوهر مستقل يمكنها الحفاظ على بقائها من دون بقاء

---

(۱) بحار الأنوار، ج ۶، ص ۲۲۳.

(٢) كنز العمّال، ج ١٠، ص ٣٨٢، ح ٢٩٨٩٦.

نفحات القرآن، ج۵، ص: ٣۶۵

الجسم أيضاً، والاعتراف بهذا يساوى الاعتراف بعالم البرزخ، وذلك لأنّ الحديث هنا هو عن أصل وجود عالم البرزخ، لا عن كونه روحياً.

وبالإضافة إلى هذا فإنّ إحضار الروح يدلّ بوضوح على أنّ الأرواح بعد انفصالها عن الأجسام تستقر فى عالمٍ خاص بها، وتحافظ على بقائها وتتصف بسعة الإدراك هناك، حتّى أنّها تبوح بشيءٍمن علمها عن طريق اتصالها بالناس الموجودين فى هذا العالم.

إنّ الذين تلقّوا نداءات من الأرواح هم كثيرون، وكذلك الذين ادّعوا بأنّهم شاهدوا الروح فى «قالب مثالى»، ونحن لا نقول: إنّ جميع هذه الادعاءات صحيحة، وذلك لأنّ الكذابين والمحتالين المنحرفين كثيراً ما استغلوا هذه المسألة لتمرير اغراضهم، لكن هذا لا يدعو إلى الانكار، والشك فى صحة هذا الموضوع المدعوم بالتجربة والعلم، وذلك لكثرة ما أخبر به الثقات عن نتائج تجاربهم فى هذا المجال، ولكثرة ما كتبه العلماء الكبار والمجامع العلمية فى هذا الميدان، ممّا لا يبقى محلًا للانكار فى أصل المسألة، وقد بلغت من الكثره ما لو حاولنا ذكر زاوية منها لطال الحديث عنها كثيراً «١».

بناءً على هذا يمكننا عن هذا الطريق أيضاً، أن نثبت وجود عالم البرزخ.

### ٣- قبسات من عالم البرزخ

بغضّ النظر عن الاختلاف الموجود بين العلماء المسلمين فى التفاصيل الجزئية لعالم البرزخ، فإنّهم اتفقوا جميعاً على أصل وجود مثل هذا العالم سوى عدد قليل لا يعتدّ به.

والسبب فى ذلك، هو وجود الآيات القرآنية والروايات الكثيرة، التى دلّت على ذلك، وقد تحدثت تلك الآيات بصراحة عن وضع الإنسان بعد الموت، والثواب والعقاب، وارتباط أهل القبور بهذا العالم، وأمثال ذلك (وقد ذكرنا هذا المطلب آنفاً).

بناءً على هذا فلا يوجد هناك اختلاف فى أصل وجود عالم البرزخ، والمهم هنا هو الاطلاع على صورة حياة البرزخ، وقد طرح العلماء تصورات مختلفة فى هذا الميدان

---

(١) راجع كتابنا «عود أرواح وارتباط أرواح» لكسب توضيحات أكثر.

نفحات القرآن، ج۵، ص: ٣۶۶

أوضحها ما كان ينسجم مع ما جاء فى الروايات وهو:

إنّ روح الإنسان بعد انتهاء الحياة الدنيا تحلّ فى جسمٍ لطيف يفتقد الكثير من اعراض الجسم المادّية، ولكن لِشَبَهِ هذا الجسم بالمادة اطلق عليه اسم «الجسم المثالى» أو «القالب المثالى» وقيل: إنّه ليس مجرّداً بتمام الأبعاد وليس مادياً كذلك، بل له نوع من «التجرد البرزخى». (فتأمل).

ولكن بما أنّ إدراك حقيقة حياة عالم الآخرة غير ممكن بالنسبة لنا نحن اسارى عالم المادة، فالاطلاع الكامل على عالم البرزخ لا يكون ممكناً أيضاً، وذلك لأنّ عالم البرزخ هو أعلى مرتبة من هذا العالم، وبتعبير آخر: إنّ عالم البرزخ عالمٌ محيط بهذا العالم لا محاط.

ولكن- على حدّ قول بعض العلماء-: يمكننا تشبيهه بعالم الرؤيا، فالروح الإنسانية فى الأحلام الصادقة تتجوّل فى نقاط مختلفة، بواسطة القالب المثالى وتشاهد المناظر وتتلذذ بالنعم، كما أنّها أحياناً تشاهد المشاهد المرعبة فتتضجّر بشدّة، وتصرخ وتصحو من نومها.

وتؤكّد صحّة هذه الحقيقة قوله تعالى «اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنْفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَالَّتِى لَمْ تَمُتْ فِى مَنَامِهَا». (الزمر/ ۴٢)

قال المرحوم العلامة المجلسى فى بحار الأنوار: «إنّ تشبيه عالم البرزخ بحالة النوم والرؤيا كثيراً ما ورد فى الإخبار.

ثم يضيف: كما يحتمل أن يكون للنفوس القوية العالية اجسامٌ مثاليةٌ متعددة، لذا فإنّ ما ورد من الروايات على أنّ الأئمة يحضرون عند كلّ من يحتضر من الناس، سوف لا يحتاج إلى التأويل والتكلّف فى تفسيرها». (فتأمّل) «۱».

كما أنّ البعض يعتقد بأنّ القالب المثالى موجود فى جسم كلّ إنسان، لكنّه ينفصل عن الجسم بعد الموت ويبدأ حياته فى البرزخ، فالروح فى عملية التنويم المغناطيسى تتجوّل وتذهب إلى مناطق مختلفة، وتمارس كثيراً من الفعاليات، والأكثر من ذلك أنّ بعض الأرواح القوية تتمكن من السفر إلى مناطق بعيدة فى عالم اليقظة أيضاً فتطّلع على أسرار

(۱) بحار الأنوار، ج ۶، ص ۲۷۱.



تلك المناطق، وهذه الفعاليات تنجز بواسطة القالب المثالى أيضاً.

وقصارى القول هو أنّ الجسم المثالىيشابه هذا الجسم المادى- كما هو ظاهر من اسمه ولكنّ هذه المادة ليست مادة كثيفة ولا تتشكل من العناصر المادية، بل هو جسم لطيف نورانى لا يحتوى على العناصر المادية المعروفة فى هذا العالم المادى.

وقد اشتبه الأمر على البعض هنا، ومن المحتمل أن تكون هذه الشبهة هى السبب فى انكارهم للجسم المثالى، والشبهة التى وقعوا فيها هى اعتقادهم بأنّ وجود جسمٍ كهذا سوف يؤدّى إلى الاعتقاد بمسألة «التناسخ»، وذلك لأنّ التناسخ ما هو إلّاعبارة عن انتقال الروح إلى أجسام متعددة.

لكننا إذا سلّمنا بوجود القالب المثالى فى باطن هذا الجسم المادى، فسوف لن نقع فى محذور انتقال الروح إلى جسمٍ آخر، وسوف لن يبقى محلٌّ لمحذور التناسخ.

هذا بالإضافة إلى ما قاله «الشيخ البهائى» إنّ «التناسخ الذى أجمع المسلمون على بطلانه هو عبارة عن انتقال الروح بعد فناء الجسم إلى أجسام اخرى فى نفس هذه الدنيا، وأمّا ما يتعلّق بحلول الأرواح فى أجسام مثالية فى عالم البرزخ وبقائها حتى انتهاء أمد البرزخ لتنتقل بعد ذلك إلى الأجسام الاولى يوم القيامة، فإنّه لا يمتُّ بأىّ صلة لمسألة التناسخ» «۱».

ونقل المرحوم «الكلينى» فى «فروع الكافى» عدّة روايات تحدثت عن الجسم المثالى بكل وضوح، منها: ما جاء فى الصحيح عن الإمام الصادق عليه السلام عندما سأله أحد أصحابه قائلًا: يرى بعض الناس أنَّ أرواح المؤمنين تُجعل فى حوصلة طيور خضر تحيط بالعرش!! فقال عليه السلام: «لا، المؤمن أكرمُ على اللَّه من أن يجعل رُوحهُ فى حوصلة طير، ولكن فى أبدانٍ كأبدانهم» «۲».

وجاء فى حديث آخر عنه عليه السلام أيضاً: «فإذا قبضهُ اللَّهُ عزّ وجلّ صيّر تلك الرّوح فى قالبٍ

(۱) نقل هذا الكلام العلامة المجلسى عن المرحوم الشيخ البهائى فى بحار الأنوار، ج ۶، ص ۲۷۷.

(۲) فروع الكافى، ج ۳، ص ۲۴۴ (باب آخر فى أرواح المؤمنين)، ح ۱.



كقالبه فى الدنيا» «۱».

وجاء فى حديث آخر عن الصادق عليه السلام: عندما سُئل عن أرواح المؤمنين، أجاب: «فى حُجُراتٍ فى الجنّة يأكلونَ من طعامها ويشربون من شرابها، ويقولون رَبّنا أَقِم الساعة لنا، وأنجز لنا ما وعدتنا» «۲».

ومن الواضح هو أنّ المراد من الجنّة هنا هى جنّة البرزخ التى هى أدنى بكثير من جنّة القيامة، لذا يتمنى المؤمن قيام القيامة، هذا بالإضافة إلى أنّ وجودهم فى البرزخ المكانى يدل على حلول أرواحهم فى القالب المثالى، وذلك لأنّها فارقت أجسامَ هذه الدنيا.

### ۴- خصوصيات عالم البرزخ

#### اشارة

إنّ القرآن المجيد لم يتعرّض كثيراً لذكر هذه الخصوصيات، وكلّ ما تعرّض له هو: أنّ هناك برزخاً وأنّ فيه فريقاً يتنعّم بنعم اللَّه وفريقاً آخر فى العذاب، ولكن ماهى التفاصيل؟

فإنّها لم تبيّن، ومن المحتمل أن يكون السبب فى ذلك هو أنّ سيرة القرآن هى بيان الاصول العامة وترك التفاصيل للسنّة.

أمّا ما بينته السنّة فى هذا المجال فهو ما يلى:

#### أ) سؤال القبر

دلّت روايات عديدة على أنّ الإنسان عندما يوضع فى القبر يأتى إليه اثنان من ملائكة اللَّه، فيسألانه عن اصول دينه، التوحيد والنبوة والإمامة، كما أنّ بعض الروايات أشارت إلى أنّه يُسأل حتى عن كيفية قضاء عمره من جوانب عدّة، كالسؤال عن سُبل كسبه للمال وانفاقه إيّاه، فإنْ كان من المؤمنين الصادقين فإنّه سوف يجيب عمّا سُئل بسهولة، وتغمره الرحمة

---

(۱) المصدر السابق، ح ۶.

(۲) فروع الكافى، ج ۳، ص ۲۴۴ (باب آخر فى أرواح المؤمنين)، ح ۴.

نفحات القرآن، ج۵، ص: ۳۶۹

الإلهيّة واللطف، وإن لم يكن كذلك فإنّه سوف يفشل فى الإجابة ويغرق فى عذاب البرزخ الأليم.

وقد اطلِق على هذين الملكين فى بعض الروايات اسم «ناكر» و «نكير» وفى بعضها الآخر اسم «منكر» و «نكير» «۱».

روى عن الإمام على بن الحسين عليه السلام أنّه كان يعظ الناس فى كلّ جمعة فى مسجد الرسول الأعظم صلى الله عليه و آله بهذه الموعظة: «أيُّها الناسُ اتقوا اللَّه واعلموا أنّكم إليه ترجعون ...»، حتّى حفظ الناس ذلك ودوّنوه.

ثم يشير فى قسم آخر من كلماته الشريفة والنافذة إلى الأعماق، إلى حضور الملكين (منكر ونكير) للسؤال فى القبور فيقول عليه السلام: «أَلا وأنّ أوَّل ما يسألانك عن ربّك الذّى كنت تعبُدهُ وعن نبيّك الذّى ارسل اليك وعن دينك الذى كنت تُدينُ به وعن كتابك الذى كُنت تتلوه وعن إمامك الذى كنت تتولّاه، ثم عن عُمرك فيما أفنيته ومالك من اين اكتسبته وفيما أتلفته، فخُذ حذرك وانظُرْ لنفسك واعِدَّ للجواب قبل الامتحان والمساءلة والاختبار، فإن تكُ مؤمناً تقياً عارفاً بدينك متبعاً للصادقين، موالياً لأولياء اللَّه لقاك اللَّه حُجّتك وانطق لسانك بالصواب فأحسنت الجواب فبُشِّرتَ بالجنّة والرضوان من اللَّه، والخيرات الحسان، واستقبلتك الملائكة بالرَّوح والرَّيحان، وإن لمْ تكُن كذلك تَلَجْلَجَ لسانُك ودحضَتْ حُجّتك، وعميت عن الجواب، وبُشِّرتَ بالنار واستقبلتك ملائكة العذاب بنزل من حميم وتصلية جحيم» «۲»! ...

وهنا يطرح هذا السؤال وهو: هل يتوجّه السؤال هناك إلى الروح التى هى فى القالب المثالى والبرزخى أم إلى نفس الجسم المادّى على نحوٍ تعود الروح إلى الجسم المادى بصورة مؤقتة (ومن البديهى أننا لا نقصد عودة الروح بصورة تامة، بل على قدر ما يمكنه من

---

(۱) ورد ذكر الاسم الأول فى كتاب اصول الكافى، ج ۲، ص ۶۳۳، ح ۲۶ (باب النوادر) والاسم الثانى فى كتاب بحار الأنوار، ج ۶،

ص ۲۲۲ و ۲۲۳ ح ۲۲ و ۲۴.

(۲) بحار الأنوار، ج ۶، ص ۲۲۳، ح ۲۴. وهناك روايات عديدة فى هذا المجال فإن أردت كسب معلومات أكثر عليك بمراجعة نفس الجزء من بحار الأنوار وكذلك مراجعة تفسير البرهان، ج ۲، من ص ۳۱۲، فما فوق (فى تفسير ذيل الآية ۲۷ من سورة إبراهيم) والمحجّه البيضاء، ج ۸، ص ۳۰۹ فما فوق.

نفحات القرآن، ج۵، ص: ۳۷۰

الاجابة) فتوجّه إليه الأسئلة؟ وَما يستفاد من مضمون بعض الروايات هو، أنّ الروح ترتبط وتتعلق بنفس هذا الجسم المادّى بنوعٍ من التعلّق على قدر ما يتمكن الميت من فهم الاسئلة، والإجابة عليها «۱».

لكنّ المرحوم العلّامة المجلسى فى تحقيقه حول أحاديث هذا الباب، قال فى إحدى عباراته: «فالمراد بالقبر فى أكثر الإخبار ما يكونُ الروحُ فيه فى عالم البرزخ» «۲».

وهناك مسألة اخرى يجدر الالتفات إليها وهى طبقاً لما جاء من قرائن فى الروايات يتضح أنّ أسئلة وأجوبة القبر هى ليست اسئلة وأجوبة عادية يتمكن الإنسان من الإجابة عليها بما يحلو له، بل هى أسئلة تنبع اجاباتها من أعماق روح الإنسان، ومن صحيح معتقداته، ولا يؤثر تلقين الأموات إلّافى إثارتها لا أنّه يؤثّر فى الإجابة بصورة مستقلة، فالجواب كأنّه ينبع من عمق التكوين والحقيقة الكامنة فى الباطن

## ب) ضغطة القبر

هذه المسألة هى من المسائل التى ورد ذكرها فى أحاديث كثيرة أيضاً، كما يستفاد من الروايات أيضاً؛ أنّ ضغطة القبر تشمل الجميع بدون استثناء، كلّ ما هنالك أنّها تكون شديدة على البعض وتكون من عقوبات الأعمال، وتكون أقّل شدّة على البعض الآخر وتعتبر كفّارة للذنوب؟

جاء فى الحديث الشريف عن النبى الأكرم صلى الله عليه و آله عند دفن الصحابى المعروف (سعد بن معاذ) أنّه قال: «إنّه ليس من مؤمنٍ إلّاوله ضمّةٌ» «۳».

وفى رواية اخرى عن الإمام الصادق عليه السلام عن رسول اللَّه صلى الله عليه و آله أنّه قال: «ضغطة القبر للمؤمن كفارةٌ لما كان منه من تضييع النّعم» «۴».

---

(۱) تفسير البرهان، ج ۲، ص ۳۱۴، ح ۹، فى ذيل الآية ۲۷ من سورة إبراهيم.

(۲) بحار الأنوار، ج ۶، ص ۲۷۱.

(۳) المصدر السابق، ح ۱۶ و ۱۹.

(۴) المصدر السابق.

نفحات القرآن، ج۵، ص: ۳۷۱

لكن يستفاد من رواية اخرى أنّ المؤمنين لا تمسّهم ضغطة القبر أبداً، وأنّ ضغطة القبر التى حلت بسعد بن معاذ هى من أجل سوء خلقه مع اهله، جاء فى هذه الرواية: «إِنّهُ كانَ فى خُلُقِهِ مَعَ أَهْلِهِ سوءٌ» «۱».

لذا جاء فى بعض الأخبار أنّ الذين يمارسون بعض الأعمال الصالحة (مثل حج بيت اللَّه عدّة مرات، أو المواظبة على قراءة بعض سور القرآن، أو بعض الأذكار) ينجون من ضغطة القبر «۲».

وعلى أيّة حال فإنّ ضـغطة القبر هى اوّل العقوبات فى عالم البرزخ، ولكن هل تنزل ضـغطة القبر على هذا الجسم المادى ثم تنتقل منه إلى الروح (سبب العلاقة الموجودة بين هذا الجسم والروح على أيّة حال)، أم تنزل على ذلك الجسم المثالى؟ للإجابة عن هذا السؤال يأتى نفس الرأيين السابقين أيضاً، ولكن بما أنّ الـدخول فى التفاصيـل الجزئية لا ثمرة منه، لذا نمّر عليها مرّ الكرام، ونقتصـر فى القول على أنّ أصل وجود ضـغطة القبر هى من المسـلّمات، وذلك طبقاً لمفاد كثير من الروايات «۳»، وقـد جاء فى إحداها عند الجواب عن سؤالهم: إنّ من علّق بخشـبة الصَـلب عدّة أيّام كيف تناله ضغطة القبر؟، قال الإمام الصادق عليه السلام: «إنّ ربّ الأرض هو ربُّ الهواء فيوحى اللَّه عزّوجلّ إلى الهواء فيضغطه ضغطةً اشدّ من ضغطة القبر» «۴».

## ج) عن أىّ الامور يُسأل؟

تدل الأخبار الكثيرة الواردة فى موضوع سؤال القبر، على أنّ أسئلة القبر توجّه إلى

---

(۱) المصدر السابق، ح ۱۴.

(۲) لكسب معلومات أكثر راجع سفينة البحار، ج ۲، ص ۳۶۷ مادة (قبر).

(۳) كالروايـات القائلـة: إنّ «القبر إمـا روضـة من رياض الجنّة أو حفرة من حفر النيران» التى أشـرنا إليها سابقاً، فإنّها يحتمل أن تكون دليلًا على أنّ ضغطة القبر تنزل على القالب المثالى والروح وذلك لأنّ القبر المادى لا يتحول إلى جنّة أو حفرة من النار.

(۴) بحار الأنوار، ج ۶، ص ۲۶۶، ح ۱۱۲.

نفحات القرآن، ج۵، ص: ۳۷۲

فريقين هما: الفريق الـذّى محّضَ الإيمان محضاً، والفريق الـذّى محّض الكفر محضاً، أمّا المستضـعفون الـذين هم لا لهؤلاء ولا لهؤلاء فإنّ السؤال منهم يُرجأ إلى يوم القيامة.

جـاء فى الحـديث عن الإمـام الصـادق عليه السـلام أنّه قـال: «لا ـ يُسـألُ فى القبر إلّـامن محضَ الإيمـان محضـاً أو محضَ الكفر محضاً والآخرون يلهون عنهم» «۱».

وجاء نفس هذا المعنى فى حديث آخر عن الإمام الباقر عليه السلام عندما سأله أحد أصحابه:

مَن المسؤولون فى قبورهم؟ فأجابه الإمام عليه السلام: «مَنْ محّضَ الإيمان ومن محّضَ الكفر».

فسأله الراوى: وما حال بقيّة الناس؟

فأجابه الإمام عليه السلام «يُلهى عنهم».

فسأله الراوى: وعن أىّ شىء يُسأَلون؟

فقال الإمام عليه السلام: «عن الحُجّة القائمة بين أظهركم» «۲».

يظن البعض بأنّ السؤال لا يكون إلّاعن العقيـدة لا عن الأعمال، واعتبروا جملة «من محضَ الكفر ومن محضَ الإيمان» (جاراً ومجروراً) لا «صلةً وموصولًا» فيكون مفهومها فى هذه الحالة: «لا يُسألُ إلّاعن الإيمان الخالص والكفر الخالص».

ولكن نظراً إلى أنّ الروايـتين المـذكورتين تحـدثت عن الأـفراد بوضـوح «لاـ عن الأعمـال» إذن لاـ يكون التفسير الثـانى مناسـباً، هـذا بالإضافة إلى ما جاء فى رواية على بن الحسين عليه السـلام التى ورد ذكرها سابقاً وهو أنّ السؤال هناك يشـمل ساعات العمر وسـبل كسب المال أيضاً.

## د) ارتباط الروح بهذا العالم

یوجد فی هذا المجال روایات متعددة أیضاً تشیر إلی أنّ الروح عندما تنتقل إلی عالم البرزخ لا تنفصل عن الدنیا بالمرّة، بل تطلّ علیها بین الحین والآخر.

وفی المجلد الثالث من کتاب الکافی یوجد هناک باب تحت عنوان «إنّ المیّت یزور أهله»، قد ذکر فیه خمس روایات تدلّ علی أنّ المؤمنین، وغیر المؤمنین أیضاً یزورون

(۱) بحار الأنوار، ج ۶، ص ۲۶۰؛ اصول الکافی، ج ۳، ص ۲۳۵ (باب المسألة فی القبر، ح ۱).

(۲) اصول الکافی، ج ۳، ص ۳۳۷، ح ۸.



أهلهم بین الحین والآخر، قال الصادق علیه السلام: «إنّ المؤمن لیزورُ أهلَهُ فیری ما یحبُّ ویُسترُ عنه ما یکره، وإنّ الکافر لیزورُ أهلَهُ فیری ما یکرهُ ویُستَرُ عنه ما یحبُّ» «۱».

وقال العلماء الذین تمکنوا من الاتصال بالأرواح بالطرق العلمیة الخاضعة للتجربة: إنّ أرواح البشر بعد موتهم لا تنفصل عن هذا العالم کلیاً، بل لدیهم معلومات معیّنة عن هذا العالم، کما أنّ الاتصال بهم ممکن أیضاً (ویوجد فی هذا المجال تجارب وقصص کثیرة، یخرجنا ذکرها عن صلب الموضوع).

## ه) انتفاع الأرواح بأعمال الآخرین الصالحة

وهناک أمرٌ آخر تجدر الإشارة إلیه وهو وجود روایات کثیرة وردت فی مصادر إسلامیة مختلفة، دلّت علی أنّ عمل الخیرات لأرواح الأموات تصل إلیهم علی شکل هدایا، وهذا الأمر یدل من أحد جهاته علی وجود عالم البرزخ، ومن جهة اخری علی ارتباط الأرواح بهذا العالم.

جاء فی الحدیث عن الإمام علی بن موسی الرضا علیه السلام: «ما من عبدٍ زار قبر مؤمنٍ فقرأَ علیه انّا انزلناه فی لیلة القدر سبع مرّات إلّاغفرَ اللَّه له ولصاحب القبر» «۲».

بل یستفاد من بعض الروایات: «أنّ المسیح علیه السلام مرّ علی أحد القبور فوجد صاحبه فی العذاب، وعندما مرّ فی العام المقبل علیه وجده فی النعیم، فعندما سأل من اللَّه عن ذلک خوطب بأنّ السبب فی هذا هو فعل خیرٍ ادّاه ابنٌ مؤمن له، وهو اصلاحه لاحد الطرق وإیواؤهُ یتیماً» «۳».

کما یستفاد من روایات متعددة أیضاً أنّ من سنَّ سنّة حسنة، أو سنّة سیئة فله ثوابها أو علیه وزرها، کما أنّ الحسنات الجاریة تصل برکاتها إلیه علی الدوام «۴».

(۱) المصدر السابق، ص ۲۳۰، ح ۱.

(۲) المحجّة البیضاء، ج ۸، ص ۲۹۰.

(۳) بحار الأنوار، ج ۶، ص ۲۲۰، ح ۱۵.

(۴) راجع ما جاء فی الروایات المتعلقة بالسنّة الحسنه والسنّة السیئة فی بحار الأنوار، ج ۶۸ (طبعة الوفاء- بیروت) ص ۲۵۷ باب ۷۳.

نفحات القرآن، ج۵، ص: ۳۷۴

وجاء في الحديث عن الإمام الصادق عليه السلام أنّه قال: «ستٌّ خصال ينتفع بها المؤمن من بعد موته: ولدٌ صالح يستغفر له، ومصحفٌ يقرأُ فيه، وقليب يحفره، وغرسٌ يغرسه، وصدقة ماءٍ يُجريه، وسُنّةٌ حسنةٌ يؤخذ بها بعده» «۱».

### ۵- هل يمرّ الجميع في مرحلة البرزخ؟

هل يعلم جميع من يفارق الدنيا وينتقل إلى عالم البرزخ بما يدور حولهم؟ أم أَنَّ فريقاً منهم يقضون حياتهم في البرزخ، وهم لا يعلمون بما يدور من حولهم فهم كالنيام، فينهضون من نومهم يوم القيامة، فيتصورون مرور ألف عام عليهم وكأنّه ساعة؟

يستفاد المعنى الثاني من قوله تعالى: «وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُقسِمُ الُمجْرِمُونَ مَا لَبِثُوا غَيْرَ سَاعَةٍ». (الروم/ ۵۵)

وهذا يتمّ طبعاً في حالة تفسيرنا للآية على أنّ عالم الدنيا أو عالم البرزخ لا يعدّ شيئاً في مقابل القيامة، (فتأمّل).

ولكن بعض الآيات التي تحدثت عن البرزخ ظاهرها الاطلاق والعموم، مثل الآية التي في شأن الكفّار ظاهراً، قال تعالى: «وَمِنْ وَرَائِهِمْ بَرْزَخٌ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ». (المؤمنون/ ۱۰۰) (إلّا إذا قيل: إنّ الآية السابقة خاصة، وهذه عامّة فتقيد الأخيرة بها).

كما تكرر ذكر هذا المعنى في الروايات أيضاً وهو أنّ سؤال القبر يختص بفريقين فقط:

«وهم من محّض الإيمان محضاً أو محّض الكفر محضاً، أمّا الباقون فيلهى عنهم».

وقد ورد ذكر هذه الروايات في البحث السابق، ولمزيدٍ من الاطلاع على هذه الروايات راجع المجلد السادس من بحار الأنوار الصفحة ۲۶۰، الأحاديث رقم ۹۷- ۱۰۰.

أمّا بالنسبة لعبارة «يُلهى عنهم» فليس مفهومها عدم شمول البرزخ لهم، بل تدل على عدم توجّه الأسئلة لهم في القبر، على عكس ما جاء في روايات ضغطة القبر فهي تشمل الجميع باستثناء بعض أولياء اللّه (وقد مرّ ذكر الروايات المتعلقة بهذا البحث).

---

(۱) بحار الأنوار، ج ۶، ص ۲۹۳، باب ۱۰، ح ۱.

نفحات القرآن، ج۵، ص: ۳۷۵

### ۶- الغاية من وجود البرزخ

اتّضحت بجلاء الغاية من الحياة الدنيا، وهي كونها محل ابتلاء وتعليم وتربية وكسب الكمالات العلمية والعملية للإعداد للآخرة، فالدنيا في نظر الروايات وبعض الآيات القرآنية هي مزرعة ومكسب ومدرسة وهي ساحة إعداد، أو بتعبير آخر هي بمنزلة «عالم الجنين» بالنسبة لعالم الآخرة.

والآخرة هي منبع الأنوار الإلهيّة ومحكمة الحق الكبرى ومحل حساب الأعمال ومنزل القرب والرحمة الإلهيّة.

ويبقى هنا سؤال يجب الإجابة عنه وهو: ما هي الغاية من وجود «البرزخ»؟

وللإجابة عن هذا السؤال يمكن أن يقال: إنّ الغاية من توسط البرزخ بين الدنيا والآخرة، هي نفس الغاية المتوخاة من كل مرحلة متوسطة اخرى وذلك لأنّ الانتقال من محيطٍ إلى محيطٍ آخر يختلفان تمام الاختلاف مع بعضهما، وسوف لن يَتَحَمّل إلّابوجود مرحلة متوسطة تحمل بعض خصوصيات المرحلة الاولى مع بعض خصوصيات المرحلة الثانية معاً.

هذا بالإضافة إلى أنّ يوم القيامة بالنسبة لجميع البشر يتحقق في يوم واحد، وذلك لوجوب تبدّل الأرض والسماء لإيجاد عالم جديد، وحياة جديدة للبشر في ذلك العالم الجديد، لذا فإنّه لا يوجد أيّ سبيل آخر لتحقق ذلك إلّابتوسط البرزخ بين الدنيا والآخرة، وانتقال

الأرواح بعد انفصالها من الجسم المادی إلی البرزخ لتبقی هناک حتّی انتهاء الدنیا، وبعد انتهاء الدنیا وقیام القیامة یحشر الجمیع معاً، وذلک لعدم إمکان تخصیص قیامة مستقلّة لکل إنسان، وذلک لأنّ القیامة لا تتحقق إلّابعد فناء الدنیا وتبدّل الأرض بغیر الأرض والسماء بغیر السماء.

بالإضافة إلی ذلک فقد دلّت بعض الروایات علی إصلاح بعض النواقص العلمیة والتربویة للمؤمنین فی البرزخ، وعلی الرغم من أنّ البرزخ لم یُعدّ لعمل الصالحات، لکن ما المانع من أن یکون هناک مَوضعٌ لا رتقاء المعرفة والعلم؟

نفحات القرآن، ج۵، ص: ۳۷۶

جاء فی الحدیث عن الإمام موسی بن جعفر علیه السلام: «مَن ماتَ من أولیائنا وشیعتنا ولم یُحسن القَرآن عُلِّم فی قبره لیرفع اللَّه به من درجته، فإنّ درجات الجنّة علی قدر آیات القرآن، یقال له اقرأ وارق، فیقرأ ثمَّ یرقی «۱».

**ملاحظة:**

کنّا نود أن نجمع کل مباحث «المعاد فی القرآن» فی مجلد واحد کی یسهل تناولها، لکننا عند العمل وجدنا أنّ البحوث بلغت من السعة ما یقارب التسعمائة إلی الالف صفحة (مع الاختصار!) وأنّ جمعها فی مجلد واحد أمر عسیر، لذا لم نرَبداً من وضع البحوث المتعلقة بکلیات «المعاد» فی مجلد والبحوث المتعلقة «بخصوصیات المعاد» فی مجلد آخر، علی أمل أداء حق جمیع البحوث علی قدر الإمکان.

اللّهم! إننا نعلم بأنّ أمامنا سفراً طویلًا وملیئاً بالمخاطر وبأننا لم نعدّ أنفسنا له، فوفقنا لاعداد أنفسنا إعداداً أکمل وأسرع.

یاربّ! إنّ عبدک المخلص علی علیه السلام کان یذرف الدموع ویقول: آهٍ من قلة الزاد وبعد السفر، فکیف بنا وقد خلت أیدینا من الزاد، فإننا لا نرجو إلّالطفک الدائم.

لکننا نعلم یاربّ بأنّ کل ما لدینا من العلم هو أنّ هناک عالماً أسمی وأرقی وراء هذا العالم المحدود الضیّق المظلم .. عالماً تشع علیه أنوارک علی الدوام، وأنّ آثار قدرتک وعظمتک فیه أکثر وضوحاً واشعاعاً، وهو یبشّرنا بلقائک المعنوی الذی حرمنا منه فی هذه الدنیا، ویدعونا إلی المأدبة الکبری ویبشّرنا بالجلوس علی خوان «مالا عین رأت ولا اذنٌ سمعت ولا خطر علی قلب بشر»، فلا تحرمنا من ذلک یا عظیم!

انتهی المجلد الخامس

من التفسیر الموضوعی «نفحات القرآن» فی

۱۳/ ۱۰/ ۱۳۶۹ ه. ش

۱۶/ ج ۲/ ۱۴۱۱ ه. ق

(۱) اصول الکافی، ج ۲، ص ۱۰۶، باب فضل حامل القرآن، ح ۱۰.

## تعریف مرکز القائمیة باصفهان للتحریات الکمبیوتریة

جاهِدُوا بِأَمْوالِکُمْ وَ أَنْفُسِکُمْ فی سَبیلِ اللَّهِ ذلِکُمْ خَیْرٌ لَکُمْ إِنْ کُنْتُمْ تَعْلَمُونَ (التوبة/۴۱).

قالَ الإمامُ علیّ بْنُ موسَی الرِّضا – علَیهِ السَّلامُ: رَحِمَ اللّهُ عَبْداً أحْیَا أمْرَنَا... یَتَعَلَّمُ عُلُومَنَا وَ یُعَلِّمُهَا النَّاسَ؛ فَإِنَّ النَّاسَ لَوْ عَلِمُوا مَحَاسِنَ کَلَامِنَا لَاتَّبَعُونَا... (بَنادِرُ البِحار – فی تلخیص بحار الأنوار، للعلّامة فیض الاسلام، ص ۱۵۹؛ عُیونُ أخبارِ الرِّضا(ع)، الشّیخ

الصَّدوق، الباب۲۸، ج ۱/ ص۳۰۷).

مؤسّس مُجتمَع "القائمیة "الثّقافیّ بأصبَهانَ – إیرانَ: الشهید آیة الله "الشمس آباذی – "رَحِمَهُ اللهُ – کان أحداً من جَهابذة هذه المدینة، الذی قدِ اشتهَرَ بشَغَفِهِ بأهل بَیت النبیّ (صلواتُ اللهِ علَیهِم) و لاسیَّما بحضرة الإمام علیّ بن موسَی الرِّضا (علیه السّلام) و بِساحة صاحِب الزّمان (عَجَّلَ اللهُ تعالی فرجَهُ الشَّریفَ)؛ و لهذا أسّس مع نظره و درایته، فی سَنَةِ ۱۳۴۰ الهجریّة الشمسیّة (=۱۳۸۰ الهجریّة القمریّة)، مؤسَّسةً و طریقةً لم یَنطَفِئ مِصباحُها، بل تُتَّبَع بأقوَی و أحسَنِ مَوقِفٍ کلَّ یوم.

مرکز "القائمیّة "للتحرِّی الحاسوبیّ – بأصبَهانَ، إیرانَ – قد ابتدَأَ أنشِطتَهُ من سَنَةِ ۱۳۸۵ الهجریّة الشمسیّة (=۱۴۲۷ الهجریّة القمریّة) تحتَ عنایة سماحة آیة الله الحاجّ السیّد حسن الإمامیّ – دامَ عِزّهُ – و مع مساعَدَةِ جمعٍ من خِرّیجی الحوزات العلمیّة و طلاب الجوامع، باللیل و النهار، فی مجالاتٍ شتّی: دینیّة، ثقافیّة و علمیّة...

الأهداف: الدّفاع عن ساحة الشیعة و تبسیط ثَقافة الثَّقَلَین (کتاب الله و اهل البیت علیهمُ السَّلامُ) و معارفهما، تعزیز دوافع الشَّباب و عموم الناس إلی التَّحَرِّی الأدَقّ للمسائل الدّینیّة، تخلیف المطالب النّافعة – مکانَ البَلاتیثِ المبتذلة أو الرّدیئة – فی المحامیل (=الهواتف المنقولة) و الحواسیب (=الأجهزة الکمبیوتریّة)، تمهید أرضیّةٍ واسعةٍ جامعةٍ ثَقافیّةٍ علی أساس معارف القرآن و أهل البیت –علیهم السّلام – بباعث نشر المعارف، خدمات للمحققین و الطّلّاب، توسعة ثقافة القراءة و إغناء أوقات فراغة هُواةِ برامِجِ العلوم الإسلامیّة، إنالة المنابع اللازمة لتسهیل رفع الإبهام و الشّبُهات المنتشرة فی الجامعة، و...

- مِنها العَدالة الاجتماعیّة: التی یُمکِن نشرها و بثّها بالأجهزة الحدیثة متصاعدةً، علی أنّه یُمکِن تسریعُ إبراز المَرافِق و التسهیلاتِ – فی آکناف البلد - و نشرِ الثّقافةِ الاسلامیّة و الإیرانیّة – فی أنحاء العالَم - مِن جهةٍ اُخرَی.

- من الأنشطة الواسعة للمرکز:

الف) طبع و نشر عشراتِ عنوانِ کتبٍ، کتیبة، نشرة شهریّة، مع إقامة مسابقات القِراءة

ب) إنتاجُ مئات أجهزةٍ تحقیقیّة و مکتبیة، قابلة للتشغیل فی الحاسوب و المحمول

ج) إنتاج المَعارض ثّلاثیّةِ الأبعاد، المنظر الشامل (= بانوراما)، الرّسوم المتحرّکة و... الأماکن الدینیّة، السیاحیّة و...

د) إبداع الموقع الانترنتی "القائمیّة "www.Ghaemiyeh.com و عدّة مَواقِعَ اُخَرَ

ه) إنتاج المُنتَجات العرضیّة، الخَطابات و... للعرض فی القنوات القمریّة

و) الإطلاق و الدَّعم العلمیّ لنظام إجابة الأسئلة الشرعیّة، الاخلاقیّة و الاعتقادیّة (الهاتف: ۰۰۹۸۳۱۱۲۳۵۰۵۲۴)

ز) ترسیم النظام التلقائیّ و الیدویّ للبلوتوث، ویب کشک، و الرّسائل القصیرة SMS

ح) التعاون الفخریّ مع عشراتِ مراکزَ طبیعیّة و اعتباریّة، منها بیوت الآیات العِظام، الحوزات العلمیّة، الجوامع، الأماکن الدینیّة کمسجد جَمکرانَ و...

ط) إقامة المؤتمَرات، و تنفید مشروع "ما قبلَ المدرسة "الخاصّ بالأطفال و الأحداث المُشارِکین فی الجلسة

ی) إقامة دورات تعلیمیّة عمومیّة و دورات تربیة المربّی (حضوراً و افتراضاً) طیلة السَّنَةِ

المکتب الرّئیسیّ: إیران/أصبهان/ شارع "مسجد سیّد/ "ما بینَ شارع "پنج رَمَضان "ومُفترَق "وفائی/ "بنایة "القائمیّة"

تاریخ التأسیس: ۱۳۸۵ الهجریّة الشمسیّة (=۱۴۲۷ الهجریة القمریّة)

رقم التسجیل: ۲۳۷۳

الهویّة الوطنیّة: ۱۰۸۶۰۱۵۲۰۲۶

الموقع: www.ghaemiyeh.com

البرید الالکترونی: Info@ghaemiyeh.com

المَتجَر الانترنتى: www.eslamshop.com

الهاتف: ۲۵-۲۳۵۷۰۲۳- (۰۰۹۸۳۱۱)

الفاكس: ۲۳۵۷۰۲۲ (۰۳۱۱)

مكتب طهرانَ ۸۸۳۱۸۷۲۲ (۰۲۱)

التِّجاريّهْ و المَبيعات ۰۹۱۳۲۰۰۰۱۰۹

امور المستخدمين ۲۳۳۳۰۴۵(۰۳۱۱)

ملاحَظهْ هامّهْ:

الميزانيّهْ الحاليّهْ لهذا المركز، شَعبيّهْ، تبرّعيّهْ، غير حكوميّهْ، و غير ربحيّهْ، اقتُنِيَت باهتمام جمع من الخيّرين؛ لكنّها لا تُوافِى الحجمَ المتزايد و المتّسِعَ للامور الدّينيّهْ و العلميّهْ الحاليّهْ و مشاريع التوسعهْ الثّقافيّهْ؛ لهذا فقد ترجَّى هذا المركزُ صاحِبَ هذا البيتِ (المُسمَّى بالقائميّهْ) و مع ذلك، يرجو مِن جانب سماحهْ بقيّهْ الله الأعظم (عَجَّلَ اللهُ تعالى فرَجَهُ الشَّريفَ) أن يُوفِّقَ الكلَّ توفيقاً متزائداً لِإعانتهم - فى حدّ التّمكّن لكلّ احدٍ منهم – إيّانا فى هذا الأمر العظيم؛ إن شاءَ اللهُ تعالى؛ و اللهُ ولىّ التوفيق.